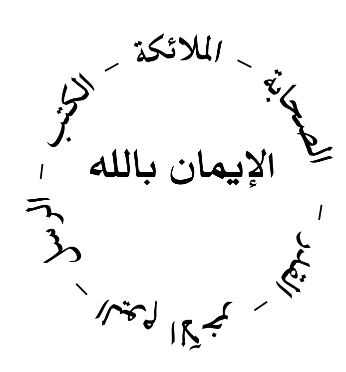


الجامع الصحيح لأدلة الاعتقاد



❑ كتاب الإيمان بالملائكة ❑

تأليف

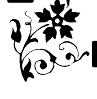
سامح السعودي

إشراف

أبي إسحاق السمنودي

مجدي بن عطية حمودة

المجلد الثاني



الجامع الصحيح لأدلة الاعتقاد

كتاب الإيمان بالملائكة

الطبعة الثانية
١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

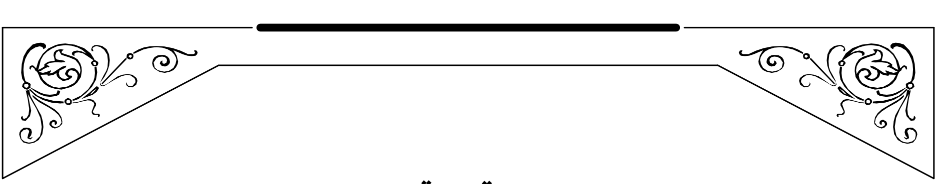


رقم الإيداع: ٨٢٨١ / ٢٠١٥م

الناشر

المكتب العلمي لتحقيق التراث
٠١٠٠٢٠٥٧٢٣٩





مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه وخليله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد:

فقد أخرج الإمام مسلم في «صحيحه» عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لاَ يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلاَ يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلاَمِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الإِسْلاَمُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ** ﷺ، وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً»، قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ. قَالَ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»، قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ، قَالَ: «**أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ،

قَالَ: «**مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**» قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا. قَالَ: «**أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ**»، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «**يَا عُمَرُ، أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟**». قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**»[(١)].

قد بيّن لنا النبي ﷺ في هذا الحديث أركان الإيمان، وهذه الأركانُ هي الركائز الأساسية التي يقوم عليه البناءُ الإيمانيُّ، وكلها تتعلق بأمور يعتقدها المؤمن اعتقادًا جازمًا بناءً على ما ورد من خبر صادقٍ بخصوصها. كما أنَّ هذه الأركان متفق عليها بين جميع الرسالات المنْزلة من عند الله تعالى، حيث دعا كلُّ رسول قومه للإيمان بها كما قال الله تعالى: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ [الشورى ١٣]، ولا يصحُّ إيمان المسلم إلا باعتقاده الجازم بجميع هذه الأركان اعتقادًا صحيحًا بعيدًا عن الشكِّ.

وهذه الأركان هي: الإيمان بالله، والإيمان بالملائكة، والإيمان بالكتب، والإيمان بالرسل، والإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالقضاء والقدر، وهي جميعها متعلقةٌ بالغيب، حيثُ إن اعتقادها مبنيٌّ على ما بلغنا من نصوص الوحيِ بخصوصِها.

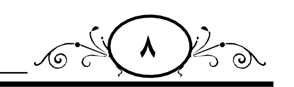
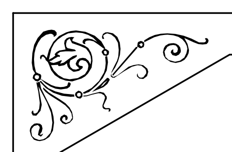
ولما كان الإيمان بالملائكة هو الركن الثاني من أركان الإيمان ولا يتم الإيمان إلاّ به فقد قمت بجمع الأدلة من القرآن وما صحّ في السنة المتعلقة بهذا الباب؛ وذلك لأن العلمَ بالملائكة من الأمور الغيبية التي لا يصل إليها

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (١) كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان.

العقلُ المجرد، وإنما السبيل لمعرفتهم هو الخبر الصادقُ عن الله ﷻ أو عن رسوله ﷺ. ثم عضدت ذلك بذكر كلام أهل العلم من المفسرين وشرّاح الحديث عقب كل دليل لبيان المراد وإيضاح المقصود.

راجيًا من الله تعالى القبول والنفع بهذا العمل في الدارين، والله المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل.



الباب الأول: تعريف الملائكة ومادة خلقهم وكيفية الإيمان بهم

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الملائكة

الملائكة لغة: جمع «مَلَك» وأصل «ملك»: مألك، ثم قُلبت الهمزة فرُدت في موضع اللام فصارت: ملاك. فأصل وزنه «مفعل»، مقلوب إلى «معفل». ثم ألقيت حركة الهمزة على اللام فصارت «ملك»، فلما جُمع رُد إلى أصله بعد القلب. فلذلك وقعت الهمزة بعد اللام في «ملائكة»، ولو جُمع على أصله قبل القلب لقيل: مآلك، على مفاعل. وهو مشتق من (الألوكة) التي هي الرسالة، والجمع: ملائك، وملائكة.

فالمَلَك في اللغة: حامل الأَلوكة وهي الرسالة، فإن الملائكة عليهم السلام رسل الله تعالى، يتلقون رسالته وينفذون ما كُلفوا به منها، ويُبلغون ما حُمِّلوا منها إلى غيرهم، قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾ [فاطر: ١][(١)]. وهذا الذي عليه عامة أهل اللغة والمفسرين.

وقال ابن حجر رحمه الله: «الملائكة» جمع ملك - بفتح اللام - فقيل: مخفف

---

(١) «مختار الصحاح» (١/ ٢٩٨)، و«تاج العروس» (٢٧/ ٣٥٤)، و«لسان العرب» (١٠/ ٤٦٩)، و«النبوات» لشيخ الإسلام (٢٥٧).

من مالك. وقيل: مشتق من الألوكة وهي الرسالة وهذا قول سيبويه والجمهور، وأصله لاك[١].

وذهب أبو عبيدة إلى أن الميم في (المَلَك) أصلية وزنه (فَعَل) كأسد هو من المَلْك - بالفتح وسكون اللام - وهو الأخذ بقوة، وعلى هذا فوزن ملائكة فعائلة. ويؤيده أنهم جوزوا في جمعه أملاك، وأفعال لا يكون جمعًا لما في أوله ميم زائدة[٢].

وقيل: أصله المَلْك - بفتح ثم سكون - وهو الأخذ بقوة وحينئذٍ لا مدخل للميم فيه، وأصل وزنه (مَفْعَل) فتُركت الهمزة لكثرة الاستعمال وظهرت في الجمع وزيدت الهاء إما للمبالغة وإما لتأنيث الجمع، وجُمع على القلب وإلا لقيل: مالكة[٣].

والقول بأن اشتقاق الاسم من الألوكة وهي الرسالة أقرب وأصوب من جهة اللغة والمعنى، أما المعنيان الآخران فهما من صفاتهم[٤].

والملائكة شرعًا: مخلوقات نورانية عاقلة متكلمة مريدة، أُعطيت قدرةً على التشكل بالصور الحسنة، ومسكنهم السماوات[٥].

فالملائكة هم رسل الله تعالى في تنفيذ أمره الكوني (الذي يوحيه إليهم) في ملكوته، وسفراؤه إلى أنبيائه ورسله من البشر في تبليغ وحيه الشرعي، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ [الحج: ٧٥].

---

(١) «فتح الباري» (٦/ ٣٠٦).
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.
(٤) «في الملائكة المقربين» (ص١٥) د. محمد عقيل.
(٥) «فتح الباري» (٦/ ٣٠٦) وانظر: «مباحث في العقيدة» لناصر بن علي عايض (١/ ٤٣٥).

المبحث الثاني: من أي شيء خُلقوا؟

لقد بيَّن النبي ﷺ المادة التي خلق الله منها الملائكة وهي النور، فقد جاء عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: «**خُلقت الملائكة من نور، وخُلق الجان من مارج من نار، وخُلق آدم مما وُصف لكم**»[(١)].

قال العراقي في «شرح التقريب»: وَفِي هَذَا الحَدِيثِ فَوَائِدُ، مِنْهَا:

الْأُولَى: أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُرْوَةَ.

الثَّانِيَةُ: النُّورُ جِسْمٌ لَطِيفٌ مُشْرِقٌ، وَفَسَّرَهُ صَاحِبُ الصِّحَاحِ بِالضِّيَاءِ، وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّ الضِّيَاءَ أَبْلَغُ مِنْهُ بِدَلِيلِ قَوْله تَعَالَى: ﴿جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس: ٥] وَأَمَّا قَوْله تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥] حَيْثُ شَبَّهَ هُدَاهُ بِالنُّورِ وَلَمْ يُشْبِهْهُ بِالضِّيَاءِ فَأُجِيبُ عَنْهُ بِأَنَّهُ لَوْ شُبِّهَ بِالضِّيَاءِ لَزِمَ أَنْ لَا يَضِلَّ أَحَدٌ بِخِلَافِ النُّورِ كَضَوْءِ الْقَمَرِ فَإِنَّهُ يَقَعُ مَعَهُ الضَّلَالُ لِمَنْ أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ مِنْهُ. وَيُطْلَقُ النُّورُ أَيْضًا عَلَى جَمِيعِ النَّارِ وَلَيْسَ مُرَادًا هُنَا، وَلَمْ يَنْحَصِرِ النُّورُ فِي ضَوْءِ النَّارِ فَالْمَلَائِكَةُ خُلِقُوا مِنْ ضَوْءٍ لَا مِنْ نَارٍ، وَاَللَّهُ أَعْلَمُ بِنَوْعِ ذَلِكَ الضَّوْءِ، وَلَوْ كَانَ مِنْ ضَوْءِ نَارٍ لَمْ يَلْزَمْ عَلَيْهِ مَحْذُورٌ، فَالْمَخْلُوقُ مِنْ ضَوْءِ النَّارِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ مِنَ النَّارِ.

الثَّالِثَةُ: الْجَانُّ: الْجِنُّ «وَمَارِجُ النَّارِ» بِكَسْرِ الرَّاءِ وَبِالْجِيمِ: لَهَبُهَا الْمُخْتَلِطُ بِسَوَادِهَا، قَالَهُ الْمَازِرِيُّ وَابْنُ الْأَثِيرِ وَالنَّوَوِيُّ وَغَيْرُهُمْ. وَقَالَ فِي الصِّحَاحِ:

---

(١) **صحيح:** أخرجه مسلم (٢٩٩٦) كتاب الآداب، باب في خلق الملائكة والجان وآدم.
وابن حبان (٦١٥٥) وأحمد في «المسند» (٢٥١٩٤)، والبيهقي في «الكبرى» (١٧٤٨٧) باب مبتدأ الخلق.

نَارٌ لَا دُخَانَ لَهَا. وَقَالَ فِي الْمَشَارِقِ: اللَّهَبُ الْمُخْتَلِطُ. وَقِيلَ: نَارٌ دُونَ الْحِجَابِ مِنْهَا هَذِهِ الصَّوَاعِقُ. وَحُكِيَ فِي الْإِكْمَالِ هَذَا الثَّانِي عَنْ الْفَرَّاءِ.

الرَّابِعَةُ: قَوْلُهُ: «وَخُلِقَ آدَم مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ» أَيْ مِنْ طِينٍ كَمَا ذُكِرَ ذَلِك فِي آيَاتٍ عَدِيدَةٍ(١).

فبَيَّن ﷺ أن الملائكة خُلقوا من نور، ولم يبين النبي ﷺ أي نور هذا الذي خلقهم الله منه. فلا يجوز لأي أحد الخوض في نوع هذا النور لزيادة تحديده لأنه غيب لم يأتِ فيه ما يوضحه أكثر من هذا الحديث النبوي الشريف.

والسؤال الآن: متى خلقهم الله؟ أما تحديد الزمن الذي خُلقوا فيه فلم يَرِد في الكتاب والسنة ما يفيد ذلك، إلا أن الله تعالى أخبر بأن خلقهم كان قبل خلق آدم عليه السلام، فقد أخبر سبحانه أنه أعلم الملائكة بأنه سيجعل في الأرض خليفة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]. والمراد بالخليفة آدم عليه السلام وأَمَرهم بالسجود له حين خلقه ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الحجر: ٢٩]فدل ذلك على أنهم كانوا موجودين قبل خلق آدم، ولكن لم يرد دليل يحدد لنا الزمان الذي خُلقوا فيه بالتحديد.



(١) «طرح التثريب في شرح التقريب» (٨/ ٢٧٧).

المبحث الثالث: منزلة الإيمان بالملائكة

الإيمان بالملائكة أصل من أصول الإيمان، لا يصح إيمان عبد ما لم يؤمن بهم؛ وذلك لأن الإيمان بهم هو الركن الثاني من أركان الإيمان.

والإيمان بالملائكة هو الإقرار الجازم بوجودهم، وأنهم من خلق الله تعالى، وهم ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦، ٢٧] وأنهم ﴿لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

وعلى العبد الإيمان بمن ورد ذكرهم في القرآن والسنة على وجه التفصيل، كما يجب الإيمان بصفاتهم الخِلْقية والخُلُقية، والأعمال التي يقومون بها.

يقول محمد رشيد رضا في ثنايا حديثه عن أهمية الإيمان بالملائكة: «إن الإيمان بالملائكة أصل للإيمان بالوحي؛ ولذلك قُدِّم ذكر الملائكة على ذكر الكتاب والنبيين، قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، فالملائكة هم الذين يؤتون النبيين الكتاب، قال تعالى: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾﴾ [القدر: ٤]، وقال سبحانه: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٣- ١٩٥].

فيلزم من إنكار الملائكة إنكار الوحي والنبوة وإنكار الأرواح، وذلك يستلزم إنكار اليوم الآخر[(١)].

---

(١) انظر: «نواقض الإيمان القولية» (ص٢٣١).

ويقول السعدي في نفس المسألة: «الإيمان بالملائكة أحد أصول الإيمان، ولا يتم الإيمان بالله وكتبه ورسله إلا بالإيمان بالملائكة، وقد وصفهم الله بأكمل الصفات، وأنهم في غاية القوة على عبادة الله والرغبة العظيمة فيها، وأنهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون، وأنهم لا يستكبرون عن عبادته بل يرونها من أعظم نعمه عليهم، وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون.

فيجب الإيمان بهم إجمالًا وتفصيلًا، وكثير من سور القرآن فيها ذِكر الملائكة والخبر عنهم، فعلينا أن نؤمن بذلك كله.

ولا تكاد تجد أحدًا ينكر وجود الملائكة إلا الزنادقة المنكرين لوجود ربهم، ومَن تستر بالإسلام منهم فإنه ينكر الملائكة حقيقة، وينكر خبر الله ورسوله عنهم، ويفسر الملائكة تفسيرًا وتحريفًا خبيثًا، فيزعم أن الملائكة هي القوى الخيرية والصفات الحسنة الموجودة في الإنسان، وأن الشياطين هي القوى الشريرة فيه، وغرضهم من هذا التحريفِ دفع الشنعة عنهم، وقد ازدادوا بهذا التحريف شرًّا إلى شرهم، وراج هذا التحريف الخبيث على بعض الذين يُحسنون الظن بهؤلاء الزنادقة، وليس عندهم بصيرة في أديان الرسل وإن أظهروا تعظيمهم، فإن زنادقة الفلاسفة أعظم في قلوبهم من الرسل، وكفى بالعبد ضلالًا وغيًّا أن يصل إلى هذه الحال، ونعوذ بالله من مضلات الفتن»[(١)].

وقد جاء الأمر بالإيمان بهم والتحذير من الكفر بهم، ومن ذلك ما يلي:

١- قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

---

(١) «تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن» (١/ ٣٦٨).

قال ابن أبي العز: جعل الله ﷻ الإيمان هو الإيمان بهذه الجملة، وسمى مَن آمن بهذه الجملة «مؤمنين». كما جعل الكفر بهذه الجملة لمن لم يؤمن بها[(١)].

٢- قال تعالى: ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة: ١٧٧].

٣- قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة: ٢٨٥].

٤- قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء: ١٣٦].

٥- قال تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [البقرة: ٩٨].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قوله: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ يَقُولُ تَعَالَى: مَنْ عَادَانِي وَمَلَائِكَتِي وَرُسُلِي - وَرُسُلُهُ تَشْمَلُ رُسُلَهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْبَشَرِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ﴾ [الحج: ٧٥] - ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ وَهَذَا مِنْ بَابِ عَطْفِ الْخَاصِّ عَلَى الْعَامِّ، فَإِنَّهُمَا دَخَلَا فِي الْمَلَائِكَةِ ثُمَّ عُمُومِ

(١) «شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز (ص٣١٤).

الرُّسُلِ، ثُمَّ خُصِّصَا بِالذِّكْرِ لِأَنَّ السِّيَاقَ فِي الِانْتِصَارِ لِجِبْرِيلَ وَهُوَ السَّفِيرُ بَيْنَ اللَّهِ وَأَنْبِيَائِهِ، وَقَرَنَ مَعَهُ مِيكَائِيلَ فِي اللَّفْظِ؛ لِأَنَّ الْيَهُودَ زَعَمُوا أَنَّ جِبْرِيلَ عَدُوُّهُمْ وَمِيكَائِيلَ وَلِيُّهُمْ، فَأَعْلَمَهُمْ أَنَّهُ مَنْ عَادَى وَاحِدًا مِنْهُمَا فَقَدْ عَادَى الْآخَرَ وَعَادَى اللَّهَ أَيْضًا[(١)].

فبَيَّن ربنا تبارك وتعالى أن العبد لا يدخل تحت مسمى الإيمان إلا إذا آمن بجميع أركانه، ومن بين ذلك الإيمان بالملائكة، كما بيّن سبحانه أن مَن كفر بركن من هذه الأركان فهو عدو لله تعالى وأنه في ضلال بعيد.

٦- وعن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لاَ يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلاَ يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلاَمِ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«الإِسْلاَمُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً»، قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ.**

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ. قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ. قَالَ: **«أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»**. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ. قَالَ: **«مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ»** قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا. قَالَ: **«أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ»**.

---

(١) «تفسير ابن كثير» ت سلامة (١/ ٣٤٢).

قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «**يَا عُمَرُ، أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟**» قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**»(١).

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: وَأَمَّا الْإِيمَانُ، فَقَدْ فَسَّرَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي هَذَا الْحَدِيثِ بِالِاعْتِقَادَاتِ الْبَاطِنَةِ، فَقَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ. وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ الْإِيمَانَ بِهَذِهِ الْأُصُولِ الْخَمْسَةِ فِي مَوَاضِعَ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٨٥]. وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ١٧٧] الْآيَةَ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٣ - ٤]. وَالْإِيمَانُ بِالرُّسُلِ يَلْزَمُ مِنْهُ الْإِيمَانُ بِجَمِيعِ مَا أَخْبَرُوا بِهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالْكِتَابِ وَالْبَعْثِ وَالْقَدَرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ تَفَاصِيلِ مَا أَخْبَرُوا بِهِ، مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ وَصِفَاتِ الْيَوْمِ الْآخِرِ كَالْمِيزَانِ وَالصِّرَاطِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ(٢).

أما عن كيفية الإيمان بهم:

فالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الأخر وبالقدر خيره وشره - واجب إجمالًا، لا يصح إيمان عبد إلا بذلك.

وهنا مسألة مهمة جدًّا يغفل عنها كثير من الناس وهى أن هذا الإيمان

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (١) كِتَابُ الإِيمَانِ، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان. وأبو داود (٤٦٩٧) باب في القدر. والنسائي (٤٩٩٠) باب نعت الإسلام. والبيهقي في «الكبرى» (٢٠٦٦٠).

(٢) «جامع العلوم والحكم» ط الأرنؤوط (١/ ١٠٢).

الواجب لا يُنال إلا بالعلم فتَعَلُّم هذه الأمور على وجه الإجمال فرض عين على كل مسلم ومسلمة.

قال ابن عبد البر: «قَدْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ مِنَ الْعِلْمِ مَا هُوَ فَرْضٌ مُتَعَيَّنٌ عَلَى كُلِّ امْرِئٍ فِي خَاصَّةِ نَفْسِهِ، وَمِنْهُ مَا هُوَ فَرْضٌ عَلَى الْكِفَايَةِ، إِذَا قَامَ بِهِ قَائِمٌ سَقَطَ فَرْضُهُ عَنْ أَهْلِ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ، وَاخْتَلَفُوا فِي تَلْخِيصِ ذَلِكَ. وَالَّذِي يَلْزَمُ الْجَمِيعَ فَرْضُهُ مِنْ ذَلِكَ مَا لَا يَسَعُ الْإِنْسَانَ جَهْلُهُ مِنْ جُمْلَةِ الْفَرَائِضِ الْمُفْتَرَضَةِ عَلَيْهِ؛ نَحْوَ الشَّهَادَةِ بِاللِّسَانِ وَالْإِقْرَارِ بِالْقَلْبِ بِأَنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا شِبْهَ لَهُ وَلَا مِثْلَ لَهُ...»[1] ثم بيّن بعد ذلك بقية العقائد.

والإيمان المجمل بالملائكة الذي يجب على كل إنسان أن يأتي به يتضمن عدة أمور:

الأول: الإقرار بوجودهم وأنهم خلق من خلق الله خلقهم الله لعبادته وأن وجودهم حقيقي، وعدم رؤيتنا لهم لا يدل على عدم وجودهم؛ فقد رأى النبي ﷺ بعضهم بصورته الحقيقية.

الثاني: إنزالهم منازلهم التي أنزلهم الله وإثبات أنهم عباد لله مأمورون مكلفون لا يقدرون إلا على ما أقدرهم عليه، وأن الله أكرمهم ورفع مقامهم عنده وفضّل بعضهم على بعض، وهم مع هذا لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم شيئًا من دون الله، وإذا كانوا كذلك فلا يجوز أن يُصرف لهم شيء من أنواع العبادة فضلًا عن أن يوصفوا بصفات الربوبية كما زعمت النصارى ذلك.

الثالث: الإيمان بما ورد في حقهم في الكتاب والسنة.

الرابع: الإيمان بمن سمى الله لنا منهم فنقر بهذه الأسماء، وأن لله ملائكة

---

(١) «جامع بيان العلم» لابن عبد البر (١/ ٢٩) ط الريان وابن حزم.

منهم جبريل وميكال وإسرافيل. فكل من سمى الله لنا وجب الإيمان باسمه ومن لم يسم لنا نؤمن به إجمالًا[١].

وأما الإيمان المفصل بالملائكة فهذا ما سنتناوله بالأدلة التفصيلية في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

المبحث الرابع: أثر الإيمان بالملائكة في حياة الإنسان

إن الله ﷻ لم يُطلع الناس على شيء من غيبه إلا وكان فيه نعمة عظيمة لهم، ومن فضل الله علينا أن عَرَّفَنَا بهذه المخلوقات الكريمة، وجعل الإيمان بها من الإيمان بالغيب الذي يُعد أول صفة للمتقين، قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ١ - ٣].

ومن ثمرات الإيمان بالملائكة ما يلي:

١ - وقوف المؤمن على عظيم قدرة الله تعالى، وذلك واضح في عِظم خلق الملائكة.

٢ - اطمئنان المؤمن إلى أنه محاط برعاية الله تعالى له، بهؤلاء الخلق العظام الذين يرعون شؤونه، ويُسيرون كثيرًا من شؤون الكون بإذن الله تعالى.

٣ - حثُّ المؤمن على العمل الصالح وزجره عن السيئات؛ لأن الملائكة يترصدون جميع أعماله ويسجلونها عليه.

٤ - إغلاق باب الخرافة والتخيلات الباطلة والاعتقاد الزائف في

---

(١) «الحبائك في أخبار الملائك» (٩).

الملائكة، وذلك ببيان الحق في شأنهم، وتوضيح ما يخص البشر وينفعهم العلم به من أمر الملائكة.

٥ - أن تتطهر عقيدة المسلم من شوائب الشرك وأدرانه؛ لأن المسلم إذا آمن بوجود الملائكة الذين كلفهم الله بهذه الأعمال العظيمة، تخلَّص من الاعتقاد بوجود مخلوقات وهمية تسهم في تسيير أمور الكون.

٦ - أن يعلم المسلم أن الملائكة لا ينفعونَ ولا يضرون، وإنما هم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٢٦ - ٢٩] فلا يعبدهم ولا يتوجه إليهم ولا يتعلق بهم.

٧ - شكرُ الله تعالى على لطفه وعنايته بعباده، حيث وكَّلَ بهم من هؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم وكتابة أعمالهم وغير ذلك، مما تتحقق به مصالحهم في الدنيا والآخرة.

٨ - محبةُ الملائكة على ما هداهم الله إليه، من تحقيق عبادة الله على الوجه الأكمل ونصرتهم للمؤمنين واستغفارهم لهم، قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: ١٢].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ

ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [غافر: ٧ - ٩].

٩ - الاستقامة على أمر الله ﷻ، فإن من يستشعر وجود الملائكة معه وعدم مفارقتها له، ويؤمن برقابتهم لأعماله وأقواله وشهادتهم على كل ما يصدر عنه - ليستحي من الله ومن جنوده، فلا يخالفه في أمر ولا يعصيه في العلانية أو في السرِّ، فكيف يعصي الله مَنْ علم أن كل شيء محسوبٌ ومكتوبٌ؟

١٠ - الطُّمأنينة: فالمسلم مطمئن إلى حماية الله له، فقد جعل الله عليه حافظًا يحفظه من الجن والشياطين ومن كل شرٍّ: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ [الرعد: ١١].

١١ - حبُّ الله ﷻ: فالمسلم عندما يؤمن بالملائكة وأعمالهم ويرى كيف أن الله ﷻ وكَّل ملائكة بالسماء، وملائكة بالأرض، وملائكة بالجبال، وملائكة بالسحاب.. إلخ وكل ذلك من أجل الإنسان وراحته - يتوجه إلى الله بالشكر فتزداد محبة الله في قلبه ويعمل على طاعته.

١٢ - الصبر على طاعة الله: ومن ثمرات الإيمان بالملائكة الصبر، ومواصلة الجهاد في سبيل الله، وعدم اليأس، والشعور بالأنس والطمأنينة، فعندما يصبح المؤمن غريبًا في وطنه وبين أهله وقومه حينما يدعوهم إلى الله ويجد منهم الصد والاستهزاء، يجد المؤمن من ملائكة الله أنيسًا ورفيقًا يصحبه ويطمئنه ويشجعه على مواصلة السير في طريق الهدى؛ لأن جنود الله معه، يعبدون الله كما يعبد المؤمن ربه، ويتجهون إلى خالق السماوات والأرض كما يتوجه، فيشعر بأنه لا يسير وحده إلى الله دائمًا بل يسير في موكب إيماني مع الملائكة ومع الأنبياء عليهم السلام ومع السماوات والأرض وباقي مخلوقات الله التي تسبح بحمده.

المبحث الخامس: المفاضلة بين الملائكة وصالحي البشر

قال ابن أبي العز رَحِمَهُ اللَّهُ: وقد تكلم الناس في المفاضلة بين الملائكة وصالحي البشر، ويُنسب إلى أهل السنة تفضيل صالحي البشر والأنبياء فقط على الملائكة. وإلى المعتزلة تفضيل الملائكة. وأتباع الأشعري على قولين: منهم من يفضل الأنبياء والأولياء، ومنهم من يقف ولا يقطع في ذلك قولًا. وحُكي عن بعضهم ميلهم إلى تفضيل الملائكة. وحُكي ذلك عن غيرهم من أهل السنة وبعض الصوفية.

وقالت الشيعة: إن جميع الأئمة أفضل من جميع الملائكة. ومن الناس من فَصَّل تفصيلًا آخر. ولم يقل أحد ممن له قول يؤثر: إن الملائكة أفضل من بعض الأنبياء دون بعض[1].

وقال الإمام السفاريني رَحِمَهُ اللَّهُ: الْمُفَاضَلَةُ بَيْنَ الْبَشَرِ وَالْمَلَائِكَةِ، مَسْأَلَةٌ عَظِيمَةٌ قَدْ كَثُرَ فِيهَا الِاخْتِلَافُ، وَتَشَعَّبَتْ فِيهَا الْأَقْوَالُ، وَعَظُمَتْ فِيهَا الْمِحَنُ وَالْجِدَالُ[2].

وقال شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَكُنْت أَحْسَبُ أَنَّ الْقَوْلَ فِيهَا مُحْدَثٌ حَتَّى رَأَيْتُهَا أَثَرِيَّةً سَلَفِيَّةً صَحَابِيَّةً، فَانْبَعَثَتْ الْهِمَّةُ إلَى تَحْقِيقِ الْقَوْلِ فِيهَا[3].

ومن خلال هذه النقولات نرى أن العلماء قد اختلفوا في هذه المسألة على قولين، وهما:

القول الأول: قول كثير من أهل السنة والجماعة: أن صالحي البشر أفضل

(١) «شرح الطحاوية» لابن أبي العز ط شاكر (ص١٩٤).
(٢) «لوامع الأنوار البهية» (٢/ ٣٩٨).
(٣) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٣٥٧).

من الملائكة.

القول الثاني: قول المعتزلة والخوارج وبعض أهل السنة والجماعة: أن الملائكة أفضل من صالحي البشر.

وإليك أدلة كل فريق فيما ذهب إليه:

أدلة من رأى أن صالحي البشر أفضل من الملائكة:

الدليل الأول: أن الله جل وعلا أمر الملائكة بالسجود لآدم، ولا يسجد الملك إلا لمن هو خير منه.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٨، ٢٩].

وقال ﷻ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ﴾ [البقرة: ٣٤] فالسجود يدل على شرف المسجود له.

الدليل الثاني: من الأدلة التي تبين فضل صالحي البشر على الملائكة: أن الله جل وعلا عَلَّم آدم ما لم يعلمه أحدًا من ملائكته، ومعلوم أن العالِم أفضل بكثير من غيره الذي ليس بعالم، قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩].

وقال الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١] والله جل وعلا سأل الملائكة فقال: ﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾ [البقرة: ٣١ - ٣٣] ففيه دلالة على أن مرتبة آدم أعلى من الملائكة بالعلم.

الدليل الثالث: أن الملائكة يُلهمون التسبيح ويُلهمون الذكر والعبادة لله جل وعلا، أما البشر فهم مكلفون، والتكليف فيه مشقة عليهم، والذي تشق

عليه العبادة يكون أرقى من الذي لا تشق عليه العبادة، كما في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها وأرضاها: أن النبي ﷺ قال لها: «**أجركِ على قدر نصبكِ**» يعني: أجرك على قدر تعبك. فكل تعب له أجر، والبشر تشق عليهم العبادة، ويخالفون شهواتهم وأنفسهم من أجل رضا الله جل وعلا.

الدليل الرابع: أن الله قد خلق آدم بيده، ففيه دلالة على أنه أفضل من الملائكة؛ لأنه خلق الملائكة بـ«كُنْ»، أما آدم فخلقه الله بيده، كما قال ﷻ: ﴿يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [ص: ٧٥] فالله جل وعلا خلق آدم بيده ونفخ فيه من روحه، يعني: من روح من عنده. أما الملائكة: فقد خلقهم الله بالكلمة، فقال لهم: كونوا، فكانوا.

الدليل الخامس: أن الله جل وعلا لا يباهي بأحد إلا وهو أفضل من الذي يباهى عنده.

فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: خَرَجَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ عَلَى حَلْقَةٍ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: مَا يُجْلِسُكُمْ؟ قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ. قَالَ: آللَّهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَلِكَ؟ قَالُوا: وَاللَّهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَلِكَ. قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: «**مَا يُجْلِسُكُمْ؟**» قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ وَمَنَّ عَلَيْنَا بِهِ. قَالَ: «**آللَّهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَلِكَ؟**» قَالُوا: وَاللَّهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَلِكَ. قَالَ: «**أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَلَكِنْ جِبْرِيلُ أَتَانِي فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللَّهَ يُبَاهِي بِكُمُ الْمَلَائِكَةَ**»[1].

---

(١) **صحيح:** مسلم (٢٧٠١) في الذكر، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، والترمذي (٣٣٧٩) في الدعاء، باب ما جاء في القوم يجلسون فيذكرون الله ﷻ ما لهم من الفضل. =

فالمباهاة هاهنا تدل على فضل صالحي البشر على الملائكة.

وقد قال الله تعالى: ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۝٧٠﴾ [الإسراء: ٧٠].

أدلة من رأى أن الملائكة أفضل من صالحي البشر:

استدلوا على ذلك بأدلة كثيرة، منها:

الدليل الأول وهو أقواها: ما جاء عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُ، وَإِنِ اقْتَرَبَ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنِ اقْتَرَبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا اقْتَرَبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**»[(1)].

ووجه الشاهد قوله: (خير منه) ففيه دلالة على أن الخيرية كُتبت لمن ذُكر عندهم.

الدليل الثاني: قول الله تعالى على لسان بعض الأنبياء: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ﴾ [هود: ٣١] فهنا يقول: أنا لست بملك وإنما أنا بشر. فهذا يبين فضل الملائكة.

الدليل الثالث: أنهم لا يتغوطون، ويذكرون الله ليل نهار، ومنهم

= وقوله: «يباهي بكم الملائكة» معناه: يُظهر فضلكم لهم، ويُريهم حُسن عملكم ويثني عليكم عندهم. انظر: «شرح صحيح مسلم» للنووي.

(١) **صحيح:** أخرجه مسلم (٢٦٧٥) كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، بَابُ فَضْلِ الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّقَرُّبِ إِلَى اللهِ تَعَالَى. والنسائي في «الكبرى» (٧٧٣٠) باب قوله تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾، وابن حبان (٨١٢).

المسبح، ومنهم الراكع، ومنهم الساجد، ومنهم الذي يحف الذاكرين في حلقات العلم ينظر في ذكر الله جل وعلا ويصعد به إلى السماء.

فهذه من أدلة من قال: إن الملائكة أفضل من البشر.

ذِكر الراجح في مسألة المفاضلة بين الملائكة وصالحي البشر:

قد جمع شيخ الإسلام بين الأدلة في المسألة جمعًا طيبًا فَأَجَابَ بِأَنَّ صَالِحِي الْبَشَرِ أَفْضَلُ بِاعْتِبَارِ كَمَالِ النِّهَايَةِ، وَالْمَلَائِكَةَ أَفْضَلُ بِاعْتِبَارِ الْبِدَايَةِ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ الْآنَ فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى مُنَزَّهُونَ عَمَّا يُلَابِسُهُ بَنُو آدَمَ مُسْتَغْرِقُونَ فِي عِبَادَةِ الرَّبِّ، وَلَا رَيْبَ أَنَّ هَذِهِ الْأَحْوَالَ الْآنَ أَكْمَلُ مِنْ أَحْوَالِ الْبَشَرِ. وَأَمَّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَعْدَ دُخُولِ الْجَنَّةِ فَيَصِيرُ صَالِحُو الْبَشَرِ أَكْمَلَ مِنْ حَالِ الْمَلَائِكَةِ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ: وَبِهَذَا التَّفْصِيلِ يَتَبَيَّنُ سِرُّ التَّفْضِيلِ وَتَتَّفِقُ أَدِلَّةُ الْفَرِيقَيْنِ وَيُصَالَحُ كُلٌّ مِنْهُمْ عَلَى حَقِّهِ(١).

فالملائكة يسبحون ويحمدون ولا يعصون الله ما أمرهم، فمنهم: الذاكر، ومنهم: المسبح، ومنهم: الراكع، ومنهم: الساجد، ومنهم: الموكل بأمر لا يمكن أن يعصي الله جل وعلا فيه بحال من الأحوال، فهذا حقًّا أكمل المراتب، بل أنت عندما تخلو بربك فتدمع عينك وتبكي رقة من الله جلا وعلا، وتذوق حلاوة الإيمان تقول: لا أحد مثلي في هذه الدنيا، أنا في جنة ما دخلها أحد. فالملائكة هم في هذه الحال طيلة هذه الحياة.

فالملائكة أفضل باعتبار البداية؛ لأنهم على أكمل المراتب في هذه الحياة. أما في الآخرة فالبشر أفضل من الملائكة؛ إذ إنهم عند دخولهم الجنة يكونون أرقى بكثير من الملائكة، ويزدادون قربة من الله، وينظرون إلى وجهه سبحانه، ويتمتعون بما في الجنة، وخدم أهل الجنة هم

(١) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٣٤٣).

الملائكة، فهذه دلالة على أنهم أرقى عند الدخول.

فيكون الترجيح هو اعتبار البداية واعتبار النهاية: فالملائكة أفضل باعتبار البداية، وصالحو البشر أفضل باعتبار النهاية، وبهذا تتآلف الأدلة وتجتمع ويحصل الجمع بين القولين.

المبحث السادس أعداد الملائكة وأسماؤهم

المطلب الأول: عدد الملائكة

الملائكة خلق كثير لا يعلم عددهم إلا الذي خلقهم؛ لذلك قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١] ولم يَرِد دليل يحدد لنا عددهم بالتحديد.

قال شيخ الإسلام: وقد اتفقت كلمة أهل العلم على كثرتهم وأن عددهم لا يحصيه إلا خالقهم[١].

والذي جاء في هذا الباب هو كثرة عددهم جدًّا مما يبهر العقل ويفوق الحصر.

ومما يدل على ذلك ما يلي:

١- ما جاء عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني أري ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أطت السماء[٢]، وحُق لها أن تئط، والذي نفسي بيده، ما**

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٧/ ٣٣٢).

(٢) أَطَّتِ السماء: الأطيط صوت الأقتاب، وأطيط الإبل: أصواتها وحنينها. أي أن كثرة ما فيها من الملائكة قد أثقلها حتى أطت. =

فيها موضع أربعة أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدٌ لله، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيرًا، وما تلذذتم بالنساء على الفرشات ولخرجتم إلى الصعدات(١) تجأرون إلى الله تعالى»(٢) .

= وقد قَالَ الأَعشى:

أَلَسْتَ مُنْتَهِيًا عَنْ نَحْتِ أَثْلَتِنا؟ ... ولَسْتَ ضائرَها مَا أَطَّتِ الإبِلُ

انظر: لسان العرب (٧/ ٢٥٦) فصل الألف.

قال السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْله: «أطت السَّمَاء» الأطيط صَوت الأقتاب وحنين الْإِبِل. أَي: كَثْرَة ملائكتها قد أثقلتها حَتَّى أطت. وَهُوَ مثل وإيذان لكثرتها، وأريد بِهِ تَقْرِير عَظمته تَعَالَى وإن لم يكن ثمَّة أطيط. قَوْله: «وَحُقّ لَهَا أن تئط» بِلَفْظ الْمَجْهُول، أَي: ينبغي لَهَا أن تصيح من جِهَة ازدحام الْمَلَائِكَة وَمن خشيَة الله تَعَالَى. انظر: «شرح سنن ابن ماجه» للسيوطي وغيره (ص٣٠٩).

(١) الصعدات: هِيَ الطُّرُق، وَهِيَ جَمْعُ صُعُدٍ، وصُعُدٌ جمعُ صَعِيدٍ، كطَرِيق وطُرُق وطُرُقَات. وَقِيلَ: هِيَ جَمْعُ صُعْدَة، كظُلْمة، وَهِيَ فِناء بَابِ الدَّار ومَمَرُّ النَّاس بَيْنَ يدَيْه. انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٣/ ٢٩) باب صعد.

(٢) **حسن بشواهده:** أخرجه الترمذي (٢٣١٢) باب قول النبي: «لو تعلمون ما أعلم» وقال: حسن غريب. وابن ماجه (٤١٩٠) باب الحزن والبكاء. وأحمد (٢١٥١٦) والحاكم في «المستدرك» (٣٨٨٣) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. والبيهقي في «الكبرى» (١٣١١٥)، والطحاوي في «شرح مشكل الأثار» (١١٣٥)، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٢١٥)، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (٣٦٠) كلهم من طرق عن إِسْرَائِيلَ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُهَاجِرٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ مُوَرِّقٍ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ به. ومورق العجلى لم يسمع من أبى ذر، قال الذهبي في «السير» (٤/ ٣٥٣): يَرْوِي عَنْ عُمَرَ، وَأَبِي ذَرٍّ، وَأَبِي الدَّرْدَاءِ، وَطَائِفَةٍ مِمَّنْ لَمْ يَلْحَقِ السَّمَاعَ مِنْهُم، فَذَلِكَ مُرْسَلٌ. وقال أبو زرعة لم يسمع من أبي ذر شيئًا «جامع التحصيل» (١/ ٢٨٨).

ولكن للحديث شواهد يحسن بها منها:

١- حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن النبي ﷺ قال: «**أَطَّتِ السَّماءُ ويَحِقُّ لَها أنْ تَئِطَّ، والذِي** =

٢- وعن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يؤتى بجهنم لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها**»(١) فعلى هذا فإن الذين يأتون بجهنم يوم القيامة أربعة آلاف وتسعمائة مليون ملك.

٣- وعن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ يَدْخُلهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا مِنْهُ لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرُ مَا عَلَيْهِمْ**»(٢).

قال الحافظ: واستُدل به على أن الملائكة أكثر المخلوقات؛ لأنه لا يُعرف من جميع العوالم من يتجدد من جنسه في كل يوم سبعون ألفًا، غير ما ثبت من الملائكة في هذا الخبر(٣).

= **نَفْسُ محمَّدٍ بِيَدِهِ مَا فِيها مَوْضِعُ شِبْرٍ إلا وفيه جبهة ملك ساجد يسبح لله بحمده**» أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٢٦٩). وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ١٨٣) وعزاه لابن مردويه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» حديث رقم (١٠٢٠).

٢- وحديث العلاء بن سعد عن أبيه: ولفظه: «**هل تسمعون ما أسمع؟ أطت السماء وحُق لها أن تئط، ليس منها موضع قدم إلا وعليه ملك قائم أو راكع أو ساجد**» أخرجه ابن عساكر (٥٢/ ٣٨١).

٣- وحديث حكيم بن حزام: ولفظه: «**هل تسمعون ما أسمع؟ إني لأسمع أطيط السماء ولا تلام أن تئط، ما فيها موضع قدم إلا عليه ملك ساجد أو قائم**» أخرجه ابن أبي حاتم (كما في تفسير ابن كثير ٢/ ٣٩٧)، وأبو الشيخ (٣/ ٩٨٦، رقم ٥٠٩). وأخرجه أيضًا: ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١/ ٤٢٢، رقم ٥٩٧)، والطبراني (٣/ ٢٠١، رقم ٣١٢٢)، وابن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» (١/ ٢٥٨، رقم ٢٥٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٢١٧).

وقد حسن الألباني رَحِمَهُ اللهُ الحديث في «السلسلة الصحيحة» (٢/ ٥٠٧).

(١) أحرجه مسلم (٧٢٦٦) كتاب صفة النار، قال: حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنِ الْعَلاَءِ بْنِ خَالِدٍ الْكَاهِلِيِّ، عَنْ شَقِيقٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ.

(٢) أخرجه مسلم (١٦٢) باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات.

(٣) انظر: «شرح الزرقاني على المواهب اللدنية» (٨/ ١٤٠).

وقال النووي: قَالَ صَاحِبُ مَطَالِعِ الْأَنْوَارِ: رُوِّينَاهُ: «آخِرِ مَا عَلَيْهِمْ» بِرَفْعِ الرَّاءِ وَنَصْبِهَا: فَالنَّصْبُ عَلَى الظَّرْفِ، وَالرَّفْعُ عَلَى تَقْدِيرِ: ذَلِكَ آخِرُ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ دُخُولِهِ. قَالَ وَالرَّفْعُ أَوْجَهُ. وَفِي هَذَا أَعْظَمُ دَلِيلٍ عَلَى كَثْرَةِ الْمَلَائِكَةِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ[1].

المطلب الثاني: أسماء الملائكة

للملائكة أسماء، ونحن لا نعرف من أسماء الملائكة إلا القليل، وإليك الآيات والأحاديث التي ورد فيها ذكر أسمائهم:

١، ٢ - جبريل وميكائيل:

قال تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٧، ٩٨].

وجبريل هو الروح الأمين المذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٤].

قال أبو جعفر الطبري: واختلف القرّاء في قراءة قوله: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾﴾: فقرأته عامة قرّاء الحجاز والبصرة (نزل به) مخففة ﴿ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ رفعًا بمعنى: أن الروح الأمين هو الذي نزل بالقرآن على محمد، وهو جبريل.

وقرأ ذلك عامة قرّاء أهل الكوفة. (نَزَّل به) مشددة الزاي (الروحَ الأمينَ) نصبًا، بمعنى: أن رب العالمين نَزَّل بالقرآن الروح الأمين، وهو

(١) «شرح النووي على مسلم» (٢/ ٢٢٥).

جبريل عليه السلام.

والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إنهما قراءتان مستفيضتان في قرّاء الأمصار، متقاربتا المعنى، فأيتهما قرأ القارئ فمصيب، وذلك أن الروح الأمين إذا نزل على محمد بالقرآن، لم ينزل به إلا بأمر الله إياه بالنزول، ولن يَجهل أن ذلك كذلك ذو إيمان بالله، وأن الله إذا أنزله به نزل(١).

وهو الروح المعني في قوله: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾﴾ [القدر: ٤].

قال ابن كثير رحمه الله: وَقَوْلُهُ: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾﴾ أَيْ: يَكْثُرُ تنزلُ الْمَلَائِكَةِ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ لِكَثْرَةِ بَرَكَتِهَا، وَالْمَلَائِكَةُ يَتَنَزَّلُونَ مَعَ تَنَزُّلِ الْبَرَكَةِ وَالرَّحْمَةِ، كَمَا يَتَنَزَّلُونَ عِنْدَ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، وَيُحِيطُونَ بحِلَق الذِّكْرِ، وَيَضَعُونَ أَجْنِحَتَهُمْ لِطَالِبِ الْعِلْمِ بِصِدْقٍ تَعْظِيمًا لَهُ.

وَأَمَّا الرُّوحُ فَقِيلَ: الْمُرَادُ بِهِ هَاهُنَا جِبْرِيلُ، عليه السلام، فَيَكُونُ مِنْ بَابِ عَطْفِ الْخَاصِّ عَلَى الْعَامِّ. وَقِيلَ: هُمْ ضَرْبٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ. كَمَا تَقَدَّمَ فِي سُورَةِ «النَّبَأِ». وَاللَّهُ أَعْلَمُ(٢).

وهو الروح الذي أرسله الله عز وجل إلى مريم، قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٦، ١٧].

قال الشوكاني: فَأَرْسَلْنا إِلَيْها رُوحَنا هُوَ جِبْرِيلُ عليه السلام. وَقِيلَ: هُوَ رُوحُ عِيسَى

---

(١) «تفسير الطبري» - جامع البيان - ت شاكر (١٩/ ٣٩٦).

(٢) «تفسير ابن كثير» ت سلامة (٨/ ٤٤٤).

لِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ خَلَقَ الْأَرْوَاحَ قَبْلَ الْأَجْسَادِ. وَالْأَوَّلُ أَوْلَى لِقَوْلِهِ: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ أَيْ: تَمَثَّلَ جِبْرِيلُ لَهَا بَشَرًا مُسْتَوِيَ الْخَلْقِ لَمْ يَفْقِدْ مِنْ نُعُوتِ بَنِي آدَمَ شَيْئًا[1].

قال القرطبي: وَلِعُلَمَاءِ اللِّسَانِ فِي جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ لُغَاتٌ:

فَأَمَّا التي في جبريل فعشر:

الأولى: جِبْرِيلُ، وَهِيَ لُغَةُ أَهْلِ الْحِجَازِ، قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ:

وَجِبْرِيلُ رَسُولُ اللَّهِ فِينَا

الثَّانِيَةُ: جَبْرِيلُ (بِفَتْحِ الْجِيمِ) وَهِيَ قِرَاءَةُ الْحَسَنِ وَابْنِ كَثِيرٍ، وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ كَثِيرٍ أَنَّهُ قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي النَّوْمِ وَهُوَ يَقْرَأُ جَبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ، فَلَا أَزَالُ أَقْرَؤُهُمَا أَبَدًا كَذَلِكَ.

الثَّالِثَةُ: جَبْرَئِيلُ (بِيَاءٍ بَعْدَ الْهَمْزَةِ، مِثَالُ جَبْرَعِيلَ)، كَمَا قَرَأَ أَهْلُ الْكُوفَةِ، وَأَنْشَدُوا:

شَهِدْنَا فَمَا تَلْقَى لَنَا مِنْ كَتِيبَةٍ ... مَدَى الدَّهْرِ إِلَّا جَبْرَئِيلُ أَمَامُهَا

وَهِيَ لُغَةُ تَمِيمٍ وَقَيْسٍ.

الرَّابِعَةُ: جَبْرَئِلُ (عَلَى وَزْنِ جَبْرَعِلَ) مَقْصُورٌ، وَهِيَ قِرَاءَةُ أَبِي بَكْرٍ عَنْ عَاصِمٍ.

الْخَامِسَةُ: مِثْلُهَا، وَهِيَ قِرَاءَةُ يَحْيَى بْنِ يَعْمُرَ، إِلَّا أَنَّهُ شَدَّدَ اللَّامَ.

السَّادِسَةُ: جَبْرَائِلُ (بِأَلِفٍ بَعْدَ الرَّاءِ ثُمَّ هَمْزَةٍ) وَبِهَا قَرَأَ عِكْرِمَةُ.

السَّابِعَةُ: مِثْلُهَا، إِلَّا أَنَّ بَعْدَ الْهَمْزَةِ يَاءٌ.

الثَّامِنَةُ: جَبْرَيِيلُ (بِيَاءَيْنِ بِغَيْرِ هَمْزَةٍ) وَبِهَا قَرَأَ الْأَعْمَشُ وَيَحْيَى بْنُ يَعْمَرَ أَيْضًا.

---

(١) «فتح القدير» للشوكاني (٣/ ٣٨٧).

التَّاسِعَةُ: جَبْرَئِينُ (بِفَتْحِ الْجِيمِ مَعَ هَمْزَةٍ مَكْسُورَةٍ بَعْدَهَا يَاءٌ وَنُونٌ).

الْعَاشِرَةُ: جِبْرِينُ (بِكَسْرِ الجِيمِ وَتَسْكِينِ اليَاءِ بِنُونٍ مِنْ غَيْرِ هَمْزَةٍ) وَهِيَ لُغَةُ بَنِي أَسَدٍ. قَالَ الطَّبَرِيُّ: وَلَمْ يُقْرَأْ بِهَا. قَالَ النَّحَّاسُ- وَذَكَرَ قِرَاءَةَ ابْنِ كَثِيرٍ-: «لَا يُعْرَفُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ فَعْلِيلٌ، وَفِيهِ فِعْلِيلٌ، نَحْوُ دِهْلِيزٌ وَقِطْمِيرٌ وَبِرْطِيلٌ، وَلَيْسَ يُنْكَرُ أَنْ يَكُونَ فِي كَلَامِ الْعَجَمِ مَا لَيْسَ لَهُ نَظِيرٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ، وَلَيْسَ يُنْكَرُ أَنْ يَكْثُرَ تَغَيُّرُهُ، كَمَا قَالُوا: إِبْرَاهِيمُ وَإِبْرَهَمُ وَإِبْرَاهَمُ.

وَأَمَّا اللُّغَاتُ التِي فِي مِيكَائِيلَ فَسِتٌّ:

الأُولَى: ميكاييل، وهي قِرَاءَةُ نَافِعٍ. وَمِيكَائِيلُ (بِيَاءٍ بَعْدِ الهَمْزَةِ) قِرَاءَةُ حَمْزَةَ. مِيكالَ، لُغَةُ أَهْلِ الْحِجَازِ، وَهِيَ قِرَاءَةُ أَبِي عَمْرٍو وَحَفْصٍ عَنْ عَاصِمٍ. وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ كَثِيرٍ الثَّلَاثَةُ أَوْجُهٍ، قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ:

وَيَوْمَ بَدْرٍ لَقِينَاكُمْ لَنَا مَدَدٌ ... فِيهِ مَعَ النصر ميكال وجبريل

وقال آخر:

عَبَدُوا الصَّلِيبَ وَكَذَّبُوا بِمُحَمَّدٍ ... وَبِجَبْرَئِيلَ وَكَذَّبُوا مِيكَالَا

الرَّابِعَةُ: مِيكَئِيلُ، مِثْلُ مِيكَعِيلَ، وَهِيَ قِرَاءَةُ ابْنِ مُحَيْصِنٍ.

الْخَامِسَةُ: مِيكَايِيلُ (بِيَاءَيْنِ) وَهِيَ قِرَاءَةُ الْأَعْمَشِ بِاخْتِلَافٍ عَنْهُ.

السَّادِسَةُ: مِيكَاءَلُ، كَمَا يُقَالُ: (إِسْرَاءَلُ بِهَمْزَةٍ مَفْتُوحَةٍ).

وَهُوَ اسْمٌ أَعْجَمِيٌّ فَلِذَلِكَ لَمْ يَنْصَرِفْ. وَذَكَرَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَنَّ جَبْرَ وَمِيكَا وَإِسْرَافَ هِيَ كُلُّهَا بِالْأَعْجَمِيَّةِ بِمَعْنَى: عَبْدٍ وَمَمْلُوكٍ. وَ(إِيلُ): اسْمُ اللَّهِ تَعَالَى، وَمِنْهُ قَوْلُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ سَمِعَ سَجْعَ مُسَيْلِمَةَ: هَذَا كَلَامٌ لَمْ يَخْرُجْ مِنْ إِلٍّ!! وَفِي التَّنْزِيلِ: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ فِي أَحَدِ التَّأْوِيلَيْنِ.

قال الماوردي: إِنَّ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ اسْمَانِ، أَحَدُهُمَا عَبْدُ اللَّهِ، وَالْآخَرُ

عُبَيْدُ اللَّهِ؛ لِأَنَّ (إِيلَ) هُوَ اللَّهُ تَعَالَى، وَجِبْرَ هُوَ عَبْدُ، وَمِيكَا هُوَ عُبَيْدُ، فَكَأَنَّ جِبْرِيلَ عَبْدُ اللَّهِ، وَمِيكَائِيلَ عُبَيْدُ اللَّهِ، هَذَا قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَلَيْسَ لَهُ فِي الْمُفَسِّرِينَ مُخَالِفٌ.

قُلْتُ (القرطبي): وَزَادَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ: وَإِسْرَافِيلُ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ. قَالَ النَّحَّاسُ: وَمَنْ تَأَوَّلَ الْحَدِيثَ «جِبْرَ» عَبْدَ، وَ«إِلَّ» اللَّهَ. وَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يَقُولَ: هَذَا جَبْرَئِلُ وَرَأَيْتُ جَبْرَئِلَ وَمَرَرْتُ بِجَبْرَئِلَ، وَهَذَا لَا يُقَالُ، فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّهُ مُسَمًّى بِهَذَا. قَالَ غَيْرُهُ: وَلَوْ كَانَ كَمَا قَالُوا لَكَانَ مَصْرُوفًا، فَتَرْكُ الصَّرْفِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ اسْمٌ وَاحِدٌ مُفْرَدٌ لَيْسَ بِمُضَافٍ[1].

وقد ورد ذكر ميكائيل في السنة في أحاديث منها حديث سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: «**رأيت الليلة رجلين أتياني فقالا: الذى يُوقِد النار مالك خازن النار، وأنا جبريل وهذا ميكائيل**»[2].

٣- إسرافيل: لم يرد اسم إسرافيل في القرآن، وإنما ورد في السنة في أحاديث صحيحة، منها حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن الرسول ﷺ كان إذا قام من الليل يصلي يقول: «**اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختُلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم**»[3].

قال النووي رحمه الله: قَالَ الْعُلَمَاءُ: خَصَّهُمْ بِالذِّكْرِ وَإِنْ كَانَ اللَّهُ تَعَالَى رَبَّ

(١) «تفسير القرطبي» (٢/ ٣٧).

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٣٦) باب إذا قال أحدكم: (آمين) والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى.

(٣) أخرجه مسلم (٧٧١) باب صلاة النبي ودعائه، عن عائشة رضي الله عنها.

كُلِّ الْمَخْلُوقَاتِ كَمَا تَقَرَّرَ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ مِنْ نَظَائِرِهِ مِنَ الْإِضَافَةِ إِلَى كُلِّ عَظِيمِ الْمَرْتَبَةِ وَكَبِيرِ الشَّأْنِ دُونَ مَا يُسْتَحْقَرُ وَيُسْتَصْغَرُ فَيُقَالُ لَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ وَرَبَّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ رَبَّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبَّ الْمَغْرِبَيْنِ رَبَّ النَّاسِ مَالِكَ النَّاسِ إِلَهَ النَّاسِ رَبَّ الْعَالَمِينَ رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ رَبَّ النَّبِيِّينَ خَالِقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا. فَكُلُّ ذَلِكَ وَشَبَهُهُ وَصْفٌ لَهُ سُبْحَانَهُ بِدَلَائِلِ الْعَظَمَةِ وَعَظِيمِ الْقُدْرَةِ وَالْمُلْكِ، وَلَمْ يُسْتَعْمَلْ ذَلِكَ فِيمَا يُحْتَقَرُ وَيُسْتَصْغَرُ فَلَا يُقَالُ: رَبَّ الْحَشَرَاتِ وَخَالِقَ الْقِرَدَةِ وَالْخَنَازِيرِ، وَشِبْهَ ذَلِكَ عَلَى الْإِفْرَادِ، وَإِنَّمَا يُقَالُ: خَالِقَ الْمَخْلُوقَاتِ وَخَالِقَ كُلِّ شَيْءٍ، وَحِينَئِذٍ تَدْخُلُ هَذِهِ فِي الْعُمُومِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قَوْلُهُ ﷺ: «**اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ**» مَعْنَاهُ ثَبِّتْنِي عَلَيْهِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾[1].

٤- مالك:

ومنهم مالك خازن النار، قال تعالى: ﴿وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ٧٧﴾ [الزخرف: ٧٧].

قال ابن كثير: وقول الله تعالى: ﴿وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ﴾ هُوَ: خَازِنُ النَّارِ[2].

وقد رآه النبي ﷺ ليلة الإسراء، قال: «**رأيت ليلة أُسري بي موسى رجلًا آدم طوالًا جعدًا كأنه من رجال شنوءة، ورأيت عيسى رجلًا مربوعًا، مربوع الخلق، إلى الحمرة والبياض سبط الرأس، ورأيت مالكًا خازن النار**»[3].

---

(١) «شرح النووي على مسلم» (٦/ ٥٧).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٧/ ٢٤٠).

(٣) أخرجه البخاري (٣٠٦٧) كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة. وأخرجه =

٥- رضوان:

قال ابن كثير: «وخازن الجنة ملك يقال له رضوان، جاء مصرحًا به في بعض الأحاديث» ولكن هذه الأحاديث لا تصح[١] ولم أقف على دليل

= مسلم (١٦٥) كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ.
(آدم) من الأدمة، وهي في الناس السمرة الشديدة. (طَوالًا) طويلًا. (جعدًا) غير سبط الشعر، والشعر الجعد هو ما فيه التواء وتقبض. (وقال النووي: وأما الجعد في صفة موسى عليه السلام فالأَوْلى أن يُحمل على جعودة الجسم وهي اكتنازه واجتماعه لا جعودة الشعر) «شرح النووي على مسلم» (٢/ ٢٢٧). (شنوءة) اسم قبيلة. (مربوعًا) لا قصيرًا ولا طويلًا. (مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض) معتدل الخلقة مائلًا إلى الحمرة. (سبط الرأس) مسترسل الشعر.

(١) منها ما جاء عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: «**إِنَّ الْجَنَّةَ لَتَتَحلَّى وَتَتَزَيَّنُ مِنَ الْحَوْلِ إِلَى الْحَوْلِ لِدُخُولِ شَهْرِ رَمَضَانَ، فَإِذَا كَانَتْ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ هَبَّتْ رِيحٌ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ، يُقَالُ لَهَا: الْمُثِيرَةُ، تُصَفِّقُ وَرَقَ أَشْجَارِ الْجِنَانِ، وَحِلَقَ الْمَصَارِيعِ، يُسْمَعُ لِذَلِكَ طَنِينٌ لَمْ يَسْمَعِ السَّامِعُونَ أَحْسَنَ مِنْهُ، فَيَثِبْنَ الْحُورُ الْعِينُ حَتَّى يُشْرِفْنَ عَلَى شُرَفِ الْجَنَّةِ، فَيُنَادِينَ: هَلْ مِنْ خَاطِبٍ إِلَى اللَّهِ فَيُزَوِّجَهُ؟ ثُمَّ يَقُلْنَ الْحُورُ الْعِينُ: يَا رِضْوَانَ الْجَنَّةِ، مَا هَذِهِ اللَّيْلَةُ؟ فَيُجِيبُهُنَّ بِالتَّلْبِيَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: هَذِهِ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ فُتِحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ لِلصَّائِمِينَ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ**» قَالَ: «**وَيَقُولُ اللَّهُ: يَا رِضْوَانُ، افْتَحْ أَبْوَابَ الْجِنَانِ، وَيَا مَالِكُ: أَغْلِقْ أَبْوَابَ الْجَحِيمِ عَلَى الصَّائِمِينَ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ، ويَا جِبْرِيلُ اهْبِطْ إِلَى الأَرْضِ فَاصْفُدِ مَرَدَةَ الشَّيَاطِينِ، وَغُلَّهُمْ بِأَغْلالٍ، ثُمَّ اقْذِفْهُمْ فِي الْبِحَارِ...**» أخرجه البيهقي في «فضائل الأوقات» (١٠٩) وفيه حماد بن سليمان وهو مجهول. انظر: «لسان الميزان» (٣/ ٢٦٩).

وأيضا حديث آخر عن ابن عباس وفيه: (قال جبريل للنبي ﷺ: «**يا محمد، أبشر هذا رضوان خازن الجنة...**» الحديث. ذكره السيوطي في «الحبائك» (٦٧) وعزاه للواحدي في «أسباب النزول» من طريق إسحاق بن بشر عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس. وفيه إسحاق بن بشر، قال الذهبي: (تركوه، متهم بالكذب) الميزان (١/ ١٨٤) وانظر: رسالة «المعتقد في الملائكة المقربين» د. محمد العقيل.

صحيح يصرح بأن خازن الجنة اسمه رضوان[١].

٦، ٧- منكر ونكير:

ومن الملائكة الذين سماهم الرسول ﷺ منكر ونكير، وكِلَاهُمَا ضِدُّ الْمَعْرُوفِ، سُمِّيَا بِهِمَا لِأَنَّ الْمَيِّتَ لَمْ يَعْرِفْهُمَا، وَلَمْ يَرَ صُورَةً مِثْلَ صُورَتِهِمَا[٢].

وقد استفاض في الأحاديث ذكرهما في سؤال القبر، ومن هذه الأحاديث ما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «**إِذَا قُبِرَ أَحَدُكُمْ - أَوِ: الإِنْسَانُ - أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ يُقَالُ لأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ، وَلِلآخَرِ: النَّكِيرُ، فَيَقُولانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَهُوَ قَائِلٌ مَا كَانَ يَقُولُ:**

فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا قَالَ: هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ. فَيَقُولانِ: إِنْ كُنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ. ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ ذِرَاعًا، وَيُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: نَمْ. فَيَقُولُ: دَعُونِي أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي فَأُخْبِرَهُمْ. فَيُقَالُ لَهُ: نَمْ كَنَوْمَةِ الْعَرُوسِ الَّذِي لا يُوقِظُهُ إِلا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ، حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ.

وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ: لا أَدْرِي، كُنْتُ أَسْمَعُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا، وَكُنْتُ أَقُولُهُ. فَيَقُولانِ: إِنْ كُنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ. ثُمَّ يُقَالُ لِلأَرْضِ: الْتَئِمِي عَلَيْهِ. فَتَلْتَئِمُ عَلَيْهِ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهَا أَضْلاعُهُ، فَلا يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ»[٣].

---

(١) «البداية والنهاية» (١/ ٤٥).

(٢) «تحفة الأحوذي» (٣/ ١٣٤).

(٣) **حسن:** أخرجه الترمذي (١٠٧١) وقال: حسن غريب. وابن حبان (٣١١٧) باب ذكر الأخبار عن اسم الملكين اللذين يسألان الناس في قبورهم. والآجري في «الشريعة» (٨٥٨) باب ذكر الإيمان والتصديق بمسألة منكر ونكير. والبيهقي في إثبات =

٨، ٩- هاروت وماروت:

ومنهم ملكان سماهما الله باسم (هاروت وماروت) قال تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْۖ﴾ [البقرة: ١٠٢].

ويبدو من سياق الآية أن الله بعثهما فتنة للناس في فترة من الفترات، وقد نُسجت حولهما في كتب التفسير وكتب التاريخ أساطير كثيرة، لم يَثبت شيء منها في الكتاب والسنة، فيكتفى في معرفة أمرهما بما دلت عليه الآية الكريمة[(١)].

وقد اختلف أهل التفسير في تفسير هذه الآية وفي هاروت وماروت على أقوال:

فمنهم من قال: إنهما مَلَكان جعل الله فيهما القدرة على المعصية كالإنس والجن وأنزلهما إلى الأرض ليمتحنهما. ومنهم من قال: إنهما مَلِكان (بالكسر) من الملوك، والإنزال هنا بمعنى الإلهام والتعليم. ومنهم من قال: إنهما رجلان تظاهرا بالإصلاح حتى تشابها بالملائكة، فذكرهما الله بما اشتهر عنهما. ومنهم من قال: إنهما ساحران من أهل بابل. ومنهم من قال: إن (ما) هنا بمعنى الجحد وهى بمعنى (لم)، أي: أن الله لم يُنزل عليهما السحر[(٢)].

= عذاب القبر (٥٦) باب ما يكون على المنافقين من عذاب القبر. كلهم من طريق يزيد ابن زريع عن عبد الرحمن بن إسحاق ثنا سعيد المقبري عن أبي هريرة. وفيه عبد الرحمن بن إسحاق، صدوق رمي بالقدر وانظر: «التهذيب» (٦/ ١٣٩): صدوق رُمي بالقدر.

(١) «عالم الملائكة الأبرار» (١/ ١٨).

(٢) انظر هذه الأقوال في «تفسير البغوي» (١/ ٩٩) و«تفسير ابن كثير» (١/ ١٣٣) =

وقد رجح ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ **قول من قال إنهما ملكان نزلا فتنة للناس. قال:** فليس في إنزال الله إياه على الملكين ولا في تعليم الملكين مَن علماه من الناس - إثم إذ كان تعليمهما مَن علماه ذلك بإذن الله لهما بتعليمه بعد أن يخبراه بأنهما فتنة وينهيانه عن السحر والعمل به والكفر، وإنما الإثم على من يتعلمه منهما ويعمل به إذ كان الله تعالى ذِكره قد نهاه عن تعليمه والعمل به، ولو كان الله أباح لبني آدم أن يتعلموا ذلك لم يكن من تعلمه حرج كما لم يكونا حرجين لعلمهما به إذ كان علمهما بذلك عن تنزيل الله إليهما[1].

١٠- ملك الموت:

ذَكَر كثير من المفسرين في كتبهم أن مَلَك الموت اسمه عزرائيل، بمعنى عبد الله، ولكن لم يرد دليل صحيح في ذلك، وقد جاءت تسميته في القرآن باسم ملك الموت كما قال تعالى: ﴿۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾ [السجدة١١].

قال الشوكاني: وَمَعْنَى ﴿وُكِّلَ بِكُمْ﴾: وُكِّلَ بِقَبْضِ أَرْوَاحِكُمْ عِنْدَ حُضُورِ آجَالِكُمْ ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ أَيْ: تَصِيرُونَ إِلَيْهِ أَحْيَاءً بِالْبَعْثِ وَالنُّشُورِ لَا إِلَى غَيْرِهِ، فَيُجَازِيكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ[2].

فائدة: ما جاء في تسمية الملكين اللذين يسجلان أعمال العباد بـ(رقيب عتيد):

يَذكر بعض العلماء أن من الملائكة من اسمه رقيب وعتيد، استدلالًا بقوله تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٧-١٨].

= وانظر: «المعتقد في الملائكة المقربين» د: محمد العقيل.
(١) «تفسير ابن جرير» (٢/ ٤٢٢) بتحقيق محمود شاكر.
(٢) «فتح القدير» (٤/ ٢٨٩).

وما ذكروه غير صحيح، فالرقيب والعتيد هنا وصفان للملكين اللذين يسجلان أعمال العباد، ومعنى (رقيب وعتيد)، أي: ملكان حاضران شاهدان، لا يغيبان عن العبد، وليس المراد أنهما اسمان للملكين.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: وَقَوْلُهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾، أَيْ مَا يَنْطِقُ بِنُطْقٍ وَلَا يَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ إِلَّا لَدَيْهِ، أَيْ إِلَّا وَالْحَالُ أَنَّ عِنْدَهُ رَقِيبًا، أَيْ مَلَكًا مُرَاقِبًا لِأَعْمَالِهِ حَافِظًا لَهَا شَاهِدًا عَلَيْهَا لَا يَفُوتُهُ مِنْهَا شَيْءٌ. عَتِيدٌ: أَيْ حَاضِرٌ لَيْسَ بِغَائِبٍ يَكْتُبُ عَلَيْهِ مَا يَقُولُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ.

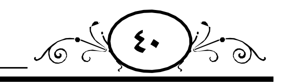
وَمَا تَضَمَّنَتْهُ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ مِنْ أَنَّ الْإِنْسَانَ عَلَيْهِ حَفَظَةٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَكْتُبُونَ أَعْمَالَهُ - جَاءَ مُوَضَّحًا فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾[(١)].

وقد أطلق بعض العلماء بعض الأسماء على الملائكة، كالسيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ، منها: إسماعيل، صد قلن، شرا هيل، هرا هيل، ر يا فيل، ذي القرنين، ذو النورين وكلها أسماء غير ثابتة لم يصح فيها دليل من القرآن ولا من السنة[(٢)].

* * *

(١) «أضواء البيان» (٧/ ٤٢٨).

(٢) انظر هذه الأسماء في «الحبائك في أخبار الملائك» (١/ ٧٨، ٧٩، ١١١، ١١٢).



الفصل الثاني: صفات الملائكة الخِلْقية والخُلُقية

المبحث الأول: الصفات الخِلْقية

المطلب الأول: عِظم خلقهم وضخامة أجسامهم

الملائكة خَلْق عظيم من خلق الله ﷻ جعل الله لهم أحجامًا وقدرات تفوق أحجام وقدرات المخلوقات الأخرى التي اعتدنا رؤيتها.

والدليل على عظم خلقهم ما يلي:

١- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ [التحريم: ٦].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَقَوْلُهُ: ﴿عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ﴾ أَيْ: طِبَاعُهُمْ غَلِيظَةٌ، قَدْ نُزِعَتْ مِنْ قُلُوبِهِمُ الرَّحْمَةُ بِالْكَافِرِينَ بِاللَّهِ، ﴿شِدَادٞ﴾ أَيْ: تَرْكِيبُهُمْ فِي غَايَةِ الشِّدَّةِ وَالْكَثَافَةِ وَالْمَنْظَرِ الْمُزْعِجِ[1].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ﴾ أي: غليظة أخلاقهم، عظيم انتهارهم، يُفزعون بأصواتهم ويخيفون بمرآهم، ويهينون أصحاب النار بقوتهم، ويمتثلون فيهم أمر الله الذي حتم عليهم العذاب وأوجب عليهم شدة العقاب، ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾

(١) «تفسير ابن كثير» (٨/ ١٦٨).

وهذا فيه أيضًا مدح للملائكة الكرام، وانقيادهم لأمر الله، وطاعتهم له في كل ما أمرهم به[(١)].

٢- قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (٣١) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (٣٢) لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ (٣٣) مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ (٣٤) فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٣١- ٣٥].

قال القرطبي: ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ﴾ يُرِيدُ قَوْمَ لُوطٍ. ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ (٣٣)﴾ أَيْ: لِنَرْجُمَهُمْ بِهَا. ﴿مُسَوَّمَةً﴾ أَيْ: مُعَلَّمَةً. قِيلَ: كَانَتْ مُخَطَّطَةً بِسَوَادٍ وَبَيَاضٍ. وَقِيلَ: بِسَوَادٍ وَحُمْرَةٍ. وَقِيلَ: ﴿مُسَوَّمَةً﴾ أَيْ: مَعْرُوفَةٌ بِأَنَّهَا حِجَارَةُ الْعَذَابِ. وَقِيلَ: عَلَى كُلِّ حَجَرٍ اسْمُ مَنْ يَهْلِكُ بِهِ. وَقِيلَ: عَلَيْهَا أَمْثَالُ الْخَوَاتِيمِ. وَقَدْ مَضَى هَذَا كُلُّهُ فِي (هُودٍ). فَجُعِلَتِ الْحِجَارَةُ تَتْبَعُ مُسَافِرِيهِمْ وَشُذَّاذَهُمْ فَلَمْ يُفْلِتْ مِنْهُمْ مُخْبِرٌ. ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾ أَيْ عِنْدَ اللَّهِ وَقَدْ أَعَدَّهَا لِرَجْمِ مَنْ قَضَى بِرَجْمِهِ. ثُمَّ قِيلَ: كَانَتْ مَطْبُوخَةً طَبْخَ الْآجُرِّ، قَالَهُ ابْنُ زَيْدٍ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾ عَلَى مَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ فِي (هُودٍ). وَقِيلَ: هِيَ الْحِجَارَةُ الَّتِي نَرَاهَا وَأَصْلُهَا طِينٌ، وَإِنَّمَا تَصِيرُ حِجَارَةً بِإِحْرَاقِ الشَّمْسِ إِيَّاهَا عَلَى مَرِّ الدُّهُورِ، وَإِنَّمَا قَالَ: ﴿مِنْ طِينٍ﴾ لِيُعْلَمَ أَنَّهَا لَيْسَتْ حِجَارَةَ الْمَاءِ الَّتِي هِيَ الْبَرَدُ. حَكَاهُ الْقُشَيْرِيُّ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٣٥)﴾ أَيْ: لَمَّا أَرَدْنَا إِهْلَاكَ قَوْمِ لُوطٍ أَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِي قَوْمِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِئَلَّا يَهْلِكَ الْمُؤْمِنُونَ[(٢)].

قلت: وفى هذا دليل على قوتهم التي منحهم الله إياها؛ إذ بمقدورهم إهلاك قرية بأكملها بما أعطاهم الله من القوة.

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (١/ ٨٧٤).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٤٨).

٣- قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ﴾ [النجم: ٥، ٦].

قال ابن الجوزي: قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ۝٥﴾ هو جبريل عليه السلام علّم النبيّ ﷺ، قال ابن قتيبة: وأصل هذا من «قُوَى الحَبْل» وهي طاقاتُه، الواحدة: قُوَّةٌ ﴿ذُو مِرَّةٖ﴾ أي: ذو قُوَّة، وأصل المِرَّة: الفَتْلُ. قال المفسرون: وكان من قُوَّته أنه قلع قَرْيات لوط وحملها على جناحه فقلبها، وصاح بثمود فأصبحوا خامدين[١] وفى هذا دليل على القوة التي أعطاها الله تعالى لجبريل وهو من الملائكة.

وقد وردت عدة أدلة في السنة تُظهر قوة بعض الملائكة وعِظم خلقهم، منها:

١- ما جاء عن عائشة رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ قَالَ: «**لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ العَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلاَّ وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ اللهُ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ. فَقَالَ: ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ؟**».

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ، لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**»[٢].

٢- وعَنْها رضي الله عنها، قَالَتْ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ، وَلَكِنْ قَدْ

---

(١) «زاد المسير» (٤/ ١٨٤).

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٣١) كتاب بدء الخلق. ومسلم (٤٦٧٦) كتاب البيوع.

رَأَى جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ وَخَلْقِهِ سَادًّا مَا بَيْنَ الأُفُقِ(١).

وفى الحديث أن جبريل تبدى لرسول الله ﷺ بالأبطح في صورته التي خلقه الله عليها له ستمائة جناح قد سد عظم خلقه الأفق ما اقترب منه وأوحى إليه عن الله ما أمره به، فعرف عند ذلك عظمة الملك الذي جاءه بالرسالة وجلالة قدره وعلو مكانته عند خالقه الذي بعثه إليه(٢).

٣- وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبي ﷺ قَالَ: «**أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلائِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِمِائَةِ عَامٍ**»(٣).

قال المناوي: (أُذن لي) بالبناء للمفعول، والآذن له هو الله، ولولا الإذن لم يجز له التحديث فهو تنبيه على أن من أطلعه الله على شيء من الأسرار ثم أفشاه بغير إذن - عُذب بالنار. وهذا محتمل لأن يكون رآه وأن يكون أوحى إليه به (أن أُحدث أصحابي) أو أمتي (عن ملك) بفتح اللام: أي: عن شأنه أو عِظم خلقه (من ملائكة الله تعالى) قيل: هو إسرافيل، أضيف إليه لمزيد

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٣٤) كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم: آمين.

(٢) «تحفة الأحوذي» (٩/ ١٧١).

(٣) **صحيح:** أخرجه أبو داود (٤٧٢٧) والطبراني في «الأوسط» (٢١) وأبو الشيخ في «العظمة» (٣١٣) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٤٦) وابن أبي حاتم في «التفسير» (١٨٩٦٧) والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١١/ ٤٤٤) والذهبي في «العلو» (٢٠١) كلهم من طريق أَحْمَدَ بْنِ حَفْصِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ طَهْمَانَ عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ.

قال ابن حجر في «الفتح» (٨/ ٦٦٥): وإسناده على شرط الصحيح.

وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٨٥٣).

التفخيم والتعظيم (من حملة العرش) أي: من الذين يحملون عرش الرحمن الذي هو أعظم المخلوقات المحيط بجميع العوالم، والعرش السرير (ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبع مئة سنة) وفي رواية: سبعين عامًا. أي: بالفرس الجواد كما في خبر آخر، فما ظنك بطوله وعِظم جثته؟

قال الطيبي: والمراد بسبع مئة عام هنا التكثير لا التحديد لأنه أليق بالكلام وأدعى للمقام. وقال: (أذن لي) ليفيد أن علم الغيب مختص به تعالى لكنه يُطلع منه من شاء على ما شاء. وليس على من أطلعه أن يحدث إلا بإذنه. وشحمة الأذن ما لان من أسفلها وهو معلق القرط. والعاتق ما بين المنكب والعنق وهو موضع الرداء، يُذكر ويؤنث.

(فإن قلت) الملائكة أجسام نورانية والأنوار لا توصف بالأذن والعنق.

قلت: ولا مانع من تشكل النور على هيئة الإنسان، وأن ضرب الأذن والعاتق مثلًا مقربًا للأفهام[1].

المطلب الثاني: أجنحة الملائكة

أعطى الله سبحانه للملائكة أجنحة يطيرون بها بين السماء والأرض بسرعة تفوق أي سرعة عرفها الإنسان، فمنهم من له جناحان، ومنهم من له ثلاثة، أو أربعة، ومنهم من له أكثر من ذلك.

وقد وردت أدلة في الكتاب والسنة تُثبت أن للملائكة أجنحة، ومن هذه الأدلة ما يأتي:

١- قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ

(١) «فيض القدير شرح الجامع الصغير» للمناوي (١/ ٤٥٨).

أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ﴾ [فاطر: ١].

والمعنى أن الله جعلهم أصحاب أجنحة، بعضهم له جناحان، وبعضهم له ثلاثة أو أربعة أو أكثر من ذلك.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ﴾ نَعْتٌ، أَيْ: أَصْحَابَ أَجْنِحَةٍ. ﴿مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ﴾ أَيِ اثْنَيْنِ اثْنَيْنِ، وَثَلَاثَةً ثَلَاثَةً، وَأَرْبَعَةً أَرْبَعَةً. قَالَ قَتَادَةُ: بَعْضُهُمْ لَهُ جَنَاحَانِ، وَبَعْضُهُمْ ثَلَاثَةٌ، وَبَعْضُهُمْ أَرْبَعَةٌ، يَنْزِلُونَ بِهِمَا مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، وَيَعْرُجُونَ مِنَ الْأَرْضِ إِلَى السَّمَاءِ، وَهِيَ مَسِيرَةُ كَذَا فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ، أَيْ: جَعَلَهُمْ رُسُلًا. قَالَ يَحْيَى بْنُ سَلَّامٍ: إِلَى الْأَنْبِيَاءِ. وَقَالَ السُّدِّيُّ: إِلَى الْعِبَادِ بِرَحْمَةٍ أَوْ نِقْمَةٍ.

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ.

وَعَنِ الزُّهْرِيِّ أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قَالَ لَهُ: «**يَا مُحَمَّدُ، لَوْ رَأَيْتَ إِسْرَافِيلَ، إِنَّ لَهُ لَاثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ جَنَاحٍ مِنْهَا جَنَاحٌ بِالْمَشْرِقِ وَجَنَاحٌ بِالْمَغْرِبِ، وَإِنَّ الْعَرْشَ لَعَلَى كَاهِلِهِ وَإِنَّهُ فِي الْأَحَايِينِ لَيَتَضَاءَلُ لِعَظَمَةِ اللَّهِ حَتَّى يَعُودَ مِثْلَ الْوَصْعِ** - وَالْوَصْعُ: عُصْفُورٌ صَغِيرٌ - **حَتَّى مَا يَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ إِلَّا عَظَمَتُهُ**».

وَ«أُولُو» اسْمُ جَمْعٍ لِـ«ذُو»، كَمَا أَنَّ «هَؤُلَاءِ» اسْمُ جَمْعٍ لِـ«ذَا»، وَنَظِيرُهُمَا فِي الْمُتَمَكِّنَةِ: الْمَخَاضُ وَالْخَلِفَةُ. وَقَدْ مَضَى الْكَلَامُ فِي ﴿مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ﴾ فِي «النِّسَاءِ» وَأَنَّهُ غَيْرُ مُنْصَرِفٍ.

﴿يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُۚ﴾ أَيْ: فِي خَلْقِ الْمَلَائِكَةِ، فِي قَوْلِ أَكْثَرِ الْمُفَسِّرِينَ، ذَكَرَهُ الْمَهْدَوِيُّ. وَقَالَ الْحَسَنُ: «يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ» أَيْ: فِي أَجْنِحَةِ الْمَلَائِكَةِ مَا يَشَاءُ(١).

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٣٢٠).

٢- ما جاء عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله تنادوا: هلموا إلى حاجتكم**[1]».

قال: «فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا».

قال: فيسألهم ربهم وهو أعلم منهم: ما يقول عبادي؟» قال: «تقول: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك». قال: «فيقول: هل رأوني؟» قال: «فيقولون: لا والله ما رأوك». قال: «فيقول: وكيف لو رأوني؟» قال: «يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيدًا وأكثر لك تسبيحًا». قال: «يقول: «فما يسألونني؟». قال: «يسألونك الجنة». قال: «يقول: وهل رأوها؟». قال: «يقولون: لا والله يا رب ما رأوها». قال: «يقول: فكيف لو أنهم رأوها؟» قال: «يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصًا وأشد لها طلبًا وأعظم فيها رغبةً». قال: «فمم يتعوذون؟» قال: «يقولون: من النار». قال: «يقول: وهل رأوها؟» قال: «يقولون: لا والله يا رب ما رأوها». قال: «يقول: فكيف لو رأوها؟» قال: «يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فرارًا وأشد لها مخافة». قال: «فيقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم». قال: «يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة». قال: «هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم»[2].

(١) قوله: «هلموا إلى حاجتكم» في رواية أبي معاوية: «بغيتكم». وقوله: «هلموا» على لغة أهل نجد، وأما أهل الحجاز فيقولون للواحد والاثنين والجمع: «هلم» بلفظ الإفراد. واختلف في أصل هذه الكلمة فقيل: هل لك في الأكل أم، أي: اقصد، وقيل: أصله (لُم) بضم اللام وتشديد الميم و(ها) للتنبيه حذفت ألفها تخفيفًا. انظر: «فتح الباري» (١١/ ٢١٢).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٤٥) كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله. وأخرجه مسلم (٢٦٨٩) باب فضل مجالس الذكر.

قال ابن حجر: قوله: «فيحفونهم بأجنحتهم» أي يدنون بأجنحتهم حول الذاكرين، والباء للتعدية وقيل: للاستعانة. قوله: «إلى السماء الدنيا» في رواية الكشميهني: «إلى سماء الدنيا» وفي رواية سهيل: «قعدوا معهم وحف بعضهم بعضًا بأجنحتهم حتى يملؤوا ما بينهم وبين سماء الدنيا[(١)].

٣- عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى جِبْرِيل عليه السلام لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ[(٢)].

٤- وعَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ قَالَ: غَدَوْتُ عَلَى صَفْوَانَ بْنِ عَسَّالٍ الْمُرَادِيِّ أَسْأَلُهُ عَنِ الْمَسْحِ عَلَى الْخُفَّيْنِ فَقَالَ: مَا جَاءَ بِكَ؟ قُلْتُ: ابْتِغَاءَ الْعِلْمِ. قَالَ: أَلاَ أُبَشِّرُكَ؟ - وَرَفَعَ الْحَدِيثَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ -: «**إِنَّ الْمَلاَئِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا يَطْلُبُ**»[(٣)].

---

(١) «فتح الباري» (١١/ ٢١٢).

(٢) **صحيح:** أخرجه البخاري (٣٠٦٠) كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم: آمين والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى، غُفر له ما تقدم من ذنبه. ومسلم (١٧٤) كتاب الإيمان/ باب في ذكر سدرة المنتهى.

(٣) **إسناده حسن:** أخرجه الترمذي (٣٥٣٥) وأحمد (١٨٥٧٧/ ١٨٥٨٧/ ١٨٥٩٠) والطيالسي في «مسنده» (١١٦٥) والدارمي (٣٦٩) في سننه، باب في وفاة النبي. والطبراني في «الكبير» (٧٣٧٣) والبيهقي في «السنن الصغرى» (١٢٣) وفي «الكبرى» (١٢٢٥) كلهم من طريق عَاصِمِ بْنِ بَهْدَلَةَ، عَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ، قَالَ: أَتَيْتُ صَفْوَانَ بْنَ عَسَّالٍ الْمُرَادِيَّ. . . الحديث. وعاصم بن بهدلة صدوق حسن الحديث كما قال الحافظ في «التقريب» (٣٠٥٤).

وللحديث شاهد أخرجه البيهقي «في شعب الإيمان» (١٦٩٦) من حديث أبي الدرداء.

وله شاهد آخر أخرجه ابن عساكر في «معجمه» (٢١٧) من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده.

وقال الإمام الخطابي رَحِمَهُ اللهُ: قوله: (إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم...) يُتأول على وجوه:

أحدها: أن يكون وضعها الأجنحة بمعنى التواضع والخشوع تعظيمًا لحقه وتوقيرًا لعلمه، كقوله تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ﴾ [الإسراء: ٢٤].

وقيل: وضع الجناح معناه الكف عن الطيران للنزول عنده، كقوله: «ما من قوم يذكرون الله إلاّ حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة».

وقيل: معناه بسط الجناح وفرشها لطالب العلم لتحمله عليها فتبلغه حيث يؤمه ويقصده من البقاع في طلبه، ومعناه المعونة وتيسير السعي له في طلب العلم. والله أعلم[١].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: فَإِذا طلب العَبْد الْعلم فقد سعى فِي أعظم مَا ينصح بِهِ عباد الله؛ فَلذَلِك تحبه الْمَلَائِكَة وتعظمه حَتَّى تضع أجنحتها لَهُ رضَا ومحبة وتعظيمًا.

وَقَالَ أبو حَاتِم الرَّازِيّ: سَمِعت ابْن أبي أويس يَقُول: سَمِعت مَالك بن أنس يَقُول: معنى قَول رَسُول الله: «تضع أجنحتها» يَعْنِي تبسطها بِالدُّعَاءِ لطَالب الْعلم بَدَلًا من الأيدي.

وَقَالَ أحْمَد بن مَرْوَان الْمَالِكِي فِي كتاب المجالسة لَهُ: حَدثنَا زَكَرِيَّا بن عبد الرَّحْمَن الْبَصْرِيّ قَالَ: سَمِعت أحْمَد بن شُعَيْب يَقُول: كُنَّا عِنْد بعض الْمُحدثين بِالْبَصْرَةِ فحدثنا بِحَدِيث النَّبِي: «إن الْمَلَائِكَة لتَضَع أجنحتها لطَالب الْعلم» وَفِي الْمجْلس مَعنا رجل من الْمُعْتَزلَة، فَجعل يستهزئ

---

(١) «معالم السنن» (٤/ ١٨٣).

بِالْحَدِيثِ فَقَالَ: وَالله لأطرقن غَدًا نَعْلي بمسامير فأطأ بهَا أَجْنِحَة الْمَلَائِكَة!! فَفعل وَمَشى فِي النَّعْلَيْنِ فجفت رِجْلَاهُ جَمِيعًا وَوَقعت فيهمَا الأكلة.

وَقَالَ الطَّبَرَانِيّ: سَمِعت أَبَا يحيى زَكَرِيَّا بن يحيى السَّاجِي قَالَ: كُنَّا نمشي فِي بعض أزقة الْبَصْرَة إِلَى بَاب بعض الْمُحدثين فأسرعنا الْمَشْي وَكَانَ مَعنا رجل ماجن مِنْهُم فِي دينه فَقَالَ: ارْفَعُوا أرجلكم عَن أجنحة الْمَلَائِكَة لا تكسروها!! كالمستهزئ، فَمَا زَالَ من مَوْضِعه حَتَّى جَفتْ رِجْلَاهُ وَسقط[1].

فدلت هذه النصوص على أن هذه الأجنحة أجنحة حقيقية تطير بها الملائكة وتحف بها طلبة العلم، وربما عملت بها بعض ما كُلفت به، فنحن نؤمن بهذه النصوص وبما دلت عليه، ونعتقد أن للملائكة أجنحة خلقها الله على اختلاف في أعدادها من ملك لآخر وأنها أجنحة جميلة ذات ألوان وأنها قوية، والله أعلم[2].

المطلب الثالث: الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا يتناسلون

الملائكة أجسام نورانية قد طهرهم الله ﷻ من الشهوات الحيوانية، فلا يتصفون بأوصاف البشر، فلا يأكلون ولا يشربون ولا يوصفون بالذكورة ولا بالأنوثة ولا يتناكحون، ولا يتناسلون، ولا ينامون.

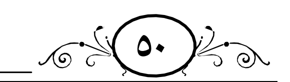
وهذا ما دلت عليه النصوص من القرآن والسنة:

أولًا: الدليل على أنهم لا يأكلون ولا يشربون:

١- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ۖ قَالَ سَلَـٰمٌ ۖ فَمَا

(١) «مفتاح دار السعادة» (١/ ٦٤).

(٢) «المعتقد في الملائكة المقربين» (٦٩) د/ محمد العقيل.



لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾ [هود: ٦٩، ٧٠].

قال أبو جعفر الطبري: يقول تعالى ذكره: فلما رأى إبراهيم أيديَهم لا تصل إلى العجل الذي أتاهم به والطعام الذي قدّم إليهم، نكرهم، وذلك أنه لما قَدَّم طعامه ﷺ إليهم، فيما ذكر - كفّوا عن أكله؛ لأنهم لم يكونوا ممن يأكله. وكان إمساكهم عن أكله عند إبراهيم وهم ضِيَفانه مستنكَرًا. ولم تكن بينهم معرفةٌ، وراعه أمرهم، وأوجس في نفسه منهم خيفة[1].

وقال ابن كثير: وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ﴾ تَنَكرهم، ﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ وَذَلِكَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا هِمَّةَ لَهُمْ إِلَى الطَّعَامِ وَلَا يَشْتَهُونَهُ وَلَا يَأْكُلُونَهُ؛ فَلِهَذَا رَأَى حَالَهُمْ مُعْرِضِينَ عَمَّا جَاءَهُمْ بِهِ، فَارِغِينَ عَنْهُ بِالْكُلِّيَّةِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ نَكِرَهُمْ، وأوجس منهم خيفة[2].

٢- قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات: ٢٤-٢٨].

قال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قوله: ﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ﴾ أَيْ: قَرَّبَ الْعِجْلَ إِلَيْهِمْ وَوَضَعَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ فقالَ: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ الِاسْتِفْهَامُ لِلْإِنْكَارِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا قَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ لَمْ يَأْكُلُوا مِنْهُ[3].

وقال السيوطي: قال الرازي في التفسير: اتفقوا على أن الملائكة لا يأكلون

(١) «تفسير الطبري» (١٥/ ٣٨٧).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٣٣٣).

(٣) «فتح القدير» (١٥/ ٣٨٧).

ولا يشربون ولا ينكحون[١] .

وقد رُوي في سبب عدم أكل الملائكة أنهم صُمُد لا أجواف لهم، قال أبو الشيخ في «العظمة»: أَخْبَرَنَا أَبُو يَعْلَى الْمَوْصِلِيُّ، حَدَّثَنَا جَدِّي إِبْرَاهِيمُ النِّيلِيُّ، قَالَ: وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ أَحْمَدَ، حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ النِّيلِيُّ، حَدَّثَنَا عَامِرُ بْنُ يَسَافٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ، قَالَ: «خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمَلَائِكَةَ صُمُدًا لَيْسَ لَهُمْ أَجْوَافٌ»[٢] .

ومثل هذا الأثر لا تقوم به حجة والأمر ولله الحمد واضح، فالقرآن أوضحَ الأمر وبَيَّنه أنهم خُلقوا من أجساد لا تأكل الطعام، والله أعلم[٣] .

ثانيًا: الدليل على أنهم لا يتناسلون ولا يوصفون بذكورة ولا أنوثة:

الملائكة عالم غيبي، وبالتالي فالإنسان يتوقف في وصفهم على ما جاء به الدليل، ولقد بَيَّن لنا رسول الله ﷺ أنهم خُلقوا من نور[٤] ولم يأتِ دليل يصفهم بأنهم يتناسلون أو أنهم يوصفون بالذكورة أو بالأنوثة، بل سبب كل ضلال وقع في هذه المسألة هو الكلام فيها بغير علم ومحاولة إخضاع مسائل الغيب لقواعد العقل.

قال الشيخ الأشقر: من أسباب ضلال بني آدم في حديثهم عن عوالم الغيب أن بعضهم يحاول إخضاع هذه العوالم لمقاييسه البشرية الدنيوية.

ولقد ضلّ في هذا المجال مشركو العرب الذين كانوا يزعمون أن الملائكة إناث، واختلطت هذه المقولة المجافية للحقيقة عندهم بخرافة

---

(١) «الحبائك في أخبار الملائك» (٢٤٦).

(٢) أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (٣١٤) موقوفًا على يحيى بن أبي كثير.

(٣) انظر «المعتقد في الملائكة المقربين» (ص٧١) د/ محمد بن عبد الوهاب العقيل.

(٤) سبق تخريجه.

أعظم وأكبر؛ إذ زعموا أن هؤلاء الإناث بنات الله. وناقشهم القرآن في هاتين القضيتين، فبيَّن أنهم - فيما ذهبوا إليه - لم يعتمدوا على دليل صحيح، وأن هذا القول قول متهافت، ومن عجب أنهم ينسبون لله البنات وهم يكرهون البنات، وعندما يُبشَّر أحدهم أنه رُزق بنتًا يظل وجهه مسودًا وهو كظيم، وقد يتوارى من الناس خجلًا من سوء ما بُشر به، وقد يتعدى هذا المأفون طوره فيدس هذه المولودة في التراب، ومع ذلك كله ينسبون لله الولد، ويزعمون أنهم إناث.

وهكذا تنشأ الخرافة، وتتفرع في عقول الذين لا يتصلون بالنور الإلهي[(١)].

وقد رد القرآن زعم المشركين بأنهم إناث وأنهم بنات الله في عدة آيات، منها:

١- قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ إِنَـٰثًا وَهُمْ شَـٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَـٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا۟ بِكِتَـٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات: ١٤٩ - ١٥٩].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَقَوْلُهُ: ﴿أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ إِنَـٰثًا وَهُمْ شَـٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾﴾ أَيْ: كَيْفَ حَكَمُوا عَلَى الْمَلَائِكَةِ أَنَّهُمْ إِنَاثٌ وَمَا شَاهَدُوا خَلْقَهُمْ؟! كَقَوْلِهِ: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَـٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الزُّخرُف: ١٩] أَيْ: يُسْأَلُونَ عَنْ ذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

(١) «عالم الملائكة الابرار» (ص١٣).

وَقَوْلُهُ: ﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنۡ إِفۡكِهِمۡ﴾ أَيْ: مِنْ كَذِبِهِمْ ﴿لَيَقُولُونَ ۝١٥١ وَلَدَ ٱللَّهُ﴾ أَيْ: صَدَرَ مِنْهُ الْوَلَدُ ﴿وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ فَذَكَرَ اللَّهُ عَنْهُمْ فِي الْمَلَائِكَةِ ثَلَاثَةَ أَقْوَالٍ فِي غَايَةِ الْكُفْرِ وَالْكَذِبِ، فَأَوَّلًا: جَعَلُوهُمْ بَنَاتِ اللَّهِ، فَجَعَلُوا لِلَّهِ وَلَدًا. وَجَعَلُوا ذَلِكَ الْوَلَدَ أُنْثَى، ثُمَّ عَبَدُوهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ. وَكُلٌّ مِنْهَا كَافٍ فِي التَّخْلِيدِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ.

ثُمَّ قَالَ مُنْكِرًا عَلَيْهِمْ: ﴿أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ ۝١٥٣﴾ أَيْ: أَيُّ شَيْءٍ يَحْمِلُهُ عَنْ أَنْ يَخْتَارَ الْبَنَاتِ دُونَ الْبَنِينَ؟ كَقَوْلِهِ: ﴿أَفَأَصۡفَىٰكُمۡ رَبُّكُم بِٱلۡبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًاۚ إِنَّكُمۡ لَتَقُولُونَ قَوۡلًا عَظِيمًا ۝٤٠﴾ [الإسراء: ٤٠]؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ۝١٥٤﴾ أَيْ: مَا لَكُمْ عُقُولٌ تَتَدَبَّرُونَ بِهَا مَا تَقُولُونَ؟ ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝١٥٥ أَمۡ لَكُمۡ سُلۡطَٰنٞ مُّبِينٞ ۝١٥٦﴾ أَيْ: حُجَّةٌ عَلَى مَا تَقُولُونَهُ.

﴿فَأۡتُواْ بِكِتَٰبِكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝١٥٧﴾ أَيْ: هَاتُوا بُرْهَانًا عَلَى ذَلِكَ يَكُونُ مُسْتَنِدًا إِلَى كِتَابٍ مُنَزَّلٍ مِنَ السَّمَاءِ عَنِ اللَّهِ أَنَّهُ اتَّخَذَ مَا تَقُولُونَهُ، فَإِنَّ مَا تَقُولُونَهُ لَا يُمْكِنُ اسْتِنَادُهُ إِلَى عَقْلٍ، بَلْ لَا يُجَوِّزُه الْعَقْلُ بِالْكُلِّيَّةِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَجَعَلُواْ بَيۡنَهُۥ وَبَيۡنَ ٱلۡجِنَّةِ نَسَبٗاۚ﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ: قَالَ الْمُشْرِكُونَ: الملائكةُ بناتُ اللَّهِ. فَسَأَلَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَمَنْ أُمَّهَاتُهُنَّ؟ قَالُوا: بَنَاتُ سَرَواتِ الْجِنِّ. وَكَذَا قَالَ قَتَادَةُ وَابْنُ زَيْدٍ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدۡ عَلِمَتِ ٱلۡجِنَّةُ﴾ أَيِ: الَّذِينَ نَسَبُوا إِلَيْهِمْ ذَلِك ﴿إِنَّهُمۡ لَمُحۡضَرُونَ﴾ أَيْ: إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا ذَلِكَ لَمُحْضَرُونَ فِي الْعَذَابِ يَوْمَ الْحِسَابِ لِكَذِبِهِمْ فِي ذَلِكَ وَافْتِرَائِهِمْ وَقَوْلِهِمُ الْبَاطِلَ بِلَا عِلْمٍ(١).

٢- قوله تعالى: ﴿وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ ٱلۡبَنَٰتِ سُبۡحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشۡتَهُونَ ۝٥٧ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلۡأُنثَىٰ ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٞ ۝٥٨ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓۚ

(١) «تفسير ابن كثير» (٧/ ٤٢).

﴿أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [النحل: ٥٧- ٥٩].

قال البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ﴾ وَهُمْ خُزَاعَةُ وَكِنَانَةُ، قَالُوا: الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ تَعَالَى. ﴿سُبْحَٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ أَيْ: وَيَجْعَلُونَ لِأَنْفُسِهِمُ الْبَنِينَ الَّذِينَ يَشْتَهُونَهُمْ، فَتَكُونُ «ما» فِي مَحَلِّ النَّصْبِ، وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ عَلَى الِابْتِدَاءِ فَتَكُونُ «ما» فِي مَحَلِّ الرَّفْعِ. ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا﴾ مُتَغَيِّرًا مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرَاهِيَةِ، ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ وَهُوَ مُمْتَلِئٌ حُزْنًا وَغَيْظًا فَهُوَ يَكْظِمُهُ، أَيْ: يُمْسِكُهُ وَلَا يُظْهِرُهُ(١).

والشاهد أن الله ﷻ قد رد على من وصف الملائكة بأنهم بنات الله وأنهم إناث، وأثبت أحديته وأنه لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد ﷻ، ووصف الملائكة بأنهم عباد الله، أي: خلقهم لعبادته، وكفى بذلك شرفًا وأنهم جنس مستقل لا ذكورة فيه ولا أنوثة(٢).

وقد نقلت فيما سبق كلام الرازي الذي نقله عنه الإمام السيوطي: «اتفقوا على أن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون»(٣).

قال ابن حجر: وذُكر في «ربيع الأبرار» عن سعيد بن المسيب قال: الملائكة ليسوا ذكورًا ولا إناثًا ولا يأكلون ولا يشربون ولا يتناكحون ولا يتوالدون. قلت (ابن حجر): وفي قصة الملائكة مع إبراهيم وسارة ما يؤيد أنهم لا يأكلون(٤).

---

(١) «تفسير البغوي» (٥/ ٢٤).

(٢) «المعتقد في الملائكة المقربين» (ص٧٣).

(٣) «الحبائك في أخبار الملائك» (ص٢٦٤).

(٤) «فتح الباري مع هدي الساري» لابن حجر، ط المعرفة (٦/ ٣٠٦).

المطلب الرابع: هل الملائكة يتكلمون؟

دلت النصوص على أن الملائكة عليهم السلام يتكلمون وكلامهم يُسمع، وصفة الكلام ملازمة لهم حتى في حال تمثلهم بصورة بني آدم[١] وقد ثبت أنهم كلموا الله ﷻ وكلموا آدم وأنهم يتكلمون مع بعضهم البعض.

ومن هذه النصوص ما يلي:

أولًا: من القرآن:

١- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة: ٣٠].

٢- قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣].

وقد اختلف أهل العلم في هؤلاء الذين فُزع عن قلوبهم على قولين، والراجح منهما أن الذين فزع عن قلوبهم هم الملائكة، وهذا اختيار الإمام الطبري وما رجحه ابن كثير حيث قال: وقدِ اخْتَارَ ابْنُ جَرِيرٍ الْقَوْلَ الْأَوَّلَ: أَنَّ الضَّمِيرَ عَائِدٌ عَلَى الْمَلَائِكَةِ. هَذَا هُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا مِرْيَةَ فِيهِ؛ لِصِحَّةِ الْأَحَادِيثِ فِيهِ وَالْآثَارِ[٢].

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله: هذه الآية فيها «إثبات أن الملائكة يتكلمون ويفهمون ويعقلون لأنهم يسألون: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾

(١) «المعتقد في الملائكة المقربين» (٧٤).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٥١٥).

ويجابون: ﴿قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ﴾، خلافًا لمن قال: إنهم لا يوصفون بذلك؛ فيلزم من قولهم هذا أننا تلقينا الشريعة ممن لا عقول لهم، وهذا قدح في الشريعة بلا ريب»(١).

٣- قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَهَـٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سَبَأ: ٤٠، ٤١].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ يَقْرَعُ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رؤوس الْخَلَائِقِ، فَيَسْأَلُ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَنْدَادَ الَّتِي هِيَ عَلَى صُورَةِ الْمَلَائِكَةِ لِيُقَرِّبُوهُمْ إِلَى اللَّهِ زُلْفَى، فَيَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ: ﴿أَهَـٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ﴾؟ أَيْ: أَنْتُمْ أَمَرْتُمْ هَؤُلَاءِ بِعِبَادَتِكُمْ؟ كَمَا قَالَ فِي سُورَةِ الْفُرْقَانِ: ﴿ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَـٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ﴾ [الفُرْقَان: ١٧]، وَكَمَا يَقُولُ لِعِيسَى: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ﴾ [المَائِدَة: ١١٦]. وَهَكَذَا تَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: ﴿سُبْحَـٰنَكَ﴾ أَيْ: تعاليت وَتَقَدَّسْتَ عَنْ أَنْ يَكُونَ مَعَكَ إِلَهٌ ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ﴾ أَيْ: نَحْنُ عَبِيدُكَ وَنَبْرَأُ إِلَيْكَ مِنْ هَؤُلَاءِ، ﴿بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ﴾ يَعْنُونَ: الشَّيَاطِينَ؛ لِأَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ يُزَيِّنُونَ لَهُمْ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ وَيُضِلُّونَهُمْ(٢).

قلت: في هذه الآيات دلالة واضحة على أن الملائكة يتكلمون وأن صفة الكلام صفة ثابتة لهم وهي صفة كمال في حقهم.

(١) «القول المفيد» (١/ ٤١١).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٥٢٤).

ثانيًا: من السنة:

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبْهُ. فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ. فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ**»(١).

٢- وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، قَالَ: خَرَجْتُ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمْشِي وَحْدَهُ وَلَيْسَ مَعَهُ إِنْسَانٌ. قَالَ: فَظَنَنْتُ أَنَّهُ يَكْرَهُ أَنْ يَمْشِيَ مَعَهُ أَحَدٌ. قَالَ: فَجَعَلْتُ أَمْشِي فِي ظِلِّ الْقَمَرِ. فَالْتَفَتَ فَرَآنِي فَقَالَ: «**مَنْ هَذَا؟**»، قُلْتُ: أَبُو ذَرٍّ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: «**يَا أَبَا ذَرٍّ، تَعَالَهْ**»، قَالَ: فَمَشَيْتُ مَعَهُ سَاعَةً، فَقَالَ: «**إِنَّ الْمُكْثِرِينَ هُمُ الْمُقِلُّونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِلَّا مَنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ خَيْرًا، فَنَفَحَ فِيهِ يَمِينَهُ، وَشِمَالَهُ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ، وَوَرَاءَهُ، وَعَمِلَ فِيهِ خَيْرًا**»، قَالَ: فَمَشَيْتُ مَعَهُ سَاعَةً، فَقَالَ لِي: «**اجْلِسْ هَا هُنَا**»، قَالَ: فَأَجْلَسَنِي فِي قَاعٍ حَوْلَهُ حِجَارَةٌ، فَقَالَ لِي: «**اجْلِسْ هَا هُنَا حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْكَ**»، قَالَ: فَانْطَلَقَ فِي الْحَرَّةِ حَتَّى لَا أَرَاهُ، فَلَبِثَ عَنِّي، فَأَطَالَ اللُّبْثَ، ثُمَّ إِنِّي سَمِعْتُهُ وَهُوَ مُقْبِلٌ وَهُوَ يَقُولُ: «**وَإِنْ سَرَقَ وَإِنْ زَنَى**»، قَالَ: فَلَمَّا جَاءَ لَمْ أَصْبِرْ حَتَّى قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، مَنْ تُكَلِّمُ فِي جَانِبِ الْحَرَّةِ، مَا سَمِعْتُ أَحَدًا يَرْجِعُ إِلَيْكَ شَيْئًا؟ قَالَ: «**ذَلِكَ جِبْرِيلُ عليه السلام عَرَضَ لِي فِي جَانِبِ الْحَرَّةِ، قَالَ: بَشِّرْ أُمَّتَكَ أَنَّهُ مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، دَخَلَ الْجَنَّةَ. قُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، وَإِنْ سَرَقَ وَإِنْ زَنَى؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: قُلْتُ: وَإِنْ سَرَقَ وَإِنْ زَنَى؟ قَالَ: نَعَمْ، وَإِنْ شَرِبَ الْخَمْرَ**»(٢).

---

(١) **صحيح:** أخرجه البخاري (٣٢٠٩) كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة. ومسلم (٢٦٣٩) كتاب البر والصلة والآداب، باب إذا أحب الله عبدًا حببه إلى عباده.

(٢) **صحيح:** أخرجه البخاري (٦٤٤٣) كتاب الرقاق، باب المكثرون هم الأقلون، ومسلم (٩٩٣) كتاب الزكاة، باب الترغيب في الصدقة.

٣- وعن أبي هُرَيْرَةَ، قالَ: إنَّ نَبِيَّ الله ﷺ قَالَ: «**إِذَا قَضَى اللَّهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ ضَرَبَتِ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ، كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ، فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ، قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: لِلَّذِي قَالَ الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ. فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُ السَّمْعِ، وَمُسْتَرِقُ السَّمْعِ هَكَذَا بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ - وَوَصَفَ سُفْيَانُ بِكَفِّهِ، فَحَرَفَهَا وَبَدَّدَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ - فَيَسْمَعُ الْكَلِمَةَ، فَيُلْقِيهَا إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، ثُمَّ يُلْقِيهَا الْآخَرُ إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، حَتَّى يُلْقِيَهَا عَلَى لِسَانِ السَّاحِرِ أَوِ الْكَاهِنِ، فَرُبَّمَا أَدْرَكَ الشِّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا، وَرُبَّمَا أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ، فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ، فَيُقَالُ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ لَنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا؟ فَيُصَدَّقُ بِتِلْكَ الْكَلِمَةِ الَّتِي سَمِعَ مِنَ السَّمَاءِ**»[(١)].

٤- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أيضًا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ، طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا، فَلَمَّا خَلَقَهُ قَالَ: اذْهَبْ، فَسَلِّمْ عَلَى أُولَئِكَ النَّفَرِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ جُلُوسٌ، فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ فَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ. فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ. فَقَالُوا: السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ. فَزَادُوهُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ، فَلَمْ يَزَلِ الْخَلْقُ يَنْقُصُ بَعْدُ حَتَّى الْآنَ**»[(٢)].

٥- وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا قال أحدكم: آمين وقالت الملائكة في السماء: آمين، فوافقت إحداهما الأخرى؛ غُفر له ما تقدم من ذنبه**»[(٣)].

---

(١) **صحيح:** أخرجه البخاري (٤٧٠١) في تفسير سورة الحجر، باب قوله: إلا من استرق السمع، و(٤٨٠٠) باب حتى إذا فزّع عن قلوبهم، و(٧٤٨١) باب قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾، والترمذي (٣٢٢٣) كتاب تفسير القرآن. وابن ماجه (١٩٤) في المقدمة.

(٢) **صحيح:** أخرجه البخاري (٦٢٢٧) كتاب الاستئذان، باب بدء السلام. وابن حبان (٦١٦٢).

(٣) **صحيح:** أخرجه البخاري (٧٤٨) كتاب صفة الصلاة، باب فضل التأمين. =

٦- وعن أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِذَا دَعَا الرَّجُلُ لأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ: آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلٍ**»(١).

٧- وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قَالَتِ الْمَلائِكَةُ: رَبِّ، ذَاكَ عَبْدُكَ يُرِيدُ أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً - وَهُوَ أَبْصَرُ بِهِ - فَقَالَ: ارْقُبُوهُ فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ بِمِثْلِهَا، وَإِنْ تَرَكَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، إِنَّمَا تَرَكَهَا مِنْ جَرَّايَ**»(٢).

قلت: هذه كلها أحاديث تدل على ثبوت صفة الكلام للملائكة، ولله الحمد.

المطلب الخامس هل صُوَر الملائكة جميلة؟

لقد خلق الله الملائكة على صور جميلة كريمة، والدليل على جمال صور الملائكة ما يلي:

١- قوله تعالى في جبريل: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ۝٦﴾ [النجم: ٥، ٦].

قال ابن كثير: يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَنَّهُ عَلَّمه الَّذِي جَاءَ بِهِ إِلَى النَّاسِ ﴿شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ﴾، وَهُوَ جِبْرِيلُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَمَا قَالَ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ۝٢٠ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ﴾ [التكوير: ١٩- ٢١].

= ومسلم (٨٤٨) كتاب الصلاة. وأبو داود (١٥٣٦) باب الدعاء بظهر الغيب. والطبراني في الدعاء (١٣٢٧).

(١) **صحيح:** أخرجه أبو داود (١٥٣٦) باب الدُّعَاءِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ. والطبراني في الدعاء (١٣٢٨) بَابُ دُعَاءِ الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ.

(٢) **صحيح:** أخرجه مسلم (٢٥٢) كتاب الأيمان، باب إذا هَمَّ العبد بحسنة. والبغوي في شرح السنة (٤١٤٨).

وَقَالَ هَاهُنَا: ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ أَيْ: ذُو قُوَّةٍ. قَالَهُ مُجَاهِدٌ، وَالْحَسَنُ، وَابْنُ زَيْدٍ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ذُو مَنْظَرٍ حَسَنٍ. وَقَالَ قَتَادَةُ: ذُو خَلْق طَوِيلٍ حَسَنٍ. وَلَا مُنَافَاةَ بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ؛ فَإِنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ذُو مَنْظَرٍ حَسَنٍ، وَقُوَّةٍ شَدِيدَةٍ[(١)].

٢- قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١].

قال صِديق حسن خان: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ على الله لأنه قد تقرر في الطباع ورُكز في النفوس أنهم على شكل فوق شكل البشر في الذوات والصفات وأن لا شيء أحسن من الملك وأنهم فائقون في كل شيء، كما تقرر فيها أن الشياطين على العكس من ذلك ولا أقبح منهم، والمقصود من هذا إثبات الحسن العظيم المفرط ليوسف.

واعلم أنه لا يلزم من قول النسوة هذا أن الملائكة صورهم أحسن من صور بني آدم؛ فإنهن لم يقلنه لدليل بل حكمن على الغيب بمجرد الاعتقاد المرتكز في طباعهن وذلك ممنوع. قال قتادة: قلن ملك من الملائكة من حسنه وغرابة جماله[(٢)].

قال الشيخ عمر الأشقر: وقد تقرر عند الناس وصف الملائكة بالجمال، كما تقرر عندهم وصف الشياطين بالقبح؛ ولذلك تراهم يشبهون الجميل من البشر بالملك، انظر إلى ما قالته النسوة في يوسف الصديق عندما رأينه: ﴿حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾[(٣)].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٧/ ٤٤٤).

(٢) «فتح البيان» (٦/ ٣٢٧) لصديق خان.

(٣) «عالم الملائكة الأبرار» (١/ ١٢).

المطلب السادس: هل الملائكة ينامون أو يشعرون بالتعب؟

لم يرد دليل صحيح في إثبات صفة النوم للملائكة، بل الوارد في الباب يشير إلى أنهم لا ينامون، ومن ذلك قول الله ﷻ: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩، ٢٠].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ فَهُمْ دَائِبُونَ فِي الْعَمَلِ لَيْلًا وَنَهَارًا، مُطِيعُونَ قَصْدًا وَعَمَلًا قَادِرُونَ عَلَيْهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦][(١)].

قال الشيخ السعدي: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ أي: مستغرقين في العبادة والتسبيح في جميع أوقاتهم فليس في أوقاتهم وقت فارغ ولا خالٍ منها، وهم على كثرتهم بهذه الصفة، وفي هذا من بيان عظمته وجلالة سلطانه وكمال علمه وحكمته - ما يوجب أن لا يُعبد إلا هو، ولا تُصرف العبادة لغيره[(٢)].

قلت: فإن كانوا مستغرقين في العبادة ليلًا ونهارًا فإن هذا دليل على أنهم لا ينامون. كما أنهم لا يوصفون بالتعب ولا بالملل.

وقد نص القرآن على أنهم يعبدون الله ﷻ ليلًا ونهارًا، بدون أن يطرأ عليهم نصب أو ضيق أو ملل والدليل على ذلك ما يلي:

١- قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٥/ ٣٣٦).

(٢) «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» (١/ ٥٢٠).

عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ١٩﴾ [الأنبياء: ١٩].

قال أبو جعفر الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ﴾ قال: لا يستحسرون: لا يملُّون ذلك الاستحسار. قال: ولا يفترون، ولا يسأمون، هذا كله معناه واحد والكلام مختلف، وهو من قولهم: (بعير حَسِير): إذا أعيا وقام، ومنه قول علقمة بن عبدة:

بها جِيفُ الحَسْرَى فأمَّا عِظامُها فَبِيضٌ، وأمَّا جِلْدُها فَصَلِيبُ[1][2]

وقال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قوله: ﴿وَمَنۡ عِندَهُۥ﴾ يَعْنِي الْمَلَائِكَةَ، وَفِيهِ رَدٌّ عَلَى الْقَائِلِينَ بِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللَّهِ، وَفِي التَّعْبِيرِ عَنْهُمْ بِكَوْنِهِمْ (عِنْدَهُ) إِشَارَةٌ إِلَى تَشْرِيفِهِمْ وَكَرَامَتِهِمْ، وَأَنَّهُمْ بِمَنْزِلَةِ الْمُقَرَّبِينَ عِنْدَ الْمُلُوكِ.

ثُمَّ وَصَفَهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ﴾ أَيْ: لَا يَتَعَاظَمُونَ وَلَا يَأْنَفُونَ عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَالتَّذَلُّلِ لَهُ ﴿وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ﴾ أَيْ: لَا يَعْيَوْنَ، مَأْخُوذٌ مِنَ الْحَسِيرِ، وَهُوَ الْبَعِيرُ الْمُنْقَطِعُ بِالْإِعْيَاءِ وَالتَّعَبِ، يُقَالُ: حَسَرَ الْبَعِيرَ يَحْسُرُ حُسُورًا؛ أَعْيَا وَكَلَّ. وَاسْتَحْسَرَ وَتَحَسَّرَ مِثْلُهُ. وَحَسَرْتُهُ أَنَا حَسْرًا،

---

(١) البيت لعلقمة بن عبدة التميمي، من قصيدة له يمدح بها الحارث بن أبي الحارث بن أبي شمر الغساني «مختار الشعر الجاهلي»، بشرح مصطفى السقا، طبعة مصطفى البابي الحلبي، (ص٤٢١)، وهو البيت العشرون في القصيدة).
والحسرى: جمع حسير من الدواب، وهو الذي كلّ من المسير، فمات إعياء.
وصليب: يابس لم يُدبغ. والضمير في (بها) راجع إلى المغارة التي سلكها، فوجد فيها بقايا الدواب التي سارت فيها من قبل من عظام وجلود.
انظر: حاشية «تفسير الطبري» (١٨/ ٤٢٣) تحقيق الشيخ أحمد شاكر.

(٢) «تفسير الطبري» (١٨/ ٤٢٣).

يَتَعَدَّى وَلَا يَتَعَدَّى. قَالَ أَبُو زَيْدٍ: لَا يكلّون. وقال ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: لَا يَفْشَلُونَ.

قَالَ الزَّجَّاجُ: مَعْنَى الْآيَةِ أَنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ذَكَرْتُمْ أَنَّهُمْ أَوْلَادُ اللَّهِ عِبَادُ اللَّهِ لَا يَأْنَفُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَتَعَظَّمُونَ عَنْهَا، كَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ﴾. وَقِيلَ: الْمَعْنَى: لَا يَنْقَطِعُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ. وَهَذِهِ الْمَعَانِي مُتَقَارِبَةٌ.

﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ﴾ أَيْ: يُنَزِّهُونَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ دَائِمًا، لَا يَضْعُفُونَ عَنْ ذَلِكَ وَلَا يَسْأَمُونَ، وَقِيلَ: يُصَلُّونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ.

قال الزَّجَّاجُ: مَجْرَى التَّسْبِيحِ مِنْهُمْ كَمَجْرَى النَّفَسِ مِنَّا لَا يَشْغَلُنَا عَنِ النَّفَسِ شَيْءٌ، فَكَذَلِكَ تَسْبِيحُهُمْ دَائِمٌ[1].

٢- قوله تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ۝٣٧ فَإِنِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ﴾ [فصلت: ٣٧، ٣٨].

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿فَإِنِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾، أَيْ: فَإِنْ تَكَبَّرَ الْكُفَّارُ عَنْ تَوْحِيدِ اللَّهِ وَالسُّجُودِ لَهُ وَحْدَهُ وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ ﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ وَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ﴿يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾أَيْ يَعْبُدُونَهُ وَيُنَزِّهُونَهُ دَائِمًا لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ﴾ أَيْ: لَا يَمَلُّونَ مِنْ عِبَادَةِ رَبِّهِمْ؛ لِاسْتِلْذَاذِهِمْ لَهَا وَحَلَاوَتِهَا عِنْدَهُمْ، مَعَ خَوْفِهِمْ مِنْهُ جَلَّ وَعَلَا كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ﴾ [الرعد: ١٣].

---

(١) «فتح القدير» (٣/ ٤٧٤).

وَقَدْ دَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ مِنْ سُورَةِ «فُصِّلَتْ» عَلَى أَمْرَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ اللَّهَ - جَلَّ وَعَلَا - إِنْ كَفَرَ بِهِ بَعْضُ خَلْقِهِ، فَإِنَّ بَعْضًا آخَرَ مِنْ خَلْقِهِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَيُطِيعُونَهُ كَمَا يَنْبَغِي، وَيُلَازِمُونَ طَاعَتَهُ دَائِمًا بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ.

وَالثَّانِي: أَنَّ الْمَلَائِكَةَ يُسَبِّحُونَ اللَّهَ وَيُطِيعُونَهُ دَائِمًا لَا يَفْتُرُونَ عَنْ ذَلِكَ.

وَهَذَانِ الْأَمْرَانِ اللَّذَانِ دَلَّتْ عَلَيْهِمَا هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ - قَدْ جَاءَ كُلٌّ مِنْهُمَا مُوَضَّحًا فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ.

وَقَوْلُهُ - تَعَالَى - فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: ﴿وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ﴾ أَيْ لَا يَمَلُّونَ، وَالسَّآمَةُ: الْمَلَلُ، وَمِنْهُ قَوْلُ زُهَيْرٍ:

سَئِمْتُ تَكَالِيفَ الْحَيَاةِ وَمَنْ يَعِشْ ... ثَمَانِينَ حَوْلًا لَا أَبَا لَكَ يَسْأَمِ[(١)]

المطلب السابع: هل تموت الملائكة؟

الملائكة يموتون كما يموت الإنس والجن، وقد جاء ذلك صريحًا في بعض آيات القرآن، منها:

١- قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزمر: ٦٨].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ هَوْلِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَا يَكُونُ فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ الْعَظِيمَةِ وَالزَّلَازِلِ الْهَائِلَةِ، فَقَوْلُهُ: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾، هَذِهِ النَّفْخَةُ هِيَ الثَّانِيَةُ، وَهِيَ نَفْخَةُ الصَّعْقِ، وَهِيَ الَّتِي يموت بها الأحياء من أهل السماوات وَالْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ، كَمَا هُوَ مُصَرَّحٌ بِهِ مُفَسَّرًا فِي حَدِيثِ الصُّورِ الْمَشْهُورِ. ثُمَّ يَقْبِضُ

---

(١) «أضواء البيان» (٧/ ٣٠).

أَرْوَاحَ الْبَاقِينَ حَتَّى يَكُونَ آخِرُ مَنْ يَمُوتُ مَلَكَ الْمَوْتِ، وَيَنْفَرِدُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ الَّذِي كَانَ أَوَّلًا وَهُوَ الْبَاقِي آخِرًا بِالدَّيْمُومَةِ وَالْبَقَاءِ، وَيَقُولُ: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [غَافِر: ١٦] ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. ثُمَّ يُجِيبُ نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ فَيَقُولُ: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَاحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: ٤٨] أَي: الَّذِي هُوَ وَاحِدٌ وَقَدْ قَهَرَ كُلَّ شَيْءٍ وَحَكَمَ بِالْفَنَاءِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. ثُمَّ يُحْيِي أَوَّلَ مَنْ يُحْيِي إِسْرَافِيلَ، وَيَأْمُرُهُ أَنْ يُنْفَخَ فِي الصُّورِ أُخْرَى، وَهِيَ النَّفْخَةُ الثَّالِثَةُ نَفْخَةُ الْبَعْثِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ أَيْ: أَحْيَاءٌ بَعْدَ مَا كَانُوا عِظَامًا وَرُفَاتًا، صَارُوا أَحْيَاءً يَنْظُرُونَ إِلَى أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾ [النَّازِعَات: ١٣، ١٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾﴾ [الإِسْرَاء: ٥٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾﴾[1].

قال ابن عطية: وقوله: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ قال السدي: استثنى جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، ثم أماتهم بعد هذه الحال[2].

فالملائكة تشملهم الآية؛ لأنهم في السماء.

وهل يموت أحد منهم قبل نفخة الصور؟ هذا ما لا نعلمه، ولا نستطيع الخوض فيه؛ لعدم وجود النصوص المثبتة له أو النافية[3].

٢- قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ﴾ [القصص: ٨٨].

قال القرطبي: وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: هلَكَ أَهْلُ الْأَرْضِ. فَنَزَلَتْ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ﴾ فَأَيْقَنَتِ الْمَلَائِكَةُ

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٧/ ١١٧).

(٢) «تفسير ابن عطية» (٤/ ٥٤١).

(٣) «عالم الملائكة الأبرار» (١/ ١٨).

بِالْهَلَاكِ، وَقَالَهُ مُقَاتِلٌ. وَوَجْهُ النِّعْمَةِ فِي فَنَاءِ الْخَلْقِ التَّسْوِيَةُ بَيْنَهُمْ فِي الْمَوْتِ، وَمَعَ الْمَوْتِ تَسْتَوِي الْأَقْدَامُ[١].

وقال ابن كثير: وَقَوْلُهُ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ إِخْبَارٌ بِأَنَّهُ الدَّائِمُ الْبَاقِي الْحَيُّ الْقَيُّومُ، الَّذِي تَمُوتُ الْخَلَائِقُ وَلَا يَمُوتُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرَّحمَن: ٢٦، ٢٧]، فعبر بالوجه عن الذات، وهكذا قوله ها هنا: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ أَيْ: إِلَّا إِيَّاهُ[٢].

٣- وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «ثم يقوم ملك الصور بين السماء والأرض فينفخ فيه، والصور قرن، فلا يبقى لله خلق في السماوات ولا في الأرض إلا مات، إلا من شاء ربك»[٣].

٤- **قال شيخ الإسلام** رَحِمَهُ اللَّهُ **لما تكلم عن موت الملائكة:** «وإنما يخالف في ذلك طوائف من المتفلسفة، أتباع أرسطو وأمثالهم، ومن دخل معهم من المنتسبين إلى الإسلام ممن زعم أن الملائكة هي العقول والنفوس، وأنه لا يمكن موتها بحال، وأنكر ذلك أيضًا ابن حزم»[٤].

وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ**: هل جميع الخلق حتى الملائكة يموتون؟**

فأجاب: الذي عليه أكثر الناس أن جميع الخلق يموتون حتى الملائكة، والمسلمون واليهود والنصارى متفقون على إمكان ذلك وقدرة الله عليه[٥].

---

(١) «تفسير القرطبي» (١٧/ ١٦٥).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٢٦١).

(٣) رواه ابن أبي شيبة (٣٧٦٣٧).

قال ابن حجر في «الفتح» (١١/ ٣٧٧): موقوف وإسناده قوي.

(٤) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٢٥٩).

(٥) المصدر السابق.

٥- **قال الشوكاني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ أثناء شرحه لحديث: «اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت اللهم إني أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني أن الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون»: وقوله ﷺ: (أنت الحي القيوم) أي: الدائم القائم بتدبير الخلق (الذي لا يموت) بلفظ الغائب للأكثر، وفي بعض الروايات بلفظ الخطاب، أي الحي الحياة الحقيقية التي لا يجامعها الموت بحال (والجن والإنس يموتون) عندما تقضى آجالهم. وكلمة (تضلني) متعلقة بـ(أعوذ) أي: من أن تضلني، وكلمة التوحيد معترضة لتأكيد العزة. واستغنى عن ذكر عائد الموصول لأن نفس المخاطب هو المرجوع إليه ليحصل الارتباط، ومثله «أنا الذي سمتني أمي حيدرة».

ولا حجة فيه لمن استدل به على عدم موت الملائكة لأنه مفهوم لقب ولا عبرة به، وعلى تقديره فيعارضه ما هو أقوى منه، وهو عموم قوله: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ﴾ مع أنه لا مانع من دخولهم في مسمى الجن بجامع ما بينهم من الاجتنان عن عيون الناس(١).



(١) «فتح القدير» (٢/ ١٣١).

المطلب الثامن: هل الملائكة متفاوتون في الخلق والمقدار؟ وهل لهم رؤساء؟

أما تفاوت الملائكة فيما بينهم فهو حاصل، سواء في الخلق أم في الأقدار:

فالتفاوت في الخلق مثل قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر: ١] أي أن الله خلق الملائكة وجعل لهم أجنحة: فمنهم من له جناحان، أو ثلاثة، أو أربعة، أو أكثر، فعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ رأى جبريل عليه السلام له ستمائة جناح[١] وإن كثرة الأجنحة دليل على شدة السرعة في تنفيذ أوامر الله وتبليغ رسالته. وقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ [الصافات: ١٦٤-١٦٦]. فما من مَلَك إلا له موضع مخصوص في السموات، ومقام في العبادة لا يتجاوزه ولا يتعداه. كما أنهم يصطفون فيسبحون الرب ويقدسونه وينزهونه، فهم عبيد له، فقراء إليه، خاضعون له.

وفى الملائكة ثلاثة رؤساء مقربين أكثر من سواهم، وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل، قال تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [البقرة: ٩٨].

قال الشوكاني رحمه الله: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٠٦٠) كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم: آمين والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى، غُفر له ما تقدم من ذنبه. ومسلم (١٧٤) كتاب الإيمان، باب في ذكر سدرة المنتهى.

فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ وَالْعَدَاوَةُ مِنَ الْعَبْدِ: هِيَ صُدُورُ الْمَعَاصِي مِنْهُ لِلَّهِ وَالْبُغْضُ لِأَوْلِيَائِهِ، وَالْعَدَاوَةُ مِنَ اللَّهِ لِلْعَبْدِ: هِيَ تَعْذِيبُهُ بِذَنْبِهِ وَعَدَمُ التَّجَاوُزِ عَنْهُ وَالْمَغْفِرَةِ لَهُ - وَإِنَّمَا خَصَّ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ بِالذِّكْرِ بَعْدَ ذِكْرِ الْمَلَائِكَةِ لِقَصْدِ التَّشْرِيفِ لَهُمَا، وَالدَّلَالَةِ عَلَى فَضْلِهِمَا، وَأَنَّهُمَا وَإِنْ كَانَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ فَقَدْ صَارَا بِاعْتِبَارِ مَا لَهُمَا مِنَ الْمَزِيَّةِ بِمَنْزِلَةِ جِنْسٍ آخَرَ أَشْرَفَ مِنْ جِنْسِ الْمَلَائِكَةِ، تَنْزِيلًا لِلتَّغَايُرِ الْوَصْفِيِّ مَنْزِلَةَ التَّغَايُرِ الذَّاتِيِّ[1].

وعَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ: بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَفْتَتِحُ صَلَاتَهُ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ؟ قَالَتْ: كَانَ إِذَا قَامَ كَبَّرَ، وَيَقُولُ: **«اللهُمَّ رَبَّ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتَلَفْتُ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»**[2].

قال السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ: «اللَّهُمَّ رب جِبْرِيل وَمِيكَائِيل وإسرافيل» خصهم بِالذكر لأَنهم أَشْرَاف الْمَلَائِكَة ورؤوسهم مَعَ ملك الْمَوْت، ورد فِي ذَلِك أثران تَفْسِير جِبْرِيل عبد الله وإسرافيل عبد الرَّحْمَن وَذكر الْجُزُولِيّ من

---

(١) «فتح القدير» (١/ ١٣٧).

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٧٧٠) كتاب الصلاة، باب الذكر والدعاء في صلاة الليل، والترمذي (٣٤٢٠) باب ما جاء في الدعاء عند افتتاح الصلاة بالليل، وأبو داود (٧٦٧) باب ما يستفتح به الصلاة من الدعاء. والنسائي في «السنن الكبرى» (١٣٢٢)، وابن ماجه (١٣٥٧) كتاب الصلاة، وابن خزيمة (١١٥٣) وابن حبان (٢٦٠٠) وابن نصر في «قيام الليل» (ص٤٨)، وابن المنذر في «الأوسط» (١٢٧٢)، وأبو الشيخ في «أخلاق النبي ﷺ» (ص١٨٠)، والبيهقي في «الدعوات» (٣٧٤)، والبغوي في «شرح السنة» (٩٥٢).

الْمَالِكِيَّة فِي شرح الرسَالَة أَنه سُمي إسْرَافيل لِكَثْرَة أجنحته، وَمِيكَائِيل لكَونه وُكل بالمطر والنبات يكيله ويزنه(١).

وهؤلاء موكلون بالحياة: فميكائيل موكل بالقطر الذي به حياة الأرض والنبات والحيوان، وإسرافيل موكل بالنفخ في الصور الذي به حياة الخلق بعد مماته، أما جبريل عليه السلام فهو موكل بالوحي الذي به حياة القلوب والأرواح: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣﴾ [الشعراء: ١٩٣].

إذًا فكل من هؤلاء له مقام معلوم لا يتخطاه، وعمل قد أُمر به، لا يقصر عنه ولا يتعداه.

المطلب التاسع: مساكن الملائكة ومنازلهم

أما منازل الملائكة ومساكنهم فهي السماء(٢) والدليل على ذلك ما يلي:

١- قوله تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الشورى: ٥].

قال ابن الجوزي رحمه الله: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ قال بعضهم: يصلُّون بأمر ربِّهم. وقال بعضهم: ينزِّهونه عمّا لا يجوز في صفته ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه أراد المؤمنين. قاله قتادة، والسدي. والثاني: أنهم كانوا يستغفرون للمؤمنين، فلمّا ابتُليَ هاروت وماروت استغفروا لِمَن في الأرض(٣).

---

(١) «الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج» (٢/ ٣٧٧).

(٢) «عالم الملائكة الأبرار» (١/ ١٥).

(٣) «زاد المسير» (٤/ ٥٩).

قلت: في قوله: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ﴾ دلالة واضحة على أنهم في السماء.

٢- وقد وصفهم الله تعالى بأنهم عنده، فقال: ﴿فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ۩ (٣٨)﴾ [فصلت: ٣٨].

قال الإمام الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ۩ (٣٨)﴾ يقول تعالى ذكره: فإن استكبر يا محمد هؤلاء الذين أنت بين أظهرهم من مشركي قريش، وتعظموا عن أن يسجدوا لله الذي خلقهم وخلق الشمس والقمر؛ فإن الملائكة الذين عند ربك لا يستكبرون عن ذلك، ولا يتعظمون عنه، بل يسبحون له، ويصلون ليلًا ونهارًا، ﴿وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾ يقول: وهم لا يفترون عن عبادته، ولا يملون الصلاة له[١].

ومعنى: ﴿فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾، أي: الذين في السماء.

وقال أبو حيان الأندلسي: ﴿فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا﴾: أَيْ: تَعَاظَمُوا عَلَى اجْتِنَابِ مَا نَهَيْتُ مِنَ السُّجُودِ لِهَذَيْنِ الْمُحْدَثَيْنِ الْمَرْبُوبَيْنِ وَامْتِثَالِ مَا أَمَرْتُ بِهِ مِنَ السُّجُودِ لِلْخَالِقِ، لَهُنَّ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِنْدَ اللَّهِ بِالْمَكَانَةِ وَالرُّتْبَةِ الشَّرِيفَةِ يُنَزِّهُونَهُ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِكِبْرِيَائِهِ، ﴿وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾: أَيْ: لَا يَمَلُّونَ ذَلِكَ، وَهُمْ خَيْرٌ مِنْكُمْ، مَعَ أَنَّهُ تَعَالَى غَنِيٌّ عَنْ عِبَادَتِكُمْ وَعِبَادَتِهِمْ[٢].

٣- وهم ينزلون إلى الأرض بأمر الله لتنفيذ مهمات نيطت بهم ووُكلت إليهم، كما قال الله تبارك وتعالى على لسان جبريل: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ [مريم: ٦٤].

(١) «تفسير الطبري» (٢١/ ٤٧٤).

(٢) «البحر المحيط» (٩/ ٣٠٨).

قال ابن كثير: قَالَ العَوْفي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: احْتَبَسَ جِبْرِيلُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَوَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ ذَلِك وحَزِن، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾ [مريم: ٦٤][1].

٤- ويكثر نزولهم في مناسبات خاصة؛ كليلة القدر، كما قال تعالى: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾ [القدر: ٣، ٤]، والروح هو جبريل عليه السلام، ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ [القدر: ٤].

فدلت هذه الآيات وغيرها على أن الملائكة يسكنون السماء.

المطلب العاشر: قدرة الملائكة على التشكل

الملائكة نوع من مخلوقات الله تعالى خلقهم الله من نور كما تقدم، وأقدرهم الله على التشكل بأشكال مختلفة على غير الصورة التي خلقهم الله عليها.

وقد دلت النصوص الكثيرة على ظهور الملائكة للأنبياء وغيرهم بصورة البشر، ومن هذه الأدلة ما يلي:

١- أرسل الله جبريل إلى مريم في صورة بشر، قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾ [مريم: ١٦- ١٩].

قال القرطبي رحمه الله: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ قِيلَ: هُوَ رُوحُ

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٥/ ٢٤٩).

عِيسَى عليه السلام؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْأَرْوَاحَ قَبْلَ الْأَجْسَادِ، فَرَكَّبَ الرُّوحَ فِي جَسَدِ عِيسَى عليه السلام الَّذِي خَلَقَهُ فِي بَطْنِهَا. وَقِيلَ: هُوَ جِبْرِيلُ، وَأُضِيفَ الرُّوحُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى تَخْصِيصًا وَكَرَامَةً. وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ جِبْرِيلُ عليه السلام؛ لِقَوْلِهِ: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا﴾ أَيْ: تَمَثَّلَ الْمَلَكُ لَهَا. ﴿بَشَرًا﴾ تَفْسِيرٌ أَوْ حَالٌ. ﴿سَوِيًّا﴾ أَيْ مُسْتَوِي الْخِلْقَةِ؛ لِأَنَّهَا لَمْ تَكُنْ لِتُطِيقَ أَوْ تَنْظُرَ جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ. وَلَمَّا رَأَتْ رَجُلًا حَسَنَ الصُّورَةِ فِي صُورَةِ الْبَشَرِ قَدْ خَرَقَ عَلَيْهَا الْحِجَابَ ظَنَّتْ أَنَّهُ يُرِيدُهَا بِسُوءٍ فَ﴿قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾﴾ أَيْ مِمَّنْ يَتَّقِي اللَّهَ[(١)].

٢- وإبراهيم عليه الصلاة والسلام جاءته الملائكة في صورة بشر، ولم يعرف أنهم ملائكة حتى كشفوا له عن حقيقة أمرهم، قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات: ٢٤- ٢٨].

٣- وفي آية أخرى: ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾﴾ [هود: ٧٠].

قال ابن الجوزي رحمه الله: قوله تعالى: ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ أي: ما أقام حتى جاء بعجل حنيذ، لأنه ظنهم أضيافًا، وكانت الملائكة قد جاءته في صورة الغلمان الوِضَاء[(٢)].

٤- وجاؤوا إلى لوط في صورة شباب حسان الوجوه، وضاق لوط بهم ذرعًا وخشي عليهم من قومه فقد كانوا قوم سوء يفعلون السيئات ويأتون الذكران من العالمين، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ

(١) «تفسير القرطبي» (١١/ ٩٠).

(٢) «زاد المسير في علم التفسير» (٢/ ٣٨٥).

ذَرۡعٗا وَقَالَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَصِيبٞ ﴿٧٧﴾ ﴾ [هود: ٧٧].

قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ نَكِرَهُمۡ وَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۚ قَالُواْ لَا تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٖ﴾ [هود: ٦٩، ٧٠].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ قُدوم رُسُلِهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ بَعْدَ مَا أَعْلَمُوا إِبْرَاهِيمَ بِهَلَاكِهِمْ، وَفَارَقُوهُ وَأَخْبَرُوهُ بِإِهْلَاكِ اللَّهِ قَوْمَ لُوطٍ هَذِهِ اللَّيْلَةَ. فَانْطَلَقُوا مِنْ عِنْدِهِ، فَأَتَوْا لُوطًا عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ -عَلَى مَا قِيلَ - فِي أَرْضٍ لَهُ [يَعْمُرُهَا] وَقِيلَ: [بَلْ كَانَ] فِي مَنْزِلِهِ، وَوَرَدُوا عَلَيْهِ وَهُمْ فِي أَجْمَلِ صُورَةٍ تَكُونُ، عَلَى هَيْئَةِ شُبَّانٍ حِسَانِ الْوُجُوهِ ابْتِلَاءً مِنَ اللَّهِ [وَاخْتِبَارًا] وَلَهُ الْحِكْمَةُ وَالْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ، [فَنَزَلُوا عَلَيْهِ] فَسَاءَهُ شَأْنُهُمْ وَضَاقَتْ نَفْسُهُ بِسَبَبِهِمْ، وَخَشِيَ إِنْ لَمْ يُضِفْهم أَنْ يُضِيفَهُمْ أَحَدٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَيَنَالُهُمْ بِسُوءٍ[(١)].

٥- وقد كان جبريل يأتي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صورة دحية بن خليفة الكلبي، وتارة يأتيه في صورة أعرابي، وقد شاهده كثير من الصحابة كما في حديث عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لاَ يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلاَ يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلاَمِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الإِسْلاَمُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**»، قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ

(١) «تفسير ابن كثير» ت سلامة (٤/ ٣٣٦).

الإِيمَانِ. قَالَ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»، قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ. قَالَ: «**أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»، **قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ. قَالَ:** «**مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**» قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا. قَالَ: «**أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ**»، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «**يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟**» قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**»[(١)].

٦- عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِهِ، قَالَ: وَكَانَ جِبْرِيلُ عليه السلام يَأْتِي النَّبِيَّ ﷺ فِي صُورَةِ دِحْيَةَ[(٢)].

قال بدر الدين العيني: وَقد ثَبت أَن جِبْرِيل، عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام، كَانَ يَأْتِي النَّبِي ﷺ فِي صُورَة دحْيَة الْكَلْبِيّ، وَتارَة كَانَ يَأْتِيهِ فِي صُورَة أَعْرَابِي، وَأَتَاهُ مرَّتَيْنِ فِي صورته الَّتِي خُلِق عَلَيْهَا، مرّة منهبطًا من السَّمَاء، وَمرَّة عِنْد سِدْرَة الْمُنْتَهى[(٣)].

وقال الإمام الأصفهاني رحمه الله: قَالَ بعض الْعلمَاء: إِن الله جعل للْمَلَائِكَة أَن تتَصَوَّر بِمَا شَاءَت من الصُّور الْمُخْتَلفَة، أَلا ترى أَن جِبْرِيل أَتَى النَّبِي ﷺ فِي صُورَة دحْيَة الْكَلْبِيّ، وَمرَّة فِي صُورَة أَعْرَابِي، وَمرَّة أُخْرَى وَقد سد بجناحيه

(١) **صحيح:** أخرجه مسلم (١) كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان. وأبو داود (٤٦٩٧) باب في القدر. والنسائي (٤٩٩٠) باب نعت الإسلام. والبيهقي في «الكبرى» (٢٠٦٦٠).

(٢) **حسن:** أخرجه أحمد (٥٨٥٧)، ومحمد بن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» (٣٧٢)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣/ ١٠٤).

(٣) «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (١٥/ ١٤٣).

مَا بَين الْأُفق؟ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾[1].

٧- وقد تتمثل الملائكة في صورة البشر لغير الأنبياء، ومن ذلك ما جاء عن أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ، قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ. قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لاَ، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ ﷻ. قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ، بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ[2].

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: فِي هَذَا الْحَدِيثِ فَضْلُ الْمَحَبَّةِ فِي اللَّهِ تَعَالَى وَأَنَّهَا سَبَبٌ لِحُبِّ اللَّهِ تَعَالَى الْعَبْدَ، وَفِيهِ فَضِيلَةُ زِيَارَةِ الصَّالِحِينَ وَالْأَصْحَابِ، وَفِيهِ أَنَّ الْآدَمِيِّينَ قَدْ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ[3].

٨- وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ ثَلاَثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصَ، وَأَقْرَعَ، وَأَعْمَى، فَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا:**

فَأَتَى الأَبْرَصَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ». قَالَ: «**فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ، وَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا وَجِلْدًا حَسَنًا، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الإِبِلُ - أَوْ قَالَ: الْبَقَرُ، شَكَّ إِسْحَاقُ، إِلاَّ أَنَّ الأَبْرَصَ، أَوِ الأَقْرَعَ، قَالَ أَحَدُهُمَا: الإِبِلُ، وَقَالَ الآخَرُ: الْبَقَرُ - قَالَ: فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ، فَقَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا.**

قَالَ: فَأَتَى الأَقْرَعَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: شَعَرٌ حَسَنٌ وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ» قَالَ: «فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ، وَأُعْطِيَ شَعَرًا حَسَنًا، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْبَقَرُ. فَأُعْطِيَ بَقَرَةً حَامِلًا، فَقَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا.

---

(١) «الحجة في بيان المحجة» (٢/ ٤٣٦).

(٢) **صحيح:** أخرجه مسلم (٢٥٦٧) كتاب الإيمان.

(٣) «شرح النووي على مسلم» (١٦/ ١٢٤).

قَالَ: فَأَتَى الأَعْمَى، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: أَنْ يَرُدَّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَأُبْصِرَ بِهِ النَّاسَ». قَالَ: «فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْغَنَمُ. فَأُعْطِيَ شَاةً وَالِدًا، فَأُنْتِجَ هَذَانِ وَوَلَّدَ هَذَا».

قَالَ: فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنَ الإِبِلِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْبَقَرِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْغَنَمِ».

قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ، قَدِ انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلاَ بَلاَغَ لِي الْيَوْمَ إِلاَّ بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ، وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ، وَالْمَالَ – بَعِيرًا، أَتَبَلَّغُ عَلَيْهِ فِي سَفَرِي. فَقَالَ: الْحُقُوقُ كَثِيرَةٌ. فَقَالَ لَهُ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ، أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ؟ فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللَّهُ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا الْمَالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ. فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا، فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ».

قال: «وَأَتَى الأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَى هَذَا، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ».

قال: «وَأَتَى الأَعْمَى فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ، انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلاَ بَلاَغَ لِي الْيَوْمَ إِلاَّ بِاللَّهِ، ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ، شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي. فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَخُذْ مَا شِئْتَ، وَدَعْ مَا شِئْتَ، فَوَ اللَّهِ لاَ أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ شَيْئًا أَخَذْتَهُ لِلَّهِ. فَقَالَ: أَمْسِكْ مَالَكَ، فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ، فَقَدْ رُضِيَ عَنْكَ وَسُخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ»(١).

٩- وعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ وَمَعَهُ رَجُلاَنِ يُقَاتِلاَنِ عَنْهُ، عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ، كَأَشَدِّ القِتَالِ، مَا رَأَيْتُهُمَا قَبْلُ وَلاَ بَعْدُ(٢).

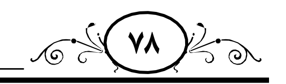
---

(١) **صحيح:** أخرجه البخاري (٣٢٧٧) كتاب الأنبياء، باب ما ذُكر عن بني إسرائيل. ومسلم (٢٩٦٤) كتاب الآداب، باب قصة الأبرص والأقرع والأعمى.

(٢) **صحيح:** أخرجه البخاري (٣٨٢٨) كتاب المغازي، باب =



المبحث الثاني: الصفات الخُلُقية



المطلب الأول: هل الملائكة مكلفون؟

نقل السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ عن الشيخ عز الدين بن جماعة في شرح بدء الأمالي قال: المكلفون على ثلاثة أقسام:

١- قسم كُلف من أول الفطرة قطعًا، وهم الملائكة وآدم وحواء.

٢- وقسم لم يكلف من أول الفطرة قطعًا، وهم أولاد آدم.

٣- وقسم فيهم نزاع والظاهر أنهم مكلفون من أول الفطرة، وهم الجان.

وفي كتاب «الفروع» - من كتب الحنابلة - ما نصه: قال أبو حامد في كتابه: الجن كالإنس في التكليف والعبادات، ومذاهب العلماء إخراج الملائكة من التكليف والوعد والوعيد. وقال بعد ورقة: كَشْف العورة خاليًا من مسألة سترها عن الملائكة والجن، وظاهر كلامهم يجب عن الجن لأنهم مكلفون أجانب، وكذا عن الملائكة مع عدم تكليفهم لأن الآدمي مكلف. والظاهر أن مراده إخراجهم عن التكليف بما كُلفنا به لا مطلقًا وإلا فهم مكلفون قطعًا كما تقدم في كلام ابن جماعة[1].

= ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾﴾، ومسلم (٢٣٠٦) كتاب الفضائل، باب في قتال جبريل وميكائيل عن النبي ﷺ.

(١) «الحبائك في أخبار الملائك» (٢٥٥).

وأمّا الأدلة على تكليف الملائكة فكما يأتي:

١- قوله تعالى: ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

قال الألوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: واستُدل بالآية على أن الملائكة مكلفون مدارون بين الخوف والرجاء، أما دلالتها على التكليف فلمكان الأمر، وأما على الخوف فهو أظهر من أن يخفى، وأما على الرجاء فهو لاستلزام الخوف على ما قيل، وقيل: إن اتصافهم بالرجاء لأن من خدم أكرم الأكرمين كان من الرجاء بمكان مكين. وزعم بعضهم أن خوفهم ليس إلا خوف إجلال ومهابة لا خوف وعيد وعذاب، ويرده قوله تعالى: ﴿وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ۝٢٨ ۞ وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ﴾ [الأنبياء: ٢٨، ٢٩] ولا ينافي ذلك عصمتهم(١).

٢- قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ۝١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْ عُبُودِيَّةِ الْمَلَائِكَةِ لَهُ، وَدَأْبِهِمْ فِي طَاعَتِهِ لَيْلًا وَنَهَارًا، فَقَالَ: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ﴾ يَعْنِي: الْمَلَائِكَةَ، ﴿لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ﴾ أَيْ: لَا يَسْتَنْكِفُونَ عَنْهَا، كَمَا قَالَ: ﴿لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ۝١٧٢﴾ [النساء: ١٧٢].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ﴾ أَيْ: لَا يَتْعَبُونَ وَلَا يَمَلُّونَ. ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ۝٢٠﴾ فَهُمْ دَائِبُونَ فِي الْعَمَلِ لَيْلًا وَنَهَارًا، مُطِيعُونَ قَصْدًا وَعَمَلًا قَادِرُونَ عَلَيْهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا

---

(١) «تفسير الألوسي = روح المعاني» (٧/ ٣٩٧).

﴿يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦](١).

٣- قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٤٩، ٥٠].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ عَظَمَتِهِ وَجَلَالِهِ وَكِبْرِيَائِهِ الَّذِي خَضَعَ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ، وَدَانَتْ لَهُ الْأَشْيَاءُ وَالْمَخْلُوقَاتُ بِأَسْرِهَا: جَمَادُهَا وَحَيَوَانَاتُهَا، وَمُكَلَّفُوهَا مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ وَالْمَلَائِكَةِ، فَأَخْبَرَ أَنَّ كُلَّ مَا لَهُ ظِلٌّ يَتَفَيَّأُ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ، أَيْ: بُكْرَةً وَعَشِيًّا، فَإِنَّهُ سَاجِدٌ بِظِلِّهِ لِلَّهِ تَعَالَى.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ أَيْ: صَاغِرُونَ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ﴾ كَمَا قَالَ: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۩ ﴿١٥﴾﴾ [الرعد: ١٥].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ أَيْ: تَسْجُدُ لِلَّه أَيْ: غَيْرَ مُسْتَكْبِرِينَ عَنْ عِبَادَتِهِ، ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ أَيْ: يَسْجُدُونَ خَائِفِينَ وَجِلِينَ مِنَ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ، ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ أَيْ: مُثَابِرِينَ عَلَى طَاعَتِهِ تَعَالَى، وَامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ، وَتَرْكِ زَوَاجِرِهِ(٢).

٤- قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنبياء: ٢٨].

قال الإمام السفاريني رَحِمَهُ اللَّهُ: الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ ظَاهِرُهُمَا تَكْلِيفُ الْمَلَائِكَةِ إِذْ فِيهِ: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]، ﴿وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ

---

(١) «تفسير ابن كثير» ت سلامة (٥/ ٣٣٦).

(٢) «تفسير ابن كثير» ت سلامة (٤/ ٥٧٥).

عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [سبأ: ١٢]، ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء: ٢٠]، ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]، وَقَالَ: ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الأنفال: ١٢] وَهَذَا كُلُّهُ تَكْلِيفٌ وَنَاشِئٌ عَنِ التَّكْلِيفِ، وَالْأَحَادِيثُ طَافِحَةٌ بِمَعْنَى ذَلِكَ[١].

قلت: والقول بتكليف الملائكة هو الراجح لما سبق ذكره من الأدلة، والله أعلم.

المطلب الثاني: عصمة الملائكة

خَلَق الله الملائكة وفَطَرهم على طاعته وعَصَمهم عن المعصية، وهذه العصمة تشمل المرسلين منهم وغير المرسلين على الراجح من أقوال أهل العلم.

وقد جاءت عدة أدلة في القرآن والسنة توضح هذا الأمر، منها ما يلي:

١- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم: ٦].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: وَقَوْلُهُ: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ أَيْ: مَهْمَا أَمَرَهُمْ بِهِ تَعَالَى يُبَادِرُوا إِلَيْهِ، لَا يَتَأَخَّرُونَ عَنْهُ طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَهُمْ قَادِرُونَ عَلَى فِعْلِهِ لَيْسَ بِهِمْ عَجْزٌ عَنْهُ. وَهَؤُلَاءِ هُمُ الزَّبَانِيَةُ عِيَاذًا بِاللَّهِ مِنْهُمْ[٢].

---

(١) «لوامع الأنوار البهية» (٢/ ٤١٠).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٨/ ١٦٨).

وقال الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ: قوله: ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ﴾ أَيْ: لَا يُخَالِفُونَهُ فِي أَمْرِهِ، وَ«مَا» فِي ﴿مَآ أَمَرَهُمۡ﴾ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مَوْصُولَةً وَالْعَائِدُ مَحْذُوفٌ، أَيْ: لَا يَعْصُونَ اللَّهَ الَّذِي أَمَرَهُمْ بِهِ. وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مَصْدَرِيَّةً، أَيْ: لَا يَعْصُونَ اللَّهَ أَمْرَهُ، عَلَى أَنْ يَكُونَ ﴿مَآ أَمَرَهُمۡ﴾ بَدَلُ اشْتِمَالٍ مِنَ الِاسْمِ الشَّرِيفِ. أَوْ عَلَى تَقْدِيرِ نَزْعِ الْخَافِضِ، أَيْ: لَا يَعْصُونَ اللَّهَ فِي أَمْرِهِ ﴿وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ أَيْ: يُؤَدُّونَهُ فِي وَقْتِهِ مِنْ غَيْرِ تَرَاخٍ، لَا يُؤَخِّرُونَهُ عَنْهُ وَلَا يُقَدِّمُونَهُ[(١)].

وقال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ **في تفسيره لهذه الآية:** ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ وهذا فيه أيضًا مدح للملائكة الكرام، وانقيادهم لأمر الله، وطاعتهم له في كل ما أمرهم به[(٢)].

٢- قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ٢٦ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٧، ٢٨].

قال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: قوله: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ﴾ نَزَلَتْ فِي خُزَاعَةَ حَيْثُ قَالُوا: الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ، ﴿سُبۡحَٰنَهُۥۚ﴾ نَزَّهَ نَفْسَهُ عَمَّا قَالُوا، ﴿بَلۡ عِبَادٞ﴾ أَيْ هُمْ عِبَادٌ، يَعْنِي الْمَلَائِكَةَ، ﴿مُّكۡرَمُونَ﴾ ﴿لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ﴾ لَا يَتَقَدَّمُونَهُ بِالْقَوْلِ وَلَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا بِمَا يَأْمُرُهُمْ بِهِ، ﴿وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ﴾ مَعْنَاهُ أَنَّهُمْ لَا يُخَالِفُونَهُ قَوْلًا وَلَا عَمَلًا[(٣)].

٣- قوله تعالى: ﴿بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ١٥ كِرَامِۭ بَرَرَةٖ﴾ [عبس: ١٥، ١٦].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: وَقَوْلُهُ: ﴿كِرَامِۭ بَرَرَةٖ ١٦﴾ أَيْ: خُلُقُهُمْ كَرِيمٌ حَسَنٌ

(١) «فتح القدير» (٥/ ٣٠٢).

(٢) «تيسير الكريم الرحمن» (١/ ٨٧٤).

(٣) «معالم التنزيل» (٥/ ٣١٥).

شَرِيفٌ، وَأَخْلَاقُهُمْ وَأَفْعَالُهُمْ بَارَّةٌ طَاهِرَةٌ كَامِلَةٌ.

وَمِنْ هَاهُنَا يَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يَكُونَ فِي أَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ عَلَى السَّدَادِ وَالرَّشَادِ(١).

٤- عن عائشة أن النبي ﷺ قال: «**مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ، وَهُوَ حَافِظٌ لَهُ مَعَ السَّفَرَةِ الكِرَامِ البَرَرَةِ، وَمَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ، وَهُوَ يَتَعَاهَدُهُ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَدِيدٌ فَلَهُ أَجْرَانِ**»(٢).

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والسفرة: الْمَلَائِكَة. وَفِي تسميتهم بالسفرة قَولَانِ:

أَحدهمَا: أَنه مَأْخُوذ من الْبَيَان والإيضاح، فسُموا سفرة: أَي كتبة؛ لِأَن الْكَاتِب يبين الشَّيْء ويوضحه، وَيُقَال لِلْكَاتِبِ: سَافر.

وَالثَّانِي: مَأْخُوذ من السفارة، والسفير: الَّذِي يُصلح بَين الِاثْنَيْنِ.

يُقَال: سفرت بَين الْقَوْم: أَي أصلحت.

وَفِيمَا يسفرون فِيهِ قَولَانِ:

أَحدهمَا: أَنهم يسفرون فِيمَا بَين الله وأنبيائه.

وَالثَّانِي: فِي صَلَاح النَّاس؛ لأَنهم ينزلون بِالْوَحْي والتأديب المصلح.

وَقَوله: «الْكِرَام البررة»: أَي كرام على رَبهم، بررة: أَي مطيعون(٣).

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٢١).

(٢) **صحيح:** أخرجه البخاري (٤٦٥٣) كتاب التفسير، باب تفسير سورة ﴿عَبَسَ﴾. ومسلم (٧٩٨) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل الماهر بالقرآن والذي يتتعتع به.

(٣) «كشف المشكل من أحاديث الصحيحين» لابن الجوزي (٤/ ٣٦٥).

وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن المعصوم من الملائكة المرسلون فقط دون غيرهم، وهذا هو القول الثاني في المسألة وقد ذكر القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ أهم ما احتجوا به من الأدلة على قولهم وردَّ على أدلتهم في كتابه الشفا وهذا نص كلامه:

«الْقَوْلِ فِي عِصْمَةِ الْمَلَائِكَةِ: أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنَّ الْمَلَائِكَةَ مُؤْمِنُونَ فُضَلَاءُ، وَاتَّفَقَ أَئِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ حُكْمَ الْمُرْسَلِينَ مِنْهُمْ حُكْمُ النَّبِيِّينَ سَوَاءً فِي الْعِصْمَةِ، مِمَّا ذَكَرْنَا عِصْمَتَهُمْ مِنْهُ، وَأَنَّهُمْ فِي حُقُوقِ الْأَنْبِيَاءِ وَالتَّبْلِيغِ إِلَيْهِمْ كَالْأَنْبِيَاءِ مَعَ الْأُمَمِ..

وَاخْتَلَفُوا فِي غَيْرِ الْمُرْسَلِينَ مِنْهُمْ، فَذَهَبَتْ طَائِفَةٌ إِلَى عِصْمَةِ جَمِيعِهِمْ عَنِ الْمَعَاصِي، وَاحْتَجُّوا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ وبقوله: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾ [الصافات: ١٦٤- ١٦٦] وَبِقَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩، ٢٠] وَبِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾ الآية [الأعراف: ٢٠٦] وبقوله: ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾ و﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [الواقعة: ٧٩] وَنَحْوِهِ مِنَ السَّمْعِيَّاتِ.

وَذَهَبَتْ طَائِفَةٌ إِلَى أَنَّ هَذَا خُصُوصٌ لِلْمُرْسَلِينَ مِنْهُمْ وَالْمُقَرَّبِينَ. وَاحْتَجُّوا بِأَشْيَاءَ ذَكَرَهَا أَهْلُ الْأَخْبَارِ وَالتَّفَاسِيرِ نَحْنُ نَذْكُرُهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بَعْدُ، وَنُبَيِّنُ الْوَجْهَ فِيهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وَالصَّوَابُ: عِصْمَةُ جَمِيعِهِمْ، وَتَنْزِيهُ نِصَابِهِمُ الرَّفِيعِ عَنْ جَمِيعِ مَا يَحُطُّ مِنْ رُتْبَتِهِمْ وَمَنْزِلَتِهِمْ عَنْ جَلِيلِ مِقْدَارِهِمْ.

وَرَأَيْتُ بَعْضَ شُيُوخِنَا أَشَارَ بِأَنْ لَا حَاجَةَ بِالْفَقِيهِ إِلَى الْكَلَامِ فِي عِصْمَتِهِمْ

وَأَنَا أَقُولُ: إِنَّ لِلْكَلَامِ فِي ذَلِكَ مَا لِلْكَلَامِ فِي عِصْمَةِ الْأَنْبِيَاءِ مِنَ الْفَوَائِدِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا سِوَى فَائِدَةِ الْكَلَامِ فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ، فَهِيَ سَاقِطَةٌ هَهُنَا.

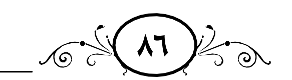
فَمِمَّا احْتَجَّ بِهِ مَنْ لَمْ يُوجِبْ عِصْمَةَ جَمِيعِهِمْ قِصَّةُ هَارُوتَ وَمَارُوتَ(١) وَمَا ذَكَرَ فِيهَا أَهْلُ الْأَخْبَارِ وَنَقَلَةُ الْمُفَسِّرِينَ، وَمَا رُوِيَ عَنْ عَلِيٍّ وَابْنِ عَبَّاسٍ فِي خَبَرِهِمَا وَابْتِلَائِهِمَا(٢).

---

(١) هاروت وماروت عَلَمان لملكين ببابل، ممنوعان من الصرف للعَلَمية والعجمة. ولو كانا عربيين من الهرت والمرت صُرفا.

(٢) **قصة هاروت وماروت قصة ضعيفة** أخرجها أحمد (٦١٧٨) وابن حبان (٦١٨٦) وعبد بن حميد في «المنتخب» (٧٨٧) والبيهقي في «الكبرى» (١٩٤٦١) و«في شعب الإيمان» (١٦٢) والبزار (٢٩٣٨) وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٦٥١) كلهم من طريق زهير بن محمد عن موسى بن جبير عن نافع مولى ابن عمر عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ آدَمَ لَمَّا أُهْبِطَ إِلَى الْأَرْضِ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: أَيْ رَبِّ** ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]، قَالُوا: رَبَّنَا نَحْنُ أَطْوَعُ لَكَ مِنْ بَنِي آدَمَ. قَالَ اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ: هَلُمُّوا مَلَكَيْنِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، فَنَنْظُرَ كَيْفَ يَعْمَلَانِ. قَالُوا: رَبَّنَا هَارُوتُ وَمَارُوتُ. قَالَ: فَاهْبِطَا إِلَى الْأَرْضِ. قَالَ: فَمُثِّلَتْ لَهُمَا الزَّهْرَةُ امْرَأَةً مِنْ أَحْسَنِ الْبَشَرِ، فَجَاءَاهَا فَسَأَلَاهَا نَفْسَهَا، فَقَالَتْ: لَا وَاللَّهِ حَتَّى تَكَلَّمَا بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ مِنَ الْإِشْرَاكِ. قَالَا: وَاللَّهِ لَا نُشْرِكُ بِاللَّهِ أَبَدًا. فَذَهَبَتْ عَنْهُمَا، ثُمَّ رَجَعَتْ بِصَبِيٍّ تَحْمِلُهُ، فَسَأَلَاهَا نَفْسَهَا، فَقَالَتْ: لَا وَاللَّهِ حَتَّى تَقْتُلَا هَذَا الصَّبِيَّ. فَقَالَا: لَا وَاللَّهِ لَا نَقْتُلُهُ أَبَدًا. فَذَهَبَتْ، ثُمَّ رَجَعَتْ بِقَدَحِ مِنْ خَمْرٍ تَحْمِلُهُ، فَسَأَلَاهَا نَفْسَهَا، فَقَالَتْ: لَا وَاللَّهِ حَتَّى تَشْرَبَا هَذَا الْخَمْرَ. فَشَرِبَا فَسَكِرَا فَوَقَعَا عَلَيْهَا وَقَتَلَا الصَّبِيَّ، فَلَمَّا أَفَاقَا، قَالَتِ الْمَرْأَةُ: وَاللَّهِ مَا تَرَكْتُمَا مِنْ شَيْءٍ أَبَيْتُمَا إِلَّا فَعَلْتُمَاهُ حِينَ سَكِرْتُمَا. فَخُيِّرَا عِنْدَ ذَلِكَ بَيْنَ عَذَابِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ، فَاخْتَارَا عَذَابَ الدُّنْيَا».

قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (١/ ٢٥٤): وهذا حديث غريب من هذا الوجه، ورجاله كلهم ثقات من رجال «الصحيحين» إلا موسى بن جبير هذا هو الأنصاري.. ذكره ابن أبي حاتم في «كتاب الجرح والتعديل» (١/ ١٣٩) ولم يَحْكِ فيه شيئًا =



. . . .

= من هذا ولا هذا، فهو مستور الحال، وقد تفرد به عن نافع.
ثم قال الحافظ ابن كثير: وأقرب ما يكون في هذا أنه من رواية عبد الله بن عمر عن كعب الأحبار لا عن النبي ﷺ، كما قال عبد الرزاق في «تفسيره»: عن الثوري عن موسى بن عقبة عن سالم عن ابن عمر عن كعب الأحبار قال: ذكرت الملائكة أعمال بني آدم وما يأتون من الذنوب فقيل لهم: اختاروا منكم اثنين. فاختاروا هاروت وماروت... إلخ.
رواه ابن جرير من طريقين عن عبد الرزاق به، ورواه ابن أبي حاتم عن أحمد بن عصام عن مؤمل عن سفيان الثوري به، ورواه ابن جرير أيضًا: حدثني المثنى أخبرنا المعلى - وهو ابن أسد - أخبرنا عبد العزيز بن المختار عن موسى بن عقبة حدثني سالم أنه سمع عبد الله يحدث عن كعب الأحبار... فذكره.
فهذا أصح وأثبت إلى عبد الله بن عمر من الإسنادين المتقدمين، وسالم أثبت في أبيه من مولاه نافع، فدار الحديث ورجع إلى نقل كعب الأحبار عن كتب بني إسرائيل.
قال الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: قلت: وقد استنكره جماعة من الأئمة المتقدمين، فقد روى حنبل الحديث من طريق أحمد ثم قال: قال أبو عبد الله (يعني الإمام أحمد): هذا منكر، وإنما يروى عن كعب، ذكره في «منتخب ابن قدامة» (١١/ ٢١٣)، وقال ابن أبي حاتم في «العلل» (٢/ ٦٩، ٧٠): سألت أبي عن هذا الحديث فقال: هذا حديث منكر.
قلت (الألباني): ومما يؤيد بطلان رفع الحديث من طريق ابن عمر أن سعيد بن جبير ومجاهدًا روياه عن ابن عمر موقوفًا عليه كما في «الدر المنثور» للسيوطي (١/ ٩٧، ٩٨) وقال ابن كثير في طريق مجاهد: وهذا إسناد جيد إلى عبد الله بن عمر، ثم هو - والله أعلم - من رواية ابن عمر عن كعب كما تقدم بيانه من رواية سالم عن أبيه، ومن ذلك أن فيه وصف الملكين بأنهما عصيا الله تبارك وتعالى بأنواع من المعاصي، على خلاف وصف الله تعالى لعموم ملائكته في قوله ﷻ: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.
انظر: «السلسلة الضعيفة» (١/ ٣٨١).

فَاعْلَمْ أَكْرَمَكَ اللَّهُ- أَنَّ هَذِهِ الْأَخْبَارَ لَمْ يُرْوَ مِنْهَا شَيْءٌ لَا سَقِيمٌ وَلَا صَحِيحٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَيْسَ هُوَ شَيْئًا يُؤْخَذُ بِقِيَاسٍ.. وَالَّذِي مِنْهُ فِي الْقُرْآنِ اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي مَعْنَاهُ، وَأَنْكَرَ مَا قَالَ بَعْضُهُمْ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ السَّلَفِ كَمَا سَنَذْكُرُهُ.

وَهَذِهِ الْأَخْبَارُ مِنْ كُتُبِ الْيَهُودِ وَافْتِرَائِهِمْ، كَمَا نَصَّهُ اللَّهُ أَوَّلَ الْآيَاتِ مِنَ افْتِرَائِهِمْ بِذَلِكَ عَلَى سُلَيْمَانَ وَتَكْفِيرِهِمْ إِيَّاهُ.

وَقَدِ انْطَوَتِ الْقِصَّةُ عَلَى شنع عَظِيمَةٍ. وَهَا نَحْنُ نُحَبِّرُ فِي ذَلِكَ مَا يَكْشِفُ غِطَاءَ هَذِهِ الْإِشْكَالَاتِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

فَاخْتُلِفَ أَوَّلًا فِي هَارُوتَ وَمَارُوتَ.. هَلْ هُمَا مَلَكَانِ أَوْ إِنْسِيَّانِ، وَهَلْ هُمَا الْمُرَادُ بِالْمَلَكَيْنِ أَمْ لَا.. وَهَلِ الْقِرَاءَةُ «مَلَكَيْنِ» أَوْ «مَلِكَيْنِ». وَهَلْ مَا فِي قوله: ﴿وَمَآ أُنزِلَ﴾ و﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ﴾ نَافِيَةٌ أَوْ مُوجِبَةٌ..؟

فَأَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ: (أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى امْتَحَنَ النَّاسَ بِالْمَلَكَيْنِ لِتَعْلِيمِ السِّحْرِ وَتَبْيِينِهِ.. وَأَنَّ عَمَلَهُ كُفْرٌ.. فَمَنْ تَعَلَّمَهُ كَفَرَ وَمَنْ تَرَكَهُ آمَنَ). قال اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ وتَعْلِيمُهُمَا النَّاسَ لَهُ تَعْلِيمُ إِنْذَارٍ.. أَيْ: يَقُولَانِ لِمَنْ جَاءَ يَطْلُبُ تَعَلُّمَهُ: لَا تَفْعَلُوا كَذَا فَإِنَّهُ يُفَرِّقُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ، وَلَا تَتَخَيَّلُوا بِكَذَا فَإِنَّهُ سِحْرٌ فَلَا تَكْفُرُوا.

فَعَلَى هَذَا: فِعْلُ الْمَلَكَيْنِ طَاعَةٌ، وَتَصَرُّفُهُمَا فِيمَا أُمِرَا بِهِ لَيْسَ بِمَعْصِيَةٍ.. وَهِيَ لِغَيْرِهِمَا فِتْنَةٌ.

كَذَلِكَ قِرَاءَةُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبْزَى بِكَسْرِ اللام، وَلَكِنَّهُ قَالَ: «المَلِكَانِ هُنَا دَاوُدُ وَسُلَيْمَانُ».. وَتَكُونُ «ما» نَفْيًا عَلَى مَا تَقَدَّمَ..

وَقِيلَ: كَانَا مَلِكَيْنِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَمَسَخَهُمَا اللَّهُ.. حَكَاهُ السَّمَرْقَنْدِيُّ. وَالْقِرَاءَةُ بِكَسْرِ اللَّامِ شَاذَّةٌ فَمَحْمَلُ الْآيَةِ عَلَى تَقْدِيرِ أَبِي مُحَمَّدٍ مَكِّيٍّ

حَسَنٌ.. يُنَزِّهُ الْمَلَائِكَةَ، وَيُذْهِبُ الرِّجْسَ عَنْهُمْ.. وَيُطَهِّرُهُمْ تَطْهِيرًا..

وَقَدْ وَصَفَهُمُ اللَّهُ بِأَنَّهُمْ «مطهّرون» و«كرام بررة» و«لا يعصون الله ما أمرهم».

وَمِمَّا يَذْكُرُونَهُ: قِصَّةُ إِبْلِيسَ وَأَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَرَئِيسًا فِيهِمْ، وَمِنْ خُزَّانِ الْجَنَّةِ.. إِلَى آخِرِ مَا حَكَوْهُ وَأَنَّهُ اسْتَثْنَاهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ بِقَوْلِهِ: ﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾.

وَهَذَا أَيْضًا لَمْ يُتَّفَقْ عَلَيْهِ.. بَلِ الْأَكْثَرُ يَنْفُونَ ذَلِكَ، وَأَنَّهُ أَبُو الجِنِّ كما آدَمَ أَبُو الْإِنْسِ وَهُوَ قَوْلُ الْحَسَنِ وَقَتَادَةَ وَابْنِ زَيْدٍ. وَقَالَ شَهْرُ بْنُ حَوْشَبٍ: «كَانَ مِنَ الْجِنِّ الَّذِينَ طَرَدَتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ فِي الْأَرْضِ حِينَ أَفْسَدُوا.. وَالِاسْتِثْنَاءُ مِنْ غَيْرِ الْجِنْسِ(١) شَائِعٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ سَائِغٌ».

وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾. وَمِمَّا رَوَوْهُ فِي الْأَخْبَارِ(٢): «أَنَّ خَلْقًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ عَصَوُا اللَّهَ فَحُرِّقُوا، وَأُمِرُوا أَنْ يَسْجُدُوا لِآدَمَ فَأَبَوْا فَحُرِّقُوا، ثُمَّ آخَرُونَ كَذَلِكَ، حَتَّى سَجَدَ لَهُ مَنْ ذَكَرَ اللَّهُ إِلَّا إِبْلِيسَ.. فِي أَخْبَارٍ لَا أَصْلَ لَهَا تَرُدُّهَا صِحَاحُ الْأَخْبَارِ.. فَلَا يُشْتَغَلُ بها. وَاللَّهُ أَعْلَمُ(٣).

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: وقد رُوي في قصة «هاروت وماروت» عن جماعة من التابعين، كمجاهد، والسدي، والحسن البصري، وقتادة، وأبي العالية، والزهري، والربيع بن أنس، ومقاتل بن حيان، وغيرهم، وقصها خلق من

---

(١) ويسمى الاستثناء المنقطع.

(٢) كما رواه ابن جرير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، وابن أبي حاتم عن يحيى ابن كثير.

(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/ ٣٩٧).

المفسرين، من المتقدمين والمتأخرين، وحاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني إسرائيل، إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الإسناد إلى الصادق المصدوق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى.

وظاهر سياق القرآن إجمال القصة من غير بسط ولا إطناب فيها، فنحن نؤمن بما ورد في القرآن على ما أراده الله تعالى، والله أعلم بحقيقة الحال[١].

فائدة: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة: ٣٠]. ليس سؤال الملائكة سؤال اعتراض، ولكنه سؤال استفسار عما خفي عليهم من الحكمة في ذلك، ولاسيما بعد ما عرفوا أنه سيكون لآدم ذرية يفسدون في الأرض[٢] ولهذا جاء الجواب ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ **في تفسير هذه الآية:** وَقَوْلُ الْمَلَائِكَةِ هَذَا لَيْسَ عَلَى وَجْهِ الِاعْتِرَاضِ عَلَى اللَّهِ، وَلَا عَلَى وَجْهِ الْحَسَدِ لِبَنِي آدَمَ، كَمَا قَدْ يَتَوَهَّمُهُ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ [وَقَدْ وَصَفَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَنَّهُمْ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ، أَيْ: لَا يَسْأَلُونَهُ شَيْئًا لَمْ يَأْذَنْ لَهُمْ فِيهِ، وَهَاهُنَا لَمَّا أَعْلَمَهُمْ بِأَنَّهُ سَيَخْلُقُ فِي الْأَرْضِ خَلْقًا. قَالَ قَتَادَةُ: وَقَدْ تَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ أَنَّهُمْ يُفْسِدُونَ فِيهَا فَقَالُوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا﴾ الْآيَةَ وَإِنَّمَا هُوَ سُؤَالُ اسْتِعْلَامٍ وَاسْتِكْشَافٍ عَنِ الْحِكْمَةِ فِي ذَلِكَ، يَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا، مَا الْحِكْمَةُ فِي خَلْقِ هَؤُلَاءِ مَعَ أَنَّ مِنْهُمْ مَنْ يُفْسِدُ فِي الْأَرْضِ وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ؟ فَإِنْ كَانَ الْمُرَادُ عِبَادَتَكَ، فَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ، أَيْ: نُصَلِّي لَكَ

---

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ٣٦٠).

(٢) «الإيمان بالملائكة» (١/ ١٤) لأحمد البيانوني.

- كَمَا سَيَأْتِي - أَيْ: وَلَا يَصْدُرُ مِنَّا شَيْءٌ مِنْ ذَلِك، وَهَلَّا وَقَعَ الِاقْتِصَارُ عَلَيْنَا؟ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى مُجِيبًا لَهُمْ عَنْ هَذَا السُّؤَالِ: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ أَيْ: إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ الْمَصْلَحَةِ الرَّاجِحَةِ فِي خَلْقِ هَذَا الصِّنْفِ عَلَى الْمَفَاسِدِ الَّتِي ذَكَّرْتُمُوهَا مَا لَا تَعْلَمُونَ أَنْتُمْ[١].

المطلب الثالث: خوف الملائكة

الخوف من الله ﷻ يكون على حَسَب القرب من الله والمنزلة عنده، وكلما كان العبد أقرب إلى الله كان خوفه منه أشد؛ لأنه يطالب بما لا يطالب به غيره، ويجب عليه ما لا يجب على غيره، فإذا كملت معرفة العبد بربه أورثت جلال الخوف، واحتراق القلب، ثم يفيض أثر الحرقة من القلب على البدن وعلى الجوارح وعلى الصفات.

وأقل درجات الخوف مما يظهر أثره على الأعمال أن يمنع عن المحظورات والمحرمات والشبهات.

والملائكة من أعرف الخلق بالله ﷻ ومن أعبد الخلق له ﷻ؛ لذلك كانوا من أخوف الخلق من ربهم مع أنبياء الله ﷻ.

وقد وردت الأدلة في إثبات هذه الصفة لهم، ومنها ما يلي:

١- قوله تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ ١٣﴾ [الرعد: ١٣].

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ المَلَائِكَةَ خَائِفُونَ مِنَ اللَّهِ لَيْسَ

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ٢١٦).

كَخَوْفِ ابْنِ آدَمَ، لَا يَعْرِفُ وَاحِدُهُمْ مَنْ عَلَى يَمِينِهِ وَمَنْ عَلَى يَسَارِهِ، لَا يَشْغَلُهُمْ عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ طَعَامٌ وَلَا شَرَابٌ[١].

وقال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: وقوله: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ﴾ وهو الصوت الذي يُسمع من السحاب المزعج للعباد، فهو خاضع لربه مسبح بحمده، «و» تسبح ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾ أي: خشعًا لربهم خائفين من سطوته[٢].

٢- قوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل: ٥٠].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: قوله: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ أَيْ: يَسْجُدُونَ خَائِفِينَ وَجِلِينَ مِنَ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ، ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ أَيْ: مُثَابِرِينَ عَلَى طَاعَتِهِ تَعَالَى، وَامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ، وَتَرْكِ زَوَاجِرِهِ[٣].

٣- قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنبياء: ٢٨].

قال الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ أَيْ: مِنْ خَشْيَتِهِمْ مِنْهُ، فَالْمَصْدَرُ مُضَافٌ إِلَى الْمَفْعُولِ، وَالْخَشْيَةُ: الْخَوْفُ مَعَ التَّعْظِيمِ، وَالإِشْفَاقُ: الخَوْفُ مَعَ التَّوَقُّعِ وَالْحَذَرِ، أَيْ: لَا يَأْمَنُونَ مَكْرَ اللَّه[٤].

٤- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ [سبأ: ٢٣].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: أَيْ: زَالَ الْفَزَعُ عَنْهَا. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَابْنُ عُمَرَ وَأَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ وَالشَّعْبِيُّ، وَإِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ، وَالضَّحَّاكُ وَالْحَسَنُ،

---

(١) «تفسير القرطبي» (٩/ ٢٩٥).

(٢) «تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن» (ص٤١٤).

(٣) «تفسير ابن كثير» ت سلامة (٤/ ٥٧٦).

(٤) «فتح القدير» (٣/ ٤٧٨).

وَقَتَادَةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ﴾ يَقُولُ: جُلِّي عَنْ قُلُوبِهِمْ. وَقَرَأَ بَعْضُ السَّلَفِ -وَجَاءَ مَرْفُوعًا-: «[حَتَّى] إذَا فُرِّغَ» بِالْغَيْنِ الْمُعْجَمَةِ، وَيَرْجِعُ إِلَى الْأَوَّلِ.

فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ يَسْأَلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ فَيُخْبِرُ بِذَلِكَ حَمَلَةُ الْعَرْشِ لِلَّذِينِ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ لِمَنْ تَحْتَهُمْ، حَتَّى يَنْتَهِيَ الْخَبَرُ إِلَى أَهْلِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ﴾ أَيْ: أَخْبَرُوا بِمَا قَالَ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَلَا نُقْصَانٍ، ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾.

وقال آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ﴾ يَعْنِي: الْمُشْرِكِينَ عِنْدَ الِاحْتِضَارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا اسْتَيْقَظُوا مِمَّا كَانُوا فِيهِ مِنَ الْغَفْلَةِ فِي الدُّنْيَا وَرَجَعَتْ إِلَيْهِمْ عُقُولُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ فَقِيلَ لَهُمْ: الْحَقُّ. وَأُخْبِرُوا بِهِ مِمَّا كَانُوا عَنْهُ لَاهِينَ فِي الدُّنْيَا.

قَالَ ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ﴾: كَشَفَ عَنْهَا الْغِطَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَقَالَ الْحَسَنُ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ﴾ يَعْنِي: مَا فِيهَا مِنَ الشَّكِّ وَالتَّكْذِيبِ. وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ﴾ يَعْنِي: مَا فِيهَا مِنَ الشَّكِّ، قَالَ: فُزِّعَ الشَّيْطَانُ عَنْ قُلُوبِهِمْ وَفَارَقَهُمْ وَأَمَانِيهِمْ وَمَا كَانَ يُضِلُّهُمْ، ﴿قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ قَالَ: وَهَذَا فِي بَنِي آدَمَ، هَذَا عِنْدَ الْمَوْتِ، أَقَرُّوا حِينَ لَا يَنْفَعُهُمُ الْإِقْرَارُ.

وَقَدِ اخْتَارَ ابْنُ جَرِيرٍ الْقَوْلَ الْأَوَّلَ: أَنَّ الضَّمِيرَ عَائِدٌ عَلَى الْمَلَائِكَةِ، وهَذَا هُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا مِرْيَةَ فِيهِ؛ لِصِحَّةِ الْأَحَادِيثِ فِيهِ وَالْآثَارِ[1].

٥- عن أَبِي هُرَيرة قال: إنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**إِذَا قَضَى اللَّهُ الأمرَ فِي**

---

(١) «تفسير ابن كثير» ط سلامة (٦/ ٥١٤).

السَّمَاءِ، ضَرَبَتِ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضعانًا لِقَوْلِهِ، كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ، فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قالوا للذي قال: الحَقَّ، وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ. فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُ السَّمْعِ، وَمُسْتَرِقُ السَّمْعِ - هَكَذَا بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ - وَوَصَفَ سُفْيَانُ بِيَدِهِ - فَحَرّفها وبَدّد بَيْنَ أَصَابِعِهِ - فَيسمع الْكَلِمَةَ، فَيُلْقِيهَا إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، ثُمَّ يُلْقِيهَا الْآخَرُ إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، حَتَّى يلقيها عَلَى لِسَانِ السَّاحِرِ أَوِ الْكَاهِنِ، فَربما أَدْرَكَهُ الشِّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا، وَرُبَّمَا أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ، فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَة، فَيُقَالُ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ لَنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا: كَذَا وَكَذَا؟ فَيُصَدَّقُ بِتِلْكَ الكَلِمَةِ الَّتِي سُمِعَتْ مِنَ السَّمَاءِ»(١).

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ **ومن فوائد هذا الحديث:**

١- إثبات القول لله عَزَّ وَجَلَّ.

٢- عظمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٣- إثبات الأجنحة للملائكة.

٤- خوف الملائكة من الله عَزَّ وَجَلَّ وخضوعهم له.

٥- أن الملائكة يتكلمون ويعقلون(٢).

٦- وعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى، وَجِبْرِيلُ كَالْحِلْسِ الْبَالِي مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ** عَزَّ وَجَلَّ»(٣).

---

(١) **صحيح:** أخرجه البخاري (٤٧٠١، ٤٨٠٠، ٧٤٨١).

(٢) «القول المفيد» (١/ ٣١٥).

(٣) **حسن لغيره:** أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٤٦٧٩) قال: حدثنا أبو زرعة قال: حدثنا عمرو بن عثمان قال: حدثنا عبيد الله بن عمرو عن عبد الكريم عن عطاء عن جابر قال النبي ﷺ: «مررت ليلة أُسري بي بالملأ الأعلى وجبريل كالحلس البالي من خشية الله عَزَّ وَجَلَّ». قال: لم يرو هذا الحديث عن عبد الكريم إلا عبيد الله =

بحث نفيس للعلامة ابن القيم يتعلق بهذا الموضوع:

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **فإن قيل:** فما وجه خوف الملائكة وهم معصومون من الذنوب التي هي أسباب المخافة وشدة خوف النبي مع علمه بأن الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وأنه أقرب الخلق إلى الله؟!

قيل: عن هذا أجوبة:

الجواب الأول: أن هذا الخوف على حَسَب القرب من الله والمنزلة عنده، وكلما كان العبد أقرب إلى الله كان خوفه منه أشد لأنه يطالب بما لا يطالب به غيره ويجب عليه من رعاية تلك المنزلة وحقوقها ما لا يجب على غيره.

ونظير هذا في المُشاهد أن الماثل بين يدي أحد الملوك المُشاهد له أشد خوفًا منه من البعيد عنه بحَسَب قربه منه ومنزلته عنده ومعرفته به وبحقوقه وأنه يطالَب من حقوق الخدمة وأدائها بما لا يطالَب به غيره، فهو أحق بالخوف من البعيد.

ومَن تَصَوَّر هذا حق تصوره فَهِم قوله: «**إني أعلمكم بالله وأشدكم له خشية**»

= ابن عمرو.

قال الهيثمي(١/٧٨): رجاله رجال الصحيح. وعمرو بن عثمان هو ابن سيار الكلابي، قال الذهبي: (تركه النسائي، ولَيَّنه العقيلي. وقال أبو حاتم: يتكلمون فيه يُحَدث من حفظه بمناكير. وقال ابن عدي: روى عنه ثقات، وهو ممن يُكتب حديثه) الميزان (٦٤٠٦) وقد تابع عمرو بن عثمان عروة بن مروان كما أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٦٢١)، ومن طريقه الأصبهاني في «الحجة» (ج ١/ رقم ٢٤٨) قال: حدثنا أيوب الوزان، ثنا عروة بن مروان نا عبيد الله بن عمرو، وموسى بن أعين، عن عبد الكريم به. وعروة بن مروان قال عنه الدارقطني: كان أميًّا ليس بقوي الحديث «ميزان الاعتدال» (٥٦١٠).

وقد صححه الألباني في «الصحيحة» (٢٢٨٩).

وفهم قوله في الحديث الذي رواه أبو داود وغيره من حديث زيد بن ثابت عن النبي أنه قال: «**إن الله تعالى لو عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمته لهم خيرًا من أعمالهم**» وليس المراد به لو عذبهم لتصرف في ملكه والمتصرف في ملكه غير ظالم كما يظنه كثير من الناس؛ فإن هذا يتضمن مدحًا، والحديث إنما سيق للمدح بغير استحقاق فإن حقه سبحانه عليهم أضعاف أضعاف ما أتوا، ولهذا قال بعده: «ولو رحمهم كانت رحمته خيرًا لهم من أعمالهم» يعني أن رحمته لهم ليست على قدر أعمالهم إذ أعمالهم لا تستقبل باقتضاء الرحمة وحقوق عبوديته وشكره التي يستحقها عليهم لم يقوموا بها فلو عذبهم والحالة هذه لكان تعذيبًا لحقه وهو غير ظالم لهم فيه ولا سيما فإن أعمالهم لا توازي القليل من نعمه عليهم فتبقى نعمه الكثيرة لا مقابل لها من شكرهم، فإذا عذبهم على ترك شكرهم وأداء حقه الذي ينبغي له سبحانه عذبهم ولم يكن ظالمًا لهم.

فإن قيل فهم إذا فعلوا مقدورهم من شكره وعبوديته لم يكن ما عداه مما ينبغي له مقدورًا لهم، فكيف يَحسن العذاب عليه؟! قيل: الجواب من وجهين:

أحدهما: أن المقدور للعبد لا يأتي به كله بل لا بد من فتور وإعراض وغفلة وتوانٍ، وأيضًا ففي نفس قيامه بالعبودية لا يوفيها حقها الواجب لها من كمال المراقبة والإجلال والتعظيم والنصيحة التامة لله فيها بحيث يبذل مقدوره كله في تحسينها وتكميلها ظاهرًا وباطنًا، فالتقصير لازم في حال الترك وفي حال الفعل؛ ولهذا سأل الصِّديق النبي دعاء يدعو به في صلاته فقال له: «**قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم**» فأخبر عن ظلمه لنفسه مؤكدًا له بأن المقتضيه ثبوت الخبر وتحققه، ثم أكده بالمصدر النافي

للتجوز والاستعارة، ثم وصفه بالكثرة المقتضية لتعدده وتكثره ثم قال: «فاغفر لي مغفرة من عندك» أي لا ينالها عملي ولا سعيي بل عملي يقصر عنها وإنما هي من فضلك وإحسانك لا بكسبي ولا باستغفاري وتوبتي. ثم قال: «وارحمني» أي ليس مُعَوَّلي إلا على مجرد رحمتك فإن رحمتني وإلا فالهلاك لازم لي فليتدبر اللبيب هذا الدعاء وما فيه من المعارف والعبودية، وفي ضمنه أنه لو عذبتني لعدلت فيَّ ولم تظلمني وإني لا أنجو إلا برحمتك ومغفرتك. ومن هذا قوله: «**لن ينجي أحدًا منكم عمله**» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل**» فإذا كان عمل العبد لا يستقل بالنجاة فلو لم ينجه الله فلم يكن قد بخسه شيئًا من حقه ولا ظلمه؛ فإنه ليس معه ما يقتضي نجاته، وعمله ليس وافيًا بشكر القليل من نعمه فهل يكون ظالمًا لو عذبه، وهل تكون رحمته له جزاء لعمله ويكون العمل ثمنًا لها مع تقصيره فيه وعدم توفيته ما ينبغي له من بذل النصيحة فيه وكمال العبودية من الحياء والمراقبة والمحبة والخشوع وحضور القلب بين يدي الله في العمل له؟!

ومَن علم هذا علم السر في كون أعمال الطاعات تُختم بالاستغفار، ففي صحيح مسلم عن ثوبان قال: كان رسول الله إذا سَلَّم من صلاته استغفر ثلاثًا وقال: «**اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام**» قال تعالى: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٧، ١٨] فأخبر عن استغفارهم عقيب صلاة الليل، قال الحسن: مدوا الصلاة إلى السحر، فلما كان السحر جلسوا يستغفرون الله. وأَمَر الله تعالى عباده بالاستغفار عقيب الإفاضة في الحج فقال: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٩٩] وشرع رسول الله للمتوضئ أن يختم وضوءه بالتوحيد والاستغفار فيقول: «أشهد أن لا إله إلا

الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين».

فهذا ونحوه مما يبين حقيقة الأمر وأن كل أحد محتاج إلى مغفرة الله ورحمته وأنه لا سبيل إلى النجاة بدون مغفرته ورحمته أصلًا.

الجواب الثاني: أنه لو فُرض أن العبد يأتي بمقدوره كله من الطاعة ظاهرًا وباطنًا، فالذي ينبغي لربه فوق ذلك وأضعاف أضعافه، فإذا عجز العبد عنه لم يستحق ما يترتب عليه من الجزاء، والذي أتى به لا يقابل أقل النعم، فإذا حُرم جزاء العمل الذي ينبغي للرب من عبده كان ذلك تعذيبًا له ولم يكن الرب ظالمًا له في هذا الحرمان، ولو كان عاجزًا عن أسبابه فإنه لم يمنعه حقًّا يستحقه عليه فيكون ظالمًا بمنعه، فإذا أعطاه الثواب كان مجرد صدقة منه وفضل تصدق بها عليه لا ينالها عمله بل هي خير من عمله وأفضل وأكثر ليست معوضة عليه، والله أعلم[١].

المطلب الرابع: عبادة الملائكة

لقد خلق الله ﷻ الملائكة وجَبَلهم على طاعته؛ لذلك فهم لا يعصون الله أبدًا، كما قال تعالى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]. والملائكة تعبد ربها بصور متعددة من العبادات التي كلفهم ربنا ﷻ بها؛ لأجل هذا فقد وصفهم ربنا بأنهم عباد مكرمون كما تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنبياء: ٢٦، ٢٧].

---

(١) «طريق الهجرتين وباب السعادتين» (١/ ٢٨٥).

ومن هذه العبادات التي كُلفت بها الملائكة ما يأتي:

أولًا: الصلاة: جاءت عدة أدلة في هذا الباب تدل على أن الملائكة يصلون لله ﷻ، منها:

١- قوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا﴾ [الصافات: ١-٣].

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: أَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِـ«الصَّافَّاتِ» هُنَا، وَالزَّاجِرَاتِ، وَالتَّالِيَاتِ: جَمَاعَاتُ الْمَلَائِكَةِ، وَقَدْ جَاءَ وَصْفُ الْمَلَائِكَةِ بِأَنَّهُمْ صَافُّونَ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى عَنْهُمْ: ﴿وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ ۝١٦٥ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡمُسَبِّحُونَ﴾ [الصافات: ١٦٥، ١٦٦].

وَمَعْنَى كَوْنِهِمْ صَافِّينَ: أَنْ يَكُونُوا صُفُوفًا مُتَرَاصِّينَ بَعْضُهُمْ جَنْبَ بَعْضٍ فِي طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى، مِنْ صَلَاةٍ وَغَيْرِهَا[1].

٢- ومن ذلك أيضًا قول النبي ﷺ: «**فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ السَّابِعَةَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قِيلَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قِيلَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ مَرْحَبًا بِهِ، وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ!! فَأَتَيْتُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنَ ابْنٍ وَنَبِيٍّ!! فَرُفِعَ لِيَ الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ، فَقَالَ: هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ**»[2].

ومن خلال هذين الدليلين نعلم أن الملائكة يصلون لربهم تبارك وتعالى، أما كيفية هذه الصلاة فتبقى غير معلومة لدينا، والعلم عند الله تعالى.

---

(١) «أضواء البيان» (٦/ ٣٠١).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٢٠٧) كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة. ومسلم (١٦٤) كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ. من حديث مالك بن صعصعة.

وقد جاء في الأدلة أن للملائكة عبادات تشبه بعض أجزاء صلاتنا المشروعة لنا، ولكن هل يؤدونها كما نؤديها نحن مجتمعة على هيئة مخصوصة أم يؤدونها على هيئات خاصة بهم مجتمعة ومتفرقة؟ كل ذلك علمه عند الله ولم يرد ما يوضح ذلك(١).

ومن هذه الهيئات:

١- الاَصطفاف أمام الله تعالى، ودليله:

١- قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ۝١٦٥ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾ [الصافات: ١٦٤، ١٦٥].

قال البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ۝١٦٥﴾ قَالَ قَتَادَةُ: هُمُ الْمَلَائِكَةُ، صَفُّوا أَقْدَامَهُمْ. وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: صُفُوفُ الْمَلَائِكَةِ فِي السَّمَاءِ لِلْعِبَادَةِ كَصُفُوفِ النَّاسِ فِي الْأَرْضِ. ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ۝١٦٦﴾ أَيْ: الْمُصَلُّونَ الْمُنَزِّهُونَ اللَّهَ عَنِ السُّوءِ، يُخْبِرُ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ [النَّبِيَّ ﷺ] أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ اللَّهَ بِالصَّلَاةِ وَالتَّسْبِيحِ، وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا بِمَعْبُودِينَ كَمَا زَعَمَتِ الْكُفَّارُ(٢).

٢- ما جاء عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**فُضِّلْنَا عَلَى النَّاسِ بِثَلَاثٍ: جُعِلَتْ صُفُوفُنَا كَصُفُوفِ الْمَلَائِكَةِ، وَجُعِلَتْ لَنَا الْأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدًا، وَجُعِلَتْ لَنَا تُرْبَتُهَا طَهُورًا إِذَا لَمْ نَجِدِ الْمَاءَ**»(٣).

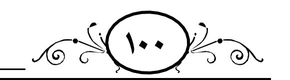
قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: واعلم أن الصفوف في الصلاة مما خص الله به هذه الأمة وشَرَّفها به؛ فإنهم أشبهوا بذلك صفوف الملائكة في السماء، كما

---

(١) «المعتقد في الملائكة المقربين» (ص١٢٩).

(٢) «تفسير البغوي» - طيبة (٧/ ٦٤).

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (١/ ٥٢٢) كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ابتناء مسجد الرسول ﷺ.

أخبر الله عنهم أنهم قالوا:  ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ١٦٥﴾ [الصافات: ١٦٥] وأقسم بالصافات صفًّا، وهم الملائكة.

وروى ابن أبي حاتم من رواية أبي نضرة، قال: كان ابن عمر إذا أقيمت الصلاة استقبل الناس بوجهه، ثم قال: أقيموا صفوفكم، استووا قيامًا، يريد الله بكم هدي الملائكة. ثم يقول: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ١٦٥﴾ [الصافات: ١٦٥]، تأخر فلان، تقدم فلان. ثم يتقدم فيكبر(١).

٣- عن جابر بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**أَلَا تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟**» قَالُوا: وَكَيْفَ يَصُفُّونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ؟ قَالَ: «**يُكَمِّلُونَ الصَّفَّ الْأَوَّلَ وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ**»(٢).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: وفيه الأمر بالسكون في الصلاة والخشوع فيها والإقبال عليها، وأن الملائكة يصلون، وأن صفوفهم على هذه الصفة، والله أعلم(٣).

٤- وأخرج عبد الرزاق عن عكرمة قال: صفوف أهل الأرض على صفوف أهل السماء، فإذا وافق آمين في الأرض آمين في السماء غُفر للعبد(٤).

قال الحافظ في «الفتح» (٢/٢٦٥): ومثله لا يقال بالرأي فالمصير إليه

(١) «فتح الباري» لابن رجب (٤/ ٢٥٠).

(٢) **صحيح:** أخرجه مسلم (٤٣٠) كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها.

(٣) «شرح النووي على مسلم» (٤/ ١٥٤).

(٤) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٢/ ٩٨) عن معمر قال: حدثني من سمع عكرمة به.
وإسناده فيه ضعف لجهالة مَن حَدَّث معمرًا. ولكن يشهد له ما جاء في الصحيح من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «**إذا أَمَّن الإمام فأمِّنوا فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غُفر له ما تقدم من ذنبه**» أخرجه البخاري (٧٤٧)، ومسلم (٨٤٥).

أَوْلى.

٥- **قال الشيخ ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: الملائكة لها عبادات متنوعة وهم عليهم الصلاة والسلام ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ وتأمل قوله: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ ولم يقل: «يسبحون في الليل والنهار؛ لأنهم يستوعبون الوقت كله في التسبيح.

ومن عباداتهم عند ربهم أنهم يصفون عند الله ﷻ كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾ وكيف صفوفهم؟ قال النبي ﷺ: «**يكملون الأول فالأول ويتراصون**» إذن فنحن إذا صففنا بين يدي الله في صلاتنا ينبغي أن نكون كالملائكة يكملون الأول فالأول ويتراصون الأول فالأول، كما أنه من سنة الملائكة عند الله ﷻ ومما رغب فيه النبي ﷺ، فهو من الأمور التي ينبغي أن يتزاحم الناس عليها[١].

فائدة: نستفيد من اصطفاف الملائكة عند ربهم أنهم منظمون في كل شئونهم، فهم منظمون في عبادتهم، وقد حثنا النبي ﷺ على الاقتداء بهم في ذلك، فقال: «**ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها؟**» وقد فَضَّلَنَا الله على بقية الأمم بأن جعل صفوفنا كصفوف الملائكة. ويوم القيامة كذلك تأتي الملائكة صفوفًا منتظمة، كما في قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: ٢٢]. ويقفون صفوفًا بين يدي الله تبارك وتعالى، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾﴾ [النبأ: ٣٨]. والروح هو جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ[٢].

---

(١) «شرح رياض الصالحين» (٥/ ١٠٥).

(٢) «عالم الملائكة الأبرار» (١/ ٢٤).

٢- الركوع والسجود، ودليلهما ما يأتي:

١- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٦].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مَدَحَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ، فَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ﴾ وَإِنَّمَا ذَكَّرَهُمْ بِهَذَا لِيُتَشَبَّهَ بِهِمْ فِي كَثْرَةِ طَاعَتِهِمْ وَعِبَادَتِهِمْ[1].

٢- قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٤٩، ٥٠].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَقَوْلُهُ: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ أَيْ: تَسْجُدُ لِلَّهِ أَيْ: غَيْرَ مُسْتَكْبِرِينَ عَنْ عِبَادَتِهِ، ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ أَيْ: يَسْجُدُونَ خَائِفِينَ وَجِلِينَ مِنَ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ، ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ أَيْ: مُثَابِرِينَ عَلَى طَاعَتِهِ تَعَالَى، وَامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ، وَتَرْكِ زَوَاجِرِهِ[2].

٣- عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنِّي أَرَى مَا لا تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لا تَسْمَعُونَ، أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحَقٌّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ؛ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ** ﷻ، **وَاللَّهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرُشِ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَى اللَّهِ** ﷻ، **وَلَوَدِدْتُ أَنِّي شَجَرَةٌ تُعْضَدُ**»[3].

قال الهروي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قَوْلِهِ: (إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ لِلَّهِ سَاجِدًا) أَيْ:

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٥٣٩).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٥٧٦).

(٣) تقدم تخريجه.

مُنْقَادًا؛ لِيَشْمَلَ مَا قِيلَ: إِنَّ بَعْضَهُمْ قِيَامٌ، وَبَعْضَهُمْ رُكُوعٌ، وَبَعْضَهُمْ سُجُودٌ، كَمَا قَالَ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْهُمْ: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾﴾ [الصافات: ١٦٤] أَوْ خَصَّهُ بِاعْتِبَارِ الْغَالِبِ مِنْهُمْ، أَوْ هَذَا مُخْتَصٌّ بِإِحْدَى السَّمَاوَاتِ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ(١).

٤- عن الْعَلَاءِ بْنِ سَعْدٍ - وَقَدْ شَهِدَ الْفَتْحَ وَمَا بَعْدَهَا - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ يَوْمًا لِجُلَسَائِهِ: «**هَلْ تَسْمَعُونَ مَا أَسْمَعُ؟**» قَالُوا: وَمَا تَسْمَعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحَقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ، إِنَّهُ لَيْسَ فِيهَا مَوْضِعُ قَدَمٍ إِلَّا وَعَلَيْهِ مَلَكٌ قَائِمٌ أَوْ رَاكِعٌ أَوْ سَاجِدٌ، وَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ:** ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾»(٢).

ثانيًا: حج الملائكة:

عالم الملائكة عالم غيبي لذلك فالقول فيه يجب أن يكون مبنيًّا على دليل من الكتاب والسنة وما لم يرد فيه دليل من الكتاب ولا من السنة فلا يمكن أن نقول به.

وبالبحث تبين أنه لا يوجد دليل على أن الملائكة يحجون.

أما ما استند عليه بعض أهل العلم كابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ﴿٤﴾﴾ [الطور: ٤] قال رَحِمَهُ اللَّهُ: ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ فِي حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ -بَعْدَ مُجَاوَزَتِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ-: «**ثُمَّ رُفِعَ بِي إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفًا لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ**»(٣) يَعْنِي: يَتَعَبَّدُونَ فِيهِ وَيَطُوفُونَ، كَمَا يَطُوفُ أَهْلُ الْأَرْضِ

---

(١) «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٨/ ٣٣٥٠).

(٢) **صحيح:** أخرجه محمد بن نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٢٥٥) باب سجود أهل السماء. وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٢/ ٣٨١) من طريق ابن منده. وقال المناوي في «الفيض» (٥٣٦): وهذا الحديث حسن أو صحيح.

(٣) سبق تخريجه.

بِكَعْبَتِهِمْ، كَذَلِكَ ذَاكَ الْبَيْتُ، هُوَ كَعْبَةُ أَهْلِ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ؛ وَلِهَذَا وَجَدَ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ عليه السلام مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ؛ لِأَنَّهُ بَانِي الْكَعْبَةِ الْأَرْضِيَّةِ، وَالْجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ، وَهُوَ بِحِيَالِ الْكَعْبَةِ، وَفِي كُلِّ سَمَاءٍ بَيْتٌ يَتَعَبَّدُ فِيهِ أَهْلُهَا، وَيُصَلُّونَ إِلَيْهِ، وَالَّذِي فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا يُقَالُ لَهُ: بَيْتُ الْعِزَّةِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ[1].

فالذي جاء في الحديث أنهم يدخلون البيت للصلاة فقط، وليس فيه ما يدل صراحة على أنهم يطوفون به.

أما الرواية التي ذُكرت عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «**يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَطُوفُونَ بِهِ وَيُصَلُّونَ فِيهِ ثُمَّ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ أَبَدًا**»[2]. فهي رواية ضعيفة، فيها بشر أبو حذيفة، وهو رجل متروك[3]. وعليه فليس هناك دليل صريح يُثبت عبادة الحج للملائكة، والله أعلم.

ثالثًا: التسبيح:

من أعظم العبادات التي تقوم بها الملائكة تقربًا لرب العالمين عبادة التسبيح، فهم يسبحون الله تعالى الليل والنهار لا يفترون، ولكثرة تسبيحهم فإنهم ذكروا أنهم المسبحون على الحقيقة كما دل عليه الدليل وسيأتي، وما كثرة تسبيحهم إلا لأن التسبيح أفضل الذكر.

ومن الأدلة على أن الملائكة يسبحون ربهم ويذكرونه:

١- قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٧/ ٤٢٧).

(٢) «تفسير الطبري» (٢٧/ ١٦).

(٣) قال الهيثمي في «المجمع» (٧/ ١١٤): رواها الطبراني -عن ابن عباس مرفوعًا- وفيها بشر أبو حذيفة، وهو متروك.

تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾ [غافر: ٧].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: يُخْبِرُ تَعَالَى عَنِ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ الْأَرْبَعَةِ، وَمَنْ حَوْلَهُ مِنَ الْكُرُوبِيِّينَ(١)، بِأَنَّهُمْ ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾، أَيْ: يَقْرِنُونَ بَيْنَ التَّسْبِيحِ الدَّالِّ عَلَى نَفْيِ النَّقَائِصِ، وَالتَّحْمِيدِ الْمُقْتَضِي لِإِثْبَاتِ صِفَاتِ الْمَدْحِ، ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ أَيْ: خَاشِعُونَ لَهُ أَذِلَّاءُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأَنَّهُمْ «يَسْتَغْفِرونَ لِلَّذينَ آمَنُوا» أَيْ: مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ مِمَّنْ آمَنَ بِالْغَيْبِ، فَقَيَّضَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مَلَائِكَتَهُ الْمُقَرَّبِينَ أَنْ يَدْعُوا لِلْمُؤْمِنِينَ بِظَهْرِ الْغَيْبِ(٢).

٢- قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الزمر: ٧٥].

قال الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ أَيْ: مُحِيطِينَ مُحَدِّقِينَ بِهِ، يُقَالُ: حَفَّ الْقَوْمُ بِفُلَانٍ: إِذَا أَطَافُوا بِهِ. و«مِنْ» مَزِيدَةٌ. قَالَهُ الْأَخْفَشُ، أَوْ لِلِابْتِدَاءِ، وَالْمَعْنَى: أَنَّ الرَّائِيَ يَرَاهُمْ بِهَذِهِ الصِّفَةِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ. وَجُمْلَةُ ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ﴾ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ عَلَى الْحَالِ، أَيْ: حَالَ كَوْنِهِمْ مُسَبِّحِينَ للَّه مُتَلَبِّسِينَ بِحَمْدِهِ. وَقِيلَ: مَعْنَى «يُسَبِّحُونَ» يُصَلُّونَ حَوْلَ الْعَرْشِ شُكْرًا لِرَبِّهِمْ(٣).

٣- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾﴾ [غافر: ٢٠٦].

قال القاسمي رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ يعني الملائكة الذين هم في

---

(١) لم أقف على دليل صحيح يُثبت تسمية بعض الملائكة من حملة العرش بالكروبيين وإن كان قد جاء في كلام بعض أهل العلم كابن تيمية وغيره.

(٢) «تفسير ابن كثير» (٧/ ١٣٠).

(٣) «فتح القدير» (٤/ ٥٤٩).

أعلى مقامات القرب ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾ أي لا يتعظمون عنها. وقوله: ﴿وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ﴾ أي: فينبغي أن يُقتدى بهم فيما ذُكر عنهم، ففيه حث ولطف مرغب في ذلك؛ لأنه إذا كان أولئك - وهم ما هم في قرب المنزلة والعصمة - حالهم في عبادته تعالى وتسبيحه ما ذُكر، فكيف ينبغي أن يكون غيرهم؟[1].

٤- قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩، ٢٠].

قال ابن عطية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يعم الملائكة والنبيين وغيرهم، ثم خصص من هذا العموم من أراد تشريفه من الملائكة بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ﴾ لأن «عند» هنا ليست في المسافات إنما هي تشريف في المنزلة، فوصفهم تعالى بأنهم لا يَسْتَكْبِرُونَ عن عبادة الله ولا يسأمونها ولا يكلون فيها. والحسير من الإبل المعيي، ومنه قول الشاعر: [الطويل].

لهن الوجى لم يكن عونًا على النوى ... ولا كان منها طالع وحسير

وحسر واستحسر بمعنى واحد، وهذا موجود في كثير من الأفعال وإن كان الباب في (استفعل) أن يكون لطلب الشيء.

وقوله تعالى: ﴿لَا يَفْتُرُونَ﴾، رُوي عن كعب الأحبار أنه قال: جعل الله التسبيح كالنَّفَس وطرف العين للبشر منهم دائبًا دون أن يلحقهم فيه سآمة[2].

٥- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟

---

(١) «محاسن التأويل» (٥/ ٢٤٩).

(٢) «تفسير ابن عطيه» (٤/ ٧٧).

أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة: ٣٠].

قال البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ قَالَ الْحَسَنُ: نَقُولُ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، وَهُوَ صَلَاةُ الْخَلْقِ وَصَلَاةُ الْبَهَائِمِ وَغَيْرِهِمَا سِوَى الْآدَمِيِّينَ وَعَلَيْهَا يُرْزَقُونَ.

قوله: ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ أَيْ نُثْنِي عَلَيْكَ بِالْقُدْسِ وَالطَّهَارَةِ وَقِيلَ: وَنُطَهِّرُ أَنْفُسَنَا لِطَاعَتِكَ وَقِيلَ: وَنُنَزِّهُكَ[(١)].

٦- قوله تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الشورى: ٥].

قال الإمام الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: وقوله: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ يقول تعالى ذكره: والملائكة يصلون بطاعة ربهم وشكرهم له من هيبة جلاله وعظمته. كما حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ قال: والملائكة يسبحون له من عظمته.

وقوله: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ يقول: ويسألون ربهم المغفرة لذنوب من في الأرض من أهل الإيمان به. كما حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ قال: للمؤمنين[(٢)].

٧- قوله تعالى: ﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾﴾ [فصلت: ٣٨].

---

(١) «تفسير البغوي» (١/ ٧٩).

(٢) «تفسير الطبري» (٢١/ ٥٠٢).

قال الإمام الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾﴾ قال: يقول تعالى ذكره: فإن استكبر يا محمد هؤلاء الذين أنت بين أظهرهم من مشركي قريش، وتعظموا عن أن يسجدوا لله الذي خلقهم وخلق الشمس والقمر؛ فإن الملائكة الذين عند ربك لا يستكبرون عن ذلك، ولا يتعظمون عنه، بل يسبحون له، ويُصَلون ليلًا ونهارًا، ﴿وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ﴾ يقول: وهم لا يفترون عن عبادته، ولا يملون الصلاة له[(١)].

٨- عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ سئل: أي الكلام أفضل؟ قال: «**ما اصطفى الله لملائكته – أو لعباده – سبحان الله وبحمده**»[(٢)].

وفي رواية الترمذي عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ عاده أو أن أبا ذر عاد رسول الله ﷺ فقال: بأبي أنت يا رسول الله أي الكلام أحب إلى الله عَزَّ وَجَلَّ؟ قال: «**ما اصطفى الله لملائكته: سبحان ربي وبحمده سبحان ربي وبحمده**»[(٣)].

رابعًا: دعاء الملائكة:

من أظهر أنواع العبادات عند الملائكة الدعاء، وقد نُقل ذلك عنهم في كثير من الأدلة الواردة في القرآن والسنة.

والملاحظ أن دعاء الملائكة ينقسم إلى قسمين: (دعاء عام، ودعاء خاص) وإليك الأدلة على كل قسم منهما:

---

(١) «تفسير الطبري» (٢١/ ٤٧٤).

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٧٣١) كتاب الذكر والدعاء، باب فضل سبحان الله وبحمده.

(٣) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٣٥٩٣) وقال: حسن صحيح. والحاكم في «المستدرك» (١٨٤٦) وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

أولًا الدعاء العام: قال الله ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب: ٤٣].

قال أبو جعفر رحمه الله: وقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ﴾ يقول تعالى ذكره: ربكم الذي تذكرونه الذكر الكثير وتسبحونه بكرة وأصيلًا إذا أنتم فعلتم ذلك، الذي يرحمكم، ويثني عليكم هو ويدعو لكم ملائكته.

وقيل: إن معنى قوله: ﴿يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ﴾: يشيع عنكم الذكر الجميل في عباد الله.

وقوله: ﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ﴾ يقول: تدعو ملائكة الله لكم؛ فيخرجكم الله من الضلالة إلى الهدى، ومن الكفر إلى الإيمان(١).

وقال ابن كثير رحمه الله: وأما الصلاة من الملائكة فبمعنى الدعاء للناس والاستغفار(٢).

وقد نقل مثل هذا المعنى عن أبي العالية الرياحي حيث قال: صَلاَةُ اللهِ عَلَى النَّبِيِّ: ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ المَلاَئِكَةِ، وَصَلاَةُ المَلاَئِكَةِ الدُّعَاءُ(٣).

ثانيًا: الدعاء الخاص: دلت النصوص من الكتاب والسنة على أن الملائكة تدعوا للمؤمنين بسبب أفعال صالحة مخصوصة يقومون بها، كما وردت أيضًا أدلة أخرى تدل على أن الملائكة تدعو على الكافرين وتلعنهم بسبب أفعالهم السيئة، كما أنها تدعو على العصاة من هذه الأمة بسبب بعض الذنوب التي يقومون بها، ومن ذلك ما يلي:

(١) «تفسير الطبري = جامع البيان» ت شاكر (٢٠/ ٢٧٩).
(٢) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٤٩٦).
(٣) «صحيح البخاري» ط الشعب (٦/ ١٥١) كتاب تفسير القرآن.

دعاؤهم للمؤمنين لقيامهم بأفعال مخصوصة:

١- دعاؤهم لطالب العلم ومعلمه: عَنْ كَثِيرِ بْنِ قَيْسٍ، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ أَبِي الدَّرْدَاءِ فِي مَسْجِدِ دِمَشْقَ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ، أَتَيْتُكَ مِنَ الْمَدِينَةِ، مَدِينَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ لِحَدِيثٍ بَلَغَنِي أَنَّكَ تُحَدِّثُ بِهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ. قَالَ: فَمَا جَاءَ بِكَ تِجَارَةٌ؟ قَالَ: لاَ. قَالَ: وَلاَ جَاءَ بِكَ غَيْرُهُ؟ قَالَ: لاَ. قَالَ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، حَتَّى الْحِيتَانُ فِي الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلاَ دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**»[(١)].

٢- الدعاء لمنتظر الصلاة: إذا جلس العبد في المسجد ينتظر الصلاة أو جلس يذكر الله بعد انقضاء الصلاة، فإن الملائكة تدعو له بالمغفرة والرحمة ما دام في مصلاه الذي صلى فيه، ما لم يُحْدث.

---

(١) **حسن:** رواه أبو داود كتاب العلم (٢٦٤١)، وابن ماجه المقدمة (٢٢٣)، وأحمد (٢١٧١٥)، والدارمي (٣٤٩) والطحاوي في «المشكل» (٩٨٢) والبغوي في «شرح السنة» (١٢٩) وابن حبان (٨٨) كلهم من طريق عاصم بن رجاء بن حيوة: حدثني داود بن جميل عن كثير بن قيس به. وفي إسناده داود بن جميل، وهو ضعيف.
ورواه الترمذي كتاب العلم (٢٦٨٢)، وأحمد (٢١٧١٥) من طريق محمد بن يزيد الواسطي: حدثنا عاصم بن رجاء عن قيس بن كثير به. أي: بإسقاط داود بن جميل.
قال الترمذي: وليس هو عندي بمتصل.
ورواه أبو داود (٢٦٤٢) من طريق محمد بن الوزير الدمشقي: حدثنا الوليد بن مسلم قال: لقيت شبيب بن شيبة فحدثني عن عثمان بن أبي سودة عن أبي الدرداء بمعناه.
وشبيب مجهول. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٥٧٧).

والدليل على ذلك ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**المَلائِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلاَّهُ الَّذِي صَلَّى فِيهِ، مَا لَمْ يُحْدِثْ، تَقُولُ: اللهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللهُمَّ ارْحَمْهُ**»[١].

قال ابن بطال رحمه الله: قال المهلب: معنى هذا الباب أن الحدث في المسجد خطيئة يُحْرَم بها المُحْدِث استغفار الملائكة ودعاءهم المرجو بركته، ويدل على ذلك قول الرسول: «**النخامة في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها**»، فلما كان للنخامة كفارة قيل للمتنخم: تمادَ في المسجد في صلاتك وابقَ فيه مدعوًّا لك، ولما لم يكن للحدث في المسجد كفارة ترفع أذاه كما رفع الدفن أذى النخامة لم يتمادَ الاستغفار له ولا الدعاء، وجب زوال الملائكة عنه لما آذاهم به من الرائحة الخبيثة، والله أعلم.

فمَن كان كثير الذنوب وأراد أن يحطها الله عنه بغير تعب، فليغتنم ملازمة مكان مصلاه بعد الصلاة ليستكثر من دعاء الملائكة واستغفارهم له، فهو مرجو إجابته لقوله: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وقد أخبر عليه السلام أنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غُفر له ما تقدم من ذنبه، وتأمين الملائكة إنما هو مرة واحدة عند تأمين الإمام، ودعاؤهم لمن قعد في مصلاه دائمًا أبدًا ما دام قاعدًا فيه، فهو أحرى بالإجابة[٢].

٣- دعاؤهم للذين يَصِلون الصفوف ويَسُدون الفُرَج: جاء في السنة الدليل على أن الملائكة تدعو للذين يَصِلون الصفوف في الصلاة، فعن عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ عز وجل وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الَّذِينَ يَصِلُونَ**

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٣٤) باب الحدث في المسجد. ومسلم (٦٤٩) في المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاة الجماعة وانتظار الصلاة.

(٢) «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٢/ ٩٥).

الصُّفُوفَ»[١].

قال المناوي رَحِمَهُ اللهُ: أَي: يغفر لَهُم وَيَأْمُر مَلَائكَته بالاستغفار لَهُم[٢].

٤- دعاؤهم لأهل الصفوف المتقدمة في الصلاة: والدليل على ذلك ما جاء عن البراء بن عازب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الصَّفِّ الأَوَّلِ**»[٣] وفي رواية: «**إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الصُّفُوفِ الأُوَلِ**»[٤] وفي رواية: «**إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الصُّفُوفِ المُتَقَدِّمَةِ**»[٥].

٥- دعاؤهم لمن صلى على النبي ﷺ: والدليل على ذلك ما جاء عن عامر بن ربيعة قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا صَلَّى عَلَيَّ أَحَدٌ صَلَاةً إِلَّا صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ**

---

(١) **حسن لغيره:** أخرجه ابن خزيمة (١٥٥٠)، وابن حبان (٢١٦٣)، وأحمد (٢٤٣٨)، وابن المنذر في «الأوسط» (١٩٨٣)، والحاكم (٧٧٥)، والبيهقي في «الكبرى» (٥٣٩٢) من طريق أسامة بن زيد عن عثمان بن عروة عن أبيه عن عائشة، به. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. وأخرجه ابن ماجه (٩٩٥) من طريق إسماعيل بن عياش قال: حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة به. وأخرجه الطبراني في «الأوسط» (٣٧٧١) من طريق غانم بن الأحوص عن صالح السمان عن أبي هريرة به. وأخرجه أيضًا في «الأوسط» (٥٠٦٧) من طريق أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال: حدثني عباد بن تميم عن عبد الله بن زيد به.
وقد صحح الحديث الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «صحيح سنن أبي داود» (٦٨٠).

(٢) «التيسير بشرح الجامع الصغير» (١/ ٢٦٣).

(٣) **صحيح:** أخرجه ابن ماجه (٩٩٧) كتاب إمامة الصلاة. وأحمد (١٨٦١٦)، والبزار (٥٠٨).
وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٨٣٥).

(٤) رواية صحيحة أخرجها أبو داود (٦٦٤) كتاب الصلاة.

(٥) رواية صحيحة: أخرجها أحمد (١٨٦٤٠).

مَا دَامَ يُصَلِّي عَلَيَّ، فَلْيُقِلَّ عَبْدٌ مِنْ ذَلِكَ أَوْ لِيُكْثِرْ»[١].

٦- دعاؤهم للمنفق في سبيل الله: ورد في السنة أن الملائكة تدعو لمن أنفق من ماله في سبيل الله بأن يُخْلف الله عليه في ماله، فقد جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فِيهِ إِلاَّ مَلَكَانِ يَنْزِلاَنِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا. وَيَقُولُ الآخَرُ: اللهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا**»[٢].

قال القاضي عياض رحمه الله: هذا - والله أعلم - في الإنفاق في الواجبات والمندوبات والحقوق المتعينة في المال والإنفاق بالمعروف، ويصدقه قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ [سبأ: ٣٩]، وقوله: ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ [الإسراء: ٢٩] وقوله عليه السلام للذي أراد الصدقة بجميع ماله: «**أمسك عليك بعضه فهو خير لك**»، وفيه الحض على الإنفاق ورجاء قَبول دعوة الملائكة[٣].

٧- دعاؤهم للمتسحرين: والدليل على ذلك ما جاء عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الْمُتَسَحِّرِينَ**»[٤].

---

(١) **حسن لغيره:** أخرجه ابن ماجه (٩٠٧)، وأحمد (١٥٦٨٩)، وابن المبارك في المسند (٤٩)، والطيالسي في المسند (١٢٣٨) كلهم من طرق عن عاصم بن عبيد الله عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ، عَنْ أَبِيهِ به، وعاصم بن عبيد الله ضعيف كما قال الحافظ في «التقريب» (٣٠٦٥): وللحديث شواهد يُحَسَّن بها. وقد صححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٦٢٠).

(٢) **صحيح:** أخرجه البخاري (١٤٤٢) بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾، ومسلم (١٠١٠) في الزكاة، باب في المنفق والممسك.

(٣) «إكمال المعلم بشرح صحيح مسلم» (٣/ ٥٣١).

(٤) **حسن:** أخرجه ابن حبان (٣٤٦٧)، والطبراني في «الأوسط» (٦٤٣٤)، وأبو نعيم =

قال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَإِن الله وَمَلَائِكَته يصلونَ على المتسحرين) وَصَلَاة الله عَلَيْهِم رَحمته إيَّاهُم وَصَلَاة الْمَلَائِكَة اسْتِغْفَار[1].

٨- دعاؤهم لمن عاد مريضًا: صح عن النبي ﷺ أن العبد إذا زار أخاه المريض فإن الله تعالى يكافئه بأن تدعو له الملائكة حتى يصبح إن كانت زيارته لأخيه بالمساء، فإذا كانت زيارته لأخيه المريض في الصباح دعت له الملائكة حتى يمسي، فقد جاء عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى قَالَ: جَاءَ أَبُو مُوسَى إِلَى الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ يَعُودُهُ فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: أَعَائِدًا جِئْتَ أَمْ شَامِتًا؟ قَالَ: لاَ بَلْ عَائِدًا. قَالَ: فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ عَائِدًا فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِذَا عَادَ الرَّجُلُ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ مَشَى فِي خِرَافَةِ الْجَنَّةِ**[2] **حَتَّى يَجْلِسَ فَإِذَا جَلَسَ غَمَرَتْهُ الرَّحْمَةُ فَإِنْ كَانَ غُدْوَةً صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُمْسِيَ، وَإِنْ كَانَ مَسَاءً صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُصْبِحَ**»[3].

= في «الحلية» (٨/ ٣٢٠) من طرق عن ابن عمر. وأخرجه أحمد (١١١٠١) من طريق يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ أَبِي رِفَاعَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**السَّحُورُ أَكْلُهُ بَرَكَةٌ، فَلَا تَدَعُوهُ، وَلَوْ أَنْ يَجْرَعَ أَحَدُكُمْ جُرْعَةً مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّ اللهَ** ﷻ **وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الْمُتَسَحِّرِينَ**».

قال المنذري (٢/ ٩٠): إسناده قوي. وقال الهيثمي (٣/ ١٥٠): فيه أبو رفاعة، ولم أجد من وثقه ولا جرحه، وبقية رجاله رجال الصحيح.

والحديث حسنه الألباني في «صحيح الجامع» (١٨٤٤).

(١) «التيسير بشرح الجامع الصغير» (٢/ ٦٩).

(٢) أي: في اجتناء ثمر الجنة. وانظر: «النهاية» (٢/ ٢٤) لابن الأثير.

(٣) **اختُلِفَ في وقفه ورفعه:** أخرجه أبو داود (٣٠٩٩)، والنسائي في «الكبرى» (٧٤٩٤) وابن ماجه (١٤٤٢) وأحمد (٦١٢)، وهناد في «الزهد» (٣٧٢)، وأبو يعلى (٢٦٢)، والبيهقي (٦٣٧٦)، والبزار (٦٢٠) والحاكم (١٢٩٣) والضياء (٦٣٧) وقال: إسناده صحيح. =

٩- تأمينهم على من حضر عند المريض أو الميت: ينبغي لمن حضر عند المريض أو الميت أن يدعو له بما ورد وأن يتجنب الدعاء بالسوء عليه أو على نفسه أو أهله، فقد ورد أن الملائكة تُؤَمِّن على دعاء من دعا عند المريض أو الميت[١].

فعن أم سلمة رضي الله عنها قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِذَا حَضَرْتُمُ الْمَرِيضَ فَقُولُوا خَيْرًا فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ**»[٢].

قال النووي رحمه الله: قَوْلُهُ ﷺ: «**إِذَا حَضَرْتُمُ الْمَرِيضَ أَوِ الْمَيِّتَ فَقُولُوا خَيْرًا فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ**» فِيهِ النَّدْبُ إِلَى قَوْلِ الْخَيْرِ حِينَئِذٍ مِنَ الدُّعَاءِ وَالِاسْتِغْفَارِ لَهُ وَطَلَبِ اللُّطْفِ بِهِ وَالتَّخْفِيفِ عَنْهُ وَنَحْوِهِ. وَفِيهِ حُضُورُ الْمَلَائِكَةِ حِينَئِذٍ وَتَأْمِينُهُمْ[٣].

= والحديث قد اختلف في رفعه ووقفه، وقد مال الإمام الدارقطني إلى القول بوقفه على علي رضي الله عنه، حيث قال بعد أن ذكر طرق هذا الحديث: ويشبه أن يكونَ القولُ قول شعبة عن الحكم عن عبد الله بن نافع عن علي موقوفًا لكثرة من رواه عن شعبة كذلك. ولكن ذهب الإمام أبو داود إلى أن الرفع صحيح فقال رحمه الله بعد أن أخرج هذا الحديث برقم (٣١٠٠) من طريق جرير، عن منصور، عن الحكم، به، موقوفًا أيضًا، ثم قال: أسند هذا عن علي عن النبي ﷺ من غير وجه صحيح. وقال ابن عبد البر في التمهيد (٢٧/ ٥٢): وَهَذَا حَدِيثٌ مُسْنَدٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ ثَابِتُ الْإِسْنَادِ، شَرِيفُ الْمَعْنَى رَفِيعٌ - وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا. وإلى هذا مال الشيخ الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٣/ ٣٥٣) رقم (١٣٦٧).

(١) «المعتقد في الملائكة المقربين» (١١٢) د/ محمد العقيل.

(٢) **صحيح:** أخرجه مسلم (٩١٩) كتاب الجنائز، باب في إغماض الميت والدعاء له، والترمذي (٩٧٧)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (١٠٦٩) باب مَا يَقُول إِذا مَاتَ لَهُ ميت، وابنُ ماجه (١٤٤٧) كتاب الجنائز، بَابُ مَا جَاءَ فِيمَا يُقَالُ عِنْدَ الْمَرِيضِ إِذَا حُضِرَ، والطبراني في «الدعاء» (١١٥١).

(٣) «شرح النووي على مسلم» (٦/ ٢٢٢).

١٠- تأمينهم على من يدعو لأخيه المسلم: فقد جاء عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَدْعُو لأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ إِلاَّ قَالَ الْمَلَكُ: وَلَكَ بِمِثْلٍ**»(١).

وفي رواية عَنْ صَفْوَانَ، وَهُوَ ابْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ صَفْوَانَ، وَكَانَتْ تَحْتَهُ الدَّرْدَاءُ، قَالَ: قَدِمْتُ الشَّامَ، فَأَتَيْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فِي مَنْزِلِهِ، فَلَمْ أَجِدْهُ وَوَجَدْتُ أُمَّ الدَّرْدَاءِ، فَقَالَتْ: أَتُرِيدُ الْحَجَّ الْعَامَ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ. قَالَتْ: فَادْعُ اللَّهَ لَنَا بِخَيْرٍ؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «**دَعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ كُلَّمَا دَعَا لأَخِيهِ بِخَيْرٍ، قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلٍ**»(٢).

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ: «**دَعْوَة الْمَرْء الْمُسلم لِأَخِيهِ بِظهْر الْغَيْب مستجابة، عِنْد رَأسه ملك مُوكل، كلما دَعَا لِأَخِيهِ بِخَير قَالَ الْملك الْمُوكل بِهِ: آمين، وَلَك بِمثل**» قَوْله: «يظْهر الْغَيْب» أَي وَهُوَ غَائِب، وَذِكر الظّهْر تَأْكِيد للغيبة وَنفي للحضور. وَإِنَّمَا كَانَت دَعْوَة الْمُسلم لِأَخِيهِ بِظهْر الْغَيْب مستجابة لِأَنَّهُ لم يشرها سوى الدّين، فَكَانَت لذَلِك خَالِصَة، إِذْ لَيْسَ عِنْده بحاضر فَيُقَال: تَمَلَّقَه، والخالص لَا يُرد. وَلما وَقعت الْمُنَاسبَة بَين الْمَلَك وَالْمُسلم فِي التدين والتعبد أوجبت نِيَابَة الْملك عَن الْمُسلم، فَهُوَ يَقُول: «وَلَك بِمثل» أَي: بِمثل مَا دَعَوْت(٣).

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٧٣٢) كتاب الآداب، باب فَضْلِ الدُّعَاءِ لِلْمُسْلِمِينَ بِظَهْرِ الْغَيْبِ، والطبراني في «الدعاء» (١٣٢٨)، والبيهقي في «الكبرى» (٦٢٢٤).

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٧٣٣) كتاب الآداب، باب فَضْلِ الدُّعَاءِ لِلْمُسْلِمِينَ بِظَهْرِ الْغَيْبِ، وأبو داود (١٥٣٦) باب الدُّعَاءِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ، وابن ماجه (٢٨٩٥) باب فضل دعاء الحاج.

(٣) «كشف المشكل من حديث الصحيحين» (٢/ ١٦٣).

١١- دعاؤهم لأرواح المؤمنين:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: إِذَا خَرَجَتْ رُوحُ الْمُؤْمِنِ تَلَقَّاهَا مَلَكَانِ يُصْعِدَانِهَا. قَالَ حَمَّادٌ: فَذَكَرَ مِنْ طِيبِ رِيحِهَا وَذَكَرَ الْمِسْكَ. قَالَ: وَيَقُولُ أَهْلُ السَّمَاءِ: رُوحٌ طَيِّبَةٌ جَاءَتْ مِنْ قِبَلِ الأَرْضِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكِ وَعَلَى جَسَدٍ كُنْتِ تَعْمُرِينَهُ!! فَيُنْطَلَقُ بِهِ إِلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ يَقُولُ: انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى آخِرِ الأَجَلِ. قَالَ: وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا خَرَجَتْ رُوحُهُ. قَالَ حَمَّادٌ وَذَكَرَ مِنْ نَتْنِهَا، وَذَكَرَ لَعْنًا، وَيَقُولُ أَهْلُ السَّمَاءِ رُوحٌ: خَبِيثَةٌ جَاءَتْ مِنْ قِبَلِ الأَرْضِ. قَالَ فَيُقَالُ: انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى آخِرِ الأَجَلِ. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَرَدَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَيْطَةً كَانَتْ عَلَيْهِ عَلَى أَنْفِهِ، هَكَذَا[1].

١٢- دعاؤهم بالسلامة على جنبتي الصراط: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الشَّفَاعَةَ فَقَالَ: «**إِنَّ النَّاسَ يُعْرَضُونَ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ وَعَلَيْهِ حَسَكٌ وَكَلَالِيبُ تَخْطَفُ النَّاسَ، وَبِجَنْبَتَيْهِ الْمَلَائِكَةُ، يَقُولُونَ: اللهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ**»[2].

دعاؤهم على العصاة والكافرين لقيامهم بأفعال مخصوصة:

كما ذكرنا أن الملائكة تدعو للمؤمنين بسبب أفعال مخصوصة يقومون بها من جنس الطاعات، فإنه قد ثبت أيضًا أن الملائكة تلعن الكفار وتبغضهم بسبب كفرهم، كما أنها تدعو على العصاة من هذه الأمة بسبب قيامهم ببعض الذنوب.

ومن الأدلة على ذلك ما يلي:

---

(١) **صحيح:** أخرجه مسلم (٢٨٧٢) كتاب الآداب، باب في خروج روح المؤمن وروح الكافر، والبزار في «المسند» (٩٥٣٤)، وابن منده في «الإيمان» (١٠٦٩).

(٢) **صحيح:** أخرجه ابن حبان (٧٣٧٩)، وأحمد (١١٢٠٢)، وأبو يعلى (١٢٥٣)، وابن منده في «الإيمان» (٨٢٨) كلهم من طرق عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري.

١- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾﴾ [البقرة: ١٦١].

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾، إن الذين جحدوا نبوة محمد ﷺ وكذبوا به من اليهود والنصارى وسائر أهل الملل، والمشركين من عبدة الأوثان ﴿وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾، يعني: وماتوا وهم على جُحودهم ذلك وتكذيبهم محمدًا ﷺ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ﴾، يعني: فأولئك الذين كفروا وماتوا وهم كفار عليهم لعنة الله، يقول: أبعدهم الله وأسحقهم من رحمته ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ يعني ولَعنهم الملائكةُ والناس أجمعون. ولعنة الملائكة والناس إياهم قولهم: عليهم لعنة الله[١].

٢- قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [آل عمران: ٨٦ - ٨٨].

قال القاسمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ أي الموصوفون بما تقدم ﴿جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ﴾ أي طرده وغضبه ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ المراد بالناس إما المؤمنين أو العموم، فإن الكافر أيضًا يلعن منكر الحق والمرتد عنه، فقد لعن نفسه[٢].

٣- قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأعراف: ٤٤].

---

(١) «تفسير الطبري = جامع البيان» ت شاكر (٣/ ٢٦١).

(٢) «تفسير القاسمي = محاسن التأويل» (٢/ ٣٤٦).

قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ﴾ هَذَا سُؤَالُ تَقْرِيعٍ وَتَعْيِيرٍ. ﴿أَن قَدۡ وَجَدۡنَا﴾ مِثْلَ ﴿أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ﴾ أَيْ أَنَّهُ قَدْ وَجَدْنَا. وَقِيلَ: هُوَ نَفْسُ النِّدَاءِ. ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ﴾ أَيْ نَادَى وَصَوَّتَ، يَعْنِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ... وَيُرْوَى أَنَّ طَاوُسًا دَخَلَ عَلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فَقَالَ لَهُ: اتَّقِ اللَّهَ وَاحْذَرْ يَوْمَ الْأَذَانِ. فَقَالَ: وَمَا يَوْمُ الْأَذَانِ؟ قَالَ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فَصُعِقَ هِشَامٌ. فَقَالَ طَاوُسٌ: هَذَا ذُلُّ الصِّفَةِ فَكَيْفَ ذُلُّ الْمُعَايَنَةِ؟![1].

٤- قوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعۡرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ [هود: ١٨، ١٩].

قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: ﴿وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾ يَعْنِي الْمَلَائِكَةَ الْحَفَظَةَ. عَنْ مُجَاهِدٍ وَغَيْرِهِ. وَقَالَ سُفْيَانُ: سَأَلْتُ الْأَعْمَشَ عَنِ «الْأَشْهَادِ» فَقَالَ: الْمَلَائِكَةُ. وَقَالَ الضَّحَّاكُ: هُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالْمُرْسَلُونَ، دَلِيلُهُ قَوْلُهُ: ﴿فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ﴿٤١﴾﴾ [النساء: ٤١]. وَقِيلَ: الْمَلَائِكَةُ وَالْأَنْبِيَاءُ وَالْعُلَمَاءُ الَّذِينَ بَلَّغُوا الرِّسَالَاتِ[2].

فهذه الآيات التي مرت معنا دليل على أن الملائكة تلعن الكفار الذين يكفرون بالله تعالى ورسوله.

أمّا عن دعاء الملائكة على بعض العصاة من هذه الأمة الذين يقترفون بعض المعاصي فهو كالآتي:

(١) «تفسير القرطبي» (٧/ ٢٠٩).

(٢) «تفسير القرطبي» (٩/ ١٨).

١- دعاؤهم على المحدث في مدينة رسول الله ﷺ:

عن أنس رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «**المدينة حرم من كذا إلى كذا. لا يُقطع شجرها ولا يحدث فيها حدث، مَن أحدث فيها حدثًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين**»[١].

قال بدر الدين العيني رحمه الله: قَوْله: «فَعَلَيهِ لعنة الله...» إِلَى آخِره، هَذَا وَعِيد شَدِيد لمن ارْتكب هَذَا، قَالُوا: المُرَاد باللعن هُنَا الْعَذَاب الَّذِي يسْتَحقّهُ على ذَنبه والطرد عَن الْجنَّة، لِأَن اللَّعْن فِي اللُّغَة هُوَ الطّرد والإبعاد، وَلَيْسَ هِيَ كلعنة الْكفَّار الَّذين يبعدون من رَحْمَة الله تَعَالَى كل الإبعاد[٢].

وقال رحمه الله **أيضًا:** قَوْله: (حَدثًا)، بِفَتْح الدَّال، وَهُوَ الْأَمر الْمُنكر الَّذِي لَيْسَ بمعتاد وَلَا مَعْرُوف فِي السّنة، والمُحْدِث، بِكَسْر الدَّال، وَهُوَ الَّذِي ينصر جانيًا أَو أَواه وَأَجَارَهُ من خَصمه وَحَال بَينه وَبَين من يقْتَصّ مِنْهُ. ويروى بِفَتْح الدَّال، وَهُوَ الْأَمر المبتدع نَفسه[٣].

٢- لَعْنهم من سب أصحاب رسول الله ﷺ:

فكما تقدم من أمر الملائكة أنهم يحبون الصالحين ويدعون لهم ويوالونهم، فإنهم يبغضون من عادى المؤمنين وآذاهم بل يلعنونهم؛ لذلك فإنهم يلعنون من سب الصحابة وانتقصهم؛ لأن مَن فعل ذلك زنديق مبغض للقرآن والسنة كما قال أبو زرعة الرازي: (إذا رأيت الرجل ينتقص أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول ﷺ عندنا حق

---

(١) **صحيح:** أخرجه البخاري (١٧٦٨) باب حرم المدينة، ومسلم (١٣٦٦) في الحج، باب فضل المدينة ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة.

(٢) «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (١٠/ ٢٢٩).

(٣) «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (١٥/ ٩٤).

والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنة أصحاب رسول الله ﷺ وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليُبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أَوْلى وهم زنادقة)[١].

والدليل على لعن الملائكة من سب أصحاب رسول الله ما جاء عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ سَبَّ أَصْحَابِي فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**»[٢].

---

(١) «الكفاية» للخطيب البغدادي (١/ ٤٩) ط. المكتبة العلمية - المدينة المنورة.

(٢) **حسن بمجموع طرقه:** أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٢٧٠٩) قال: حَدَّثَنِي عِيسَى بْنُ الْقَاسِمِ الصَّيْدَلَانِيُّ الْبَغْدَادِيُّ، ثنا الْحَسَنُ بْنُ قَزَعَةَ، ثنا عَبْدُ اللهِ بْنُ خِرَاشٍ، عَنِ الْعَوَّامِ بْنِ حَوْشَبٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي الْهُذَيْلِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ به. وفي إسناده عبد الله بن خراش وهو ضعيف كما قال ابن حجر في «التقريب» (٣٢٩٣) ونُقل عن ابن عمار أنه أطلق عليه الكذب.

وأخرجه أيضًا في «الكبير» (١٣٥٨٨) قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرٍ الْقَطَّانُ الْهَمْدَانِيُّ، ثنا عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ مُسْلِمٍ الْجُرْجَانِيُّ، ثنا عَبْدُ اللهِ بْنُ سَيْفٍ، عَنْ مَالِكِ بْنِ مِغْوَلٍ، عَنْ عَطَاءٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ سَبَّ أَصْحَابِي**» وفي إسناده عبد الله بن سيف، قال الذهبي في الميزان (٢/ ٤٣٨): قال ابن عدي: رأيت له غير حديث منكر. وقال العقيلي: حديثه غير محفوظ.

وأخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» (٨) والخلال في «السنة» (٨٣٣)، والآجري في «الشريعة» (١٩٩٤)، والطبراني في «الدعاء» (٢١٠٨) من طريق عَلِيِّ بْنِ يَزِيدَ الصُّدَائِيِّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو شَيْبَةَ الْجَوْهَرِيُّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ أُنَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا نُسَبُّ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ سَبَّ أَصْحَابِي فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ، وَالْمَلَائِكَةِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا**».

وفيه أَبُو شَيْبَةَ الْجَوْهَرِيُّ وهو ضعيف كما قال ابن حجر في «التقريب» (٧٨٥٥).

وأخرجه الدارقطني في الأفراد (١٢) من طريق محمد بن عبد الملك بن =

٣- لَعْنهم من أشار بالسلاح على المسلم:

عَنِ ابْنِ سِيرِينَ قال: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ: قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ: **«مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ حَتَّى يَدَعَهُ، وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لأَبِيهِ وَأُمِّه»**(١).

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ: فِيهِ تَأْكِيدُ حُرْمَةِ الْمُسْلِمِ وَالنَّهْيُ الشَّدِيدُ عَنْ تَرْوِيعِهِ وَتَخْوِيفِهِ وَالتَّعَرُّضِ لَهُ بِمَا قَدْ يُؤْذِيهِ. وَقَوْلُهُ ﷺ: «وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ» مُبَالَغَةٌ فِي إِيضَاحِ عُمُومِ النَّهْيِ فِي كُلِّ أَحَدٍ، سَوَاءٌ مَنْ يُتَّهَمُ فِيهِ وَمَنْ لَا يُتَّهَمُ، وَسَوَاءٌ كَانَ هَذَا هَزْلًا وَلَعِبًا أَمْ لَا؛ لِأَنَّ تَرْوِيعَ الْمُسْلِمِ حَرَامٌ بِكُلِّ حَالٍ وَلِأَنَّهُ قَدْ يَسْبِقُهُ السِّلَاحُ كَمَا صَرَّحَ بِهِ فِي الرِّوَايَةِ الْأُخْرَى. وَلَعْنُ الْمَلَائِكَةِ لَهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ حَرَامٌ. وَقَوْلُهُ ﷺ: فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ حَتَّى وَإِنْ كَانَ هَكَذَا فِي عَامَّةِ النُّسَخِ وَفِيهِ مَحْذُوفٌ وَتَقْدِيرُهُ حَتَّى يَدَعَهُ وَكَذَا وَقَعَ فِي بَعْضِ النُّسَخِ(٢).

= أَبي الشوارب، حَدَّثَنا أبو عوانة، عَن الأعمش، عَن أَبي صالح، عَن أَبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تسبوا أصحابي، لعن الله مَن سب أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أُحد ذهبًا ما بلغ مُد أحدهم ولا نَصيفه»**. وفيه الأعمش وقد روى عن أبي صالح مولى أم هانئ ولم يسمع منه كما نقل الحافظ في التهذيب (٤/ ٢٢٤) عن عبد الله ابن الإمام أحمد عن أبيه قال: الأعمش عن أبي صالح مولى أم هانئ منقطع.

وأخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٣٠٨٦) قال: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ عَطَاءٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَنْ سَبَّ أَصْحَابِي فَعَلَيْهِ لَعَنْةُ اللهِ»**. وهو مرسل عن عطاء وإسناده صحيح ويشهد للأحاديث المسندة السابقة.

وقد ذهب إلى تحسينه بمجموع طرقه الألباني رَحِمَهُ اللهُ كما في «السلسلة الصحيحة» (٥/ ٤٦٦) رقم (٢٣٤٠).

(١) **صحيح:** أخرجه مسلم (٢٦١٦) كتاب الآداب، بَابُ النَّهْيِ عَنِ الإِشَارَةِ بِالسِّلَاحِ إِلَى مُسْلِمٍ، والطبراني في «الأوسط» (٤١٦٩).

(٢) «شرح النووي على مسلم» (١٦/ ١٧٠).

٤- لَعْنهم مَن انتسب إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه:

١- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﵄، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنِ انْتَسَبَ إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ أَوْ تَوَلَّى غَيْرَ مَوَالِيهِ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**»(١).

٢- وعَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**مَنْ تَوَلَّى قَوْمًا بِغَيْرِ إِذْنِ مَوَالِيهِ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لاَ يُقْبَلُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَدْلٌ وَلاَ صَرْفٌ**»(٢).

قال الخطابي ﵀: قوله: «بغير إذن مواليه» ليس بشرط في جواز أن يفعل ذلك أو يستبيحه إذا أذن مواليه في ذلك، وإنما معناه أنه ليس له أن يوالي غير مواليه بحال ولا يجوز له أن يخونهم في نفسه وأن يقطع حقوقهم من ولائه مستسرًّا له يقول: فليستأذنهم إذا سولت له نفسه فعل هذا الصنيع فإنهم إذا علموا ذلك منعوه ولم يأذنوا له فيه فلا يمكنه حينئذٍ أن يوالي غيرهم وأن يُحَول ولاءه إلى قوم سواهم، وإنما لا يجوز ذلك لأن الولاء لحمة كلحمة النسب لا ينتقل بحال، كما لا ينتقل النسب إلا ما جاء في أن الولاء للكبر، وهذا ليس فيه نقل للولاء عن أصله إنما هو تنزيل وترتيب له فيما بين ورثة المعتق وتقديم الأقرب منه على الأبعد(٣).

٥- لَعْنهم مَن حال بين ولي المقتول وبين القاتل أو الدية:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﵄، رَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ قَتَلَ فِي عِمِّيَّةٍ أَوْ**

---

(١) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه (٢٦٠٩) باب مَنِ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ أَوْ تَوَلَّى غَيْرَ مَوَالِيهِ.

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٥٠٨) كتاب العتق، باب من تولى قومًا بغير إذن مواليه، وأبو داود في «سننه» (٥١١٦) باب فِي الرَّجُلِ يَنْتَمِي إِلَى غَيْرِ مَوَالِيهِ، وأبو عوانة في «المستخرج» (٤٨٢١) باب حظر بيع الولاء وهبته.

(٣) «معالم السنن» (٤/ ١٤٨).

عَصَبِيَّةٍ بِحَجَرٍ أَوْ سَوْطٍ أَوْ عَصًا، فَعَلَيْهِ عَقْلُ الْخَطَأِ، وَمَنْ قَتَلَ عَمْدًا فَهُوَ قَوَدٌ، وَمَنْ حَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لاَ يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلاَ عَدْلٌ»(١).

قَوْلُهُ: (مَنْ قَتَلَ) عَلَى بِنَاءِ الْفَاعِلِ (فِي عِمِّيَّةٍ) بِكَسْرِ عَيْنٍ وَحُكِيَ ضَمُّهَا، وَبِكَسْرِ مِيمٍ وَبِمُثَنَّاةٍ تَحْتِيَّةٍ مُشَدَّدَةٍ: هِيَ الْأَمْرُ الَّذِي لَا يَسْتَبِينُ وَجْهُهُ، وَقِيلَ: هِيَ كِنَايَةٌ عَنْ جَمَاعَةٍ مُجْتَمِعِينَ عَلَى أَمْرٍ مَجْهُولٍ لَا يُعْرَفُ أَنَّهُ حَقٌّ أَوْ بَاطِلٌ. قَالَ السُّيُوطِيُّ: هِيَ فَعِّيلَةٌ مِنَ الْعَمَى وَهِيَ الضَّلَالَةُ؛ كَالْقِتَالِ فِي الْعَصَبَةِ وَالْأَهْوَاءِ. (أَوْ عَصَبِيَّةٍ) ضُبِطَ بِفَتْحَتَيْنِ، قَالَ السُّيُوطِيُّ: هِيَ الْمُحَامَاةِ وَالْمُدَافَعَةِ، وَالْعَصَبِيُّ هُوَ الَّذِي يَعْصِبُ لِعَصَبَتِهِ، أَيْ: أَقَارِبِهِ وَيُحَامِي عَنْهُمْ.

قَوْلُهُ: (فَهُوَ قَوَدٌ) بِفَتْحَتَيْنِ، أَيْ: قَتْلُهُ سَبَبٌ لِلْقِصَاصِ (لَا يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ) قِيلَ: أَيْ: تَوْبَةٌ لِمَا فِيهَا مِنْ صَرْفِ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ مِنْ حَالَةِ الْمَعْصِيَةِ إِلَى حَالَةِ

(١) **صحيح**: أخرجه النسائي (٤٧٩٠) باب كم دية شبه العمد، وابن ماجه (٢٦٣٥) بَابُ مَنْ حَالَ بَيْنَ وَلِيِّ الْمَقْتُولِ وَبَيْنَ الْقَوَدِ أَوِ الدِّيَةِ، والبزار في «المسند» (٤٧١٤)، والدارقطني في «سننه» (٣١٤٠) كتاب الحدود والديات، والبيهقي في «الكبرى» (١٥٨٢٣) كلهم من طرق عن محمد بن كثير ثنا سليمان بن كثير عن عمرو بن دينار عن طاوس عن ابن عباس رفعه.

وأخرجه الدارقطني في «سننه» (٤٨) عن إِبْرَاهِيمَ بْنِ حَمَّادٍ، نا إِبْرَاهِيمُ بْنُ هَانِئٍ، نا عُثْمَانُ بْنُ صَالِحٍ، نا بَكْرُ بْنُ مُضَرَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، حَدَّثَنِي طَاوُسٌ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ به، وإسناده صحيح.

وأخرجه الطبراني في «الأوسط» (٢٢٦) قال: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ رِشْدِينَ قَالَ: نا مُحَمَّدُ ابْنُ سُفْيَانَ الْحَضْرَمِيُّ قَالَ: نا بَكْرُ بْنُ مُضَرَ، عَنْ حَمْزَةَ النَّصِيبِيِّ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، عَنْ طَاوُسٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ به، وفي إسناده حمزة النصيبي وهو متروك متهم بالوضع كما قال الحافظ في «التقريب» (١٥١٩).

الطَّاعَةِ (وَلَا عَدْلٌ) أَيْ: فِدَاءٌ، مَأْخُوذٌ مِنَ التَّعَادُلِ وَهُوَ التَّسَاوِي؛ لِأَنَّ فِدَاءَ الْأَسِيرِ يُسَاوِيهِ، وَالْمُرَادُ التَّغْلِيظُ وَالتَّشْدِيدُ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ[١].

٦- لَعْنهم المرأة التي تهجر فراش زوجها: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ، فَأَبَتْ، فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا، لَعَنَتْهَا المَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ»**[٢].

قال ابن بطال رَحِمَهُ اللَّهُ: قال المهلب: هذا يوجب أن منع الحقوق كلها في الأبدان كانت أو في الأموال مما يوجب سخط الله تعالى، إلا أن يتغمدها بعفوه. وفيه: جواز لعن العاصي المسلم إذا كان على وجه الإرهاب عليه لئلا يواقع الفعل، فإذا واقعه فإنه يدعى له بالتوبة والهداية. وفيه: أن الملائكة تدعو على أهل المعاصي ما داموا في المعصية، وذلك يدل أنهم يدعون لأهل الطاعة ما داموا فيها[٣].

خامسًا: هل تقرأ الملائكة القرآن؟

لم يَرِد دليل صحيح يُثبت أن الملائكة تقرأ القرآن؛ لذلك نقل الإمام السيوطي فتوى ابن الصلاح رَحِمَهُ اللَّهُ في ذلك حيث قال: ورد أن الملائكة لم يُعطَوا فضيلة القرآن، وهي حريصة لذلك على سماعه من الإنس[٤].

---

(١) انظر: «حاشية السندي على سنن ابن ماجه» (٢/ ١٤٠).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٠٦٥) كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم: آمين والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غُفر له ما تقدم من ذنبه، ومسلم (١٤٣٦) كتاب النكاح، باب تحريم امتناعها من فراش زوجها.

(٣) «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٧/ ٣١٦).

(٤) «الحبائك في أخبار الملائك» (٢٥٨) باب مسائل متناثرة.



المطلب الخامس: حياء الملائكة

من صفات الملائكة التي يتصفون بها صفة الحياء، جاء عن الرسول ﷺ في الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها: أن الرسول ﷺ كان مضطجعًا في بيتها، كاشفًا عن فخذيه أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحال، فتحدث، ثمّ استأذن عمر فأذن له وهو كذلك، فتحدث، ثم استأذن عثمان، فجلس الرسول ﷺ وسوّى ثيابه، فدخل، فتحدث، فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتش له ولم تُبَالِهِ[١] ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل عثمان، فجلست، وسويت ثيابك؟! فقال: «**ألا أستحيي من رجل تستحيي منه الملائكة؟!**»[٢].

قَالَ أبو الحسن الهروي: «أَلَا أَسْتَحْيِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحْيِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ» بِالْيَاءَيْنِ فِي الْفِعْلَيْنِ وَهِيَ اللُّغَةُ الْفُصْحَى. قَالَ النَّوَوِيُّ: فِيهِ فَضِيلَةٌ ظَاهِرَةٌ لِعُثْمَانَ رضي الله عنه وَأَنَّ الْحَيَاءَ صِفَةٌ جَمِيلَةٌ مِنْ صِفَاتِ الْمَلَائِكَةِ[٣].

---

(١) يروى: تهتش بالتاء باثنتين من فوقها، ويروى بحذفها، وفتح الهاء، وهو من الهشاشة وهي الخفة والاهتزاز والنشاط عند لقاء من يُفرح بلقائه. يقال: هشَّ وبشَّ، وتبشبش، كلها بمعنى واحد.

(ولم تباله) أي: لم تعتنِ بأمره، وأصله من البال وهو الاحتفال بالشيء، والاعتناء به، والفكر فيه نقول: جعلته من بالي وفكري.

انظر: «المفهم لما أشكل من كتاب تلخيص مسلم» للقرطبي (٣/ ١٠٨٣).

(٢) **صحيح:** أخرجه مسلم (٢٤٠١) كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عثمان بن عفان.

(٣) «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٩/ ٣٩١٧).

المطلب السادس: الملائكة يحبون ويبغضون

من الصفات الثابتة للملائكة أنهم يحبون ويبغضون، فهم يحبون من أحبه الله من أهل التقى والإيمان، ويبغضون من أبغضه الله من أهل الكفر والطغيان.

ومن الأدلة على ذلك ما جاء عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلانًا فَأَحِبَّهُ. قَالَ: «فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ». قَالَ: ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الأَرْضِ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ: إِنِّي أُبْغِضُ فُلانًا فَأَبْغِضْهُ». قَالَ: «فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ فُلانًا فَأَبْغِضُوهُ». قَالَ: «فَيُبْغِضُونَهُ، ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الأَرْضِ»**(١).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: وَحُبُّ جِبْرِيلَ وَالْمَلَائِكَةِ يُحْتَمَلُ وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا: اسْتِغْفَارُهُمْ لَهُ وَثَنَاؤُهُمْ عَلَيْهِ وَدُعَاؤُهُمْ. وَالثَّانِي: أَنَّ مَحَبَّتَهُمْ عَلَى ظَاهِرِهَا الْمَعْرُوفِ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ وَهُوَ مَيْلُ الْقَلْبِ إِلَيْهِ وَاشْتِيَاقُهُ إِلَى لِقَائِهِ. وَسَبَبُ حُبِّهِمْ إِيَّاهُ كَوْنُهُ مُطِيعًا لِلَّهِ تَعَالَى مَحْبُوبًا لَهُ. وَمَعْنَى يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ، أَيِ الْحُبُّ فِي قُلُوبِ النَّاسِ وَرِضَاهُمْ عَنْهُ، فَتَمِيلُ إِلَيْهِ الْقُلُوبِ وَتَرْضَى عَنْهُ. وَقَدْ جَاءَ فِي رِوَايَةٍ: «فَتُوضَعُ لَهُ الْمَحَبَّةُ»(٢).

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري مختصرًا (٣٢٠٩) كتاب بَدْءِ الخَلْقِ، باب ذِكْرِ المَلاَئِكَةِ، ومسلم بتمامه (٢٦٣٧) كتاب الآداب، باب إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا.

(٢) «شرح النووي على مسلم» (١٦/ ١٨٤).



المطلب السابع: الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم

ورد في بعض الأدلة أن الملائكة تتأذى من بعض الأشياء التي يتأذى منها الإنسان؛ لذلك ينبغي للمؤمن أن يجتنب مثل هذه الأمور حتى لا يؤذيهم، حتى لا يُحْرَم رفقتهم له التي فيها الكثير من البركة والنفع اللذين يعودان عليه.

ومن الأشياء التي تؤذي الملائكة ما يلي:

أولًا: أكل الثوم والبصل لمن أراد الذَّهاب إلى المسجد:

١- جاء عن حابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ أَكْلِ الْبَصَلِ وَالْكُرَّاثِ، فَغَلَبَتْنَا الْحَاجَةُ، فَأَكَلْنَا مِنْهَا، فَقَالَ: «**مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ الْمُنْتِنَةِ، فَلاَ يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا؛ فَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ تَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ الإِنْسُ**»(١).

قال ابن حجر الهيتمي رَحِمَهُ اللهُ: **وسئلتُ**: هل الحفظة يتأذون من أكل الأشياء الكريهة الريح ومن كثرة التردد إلى الخلاء والأماكن النجسة والمغصوبة وما فيها شبهة ومن الجشاء المتغير ومن نحو الصنان؟ وإذا تأذوا فهل يدعون بموت المؤذي أو بإصلاح حاله ليستريحوا؟

فأجبت: الذي في الحديث الصحيح أن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم، ذكر ﷺ ذلك تعليلًا لنهيه لمن أكل الثوم أو البصل أو الكراث أو الفجل ألا يدخل المسجد: «**مَن أكل ثومًا أو بصلًا أو كراثًا أو فجلًا، فلا يقربن**

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٥٦٤) كتاب الصلاة، باب مَنْ أَكَلِ ثُومًا، أَوْ بَصَلًا، أَوْ كُرَّاثًا. والنسائي (٧٠٧) باب مَنْ يُمْنعُ مِنَ الْمَسْجِدِ. وابن ماجه (٣٣٦٥) كتاب الأطعمة، بَابُ أَكْلِ الثُّومِ وَالْبَصَلِ وَالْكُرَّاثِ.

مسجدنا أو المساجد فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم».

وهذا ظاهر في شموله للحفظة وفي عموم تأذيهم مما يتأذى منه الآدمي، فيشمل ذلك تأذيهم بكل ذي ريح كريه سواء ريح لخلاء أو غيره، إلا أنه سيأتي أن الحفظة يفارقونه حالة دخول الخلاء، وعلى فرض تأذيهم فظاهر النصوص أنهم لا يدعون على الآدمي وإنما يدعون له، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْۖ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾ إلى قوله: ﴿وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ والمراد بمن حوله الملائكة كما قال قتادة[١].

٢- ومن ذلك أيضًا ما جاء عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: **«مَنْ أَكَلَ ثُومًا أَوْ بَصَلاً فَلْيَعْتَزِلْنَا - أَوْ: لِيَعْتَزِلْ مَسْجِدَنَا - وَلْيَقْعُدْ فِي بَيْتِهِ»**، وَإِنَّهُ أُتِيَ بِبَدْرٍ، قَالَ ابْنُ وَهْبٍ: يَعْنِي طَبَقًا فِيهِ خَضِرَاتٌ مِنْ بُقُولٍ، فَوَجَدَ لَهَا رِيحًا، فَسَأَلَ عَنْهَا، فَأُخْبِرَ بِمَا فِيهَا مِنَ البُقُولِ، فَقَالَ: **«قَرِّبُوهَا»**، فَقَرَّبُوهَا إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ كَانَ مَعَهُ، فَلَمَّا رَآهُ كَرِهَ أَكْلَهَا، قَالَ: **«كُلْ فَإِنِّي أُنَاجِي مَنْ لاَ تُنَاجِي»**[٢].

تنبيه: قال النووي رحمه الله: وَيَلْحَقُ بِالثَّوْمِ وَالبَصَلِ وَالكُرَّاثِ كُلُّ مَا لَهُ رَائِحَةٌ كَرِيهَةٌ مِنَ الْمَأْكُولَاتِ وَغَيْرِهَا. قَالَ الْقَاضِي: وَيَلْحَقُ بِهِ مَنْ أَكَلَ فُجْلًا وَكَانَ يَتَجَشَّى. قَالَ: وَقَالَ ابْنُ الْمُرَابِطِ: وَيَلْحَقُ بِهِ مَنْ بِهِ بَخَرٌ فِي فِيهِ أَوْ بِهِ جُرْحٌ لَهُ

(١) «الفتاوى الحديثية» لابن حجر الهيتمي (ص٦٩).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧٣٥٩) كِتَابُ الاعْتِصَامِ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، بَابُ الأَحْكَامِ الَّتِي تُعْرَفُ بِالدَّلاَئِلِ، وَكَيْفَ مَعْنَى الدِّلاَلَةِ وَتَفْسِيرُهَا، ومسلم (٥٦٤) كتاب الصلاة، بَابُ مَنْ أَكَلِ ثُومًا أَوْ بَصَلًا أَوْ كُرَّاثًا.

رَائِحَةٌ. قَالَ الْقَاضِي: وَقَاسَ الْعُلَمَاءُ عَلَى هَذَا مَجَامِعَ الصَّلَاةِ غَيْرَ الْمَسْجِدِ كَمُصَلَّى الْعِيدِ وَالْجَنَائِزِ وَنَحْوِهَا مِنْ مَجَامِعِ الْعِبَادَاتِ، وَكَذَا مَجَامِعُ الْعِلْمِ وَالذِّكْرِ وَالْوَلَائِمِ وَنَحْوِهَا. وَلَا يَلْتَحِقُ بِهَا الْأَسْوَاقُ وَنَحْوُهَا[1].

وقد قاس العلماء المتأخرون على البصل والثوم ما اعتاده كثير من الناس اليوم من الأشياء ذات الرائحة الخبيثة؛ كالدخان ونحوه مما يتأذى منه بنو آدم وله رائحة كريهة، مع العلم بأن الدخان مع قبح رائحته هو محرم لأضراره الكثيرة[2].

ثانيًا: البصاق عن اليمين في الصلاة:

من الأشياء التي نُهينا عنها في الصلاة البصاق عن اليمين؛ لأن ذلك يؤذي المَلَك الذي عن يمين المصلي، فقد جاء عن أبي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلاَةِ، فَلاَ يَبْصُقْ أَمَامَهُ؛ فَإِنَّمَا يُنَاجِي اللهَ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ، وَلاَ عَنْ يَمِينِهِ؛ فَإِنَّ عَنْ يَمِينِهِ مَلَكًا، وَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ فَيَدْفِنُهَا**»[3].

قال ابن بطال رَحِمَهُ اللهُ: قوله ﷺ: «**ولا يبصق عن يمينه؛ فإن عن يمينه ملكًا**» فذكر علة نهيه عن يمينه أنه من أجل كون الملك عن يمينه إكرامًا له وتنزيهًا[4].

ثالثًا: من الأشياء التي تنفر منها الملائكة الكلب والجرس والصور:

١- فقد جاء عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَا تَصْحَبُ الْمَلَائِكَةُ رُفْقَةً فِيهَا كَلْبٌ وَلَا جَرَسٌ**»[5].

---

(١) «شرح النووي على مسلم» (٥/ ٤٨).

(٢) «المعتقد في الملائكة المقربين» (ص٢١٧).

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤١٦) كِتَابُ الصَّلاَةِ، بَابُ دَفْنِ النُّخَامَةِ فِي المَسْجِدِ.

(٤) «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٢/ ٦٩).

(٥) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢١١٣) كتاب اللِّبَاسِ وَالزِّينَةِ، بَابُ كَرَاهَةِ الْكَلْبِ وَالْجَرَسِ فِي السَّفَرِ. والترمذي (١٧٠٣) باب مَا جَاءَ فِي كَرَاهِيَةِ الأَجْرَاسِ عَلَى الخَيْلِ. =

قال عياض رَحِمَهُ اللهُ: وقوله: «لا تصحب الملائكة رفقة فيها كلب ولا جرس»: هو مما تقدم من منافرة الملائكة الكلاب للعلل التي ذكرناها، وفيه حجة على منع اتخاذها في الأسفار لحراسة الدواب من السراق، وهو قول أصحاب مالك، وأجاز هشام بن عروة اتخاذها لحراسة البقر من السائمة.

وفيه كراهة الأجراس، وهو قول مالك وغيره، ومنافرة الملائكة لها إما لشبهها بالنواقيس، أو لأنها من باب المعاليق المنهي عنها في الأعناق، وقيل: لصوته، وهو تأويل مالك، وعليه يدل قوله في الحديث: «الجرس من مزامير الشيطان» وهذا يعضد أن منافرة الملائكة لها وللكلب من سبب الشيطان[(١)].

٢- وعَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا طَلْحَةَ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**لاَ تَدْخُلُ المَلاَئِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلاَ صُورَةُ تَمَاثِيلَ**»[(٢)].

قال المناوي رَحِمَهُ اللهُ: قوله: (إن الْمَلَائِكَة) أَي مَلَائِكَة الرَّحْمَة وَالْبركَة وَنَحْوهم لَا الكتبة فَإِنَّهُم لَا يفارقون الْمُكَلف (لَا تدخل بَيْتا) يَعْنِي مَكَانًا (فِيهِ تماثيل) أَي صور (أَو صُورَة) أَي صُورَة حَيَوَان تَامّ الْخلقَة لحُرْمَة التَّصْوِير وَشبهه بِبَيْت الْأَوْثَان وَالْمرَاد بِالْأول الْأَصْنَام وَبِالثَّانِي صُورَة كل ذِي روح وَقيل: الأوّل للقائم بِنَفسِهِ الْمُسْتَعْمل بالشكل وَالثَّانِي للمنقوش على نَحْو

= والنسائي (٥٢٢٢) في الجلاجل.

(١) «إكمال المعلم بشرح صحيح مسلم» (٦/ ٦٤١).

(٢) **صحيح:** أخرجه البخاري (٣٢٢٠) كِتَابُ بَدْءِ الخَلْقِ، بَابُ إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ: آمِينَ، وَالمَلاَئِكَةُ فِي السَّمَاءِ، فَوَافَقَتْ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، ومسلم (٢١٠٦) أبواب الإِمَارَةِ، بَابُ لاَ تَدْخُلُ الْمَلاَئِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلاَ صُورَةٌ.

ستر أو جِدَار[١].

٣- وعن عَائِشَةَ، أَنَّهَا قَالَتْ: وَاعَدَ رَسُولَ اللهِ ﷺ جِبْرِيلُ عليه السلام فِي سَاعَةٍ يَأْتِيهِ فِيهَا، فَجَاءَتْ تِلْكَ السَّاعَةُ وَلَمْ يَأْتِهِ وَفِي يَدِهِ عَصًا فَأَلْقَاهَا مِنْ يَدِهِ، وَقَالَ: «**مَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلاَ رُسُلُهُ**»، ثُمَّ الْتَفَتَ، فَإِذَا جِرْوُ كَلْبٍ تَحْتَ سَرِيرِهِ، فَقَالَ: «**يَا عَائِشَةُ، مَتَى دَخَلَ هَذَا الْكَلْبُ هَاهُنَا؟**» فَقَالَتْ: وَاللَّهِ، مَا دَرَيْتُ! فَأَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ، فَجَاءَ جِبْرِيلُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَاعَدْتَنِي فَجَلَسْتُ لَكَ فَلَمْ تَأْتِ؟! فَقَالَ: مَنَعَنِي الْكَلْبُ الَّذِي كَانَ فِي بَيْتِكَ، إِنَّا لاَ نَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلاَ صُورَةٌ**»[٢].

استفدنا من هذا الحديث فوائد، منها:

الْأُولَى: اسْتَفَدْنَا مِنْ هَذِهِ الرِّوَايَةِ أَنَّ احْتِبَاسَ جِبْرِيلَ عليه السلام كَانَ مَعَ مَوْعِدٍ وَعَدَهُ النَّبِيُّ ﷺ وَأَنَّ هَذَا سَبَبُ الْأَمْرِ بِقَتْلِ الْكِلَابِ.

الثَّانِيَةُ: حَكَى ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ خِلَافًا فِي أَنَّ الِامْتِنَاعَ مِنْ دُخُولِ الْبَيْتِ الَّذِي فِيهِ كَلْبٌ - خَاصٌّ بِجِبْرِيلَ عليه السلام مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْمَلَائِكَةِ عليهم السلام أَوْ عَامٌّ لِجَمِيعِهِمْ، فَعَلَى الْأَوَّلِ يَكُونُ جَمْعُ الضَّمِيرِ فِي قَوْلِهِ: «إِنَّا» لِلتَّعْظِيمِ، وَعَلَى الثَّانِي لِلْمُشَارَكَةِ. وَقَالَ النَّوَوِيُّ: هُمْ مَلَائِكَةٌ يَطُوفُونَ بِالرَّحْمَةِ وَالتَّنْزِيلِ وَالِاسْتِغْفَارِ. وَأَمَّا الْحَفَظَةُ فَيَدْخُلُونَ فِي كُلِّ بَيْتٍ وَلَا يُفَارِقُونَ بَنِي آدَمَ فِي حَالٍ؛ لِأَنَّهُمْ مَأْمُورُونَ بِإِحْصَاءِ أَعْمَالِهِمْ وَكِتَابَتِهَا[٣].

---

(١) «التيسير بشرح الجامع الصغير» (١/ ٣٠٢).

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢١٠٤) أبواب الإِمَارَةِ، بَابُ لاَ تَدْخُلُ الْمَلاَئِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلاَ صُورَةٌ، وأبو داود (٤١٥٩) باب في الصور، وابن ماجه (٣٦٥١) باب الصُّوَر في البيت.

(٣) «طرح التثريب في شرح التقريب» (٦/ ٣٤).

المطلب الثامن: هل النبي ﷺ مبعوث إلى الملائكة؟ وهل تدخل الملائكة في حد الصحابة؟

ذكر الإمام السيوطي رحمه الله اختلاف العلماء في هذه المسألة فقال: اختلف العلماء في بعثة النبي ﷺ إلى الملائكة على قولين:

أحدهما: أنه لم يكن مبعوثًا إليهم. وبهذا جزم الحليمي والبيهقي من أصحابنا ومحمود بن حمزة الكرماني في كتابه العجائب والغرائب، ونقل البرهان النسفي والفخر الرازي في تفسيريهما الإجماع عليه، وجزم به من المتأخرين الحافظ زين الدين العراقي في نكته على ابن الصلاح والشيخ جلال الدين المحلي في «شرح جمع الجوامع».

القول الثاني: أنه كان مبعوثًا إليهم. ورجحه القاضي شرف الدين البارزي والشيخ تقي الدين السبكي. وهو المختار، ولي فيه مؤلف يسمى «تزيين الأرائك في إرسال النبي إلى الملائك»[١].

قلت: الراجح والله أعلم أن النبي ﷺ مرسل إلى الإنس والجن فقط وأنه ليس مرسلًا إلى الملائكة لعدم وجود دليل صريح في هذه المسألة؛ لذلك قال ابن القيم رحمه الله: وَأما الْمَلَائِكَة فليسوا بداخلين تَحت أَحْكَام تكاليف الْبشر حَتَّى يَصح قياسهم عَلَيْهِ فِيمَا يَقُولُونَهُ ويفعلونه[٢] فَأَيْنَ أَحْكَام الْمَلَك من أَحْكَام الْبشر؟! فالملائكة رسل الله فِي خلقه وَأمره، يتصرفون بأَمْره لَا بِأَمْر الْبشر[٣].

---

(١) «الحبائك في أخبار الملائك» (٢٥٦).

(٢) أي: حتى يصح قياسهم على الإنس والجن في بعثة الرسول إليهم.

(٣) «جلاء الأفهام» (١/ ٤٧٨).

أما مسألة دخول الملائكة في حد الصحابة:

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: وهل يدخل الملائكة في الصحابة؟ محل نظر، قد قال بعضهم: إن ذلك ينبني على أنه هل كان مبعوثًا إليهم أو لا؟ وقد نقل الإمام فخر الدين في أسرار التنزيل الإجماع على أنه ﷺ لم يكن مرسلًا إلى الملائكة. ونوزع في هذا النقل، بل رجح الشيخ تقي الدين السبكي أنه كان مرسلًا إليهم، واحتج بأشياء يطول شرحها، وفي صحة بناء هذه المسالة على هذا الأصل نظر لا يخفى[1].



المطلب التاسع: هل تكفر الملائكة؟

استدل البعض بقول عامة أهل السنة أن الملائكة مختارون عاقلون على أنهم ليسوا مجبورين على الإيمان، وعليه فإنه يجوز أن يقع منهم الكفر، وذهبوا إلى أن قوله تعالى: ﴿۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٢٩﴾ [الأنبياء: ٢٩] دليل على أنهم لو كانوا مجبورين على الإيمان ولا يقع منهم الكفر لم يقل في الآية: ﴿فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾ لأن الجزاء في مقابل الفعل.

والراجح والله أعلم أن الملائكة لا يُتصور منهم الكفر. أما تفسير الآية ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ﴾ فالمقصود هنا إبليس على الراجح من أقوال المفسرين.

قال الإمام الطبري رَحِمَهُ اللهُ: القول في تأويل قوله تعالى: ﴿۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٢٩﴾ يقول

(١) «الإصابة في تمييز الصحابة» (١/ ١٧) ت التركي.

تعالى ذكره: ومن يقل من الملائكة: إني إله من دون الله ﴿فَذَٰلِكَ﴾ الذي يقول ذلك منهم ﴿نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾ يقول: نثيبه على قيله ذلك جهنم ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يقول: كما نجزي من قال من الملائكة: (إني إله من دون الله) جهنم، كذلك نجزي ذلك كل من ظلم نفسه، فكفر بالله وعبد غيره.

وقيل: عنى بهذه الآية إبليس، وقال قائلو ذلك: إنما قلنا ذلك؛ لأنه لا أحد من الملائكة قال: (إني إله من دون الله) سواه. ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيج: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ﴾ قال: قال ابن جُرَيج: من يقل من الملائكة: إني إله من دونه؛ فلم يقله إلا إبليس دعا إلى عبادة نفسه، فنزلت هذه في إبليس.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة: ﴿۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ وإنما كانت هذه الآية خاصة لعدو الله إبليس لما قال ما قال، لعنه الله وجعله رجيمًا، فقال: ﴿فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قَتادة: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾ قال: هي خاصة لإبليس[(١)].

قال الشنقيطي: «والمعنى أنهم مع كرامتهم على الله لو ادعى أحدٌ منهم أن له الحق في صرف شيء من حقوق الله الخاصة به إليه لكان مشركًا وكان جزاؤه جهنم - ومعلوم أن التعليق يصح فيما لا يمكن ولا يقع»[(٢)].

---

(١) «تفسير الطبري» (١٨/ ٤٣٠).

(٢) «إغاثة اللهفان» (٢/ ١٢٥) فصل: إذا عُرف هذا فكل حركة في العالم العلوي والسفلي فسببها المحبة.



الباب الثاني
أعمال الملائكة المتعلقة بشئون الكون والكائنات

لخص لنا الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ بنوع من الإجمال دور الملائكة في الكون فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: فكل حركة في السماوات والأرض من حركات الأفلاك والنجوم والشمس والقمر والرياح والسحاب والنبات والحيوان، فهي ناشئة عن الملائكة الموكلين بالسماوات والأرض كما قال تعالى: ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾ [النازعات: ٥] وقال: ﴿فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا﴾ [الذاريات: ٤] وهي الملائكة عند أهل الإيمان وأتباع الرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وأما المكذبون للرسل المنكرون للصانع فيقولون: هي النجوم، وقد أشبعنا الرد على هؤلاء في كتابنا الكبير المسمى بالمفتاح.

وقد دل الكتاب والسنة على أصناف الملائكة، وأنها موكلة بأصناف المخلوقات، وأنه سبحانه وَكَّل بالجبال ملائكة، ووَكَّل بالسحاب والمطر ملائكة، ووَكَّل بالرحم ملائكة تدبر أمر النطفة حتى يتم خلقها، ثم وَكَّل بالعبد ملائكة لحفظه وملائكة لحفظ ما يعمله وإحصائه وكتابته، ووَكَّل بالموت ملائكة، ووَكَّل بالسؤال في القبر ملائكة، ووَكَّل بالأفلاك ملائكة يحركونها، ووَكَّل بالشمس والقمر ملائكة، ووَكَّل بالنار وإيقادها وتعذيب أهلها وعمارتها ملائكة، ووَكَّل بالجنة وعمارتها وغراسها وعمل الأنهار فيها ملائكة.

فالملائكة أعظم جنود الله تعالى. ومنهم المرسلات عرفًا فالعاصفات عصفًا والناشرات نشرًا فالفارقات فرقًا فالملقيات ذكرًا ومنهم: النازعات غرقًا والناشطات نشطًا والسابحات سبحًا فالسابقات سبقًا فالمدبرات أمرًا.

ومنهم: الصافات صفًّا فالزاجرات زجرًا فالتاليات ذكرًا. ومنهم: ملائكة الرحمة وملائكة العذاب وملائكة قد وُكلوا بحمل العرش(١).

فقد بَيَّنَ لنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ **دور الملائكة في هذا الكون الذي هو من أهم أعمالهم والذي شرفهم الله بالقيام به بنوع من الإجمال، وسوف أقوم بذكر كل هذه الأعمال بنوع من التفصيل مع ذكر أدلتها بإذن الله تعالى.**

المبحث الأول: حَملة العرش

العرش أكبر مخلوقات الله عَزَّ وَجَلَّ، والله تبارك وتعالى استوى عليه استواءً يليق به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وقد وردت أدلة تُثبت أن من الملائكة من يحمل هذا العرش يسمون حملة العرش.

ومن هذه الأدلة ما يأتي:

أولًا: من القرآن:

١- قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْۖ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧﴾ [غافر: ٧].

قال الإمام الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يقول تعالى ذكره: الذين يحملون عرش الله من ملائكته، ومَن حول عرشه، ممن يحفّ به من الملائكة ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ﴾ يقول: يصلون لربهم بحمده وشكره ﴿وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾ يقول: ويقرّون بالله أنه لا إله لهم سواه، ويشهدون بذلك، لا يستكبرون عن عبادته ﴿وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْۖ﴾ يقول: ويسألون ربهم أن يغفر للذين أقرّوا بمثل

---

(١) «أضواء البيان» (٤/ ١٣٩).

إقرارهم من توحيد الله، والبراءة من كلّ معبود سواه ذنوبهم، فيعفوها عنهم[١].

٢- قوله تعالى: ﴿وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ١٧﴾ [الحاقة: ١٧].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَقَوْلُهُ: ﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ﴾ أَيْ: يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُ الْعَرْشَ ثَمَانِيَةٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ. وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهَذَا الْعَرْشِ الْعَرْشَ الْعَظِيمَ، أَوِ: الْعَرْشَ الَّذِي يُوضَعُ فِي الْأَرْضِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ[٢].

وقد اختلف أهل العلم في عدد حملة العرش على أقوال[٣]:

القول الأول: قال ابن عباس: هي ثمانية صفوف من الملائكة، لا يعلم أحد عدتهم[٤].

القول الثاني: وقال ابن زيد: هم ثمانية أملاك على هيئة الوعول.

القول الثالث: وقال جماعة من المفسرين: هم على هيئة الناس، أرجلهم تحت الأرض السفلى ورءوسهم وكواهلهم فوق السماء السابعة.

القول الرابع: أن حملة العرش اليوم أربعة ويوم القيامة ثمانية[٥] واحتجوا

---

(١) «تفسير الطبري» (٢١/ ٣٥٤).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢١٢).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٢٣/ ٥٨٣)، و«تفسير ابن كثير» (٨/ ٢١٢)، و«تفسير ابن عطية» (٥/ ٣٥٩).

(٤) ورُوِي عَنِ الشَّعْبِيِّ وَعِكْرِمَةَ وَالضَّحَّاكِ. وَابْنِ جُرَيْجٍ مِثْلُ ذَلِكَ. وَكَذَا رَوَى السُّدِّي عَنْ أَبِي مَالِكٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ثَمَانِيَةُ صُفُوفٍ. وَكَذَا رَوَى الْعَوْفِيُّ، عَنْهُ. انظر: «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢١٢) بأسانيد ضعيفة.

(٥) مال إليه ابن كثير في «تفسيره» (٨/ ٢١٢).

بما رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**هم اليوم أربعة، فإذا كان يوم القيامة قوَّاهم الله بأربعة سواهم**»[١].

والذي تحدد لنا من خلال الآية أن عددهم يوم القيامة ثمانية، أما في الدنيا فالله أعلم به.

ثانيًا: من السنة:

ما جاء عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه: عن النبي ﷺ أنه قال: «**أُذن لي أن أُحَدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش، إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام**»[٢].

فائدة: الحديث الذي ورد في صفة حملة العرش ويسمى بحديث الأوعال - حديث ضعيف لا يُحتج به كما ذكر ذلك غير واحد من أهل العلم[٣].

---

(١) **مرسل ضعيف:** أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣/ ٥٨٣) من رواية عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم عن رسول الله ﷺ. وعبد الرحمن بن زيد تابعي لم يدرك رسول الله ﷺ، قال ابن حجر: ضعيف. «التقريب» ترجمه رقم (٣٨٦٥).

(٢) **صحيح:** أخرجه أبو داود في «سننه» (٤٧٢٧) كتاب السنة، باب في الجهمية. وأبو يعلى في «مسنده» (٦٦١٩)، والطبراني في «الأوسط» (١٧٠٩).

(٣) **حديث الأوعال حديث ضعيف:** أخرجه أحمد (١٧٧٠) والترمذي (٣٣٢٠) وقال: حسن غريب. وأبو داود (٤٧٢٥) وابن ماجه (١٩٣) والحاكم في «المستدرك» (٣١٣٧) وقال: صحيح الإسناد. والفاكهي في «أخبار مكة» (١٨٢٧) والدارمي في «الرد على الجهمية» (٧٢) والبزار في «مسنده» (١٣١٠) وأبو يعلى في «مسنده» (٩٧١٣) وابن أبي عاصم في «السنة» (٥٧٧) وابن منده في «التوحيد» (١٩)، (٤٢) وابن بطة في «الإبانة» (١٠٧) والآجري في «الشريعة» (٦٦٣).

كلهم من طرق عن سماك بن حرب عن عبد الله بن عَمِيرة عن العباس قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْبَطْحَاءِ، فَمَرَّتْ سَحَابَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَتَدْرُونَ مَا هَذَا؟**» =

المبحث الثاني: الموكلون بالسحاب والقطر

قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنبياء: ٣٠].

أي: أولم ينظر هؤلاء الذين كفروا بربهم، وجحدوا الإخلاص له في العبودية - ما يدلهم دلالة مشاهدة على أنه الرب المحمود الكريم المعبود، فيشاهدون السماء والأرض فيجدونهما رتقًا، هذه ليس فيها سحاب ولا مطر، وهذه هامدة ميتة، لا نبات فيها، ففتقناهما: السماء بالمطر، والأرض بالنبات، أليس الذي أوجد في السماء السحاب بعد أن كان الجو صافيًا لا

= قَالَ: قُلْنَا: السَّحَابُ. قَالَ: «**وَالْمُزْنُ**» قُلْنَا: وَالْمُزْنُ. قَالَ: «**وَالْعَنَانُ**»، قَالَ: فَسَكَتْنَا، فَقَالَ: «**هَلْ تَدْرُونَ كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؟**» قَالَ: قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ، وَمِنْ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ، وَكِثَفُ كُلِّ سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ، وَفَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ بَحْرٌ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلاهُ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، ثُمَّ فَوْقَ ذَلِكَ ثَمَانِيَةُ أَوْعَالٍ بَيْنَ رُكَبِهِنَّ وَأَظْلافِهِنَّ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، ثُمَّ فَوْقَ ذَلِكَ الْعَرْشُ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلاهُ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَوْقَ ذَلِكَ وَلَيْسَ يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ أَعْمَالِ بَنِي آدَمَ شَيْءٌ**».

ذا الحديث فيه علتان وهما:

العلة الأولى: قال شريك مرة: عن سماك عن عبد الله بن عمارة. وهو وَهْم، وقال أبو نعيم: عن إسرائيل عن سماك عن عبد الله بن عميرة أو عمير، والأول أصح، وقال أبو أحمد الزبيري: عن إسرائيل عن سماك عن عبد الله بن عميرة عن زوج درة بنت أبي لهب.

العلة الثانية: تتلخص في أن عبد الله بن عميرة بأنه مجهول لا يُعرف، وقد صرح بهذا الحافظ الذهبي في كتاب «العلو» (ص١٠٩ الطبعة الهندية) بينما ذهب ابن حجر في التقريب (٣٥١٤) إلى أنه مقبول، وقد ضعفه الألباني في «السلسلة الضعيفة» رقم (١٢٤٧).

قزعة فيه، وأودع فيه الماء الغزير، ثم ساقه إلى بلد ميت؛ قد اغبرت أرجاؤه، وقحط عنه ماؤه، فأمطره فيها، فاهتزت، وتحركت، وربت، وأنبتت من كل زوج بهيج، مختلف الأنواع، متعدد المنافع، [أليس ذلك] دليلًا على أنه الحق، وما سواه باطل، وأنه محيي الموتى، وأنه الرحمن الرحيم؟ ولهذا قال: ﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: إيمانًا صحيحًا ما فيه شك ولا شرك(١).

فقد بَيَّن لنا ﷻ أنه جعل الماء سببًا للحياة على الأرض، وأنه لا غنى لأي مخلوق عنه حتى تتم دورة حياته؛ لذلك فالله تعالى ينزّل الماء بحكمة منه سبحانه فيأمر به في مكان دون آخر، وأن ينزل على قرية دون أخرى، وقد وكّل ملائكة يقومون بأمره على فعل ذلك وهم الملائكة الموكلون بالسحاب والمطر الذين يزجرون السحاب ويسوقونه إلى حيث أمرهم الله تعالى.

وقد جاء ذكرهم في عدة أدلة، منها:

١- قوله تعالى: ﴿وَالصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ۝١ فَالزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ۝٢ فَالتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٣﴾ [الصافات: ١- ٣].

قال ابن عطية رَحِمَهُ اللَّهُ: ومما أقسم به ﷻ «الزاجرات» واختلف الناس في معناها أيضًا:

فقال مجاهد والسدي: هي الملائكة التي تزجر السحاب وغير ذلك من مخلوقات الله تعالى.

وقال قتادة: «الزاجرات» هي آيات القرآن المتضمنة النواهي الشرعية(٢).

---

(١) انظر: «تفسير السعدي» (١/ ٥٥٢).

(٢) «تفسير ابن عطية» (٤/ ٤٦٥).

وَمِمَّنْ قَالَ بِأَنَّ الصَّافَّاتِ وَالزَّاجِرَاتِ وَالتَّالِيَاتِ فِي أَوَّلِ هَذِهِ السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ هِيَ جَمَاعَاتُ الْمَلَائِكَةِ: ابْنُ عَبَّاسٍ، وَابْنُ مَسْعُودٍ، وَعِكْرِمَةُ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ؛ كَمَا قَالَهُ الْقُرْطُبِيُّ وَابْنُ كَثِيرٍ وَغَيْرُهُمَا. وَزَادَ ابْنُ كَثِيرٍ وَغَيْرُهُ مِمَّنْ قَالَ بِهِ: مَسْرُوقًا وَالسُّدِّيَّ وَالرَّبِيعَ بْنَ أَنَسٍ، وَقَدْ قَدَّمْنَا أَنَّهُ قَوْلُ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ[1].

٢- ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قَالَ: أَقْبَلَتْ يَهُودُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، إِنَّا نَسْأَلُكَ عَنْ خَمْسَةِ أَشْيَاءَ، فَإِنْ أَنْبَأْتَهُنَّ عَرَفْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ وَاتَّبَعْنَاكَ. قَالُوا: فَأَخْبِرْنَا عَنِ الرَّعْدِ مَا هُوَ؟ قَالَ: «**مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُوَكَّلٌ بِالسَّحَابِ، مَعَهُ مَخَارِيقُ**[2] **مِنْ نَارٍ لِيَسُوقَ بِهَا السَّحَابَ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ**». قَالُوا: فَمَا الصَّوْتُ الَّذِي نَسْمَعُ فِيهِ؟ قَالَ: «**زَجْرُهُ السَّحَابَ إِذَا زَجَرَهُ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى حَيْثُ أُمِرَ**» قَالُوا: صَدَقْتَ[3].

٣- ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**بينا رجل بفلاة من الأرض، فسمع صوتًا في سحابة: اسقِ حديقة فلان. فتنحى ذلك السحاب، فأفرغ**

(١) انظر: «أضواء البيان» (٦/ ٣٠٢).

(٢) مخاريق جمع مخراق وهو في الأصل ثوب يُلف ويَضْرِب به الصبيان بعضهم بعضًا، أراد أنها آلة يزجر بها السحاب ويسوقه. انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٢/ ٢٦)، و«مختار الصحاح» (١/ ٩٠)، و«تاج العروس» (٢٥/ ٢٢٥).

(٣) **حسن**: أخرجه الترمذي (٣١١٧) في تفسير سورة الرعد وقال: حسن غريب. والنسائي في «الكبرى» (٩٠٧٢) في عِشرة النساء. وأحمد في «مسنده» (٢٤٨٣)، والطبراني في «الكبير» (١٢٤٢٩) كلهم عن عبد الله بن الْوَلِيد عَن بكير بن شهَاب عَن سعيد بن جُبَير عَن ابْن عَبَّاس به. وبكير بن شهاب قال عنه الذهبي: عراقي صدوق «تاريخ الإسلام» (٤/ ٣١٨).

وقد حسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٥٥٣).

ماءَه في حرّة، فإذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله، فتتبع الماءَ، فإذا رجل قائم في حديقته، يُحَول الماء بِمِسحاته، فقال له: يا عبد الله، ما اسمك؟ قال: فلان. للاسم الذي سمع في السحابة، فقال له: يا عبد الله، لِمَ تسألني عن اسمي؟! قال: إني سمعت صوتًا في السحاب الذي هذا ماؤه يقول: «اسقِ حديقة فلان»، لاسمك، فما تصنع فيها؟ قال: أمّا إذ قلت هذا، فإني أنظر إلى ما يخرج منها، فأتصدق بثلثه، وآكل أنا وعيالي ثلثًا، وأَرُد فيها ثلثه»[١].

المبحث الثالث: الملك الموكل بالجبال

وكّل الله ﷻ ملكًا بالجبال يقوم عليها بأمره تعالى، وقد جاء ذكر ملك الجبال في السنة، فعن عائشة رضي الله عنها قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ مَرَّ عَلَيْكَ يَوْمٌ أَشَدُّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ قَالَ: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ شَرًّا، وَأَشَدُّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلِ بْنِ كُلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا حَزِينٌ حَتَّى بَلَغْتُ قَرْنَ الثَّعَالِبِ فَإِذَا بِظِلِّهِ، فَإِذَا جِبْرِيلُ عليه السلام فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ فِيهِمْ بِأَمْرِكَ. وَسَلَّمَ عَلَيَّ مَلَكُ الْجِبَالِ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ وَقَدْ أَمَرَنِي أَنْ أُطِيعَكَ فِيمَا أَمَرْتَنِي بِهِ، وَإِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ فَعَلْتُ» قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَيُوَحِّدُهُ لَا شَرِيكَ لَهُ»[٢].

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٩٨٤) كتاب الزهد والرقاق، باب الصدقة في المساكين.

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٢٣١) باب إذا قال أحدكم آمين. ومسلم (١٧٩٥) في كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين.

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: قوله: «الأخشبين» بالمعجمتين: هما جبلا مكة: أبو قبيس والذي يقابله وكأنه قعيقعان، وقال الصغاني: بل هو الجبل الأحمر الذي يشرف على قعيقعان، ووهم من قال: هو ثور كالكرماني، وسُميا بذلك لصلابتهما وغلظ حجارتهما.

والمراد بإطباقهما أن يلتقيا على مَن بمكة. ويحتمل أن يريد أنهما يصيران طبقًا واحدًا[١].

قال أبو الوليد الأزرقي: الأخشبان بمكة هما الجبلان:

أحدهما: أبو قيس، وهو الجبل المشرف على الصفا إلى السويد إلى الخندمة، وكان يسمى في الجاهلية الأمين؛ لأنه الحجر الأسود كان مستودعًا فيه عام الطوفان. قال الأزرقي: وبلغني عن بعض أهل العلم من أهل مكة أنه قال: إنما سُمي أبا قبيس لأن رجلًا كان يقال له أبو قبيس بنى فيه، فلما صعد فيه بالبناء سُمي الجبل أبا قبيس. ويقال: كان الرجل من إياد. قال: ويقال: اقتبس منه الحجر الأسود فسُمي أبا قبيس. والقول الأول أشهرهما عند أهل مكة، قال مجاهد: أول جبل وضعه الله تعالى على الأرض حين مادت أبو قبيس.

وأما الأخشب الآخر فهو الجبل الذي يقال له الأحمى، وكان يسمى في الجاهلية: الأعرف، وهو الجبل المشرف على قعيقعان وعلى دور عبد الله ابن الزبير[٢].

وقال الزرقاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد بَعَثَ إليك» وفي رواية الكشميهني: (وقد بعث

(١) «فتح الباري» (٦/ ٣١٦).

(٢) انظر: «تهذيب الأسماء واللغات» للنووي (٣/ ١٠٨) و«حاشية عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير» لابن سيد الناس، ت: إبراهيم محمد رمضان.

الله إليك) «ملك الجبال» الذي سُخرت له وبيده أمرها، قال الحافظ: ولم أقف على اسمه(١).

المبحث الرابع: الملائكة الموكلون بالقطر والنبات

هناك ملائكة موكلون بالقطر والنبات ورئيسهم في ذلك ميكائيل، وسوف أتحدث عنه بشيء من التفصيل في الباب القادم إن شاء الله تعالى.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: ميكائيل موكل بالقطر والنبات اللذين يُخلق منهما الأرزاق في هذه الدار، وله أعوان يفعلون ما يأمرهم به بأمر ربه، يصرفون الرياح والسحاب كما يشاء الرب جلّ جلاله(٢).

وقد جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩] عن ابن عباس ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ قال: ما من شجرة على ساق إلا موكل بها ملك يعلم ما يسقط منها حين يحصيه، ثم يرفع علمه وهو أعلم منه(٣).

***

(١) «شرح الزرقاني على المواهب اللدنية» (٢/ ٥٢).

(٢) «البداية والنهاية» (١/ ٥٠).

(٣) «عزاه السيوطي في الدر المنثور» (٤/ ٦٤) إلى مسدد في مسنده وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس.

المبحث الخامس: خزنة النار

من الأعمال التي وكلت بها الملائكة من قبل الله ﷻ أن منهم من يقوم على النار لإيقادها وتعذيب أهلها فيها، وهؤلاء هم خزنة النار.

وقد جاءت أدلة في القرآن والسنة تبين عدد رؤسائهم وصفاتهم ومنها ما يأتي:

١- قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبۡقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٞ لِّلۡبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ﴾ [المدثر: ٢٧- ٣٠] وهم تسعه عشر ورئيسهم مالك خازن النار، أما جملة الخزنة فلا يعلمهم إلا الله ﷻ.

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قوله ﷻ: ﴿عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾ هم خزنتها مالك ومعه ثمانية عشر، أعينهم كالبرق الخاطف، وأنيابهم كالصياصي[(١)] يخرج لهب النار من أفواههم، ما بين منكبي أحدهم مسيرة سنة، يسع كَفّ أحدهم مثل ربيعة ومضر. قد نُزعت منهم الرحمة. فلما نزلت هذه الآية قال أبو جهل: يخوّفكم محمّد بتسعة عشر، ما له من الجنود إلا هؤلاء؟! أيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا بواحد منهم، ثم يخرجون من النار؟! فقال أبو الأشد - قال مقاتل: (اسمه أسيد بن كلدة. وقال غيره: كلدة بن خلف الجمحي) -: يا معشر قريش: أنا أمشي بين أيديكم وأدفع عشرة بمنكبي الأيمن، وتسعة بمنكبي الأيسر، فندخل الجنة!! فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةٗ﴾ لا آدميين، فمن يطيقهم ومن يغلبهم؟! ﴿وَمَا جَعَلۡنَا

---

(١) الصياصي: قال ابن فارس في «مجمل اللغة» (١/ ٥٣١) الصياصي: الحصون وكل ما تحصن به: فهو صيصيةٌ حتى الديك والثور. وقال أيضًا: تطلق الصياصي على القرون.

عِدَّتَهُمْ﴾ في هذه القِلَّة ﴿إِلَّا فِتْنَةً﴾ أي: ضلالة ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ حتى قالوا ما قالوا ﴿لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أن ما جاء به محمد حق؛ لأن عِدَّتهم في التوراة تسعة عشر. ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ من أهل الكتاب ﴿إِيمَٰنًا﴾ أي: تصديقًا بمحمّد ﷺ إذ وجدوا ما يخبرهم به موافقًا لما في كتابهم ﴿وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: ولا يشك هؤلاء في عدّة الخَزَنَة. ﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ وفيه ثلاثة أقوال: **أحدها:** أنه النفاق. ذكره الأكثرون. **والثاني:** أنه الشك. قاله مقاتل، وزعم أنهم يهود أهل المدينة، وعنده أن هذه الآية مدنية. **والثالث:** أنه الخلاف. قاله الحسين بن الفضل. وقال: لم يكن بمكة نفاق. وهذه مكية. فأما «الكافرون» فهم مشركو العرب، ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ﴾ أي: أي شيء أراد الله بِهذا الحديث والخبر ﴿مَثَلًا﴾ والمثل يكون بمعنى الحديث نفسه، ومعنى الكلام: يقولون: ما هذا من الحديث ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: كما أضلَّ من أنكر عدّة الخَزَنَة، وهدى من صدَّق ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ وأُنزل في قول أبي جهل: أما لمحمد من الجنود إلا تسعة عشر: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ يعني: من الملائكة الذين خلقهم لتعذيب أهل النار. وذلك أن لكل واحد من هؤلاء التسعة عشر من الأعوان ما لا يعلمه إلّا الله ﷻ.

وذكر الماوردي في وجه الحكمة في كونهم تسعة عشرة قولًا محتملًا، فقال: التسعة عشر عدد يجمع أكثر القليل، وأقل الكثير؛ لأن الآحاد أقل الأعداد، وأكثرها تسعة، وما سوى الآحاد كثير وأقل الكثير عشرة، فوقع الاقتصار على عدد يجمع أقل الكثير وأكثر القليل[(١)].

(١) «زاد المسير» (٤/ ٦٤).

٢- قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۚ قَالُواْ فَٱدْعُواْ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ﴾ [غافر: ٤٩].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾﴾ لَمَّا عَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَا يَسْتَجِيبُ مِنْهُمْ وَلَا يَسْتَمِعُ لِدُعَائِهِمْ، بَلْ قَدْ قال: ﴿قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨] سَأَلُوا الْخَزَنَةَ - وَهُمْ كَالْبَوَّابِينَ لِأَهْلِ النَّارِ- أَنْ يَدْعُوا لَهُمُ اللَّهَ أَنْ يُخَفِّفَ عَنِ الْكَافِرِينَ وَلَوْ يَوْمًا وَاحِدًا مِنَ الْعَذَابِ(١).

قال تعالى: ﴿وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧].

قال أبو جعفر الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يقول تعالى ذكره: ونادى هؤلاء المجرمون بعد ما أدخلهم الله جهنم، فنالهم فيها من البلاء ما نالهم - مالكًا خازن جهنم: ﴿يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ قالوا: ليمتنا ربك، فيفرغ من إماتتنا. فذُكر أن مالكًا لا يجيبهم في وقت قيلهم له ذلك، ويدعهم ألف عام بعد ذلك، ثم يجيبهم، فيقول لهم: ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾(٢).

وقال ابن أبي حاتم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ﴾ قَالَ: مَكَثَ عَنْهُمْ أَلْفَ سَنَةٍ، ثُمَّ يُجِيبُهُمْ: ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾(٣).

٤- وقد بين لنا ربنا ﷻ أن هؤلاء الخزنة يتلقون أهل النار يوم القيامة بالتوبيخ والزجر لهم على عصيانهم لله تعالى كما قال سبحانه ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُواْ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٧/ ١٤٩).

(٢) «تفسير الطبري» (٢١/ ٦٤٠).

(٣) «تفسير ابن أبي حاتم» (١٠/ ٣٢٨٦).

وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ﴾ [الملك: ٩].

قال ابن عطية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿كُلَّمَآ أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ﴾، الفوج: الفريق من الناس، ومنه قوله تعالى: ﴿فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ [النصر: ٢] الآية، تقتضي أنه لا يلقى فيها أحد إلا سئل على جهة التوبيخ عن النذر فأقر بأنهم جاؤوا وكذبوهم(١).

٥- وأسماء جملتهم (الزبانية) قال تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ [العلق: ١٧، ١٨].

قال ابن عطية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والزبانية ملائكة العذاب واحدهم زبنية، وقال الكسائي زبني، وقال عيسى بن عمر والأخفش: زابن وهم الذين يدفعون الناس في النار، والزبن الدفع، ومنه حرب زبون، أي تدفع الناس عن نفسها، ومنه قول الشاعر: [الطويل]

ومستعجب مما يرى من أناتنا ... ولو زبنته الحرب لم يترموم

ومنه قول عتبة بن أبي سفيان: وقد زبتنا الحرب وزبناها فنحن بنوها وهي أمنا.

ومنه قول الشاعر:

عدتني عن زيارتك الأعادي ... وحالت بيننا حرب زبون

وحذف الواو من ﴿سَنَدْعُ﴾ في خط المصحف اختصارًا وتخفيفًا.

والمعنى: سندعو الزبانية لعذاب هذا الذي يدعو ناديه(٢).

٦- وقد جاء وصفهم في القرآن بأنهم غلاظ شداد، قال تعالى: ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

---

(١) «تفسير ابن عطية» (٥/ ٣٣٩).

(٢) «تفسير ابن عطية» (٥/ ٥٠٣).

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهُ: ﴿عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ﴾ أَيْ: طِبَاعُهُمْ غَلِيظَةٌ، قَدْ نُزِعَتْ مِنْ قُلُوبِهِمُ الرَّحْمَةُ بِالْكَافِرِينَ بِاللَّهِ، ﴿شِدَادٞ﴾ أَيْ: تَرْكِيبُهُمْ فِي غَايَةِ الشِّدَّةِ وَالْكَثَافَةِ وَالْمَنْظَرِ الْمُزْعِجِ. قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا سَلَمَةُ بْنُ شَبِيبٍ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْحَكَمِ بْنِ أَبَانٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ عِكْرِمَةَ أَنَّهُ قَالَ: إِذَا وَصَلَ أَوَّلُ أَهْلِ النَّارِ إِلَى النَّارِ، وَجَدوا عَلَى الْبَابِ أَرْبَعَمِائَةِ أَلْفٍ مِنْ خَزَنَةِ جَهَنَّمَ، سُودٌ وُجُوهُهُمْ، كَالِحَةٌ أَنْيَابُهُمْ، قَدْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قُلُوبِهِمُ الرَّحْمَةَ، لَيْسَ فِي قَلْبِ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنَ الرَّحْمَةِ، لَوْ طُيِّرَ الطَّيْرُ مِنْ مَنْكِبِ أَحَدِهِمْ لَطَارَ شَهْرَيْنِ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ مَنْكِبَهُ الْآخَرَ، ثُمَّ يَجِدُونَ عَلَى الْبَابِ التِّسْعَةَ عَشَرَ، عَرْضُ صَدْرِ أَحَدِهِمْ سَبْعُونَ خَرِيفًا، ثُمَّ يَهْوُونَ مِنْ بَابٍ إِلَى بَابٍ خَمْسَمِائَةِ سَنَةٍ، ثُمَّ يَجِدُونَ عَلَى كُلِّ بَابٍ مِنْهَا مثلَ مَا وَجَدُوا عَلَى الْبَابِ الْأَوَّلِ، حَتَّى يَنْتَهُوا إِلَى آخِرِهَا(١).

وَقَوْلُهُ: ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ أَيْ: مَهْمَا أَمَرَهُمْ بِهِ تَعَالَى يُبَادِرُوا إِلَيْهِ، لَا يَتَأَخَّرُونَ عَنْهُ طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَهُمْ قَادِرُونَ عَلَى فِعْلِهِ لَيْسَ بِهِمْ عَجْزٌ عَنْهُ. وَهَؤُلَاءِ هُمُ الزَّبَانِيَةُ عِيَاذًا بِاللَّهِ مِنْهُمْ(٢).

٧- وقد جاء في القرآن أنهم يتلقون الكافرين ويبشرونهم بالنار ويلومونهم على عدم طاعة الله ورسوله كما قال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧١ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ

---

(١) **إسناده ضعيف:** فيه إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْحَكَمِ بْنِ أَبَانٍ، قال عنه الحافظ في «التقريب» (١٦٦): ضعيف، وصل مراسيل.

(٢) «تفسير ابن كثير» (٨/ ١٦٨).

فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [الزمر: ٧٠، ٧١].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَقَوْلُهُ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ أَيْ: بِمُجَرَّدِ وُصُولِهِمْ إِلَيْهَا فُتِحَتْ لَهُمْ أَبْوَابُهَا سَرِيعًا لِتُعَجِّلَ لَهُمُ الْعُقُوبَةَ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُمْ خَزَنَتُهَا مِنَ الزَّبَانِيَةِ - الَّذِينَ هُمْ غِلَاظُ الْأَخْلَاقِ، شِدَادُ الْقُوَى عَلَى وَجْهِ التَّقْرِيعِ وَالتَّوْبِيخِ وَالتَّنْكِيلِ -: ﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ﴾ أَيْ: مِنْ جِنْسِكُمْ تَتَمَكَّنُونَ مِنْ مُخَاطَبَتِهِمْ وَالْأَخْذِ عَنْهُمْ، ﴿يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ﴾ أَيْ: يُقِيمُونَ عَلَيْكُمُ الْحُجَجَ وَالْبَرَاهِينَ عَلَى صِحَّةِ مَا دَعَوْكُمْ إِلَيْهِ، ﴿وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ﴾ أَيْ: وَيُحَذِّرُونَكُمْ مِنْ شَرِّ هَذَا الْيَوْمِ؟ فَيَقُولُ الْكُفَّارُ لَهُمْ: ﴿بَلَىٰ﴾ أَيْ: قَدْ جَاءُونَا وَأَنْذَرُونَا، وَأَقَامُوا عَلَيْنَا الْحُجَجَ وَالْبَرَاهِينَ، ﴿وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[1].

٨- ومن الأدلة على قوتهم وشدتهم ما جاء عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يؤتى بجهنم يومئذٍ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها**»[2].

٩- ومن الأدلة على أن خزنة النار أصحاب وجوه غليظة شديدة تبعث الخوف الشديد واليأس من الرحمة في قلوب أهل النار والعياذ بالله قول النبي ﷺ في رؤياه التي رآها أنه قال: «قالا لي: انطلق انطلق» قال: «فانطلقنا فأتينا على رجل كريه المَرآة كأكره ما أنت راءٍ رجلًا مَرآة فإذا عنده نار يحشها ويسعى حولها» قال: «قلت لهما: ما هذا؟» قال: «قالا لي: انطلق انطلق...» وفي نهاية الحديث قال له الملكان: «**وأما الرجل الكريه المرآة الذي عند النار يحشها ويسعى حولها فإنه مالك خازن جهنم**»[3].

---

(١) «تفسير ابن كثير» ت سلامة (٧/ ١١٨).

(٢) **صحيح:** أخرجه مسلم (٢٨٤٢) في الجنة، باب في شدة حر نار جهنم.

(٣) **صحيح:** أخرجه البخاري (٦٦٤٠) باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح. =

المبحث الخامس: خزنة الجنة

إن الله تبارك وتعالى قد جعل على الجنة ملائكة يقومون على فرشها وزخرفتها وإعدادها للمؤمنين.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: وَكَّل الله تعالى بالجنة ملائكة يبنونها ويفرشونها ويصنعون أرائكها وسررها وصحافها ونمارقها وزرابيها، فأَمْر العالم العلوي والسفلي والجنة والنار بتدبير الملائكة بإذن ربهم تبارك وتعالى وأَمْره ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ و﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ فأخبر أنهم لا يعصونه في أمره وأنهم قادرون على تنفيذ أوامره ليس بهم عجز[(١)].

وهؤلاء الملائكة يسمون بخزنة الجنة، وقد ورد ذكرهم في القرآن، قال الله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَـٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزمر: ٧٣].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: والخزنة جمع خازن مثل حفظة وحافظ، وهو المؤتمن على الشيء الذي قد استحفظه[(٢)].

وهؤلاء الخزنة يدعون أصحاب الطاعات إلى أبواب الجنة، كل باب قد خُصص لطاعة معينة كما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**مَن أنفق زوجين في سبيل الله نودي من أبواب الجنة: يا عبد الله هذا خير. فمن كان من أهل الصلاة دُعي من باب الصلاة، ومَن كان من أهل الجهاد**

= ومسلم (٢٢٧٥) في الرؤيا، باب رؤيا النبي ﷺ.

(١) «روضة المحبين ونزهة المشتاقين» (ص٥٧) دار الكتب العلمية.

(٢) «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح» (ص١٠٩) دار الكتب العلمية.

دُعي من باب الجهاد، ومَن كان من أهل الصيام دُعي من باب الريان، ومَن كان من أهل الصدقة دُعي من باب الصدقة».

فقال أبو بكر رضي الله عنه بأبي وأمي يا رسول الله، ما على مَن دُعي من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال: «**نعم، وأرجو أن تكون منهم**»(١).

وقد أُمر خزنة الجنة ألا يفتحوا الجنة لأحد قبل النبي ﷺ، كما جاء في الصحيح من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد. فيقول: بك أُمرت لا أفتح لأحد قبلك**»(٢).

كما أن هؤلاء الخزنة يتلقون المؤمنين بالتحية والترحاب في الجنة، قال تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥].

قال ابن كثير رحمه الله: وَقَوْلِهِ: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ أَيْ: وَتَدْخُلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ مِنْ هَاهُنَا وَهَاهُنَا لِلتَّهْنِئَةِ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ، فَعِنْدَ دُخُولِهِمْ إِيَّاهَا تَفِدُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ مُسَلِّمِينَ مُهَنِّئِينَ لَهُمْ بِمَا حَصَلَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنَ التَّقْرِيبِ وَالْإِنْعَامِ، وَالْإِقَامَةِ فِي دَارِ السَّلَامِ، فِي جِوَارِ الصِّدِّيقِينَ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ الْكِرَامِ(٣).

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٧٩٨) باب الريان للصائمين، ومسلم (١٠٢٧) في الزكاة باب من جمع صدقة وأعمال البر.

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٩٧) كتاب الإيمان، باب في قول النبي ﷺ: «أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعا».

(٣) «تفسير ابن كثير» ت سلامة (٤/ ٤٥١).

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ: حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ، حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ أَبِي أَيُّوبَ، حَدَّثَنَا مَعْرُوفُ بْنُ سُوَيْدٍ الْجُذَامِيُّ عَنْ أَبِي عُشَّانَةَ الْمَعَافِرِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**هَلْ تَدْرُونَ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ؟**» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ الْفُقَرَاءُ الْمُهَاجِرُونَ الذِينَ تُسَدُّ بِهِمُ الثُّغُورُ، وتُتَّقَى بِهِمُ الْمَكَارِهُ، وَيَمُوتُ أَحَدُهُمْ وَحَاجَتُهُ فِي صَدْرِهِ لَا يَسْتَطِيعُ لَهَا قَضَاءً، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ مَلَائِكَتِهِ: ائْتُوهُمْ فَحَيُّوهُمْ. فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: نَحْنُ سُكَّانُ سَمَائِكَ وَخِيرَتُكَ مِنْ خَلْقِكَ، أَفَتَأْمُرُنَا أَنْ نَأْتِيَ هَؤُلَاءِ فَنُسَلِّمَ عَلَيْهِمْ؟ قَالَ: إِنَّهُمْ كَانُوا عِبَادًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا، وَتُسَدُّ بِهِمُ الثُّغُورُ، وَتُتَّقَى بِهِمُ الْمَكَارِهُ، وَيَمُوتُ أَحَدُهُمْ وَحَاجَتُهُ فِي صَدْرِهِ فَلَا يَسْتَطِيعُ لَهَا قَضَاءً**». قَالَ: «**فَتَأْتِيهِمُ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ ذَلِكَ، فَيَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ،** ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾»(١).

---

(١) **حسن لغيره:** أخرجه أحمد في «مسنده» (٦٥٧٠) وفيه معروف بن سويد الجذامي، قال ابن حجر في التقريب ترجمة رقم (٦٧٩٣): مقبول. ولكن تابعه عمرو بن الحارث بن يعقوب، وهو ثقة فقيه حافظ كما قال الحافظ في «التقريب» رقم (٥٠٠٤)، في الحديث الذي أخرجه البيهقي «في شعب الإيمان» (٩٨٩٥)، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ رِشْدِينَ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ صَالِحٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَهْبٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ أَبِي عُشَّانة سَمِعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ به.
وأخرجه أيضًا: ابن حبان (٧٤٢١)، وعبد بن حميد (٣٥٢)، والبزار (٢٤٥٧).
وأورده الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٢٥٩)، وقال: رواه أحمد والبزار والطبراني وزاد بعد قول الملائكة: (وسكان سماواتك): وإنك تُدخلُهم الجنة قبلنا. ورجالهم ثقات. وقال الهيثمي عقب حديث البزار: قلت: في الصحيح طرف منه.
وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٥٥٩).

المبحث السادس: الملائكة التي تحرس مكة والمدينة من الدجال

قد أخبرنا النبي ﷺ أن الملائكة تقوم على حراسة مكة والمدينة، وذلك في آخر الزمان حتى لا يدخلهما الدجال، وذلك لشرفهما عند الله تعالى، فمكة مكان بيته الحرام، والمدينة بها قبر النبي ﷺ، والإيمان يأرز إليها[1]، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق.

وقد وردت عدة أدلة في أن الملائكة تحرس هاتين المدينتين من الدجال، منها ما يلي:

١- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**وليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة، وليس نقب من أنقابها[2] إلا عليه الملائكة صافين**

---

(١) فقد أخرج البخاري في «صحيحه» (١٧٧٧) باب الإيمان يأرز إلى المدينة. ومسلم (١٤٧) في الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا. عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها**».

(٢) قال ابن الملقن في التوضيح لشرح الجامع الصحيح (١٢/ ٥٥٧): وأنقاب ونقاب: جمع نقب، قال ابن وهب: يعني مداخلها. وقال غيره: هي أبوابها وفوّهات طرقها التي يُدخل منها إليها. وقال الخطابي: هي طريق في رأس الجبل. وقال الداودي: هي الطرق التي يسهلها الناس، ومنه: ﴿فَنَقَّبُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ﴾ [ق: ٣٦] وضَبْط ابن فارس أنه بالسكون يقتضي ألا يكون جمعه أنقابًا، وإنما يُجمع على نقاب. وقال أبو المعالي في «المنتهى»: النقب: الطريق في الجبل، وكذلك النقب والمنقب والمنقبة، عن يعقوب. وعن القزاز: ويقال أيضًا: نِقب، بكسر النون. وقال الأخفش: أنقابها: طرقها، الواحد: نقب. وهو من الآية السالفة أي: جعلوا فيها طرقًا ومسالك. وقال غيره: ونقاب أيضًا جمع نَقْب، ككلب وكلاب.

تحرسها، فينزل بالسبخة[١] فترجف المدينة ثلاث رجفات يخرج إليه منها كل كافر ومنافق»[٢].

قال ابن بطال رَحِمَهُ اللَّهُ: وقد أخبر الله أنه يوكل الملائكة بحفظ من شاء من عباده من الآفات والعدو والفتن، فقال تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ [الرعد: ١١] يعني بأمر الله لهم بحفظه، وما زالت الملائكة تنفع المؤمنين بالنصر لهم والدعاء والاستغفار لذنوبهم، وسيأتي معنى حديث الدجال وفتنته في موضعه، وهو كتاب الفتن، إن شاء الله. وفي حديث أنس أن الدجال لا يدخل مكة أيضًا، وهو فضل كبير أيضًا لها وللمدينة على سائر الأرض[٣].

٢- وعن أبى بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا يدخل المدينة رعب المسيح الدجال**[٤]**، لها يومئذٍ سبعة أبواب، على كل باب ملكان»**[٥].

دل هذا الحديث على أن المدينة محروسة محفوظة من الدجال، فإذا كانت في مأمن من إرهابه والخوف منه، فهي في مأمن من دخوله من باب أَوْلى؛ لأن الملائكة يقفون على مداخلها فيمنعونها ويحرسونها منه كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**على أنقاب المدينة ملائكة**».

---

(١) **السبخة:** موضع بالمدينة بين الخندق وبين سلع «معجم ما استعجم» للبكري.

(٢) **صحيح:** أخرجه البخاري (١٨٨١) في فضائل المدينة، باب لا يدخل الدجال المدينة. ومسلم (٢٩٤٣) كتاب الآداب، باب الدجال لا يدخل مكة والمدينة.

(٣) «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٤/ ٥٥١).

(٤) الرُّعْب: هُوَ الْخَوْف وَالْفَزَع، فَلَا يَحْصُل لِأَحَدٍ فِيهَا بِسَبَبِ نُزُولِهِ قُرْبَهَا شَيْء مِنْهُ، انظر: «فتح الباري» (٢٠/ ١٣٥).

(٥) **صحيح:** أخرجه البخاري (١٧٨٠) باب لا يدخل الدجال المدينة.

ومعنى ذلك أن حدود المدينة كلها محاطة بسور منيع من الملائكة، فلا يتجاوزها الدجال؛ ولهذا جاء في الأخبار الصحيحة أنه ينزل في السبخة التي تجتمع بها السيول في الشمال الغربي من المدينة، فإذا وصل إلى هناك وقع زلزال بالمدينة، وخرج إليه المنافقون منها، كما في حديث أنس عن النبي ﷺ، حيث قال: «**ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، فيخرج إليه كل كافر ومنافق**» أخرجه الشيخان والنسائي.

ويقيض الله للإسلام في ذلك الموقف الخطر وتلك الظروف الصعبة من يناضل عن الدين، ويقف في وجه المسيح الدجال، ويصمد أمام جبروته وطغيانه، فيقول كلمة الحق أمام ذلك الطاغية ويكذبه ويتحداه أمام الناس[(١)].

٣- وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قال: «**يأتي المسيح من قِبل المشرق همته المدينة، حتى ينزل دُبُر أُحُد، ثم تصرف الملائكة وجهه قِبل الشام، وهناك يهلك**»[(٢)].

قوله: (يَأْتِي الْمَسِيحُ) أَي: الدَّجَّالُ (مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ): بِكَسْرِ الْقَافِ وَفَتْحِ الْمُوَحَّدَةِ أَيْ: مِنْ جِهَتِهِ (وَهِمَّتُهُ) أَيْ: قَصْدُهُ وَنِيَّتُهُ (الْمَدِينَةُ) أَي: السَّكِينَةُ (حَتَّى يَنْزِلَ دُبُرَ أُحُدٍ): بِضَمِّ الدَّالِ وَالْمُوَحَّدَةِ، أَيْ: خَلْفَ أُحُدٍ، وَهُوَ جَبَلٌ مَعْرُوفٌ قُرْبَ الْمَدِينَةِ، (ثُمَّ)... (تَصْرِفُ الْمَلَائِكَةُ) أَيْ: تَرُدُّ (وَجْهَهُ) أَيْ: تَوَجُّهَهُ وَقَصْدَهُ (قِبَلَ الشَّامِ)، أَيْ: إِلَى حَيْثُ جَاءَ مِنْهُ. وَفِيهِ

---

(١) «منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري» (٣/ ١٩٦) تأليف: حمزة محمد قاسم، راجعه: الشيخ عبد القادر الأرناؤوط.

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٣٨٠) في كتاب الحج، باب لا يدخل المدينة الطاعون ولا الدجال.

دَلِيلُ بُطْلَانِهِ، وَأَمَارَةُ عَجْزِهِ وَنُقْصَانِهِ؛ حَيْثُ رَجَعَ الْقَهْقَرَى، وَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَدْخُلَ دَارًا فِيهِ مَدْفَنُ سَيِّدِ الْوَرَى، وَظَاهِرُهُ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ حَرَمَ مَكَّةَ بِالْأَوْلَى وَالْأَحْرَى، (وَهُنَالِكَ) أَيْ: فِي الشَّامِ (يَهْلِكُ) أَيْ: يَقْتُلُهُ عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ[1].

٤- وعنه ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**على أنقاب المدينة ملائكة، لا يدخلها الطاعون ولا الدجال**»[2].

قال الإمام الطيبي ﵀: قوله: «لا يدخلها» جملة مستأنفة بيان لموجب استقرار الملائكة على الأنقاب واستقرارهم عليها، إما علي التمثيل، يعني أن الله تعالي منعها أن يصيب أهلها، أو الحقيقة فيكون منع الطاعون عن دخول الأنقاب على سبيل التغليب[3].

٥- وفي حديث تميم الداري عن الدجال الذي رواه الإمام مسلم عن فاطمة بنت قيس... وفيه يقول الدجال: «وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج فأخرج فأسير في الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة فإنهما محرمتان عليَّ كلتاهما، كلما أردت أن أدخل واحدة أو واحد منهما استقبلني ملك بيده السيف صلتًا يصدني عنها، وإن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها» قالت: قال رسول الله ﷺ وطعن بمخصرته في المنبر: «**هذه طيبة، هذه طيبة**» يعني المدينة[4].

---

(١) «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٨/ ٣٤٧٠) للهروي القاري.

(٢) **صحيح:** أخرجه البخاري (١٨٨٠) باب لا يدخل الدجال المدينة و(٥٧٣١) و(٧١٣٣)، ومسلم (١٣٧٩) في الحج، باب صيانة المدينة من دخول الطاعون والدجال إليها. والنسائي في «الكبرى» (٤٢٧٣) و(٧٥٢٦)، والبغوي (٢٠٢١).

(٣) «شرح المشكاة للطيبي» (٦/ ٢٠٦٠).

(٤) **صحيح:** أخرجه مسلم (٢٩٤٢) كتاب الأدب، باب قصة الجساسة.

٦- وعن أبى سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَأْتِي الدَّجَّالُ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِ أَنْ يَدْخُلَ نِقَابَ المَدِينَةِ، فَيَنْزِلُ بَعْضَ السِّبَاخِ التِي تَلِي المَدِينَةَ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ يَوْمَئِذٍ رَجُلٌ هُوَ خَيْرُ النَّاسِ - أَوْ: مِنْ خِيَارِ النَّاسِ - فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّكَ الدَّجَّالُ الَّذِي حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ حَدِيثَهُ. فَيَقُولُ الدَّجَّالُ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ قَتَلْتُ هَذَا ثُمَّ أَحْيَيْتُهُ، هَلْ تَشُكُّونَ فِي الأَمْرِ؟ فَيَقُولُونَ: لاَ، فَيَقْتُلُهُ ثُمَّ يُحْيِيهِ، فَيَقُولُ: وَاللهِ مَا كُنْتُ فِيكَ أَشَدَّ بَصِيرَةً مِنِّي اليَوْمَ. فَيُرِيدُ الدَّجَّالُ أَنْ يَقْتُلَهُ فَلاَ يُسَلَّطُ عَلَيْهِ**»[١].

قال أبو الوليد الباجي رَحِمَهُ اللهُ: يَقْتَضِي مَنْعَ الْمَلاَئِكَةِ الدَّجَّالَ مِنْ دُخُولِهَا. وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونُوا أَيْضًا قَدْ وُكِّلُوا بِمَنْعِ الطَّاعُونِ مِنْ دُخُولِهَا[٢].

٧- وعن أنس عن رسول الله قال: «**ليس بلدٌ إلّا سيطؤه الدجال إلّا المدينة ومكة على كلِّ نقب من أنقاب المدينة الملائكة صافين يحرسونها...**»[٣].

قال القرطبي: وقوله: «يأتي الدجال وهو محرم عليه أن يدخل المدينة ومكة» أي: هو ممنوع من دخول المدينة ومكة بالملائكة التي تحرسها[٤].

❊ ❊ ❊

(١) **صحيح:** أخرجه البخاري (٧١٣٢) بَابُ لاَ يَدْخُلُ الدَّجَّالُ المَدِينَةَ.

(٢) «المنتقى شرح الموطأ» (٧/ ١٩٥).

(٣) **صحيح:** أخرجه البخاري (١٧٨٢) باب لا يدخل الدجال المدينة، والنسائي في «الكبرى» (٤٢٦٠) باب منع الدجال من المدينة.

(٤) «المفهم لما أشكل من كتاب تلخيص مسلم» ط ابن كثير (٧/ ٢٨٧).

المبحث السابع: الملائكة الموكلة بالشام

ثبت في سنة النبي ﷺ عدة آثار في فضل الشام وأهله، حتى أفرد أهل العلم مصنفات مستقلة في هذا الباب.

ومن بين هذه المناقب ما جاء عن النبي ﷺ من أن الملائكة تبسط أَجْنِحَتَهَا عَلَى الشَّامِ حفظًا لأهله، فقد ورد عن زيد بن ثابت الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يا طوبى للشام، يا طوبى للشام**». قالوا: يا رسول الله وبِمَ ذلك؟ قال: «**تلك ملائكة الله باسطو أجنحتها على الشام**»[(١)].

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: ثَبَتَ لِلشَّامِ وَأَهْلِهِ مَنَاقِبُ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَآثَارِ الْعُلَمَاءِ. وَهِيَ أَحَدُ مَا اعْتَمَدْتُهُ فِي تَحْضِيضِي الْمُسْلِمِينَ عَلَى غَزْوِ التَّتَارِ وَأَمْرِي لَهُمْ بِلُزُومِ دِمَشْقَ وَنَهْيِي لَهُمْ عَنِ الْفِرَارِ إلَى مِصْرَ وَاسْتِدْعَائِي الْعَسْكَرَ الْمِصْرِيَّ إلَى الشَّامِ وَتَثْبِيتِ الشَّامِيِّ فِيهِ. وَقَدْ جَرَتْ فِي ذَلِكَ فُصُولٌ مُتَعَدِّدَةٌ.

(١) **صحيح:** أخرجه الترمذي (٣٩٥٤)، وأحمد (٢١٦٠٦)، وابن حبان (٧٣٠٤)، وعبد الرزاق في «مصنفه» (١٩٤٤٨)، والحاكم في «المستدرك» (٢٩٠١) وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. والطبراني في «الكبير» (٤٩٣٤) (٤٩٣٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١/ ١١٢-١١٥)، من طريق يزيد بن أبي حبيب، عن ابن شماسة، عن زيد بن ثابت به، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٦٠) رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ. وقال المنذري في «الترغيب» (٤/ ٦٣): رواه ابن حبان في «صحيحه»، والطبراني بإسناد صحيح.
وصححه الألباني في «تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن الربعي» (ص٩).

وَهَذِهِ الْمَنَاقِبُ أُمُورٌ. . . وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ تَكَفَّلَ بِالشَّامِ وَأَهْلِهِ كَمَا فِي حَدِيثِ الْخَوَالِي. وَمِنْ ذَلِكَ: أَنَّ مَلَائِكَةَ الرَّحْمَنِ بَاسِطَةٌ أَجْنِحَتَهَا عَلَى الشَّامِ، كَمَا فِي الصَّحِيحِ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ(١).

المبحث الثامن: الملائكة الذين جاءوا بالتابوت

أخبرنا الله ﷻ أن الملائكة جاءت بني إسرائيل، في تلك الفترة - بعد موسى وهارون - بتابوت فيه بقية من آثار آل موسى وآل هارون، تطمينًا لهم وتثبيتًا؛ كي يعلموا أن طالوت مختار من الله تعالى، فيتابعوه ويطيعوهُ، قال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [البقرة: ٢٤٨].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: وَقَوْلُهُ: ﴿تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: جَاءَتِ الْمَلَائِكَةُ تَحْمِلُ التَّابُوتَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ حَتَّى وَضَعَتْهُ بَيْنَ يَدَيْ طَالُوتَ وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ.

وَقَالَ السُّدِّيُّ: أَصْبَحَ التَّابُوتُ فِي دَارِ طَالُوتَ فَآمَنُوا بِنُبُوَّةِ شَمْعُونَ وَأَطَاعُوا طَالُوتَ.

وَقَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنِ الثَّوْرِيِّ عَنْ بَعْضِ أَشْيَاخِهِ: جَاءَتْ بِهِ الْمَلَائِكَةُ تَسُوقُهُ عَلَى عَجَلَةٍ عَلَى بَقَرَةٍ، وَقِيلَ: عَلَى بَقَرَتَيْنِ.

وَذَكَرَ غَيْرُهُ أَنَّ التَّابُوتَ كَانَ بِأَرِيحَا وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ لَمَّا أَخَذُوهُ وَضَعُوهُ فِي بَيْتِ آلِهَتِهِمْ تَحْتَ صَنَمِهِمُ الْكَبِيرِ، فَأَصْبَحَ التَّابُوتُ عَلَى رَأْسِ الصَّنَمِ،

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٧/ ٥١٠).

فَأَنْزَلُوهُ فَوَضَعُوهُ تَحْتَهُ، فَأَصْبَحَ كَذَلِكَ فَسَمَّرُوهُ تَحْتَهُ فَأَصْبَحَ الصَّنَمُ مَكْسُورَ الْقَوَائِمِ مُلْقًى بَعِيدًا، فَعَلِمُوا أَنَّ هَذَا أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهِ، فَأَخْرَجُوا التَّابُوتَ مِنْ بَلَدِهِمْ، فَوَضَعُوهُ فِي بَعْضِ الْقُرَى فَأَصَابَ أَهْلَهَا دَاءٌ فِي رِقَابِهِمْ، فَأَمَرَتْهُمْ جَارِيَةٌ مِنْ سَبْيِ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّ يَرُدُّوهُ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ حَتَّى يُخَلَّصُوا مِنْ هَذَا الدَّاءِ، فَحَمَلُوهُ عَلَى بَقَرَتَيْنِ فَسَارَتَا بِهِ لَا يَقْرَبُهُ أَحَدٌ إِلَّا مَاتَ، حَتَّى اقْتَرَبَتَا مِنْ بَلَدِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَكَسَرَتَا النَّيِّرَيْنِ وَرَجَعَتَا، وَجَاءَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فَأَخَذُوهُ، فَقِيلَ: إِنَّهُ تَسَلَّمَهُ دَاوُدُ عليه السلام، وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ إِلَيْهِمَا حَجَلَ مِنْ فَرَحِهِ بِذَلِكَ. وَقِيلَ: شَابَّانِ مِنْهُمْ فَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقِيلَ: كَانَ التَّابُوتُ بِقَرْيَةٍ مِنْ قُرَى فِلَسْطِينَ يُقَالُ لَهَا: أَزْدَرِدُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ﴾ أَيْ: عَلَى صِدْقِي فِيمَا جِئْتُكُمْ بِهِ مِنَ النُّبُوَّةِ[1].



(١) «تفسير ابن كثير» ت سلامة (١/ ٦٦٧).



الباب الثالث
أعمال الملائكة المتعلقة ببني آدم

مقدمة:

لقد نشأت العلاقة بين الملائكة والإنسان قبل أن يخلق الله ﷻ آدم عليه السلام، وذلك عندما أخبر الله ﷻ ملائكته بأنه سيجعل الإنسان خليفة في الأرض، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة: ٣٠].

وهذا الاستفهام من الملائكة ليس على وجه الاعتراض لأنهم لا يسبقونه بالقول، وإنما هو استفهام للتعلم واستكشاف الحكمة من ذلك، عند ذلك أخبرهم الله تعالى بالسر في ذلك فقال: ﴿إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

فالله تعالى يعلم المصلحة الراجحة في كون آدم عليه السلام خليفة في الأرض، ومن ذلك ما سيكون من ذريته من الرسل والأنبياء، والصِّديقين، والشهداء، وغيرهم من أهل الإيمان[١].

ثم بعد أن خلق الله تعالى آدم ونفخ فيه الروح أمر الملائكة بالسجود له، وقد جاء ذلك في عدة آيات، منها:

١- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ

---

(١) «علاقة الملائكة بالإنسان» (ص٣٥) للعبيد.

وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة: ٣٤].

٢- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾﴾ [الأعراف: ١١].

٣- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾﴾ [الإسراء: ٦١].

٤- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾ [الكهف: ٥٠].

٥- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ﴾ [طه: ١١٦].

٦- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٨ - ٣١].

٧- قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [ص: ٧١ - ٧٤].

ثم بدأت بعد ذلك علاقة الملائكة بالإنسان على الأرض.

وسوف أتناول في هذا الباب إن شاء الله تعالى علاقة الملائكة بالإنسان في الدنيا، وذلك في الفصل الأول، وعلاقتها به في الآخرة في الفصل الثاني.



الفصل الأول
أعمال الملائكة المتعلقة بالإنسان في الدنيا

المبحث الأول: نفخ الأرواح في الأجنة

من الأعمال التي تقوم بها الملائكة وهي متعلقة ببني آدم نفخ الأرواح في الأجنة بأمر الله ﷻ، وكذلك كتابة مستقبل تلك الأجنة، من حيث أعمالها وآجالها وأرزاقها وسعادتها وشقاوتها، كل ذلك والأجنة في بطون أمهاتها(١).

وقد وردت عدة أدلة في هذا الباب، وهي:

١- قول الله ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ﴾: أي:

(١) «العقيدة الإسلامية» د. أحمد جلي (ص١٧٣)، و«الإيمان بالملائكة» للصلابي (ص٧١).

فِي شَكٍّ ﴿مِّنَ ٱلْبَعْثِ﴾ وَهُوَ الْمَعَادُ وَقِيَامُ الْأَرْوَاحِ وَالْأَجْسَادِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ﴾ أَيْ: أَصْلُ بَرْئِهِ لَكُمْ مِنْ تُرَابٍ، وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنْهُ آدَمَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ أَيْ: ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ، ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ ذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا اسْتَقَرَّتِ النُّطْفَةُ فِي رَحِمِ الْمَرْأَةِ، مَكَثَتْ أَرْبَعِينَ يَوْمًا كَذَلِكَ، يُضَافُ إِلَيْهِ مَا يَجْتَمِعُ إِلَيْهَا، ثُمَّ تَنْقَلِبُ عَلَقَةً حَمْرَاءَ بِإِذْنِ اللَّهِ، فَتَمْكُثُ كَذَلِكَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ تَسْتَحِيلُ فَتَصِيرُ مُضْغَةً - قِطْعَةً مِنْ لَحْمٍ لَا شَكْلَ فِيهَا وَلَا تَخْطِيطَ - ثُمَّ يُشْرَعُ فِي التَّشْكِيلِ وَالتَّخْطِيطِ، فَيُصَوَّرُ مِنْهَا رَأْسٌ وَيَدَانِ، وَصَدْرٌ وَبَطْنٌ، وَفَخْذَانِ وَرِجْلَانِ، وَسَائِرُ الْأَعْضَاءِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ أَيْ: كَمَا تُشَاهِدُونَهَا، ﴿وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أَيْ: وَتَارَةً تَسْتَقِرُّ فِي الرَّحِمِ لَا تُلْقِيهَا الْمَرْأَةُ وَلَا تُسْقِطُهَا، كَمَا قَالَ مُجَاهِدٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ قَالَ: هُوَ السَّقْطُ مَخْلُوقٌ وَغَيْرُ مَخْلُوقٍ. فَإِذَا مَضَى عَلَيْهَا أَرْبَعُونَ يَوْمًا، وَهِيَ مُضْغَةٌ، أَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهَا مَلَكًا فَنَفَخَ فِيهَا الرُّوحَ، وَسَوَّاهَا كَمَا يَشَاءُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، مِنْ حَسَنٍ وَقَبِيحٍ، وَذَكَرٍ وَأُنْثَى، وَكَتَبَ رِزْقَهَا وَأَجَلَهَا، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ"[١].

٢- وعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ: «**إِنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ إِلَيْهِ الْمَلَكَ فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ عَمَلِهِ وَأَجَلِهِ وَرِزْقِهِ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ**»[٢].

---

(١) «تفسير ابن كثير» ت سلامة (٥/ ٣٩٥).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٥٩٤) بَابُ: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾﴾ [الصافات: ١٧١]، ومسلم (٢٦٤٣) كتاب الْقَدَرِ، باب خلق الإنسان وكتابة رزقه وأجله وعمله.

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهُ ﷺ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: (ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ) ظَاهِرُهُ أَنَّ إِرْسَالَهُ يَكُونُ بَعْدَ مِائَةٍ وَعِشْرِينَ يَوْمًا وَفِي الرِّوَايَةِ الَّتِي بَعْدَ هَذِهِ: «يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر في الرحم بأربعين أو خمسة وأربعين ليلة فيقول يا رب أَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ؟» وَفِي الرِّوَايَةِ الثَّالِثَةِ: «إِذَا مَرَّ بِالنُّطْفَةِ اثْنَتَانِ وَأَرْبَعُونَ لَيْلَةً بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهَا مَلَكًا فَصَوَّرَهَا وَخَلَقَ سَمْعَهَا وَبَصَرَهَا وَجِلْدَهَا» وَفِي رِوَايَةِ حُذَيْفَةَ بْنِ أُسَيْدٍ: «إِنَّ النُّطْفَةَ تَقَعُ فِي الرَّحِمِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ يَتَسَوَّرُ عَلَيْهَا الْمَلَكُ» وَفِي رِوَايَةٍ: «إِنَّ مَلَكًا مُوَكَّلًا بِالرَّحِمِ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَخْلُقَ شَيْئًا بِإِذْنِ اللَّهِ لِبِضْعٍ وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً...» وَذَكَرَ الْحَدِيثَ[1].

٣- وعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أُسَيْدٍ - يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ - قَالَ: «**يَدْخُلُ الْمَلَكُ عَلَى النُّطْفَةِ بَعْدَ مَا تَسْتَقِرُّ فِي الرَّحِمِ بِأَرْبَعِينَ أَوْ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ؟ فَيَقُولُ اللَّهُ، وَيَكْتُبَانِ، فَيَقُولُ: أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى؟ فَيَقُولُ اللَّهُ وَيَكْتُبَانِ، وَيُكْتَبُ عَمَلُهُ وَأَثَرُهُ وَرِزْقُهُ وَأَجَلُهُ، ثُمَّ تُطْوَى الصُّحُفُ، فَلَا يُزَادُ عَلَى مَا فِيهَا وَلَا يُنْتَقَصُ**»[2].

فائدة: قد يبدو أن هذا الحديث يخالف حديث عبد الله بن مسعود المتقدم؛ لأن ظاهر حديث عبد الله - كما تقدم- أنه يبقى أربعين يومًا نطفة، ثم أربعين أخرى علقة، ثم أربعين مضغة، ثم يبعث إليه الملك بعد الأربعين الثالثة.

قال ابن رجب: (ظاهر حديث حذيفة يدل على أن تصوير الجنين وخلق سمعه وبصره وجلده ولحمه وعظامه - يكون في الأربعين الثانية، فيلزم أن يكون في الأربعين الثانية لحمًا وعظامًا، وهذا خلاف ظاهر حديث عبد الله،

(١) «شرح النووي على مسلم» (١٦/ ١٩١)، و«جامع العلوم والحكم» (ص٤٥)، و«طريق الهجرتين» لابن القيم (ص١٣٨).

(٢) **صحيح:** أخرجه مسلم (٢٦٤٤) كتاب الآداب، باب كيفية خلق الآدمي.

وظاهره أنه يصورها، ويخلق هذه الأجزاء كلها، وقد يكون خلق ذلك بتصويره وتقسيمه قبل وجود اللحم والعظام، فلا يكون بين الحديثين اختلاف.

وتأول بعضهم على أن الملك يقسّم النطفة إذا صارت علقة إلى أجزاء، فيجعل بعضها للجلد، وبعضها للحم، وبعضها للعظام، فيقدر ذلك كله قبل وجوده، وهذا خلاف ظاهر الحديث)[(١)].

وقال أيضًا: (وقد ذكر علماء الطب ما يوافق الحديث.

قالوا: إن المَنيَّ إذا وقع في الرحم حصل له زبدة ورغوة ستة أيام، أو سبعة أيام وفي هذه الأيام تصور النطفة من غير استمداد من الرحم، ثم بعد ذلك تستمد منه، وابتداء الخطوط والنقط بعد هذا بثلاثة أيام وقد يتقدم ويتأخر يومًا، ثم بعد ستة أيام وهو الخامس عشر من وقت العلوق، ينفذ الدم إلى الجميع فيصير علقة، ثم تتميز الأعضاء تميزًا ظاهرًا ويتنحى بعضها عن مماسة بعض، وتمتد رطوبة النخاع، ثم بعد تسعة أيام ينفصل الرأس عن المنكبين والأطراف عن الأصابع ويتميز تميزًا يستبين في بعض ويخفى في بعض.

قالوا: وأقل مدة يتصور فيها الذكر ثلاثون يومًا، والزمان المعتدل في تصوير الجنين خمسة وثلاثون يومًا، وقد يتصور في خمسة وأربعين يومًا، ولم يوجد في الإسقاط ذكر تم قبل ثلاثون يومًا، ولا أنثى قبل أربعين يومًا.

فهذا يوافق ما دل عليه حديث حذيفة في التخليق في الأربعين الثانية، ومصيره لحمًا فيها أيضًا)[(٢)].

---

(١) «جامع العلوم والحكم» ط الأرنؤوط (١/ ١٥٨).

(٢) «جامع العلوم والحكم» ط الأرنؤوط (١/ ١٥٩).

٤- وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**وكّل الله بالرحم ملكًا، فيقول: أي ربّ نطفة، أي ربّ عَلَقَة، أي ربّ مضغة، فإذا أراد الله أن يقضي خَلْقَها قال: أي ربّ ذكر أم أنثى؟ أشقيّ أم سعيد؟ فما الرزق؟ فما الأجل؟ فيكتب كذلك في بطن أمه**»[١].

٥- وعن ابن مسعود قال: النطفة إذا استقرت في الرحم أخذها ملك بكفه فقال: أي رب أمخلقة أم غير مخلقة؟ فإن قيل: (غير مخلقة) لم تكن نسمة وقذفتها الأرحام دمًا، وإن قيل: (مخلقة)، قال: أي رب أذكر أم أنثى؟ شقي أم سعيد؟ وما الأثر؟ وما الرزق؟ وبأي أرض تموت؟ قال: فيقال للنطفة: مَن ربك؟ فتقول: الله. فيقال: مَن رازقك؟ فتقول: الله. فيقال للملك: اذهب إلى أم الكتاب فإنك ستجد فيه قصة هذه النطفة. قال: فتخلق فتعيش في أجلها وتأكل رزقها وتطأ أثرها حتى إذا جاء أجلها ماتت فدُفنت في ذلك المكان. ثم تلا عامر: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ﴾ إلى قوله: ﴿وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ فإذا بلغت مضغة نكست في الخلق الرابع فكانت نسمة، وإن كانت غير مخلقة قذفتها الرحم دمًا، وإن كانت مخلقة تكست دمًا[٢].

❊ ❊ ❊

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٥٩٥) كتاب القدر، ومسلم: (٢٦٤٦) كتاب الآداب، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه، واللفظ للبخاري.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٨/ ٢٤٧٤) رقم (١٣٧٨١) من طريق داود بن أبي هند عن الشعبي عن علقمة عن عبد الله بن مسعود به.

المبحث الثاني: حِفظ بني آدم

من أهم الأعمال التي تقوم بها الملائكة وهي متعلقة ببني آدم أن الملائكة تتعاقب على العبد لحراسته في كل وقت، كما أن هناك ملائكة تقوم بحفظ أعمال الإنسان من خير أو شر، فالإنسان بين أربعة أملاك بالنهار، وأربعة بالليل، حافظان وكاتبان.

ومن الأدلة على قيام الملائكة بحراسة الإنسان وحفظه ما يلي:

١- قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الأنعام: ٦١].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويرسل عليكم حفظة» وهي ملائكته الذين يتعاقبونكم ليلًا ونهارًا، يحفظون أعمالكم ويحصونها، ولا يفرطون في حفظ ذلك وإحصائه ولا يُضيعون.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذِكر من قال ذلك: حدثنا محمد بن الحسين قال: حدثنا أحمد بن المفضل قال: حدثنا أسباط، عن السدي قوله: «ويرسل عليكم حفظة»، قال: هي المعقبات من الملائكة، يحفظونه ويحفظون عمله. وحدثنا بشر ابن معاذ قال: حدثنا يزيد بن زريع قال: حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: «وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون»، يقول: حفظة، يا ابن آدم، يحفظون عليك عملك ورزقك وأجلك، إذا توفَّيت ذلك قُبضت إلى ربك.

«حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون»، يقول تعالى ذكره: إن ربكم يحفظكم برسل يعقِّب بينها، يرسلهم إليكم بحفظكم وبحفظ

أعمالكم إلى أن يحضركم الموت وينزل بكم أمر الله، فإذا جاء ذلك أحدكم، توفاه أملاكنا الموكَّلون بقبض الأرواح، ورسلنا المرسلون به «وهم لا يفرطون»، في ذلك فيضيعونه(١).

٢- قوله تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [الرعد: ١١].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: وَقَوْلُهُ: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ أَيْ: لِلْعَبْدِ مَلَائِكَةٌ يَتَعَاقَبُونَ عَلَيْهِ، حَرَسٌ بِاللَّيْلِ وحَرَسٌ بِالنَّهَارِ، يَحْفَظُونَهُ مِنَ الْأَسْوَاءِ وَالْحَادِثَاتِ، كَمَا يَتَعَاقَبُ مَلَائِكَةٌ آخَرُونَ لِحِفْظِ الْأَعْمَالِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، فَاثْنَانِ عَنِ الْيَمِينِ وعَنِ الشِّمَالِ يَكْتُبَانِ الْأَعْمَالَ، صَاحِبُ الْيَمِينِ يَكْتُبُ الْحَسَنَاتِ، وَصَاحِبُ الشِّمَالِ يَكْتُبُ السَّيِّئَاتِ، وَمَلَكَانِ آخَرَانِ يَحْفَظَانِهِ وَيَحْرُسَانِهِ، وَاحِدًا مِنْ وَرَائِهِ وَآخِرَ مَنْ قُدَّامِهِ، فَهُوَ بَيْنُ أَرْبَعَةِ أَمْلَاكٍ بِالنَّهَارِ، وَأَرْبَعَةٍ آخَرِينَ بِاللَّيْلِ بَدَلًا حَافِظَانِ وَكَاتِبَانِ، كَمَا جَاءَ فِي الصَّحِيحِ: «**يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ، فَيَصْعَدُ إِلَيْهِ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بكم: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: أَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَتَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ**» وَفِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ: «**إِنَّ مَعَكُمْ مَنْ لَا يُفَارِقُكُمْ إِلَّا عِنْدَ الْخَلَاءِ وَعِنْدَ الْجِمَاعِ، فَاسْتَحْيُوهُمْ وَأَكْرِمُوهُمْ**».

وقال عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾: الْمُعَقِّبَاتُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ، وَهِيَ الْمَلَائِكَةُ.

وقال عِكْرِمة، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ قَالَ: مَلَائِكَةٌ يَحْفَظُونَهُ

(١) «تفسير الطبري = جامع البيان» ت شاكر (١١/ ٤٠٩).

مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفِهِ، فَإِذَا جَاءَ قَدَرُ اللَّهِ خَلَّوا عَنْهُ.

وقال مُجَاهِدٌ: مَا مِنْ عَبْدٍ إِلَّا لَهُ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ، يَحْفَظُهُ فِي نَوْمِهِ وَيَقَظَتِهِ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْهَوَامِّ، فَمَا مِنْهَا شَيْءٌ يَأْتِيهِ يُرِيدُهُ إِلَّا قَالَ الْمَلَكُ: وَرَاءَكَ! إِلَّا شَيْءٌ يَأْذَنُ اللَّهُ فِيهِ فَيُصِيبُهُ(١).

٣- قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠- ١٢].

قال ابن عطية رَحِمَهُ اللهُ: «الحافظون»: هم الملائكة الذين يكتبون أعمال ابن آدم، وقد وصفهم بالكرم الذي هو نفي المَذَامّ. ويَعْلَمُونَ ما يفعل ابن آدم لمشاهدتهم حاله، وقد رُوي حديث ذكره سفيان يقتضي أن العبد إذا عمل سيئة مما لا تُرى ولا تُسمع، مثل الخواطر المستصحبة ونحوها - أن الملك يجد ريح تلك الخطرة الخفية بإدراك قد خلقه الله لهم(٢).

٤- قوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾﴾ [الطارق: ٤].

قال البغوي رَحِمَهُ اللهُ: وَتَأْوِيلُ الْآيَةِ: كُلُّ نَفْسٍ عَلَيْهَا حَافِظٌ مِنْ رَبِّهَا يَحْفَظُ عَمَلَهَا وَيُحْصِي عَلَيْهَا مَا تَكْتَسِبُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُمُ الْحَفَظَةُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ. وقَالَ الْكَلْبِيُّ: حَافِظٌ مِنَ اللَّهِ يَحْفَظُهَا وَيَحْفَظُ قَوْلَهَا وَفِعْلَهَا حَتَّى يَدْفَعَهَا وَيُسَلِّمَهَا إِلَى الْمَقَادِيرِ ثُمَّ يُخَلِّي عَنْهَا(٣).

وقد بَيَّنَ النبي ﷺ بعض الأذكار التي تحفظ الملائكة من قالها في يومه ذاك أو في موضعه الذي قالها فيه، فمن ذلك(٤):

---

(١) «تفسير ابن كثير» ت سلامة (٤/ ٤٣٧).

(٢) «تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» (٥/ ٤٤٧).

(٣) «تفسير البغوي» (٨/ ٣٩٤) ط/ طيبة.

(٤) «الإيمان بالملائكة» للصلابي (ص٧٨).

١- ما جاء عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: وَكَّلَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ، فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ، وَقُلْتُ: وَاللهِ لأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ. قَالَ: إِنِّي مُحْتَاجٌ، وَعَلَيَّ عِيَالٌ، وَلِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ! قَالَ: فَخَلَّيْتُ عَنْهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ؟**» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً، وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ. قَالَ: «**أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ، وَسَيَعُودُ**» فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ لِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِنَّهُ سَيَعُودُ، فَرَصَدْتُهُ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ. قَالَ: دَعْنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ، لاَ أَعُودُ! فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ؟**» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً، وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ. قَالَ: «**أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ، وَسَيَعُودُ**»، فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَةَ، فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهَذَا آخِرُ ثَلاَثِ مَرَّاتٍ، إِنَّكَ تَزْعُمُ لاَ تَعُودُ، ثُمَّ تَعُودُ، قَالَ: دَعْنِي أُعَلِّمْكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهَا. قُلْتُ: مَا هُنَّ؟ قَالَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ، فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُۚ﴾ حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ، فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ، وَلاَ يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ؟**». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللهُ بِهَا، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «**مَا هِيَ؟**» قُلْتُ: قَالَ لِي: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ، فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا، حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُۚ﴾ وَقَالَ لِي: لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ، وَلاَ يَقْرَبَكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ - وَكَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى الخَيْرِ -. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، تَعْلَمُ مَنْ**

تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلاَثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟». قَالَ: لاَ. قَالَ: «**ذَاكَ شَيْطَانٌ**»(١).

٢- وعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ البَدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الآيَتَانِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ البَقَرَةِ، مَنْ قَرَأَهُمَا فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ**»(٢).

قال أبو العباس القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: وقوله: (من قرأ هاتين الآيتين في ليلة كفتاه)؛ أي: من قيام الليل، أو من حزبه، إن كان له حزب من القرآن، وقيل: وقتاه شرَّ كل شيطان وكل ذي شر؛ كما جاء في أن: (من قرأ آية الكرسي لم يزل عليه من الله تعالى حافظ، ولم يقربه شيطان حتى يصبح)، أو لكثرة ما يحصل له بقراءتهما من الثواب والأجر، والله أعلم(٣).

٣- وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة، كانت له عدل عشر رقاب وكُتبت له مائة حسنة ومُحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأتِ أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل عملاً أكثر من ذلك**»(٤).

٤- وعَنْ مُعَاذِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خُبَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ قَالَ: خَرَجْنَا فِي لَيْلَةٍ

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٣١١) كتاب الوكالة، بَابُ إِذَا وَكَّلَ رَجُلًا فَتَرَكَ الوَكِيلُ شَيْئًا فَأَجَازَهُ المُوَكِّلُ فَهُوَ جَائِزٌ. وَإِنْ أَقْرَضَهُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى جَازَ.

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري ط/ الشعب (٥٠٥١) بَابٌ: فِي كَمْ يُقْرَأُ القُرْآنُ. وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ﴾، ومسلم (٨٠٧) كتاب الصلاة، باب من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة.

(٣) «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» (٧/ ٦٧).

(٤) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣١١٩) باب صفة إبليس وجنوده، ومسلم (٢٦٩١) في الذكر والدعاء والتوبة، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء.

مَطَرٍ وَظُلْمَةٍ شَدِيدَةٍ، نَطْلُبُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِيُصَلِّيَ لَنَا، فَأَدْرَكْنَاهُ، فَقَالَ: «**أَصَلَّيْتُمْ؟**» فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، فَقَالَ: «**قُلْ**» فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: «**قُلْ**» فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: «**قُلْ**» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «**قُلْ: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ حِينَ تُمْسِي، وَحِينَ تُصْبِحُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ**»(١).

المبحث الثالث: كتابة أعمال الإنسان وإحصاؤها عليه

فقد وردت عدة نصوص تؤكد على أن الكرام الكاتبين من الملائكة ملازمون للإنسان ليله ونهاره، وأنهم يكتبون أقواله وأعماله (القلبية والظاهرة) كتابة حقيقية في صحف حقيقية، سواء كانت هذه الأعمال صغيرة أو كبيرة.

والحكمة من كتابة الملائكة لأعمال بني آدم هي إقامة الحجة على العباد، وقطع كل شبهة قد يعتذر بها العاصي يوم القيامة.

ومن هذه النصوص ما يلي:

١- قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٣، ١٤].

---

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٣٥٧٥) وقال: حسن صحيح غريب. وأبو داود (٥٠٨٤) باب ما يقول إذا أصبح. والنسائي (٥٤٢٨) كِتَابُ الِاسْتِعَاذَةِ. وفي «الكبرى» (٧٨٦٠)، وأحمد (٢٢٦٦٤)، والبيهقي في «الدعوات الكبير» (٤٥)، وعبد بن حميد (٤٩٤)، والضياء في «المختارة» (٢٤٩)، وابن سعد (٤/ ٣٥١) كلهم من طرق عن ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْبَرَّادِ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خُبَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ به. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٤٠٦).

قال أبو جعفر الطبري: يقول تعالى ذكره: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ كِتَـٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ فيقال له: ﴿ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ فترك ذكر قوله: (فنقول له)، اكتفاء بدلالة الكلام عليه. وعنى بقوله: ﴿ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ﴾: اقرأ كتاب عملك الذي عملته في الدنيا، الذي كان كاتبانا يكتبانه، ونحصيه عليك ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ يقول: حَسْبك اليوم نفسك عليك حاسبًا يحسب عليك أعمالك، فيحصيها عليك، لا نبتغي عليك شاهدًا غيرها، ولا نطلب عليك محصيًا سواها[١].

٢- قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [يونس: ٢١].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: وقوله: ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾﴾ يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ إِذَا أَذَاقَ النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ، كَالرَّخَاءِ بَعْدَ الشِّدَّةِ، وَالْخِصْبِ بَعْدَ الْجَدْبِ، وَالْمَطَرِ بَعْدَ الْقَحْطِ وَنَحْوَ ذَلِك ﴿إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا﴾. قَالَ مُجَاهِدٌ: اسْتِهْزَاءٌ وَتَكْذِيبٌ. كَمَا قَالَ: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ﴾ [يُونُس: ١٢].

وَقَوْلُهُ: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ أَيْ: أَشَدُّ اسْتِدْرَاجًا وَإِمْهَالًا حَتَّى يَظُنَّ الظَّانُّ مِنَ الْمُجْرِمِينَ أَنَّهُ لَيْسَ بِمُعَذَّبٍ وَإِنَّمَا هُوَ فِي مُهْلَةٍ، ثُمَّ يُؤْخَذُ عَلَى غِرَّةٍ مِنْهُ، وَالْكَاتِبُونَ الْكِرَامُ يَكْتُبُونَ عَلَيْهِ جَمِيعَ مَا يَفْعَلُهُ، وَيُحْصُونَهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَعْرِضُونَ عَلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، فَيُجَازِيهِ عَلَى الْحَقِيرِ وَالْجَلِيلِ وَالنَّقِيرِ والقِطْمِيرِ[٢].

---

(١) «تفسير الطبري = جامع البيان» ت شاكر (١٧/ ٤٠١).

(٢) «تفسير ابن كثير» ت سلامة (٤/ ٢٥٩).

٣- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٦ - ١٨].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: وقوله: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ﴾ يَعْنِي: الْمَلَكَيْنِ اللَّذَيْنِ يَكْتُبَانِ عَمَلَ الْإِنْسَانِ. ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ أَيْ: مُتَرَصِّدٌ، ﴿مَّا يَلْفِظُ﴾ أَيِ: ابْنُ آدَمَ ﴿مِن قَوْلٍ﴾ أَيْ: مَا يَتَكَلَّمُ بِكَلِمَةٍ ﴿إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ أَيْ: إِلَّا وَلَهَا مَنْ يُرَاقِبُهَا مُعْتَدٍ لِذَلِكَ يَكْتُبُهَا، لَا يَتْرُكُ كَلِمَةً وَلَا حَرَكَةً(١).

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهُ تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ قَوْلُهُ «إِذْ»: مَنْصُوبٌ بِقَوْلِهِ: «أَقْرَبُ»، أَيْ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ فِي الْوَقْتِ الَّذِي يَتَلَقَّى فِيهِ الْمَلَكَانِ جَمِيعَ مَا يَصْدُرُ مِنْهُ، وَالْمُرَادُ أَنَّ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ وَيَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَهُوَ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ فِي وَقْتِ كِتَابَةِ الْحَفَظَةِ أَعْمَالَهُ لَا حَاجَةَ لَهُ لِكُتُبِ الْأَعْمَالِ، لِأَنَّهُ عَالِمٌ بِهَا، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ، وَإِنَّمَا أَمَرَ بِكِتَابَةِ الْحَفَظَةِ لِلْأَعْمَالِ لِحِكَمٍ أُخْرَى كَإِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَى الْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كَمَا أَوْضَحَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ كِتَـٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٣، ١٤].

وَمَفْعُولُ التَّلَقِّي فِي الْفِعْلِ الَّذِي هُوَ «يَتَلَقَّى»، وَالْوَصْفُ الَّذِي هُوَ «الْمُتَلَقِّيَانِ» مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ: إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ جَمِيعَ مَا يَصْدُرُ عَنِ الْإِنْسَانِ فَيَكْتُبَانِهِ عَلَيْهِ.

قال الزَّمَخْشَرِيُّ: وَالتَّلَقِّي التَّلَقُّنُ بِالْحِفْظِ وَالْكِتَابَةِ. اهـ مِنْهُ.

---

(١) «تفسير ابن كثير» ت سلامة (٧/ ٣٩٨).

وَالْمَعْنَى وَاضِحٌ لِأَنَّ الْمَلَكَ يَتَلَقَّى عَمَلَ الْإِنْسَانِ عِنْدَ صُدُورِهِ مِنْهُ فَيَكْتُبُهُ عَلَيْهِ، وَالْمُتَلَقِّيَانِ هُمَا الْمَلَكَانِ اللَّذَانِ يَكْتُبَانِ أَعْمَالَ الْإِنْسَانِ.

وَقَدْ دَلَّتِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ عَلَى أَنَّ مَقْعَدَ أَحَدِهِمَا عَنْ يَمِينِهِ وَمَقْعَدَ الْآخَرِ عَنْ شِمَاله.

وَالْقَعِيدُ: قَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَاهُ الْقَاعِدُ. وَالْأَظْهَرُ أَنَّ مَعْنَاهُ الْمُقَاعِدُ، وَقَدْ يَكْثُرُ فِي الْعَرَبِيَّةِ إِطْلَاقُ الْفَعِيلِ وَإِرَادَةُ الْمُفَاعِلِ، كَالْجَلِيسِ بِمَعْنَى الْمُجَالِسِ، وَالْأَكِيلِ بِمَعْنَى الْمُؤَاكِلِ، وَالنَّدِيمِ بِمَعْنَى الْمُنَادِمِ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْقَعِيدُ هُنَا هُوَ الْمُلَازِمُ، وَكُلُّ مُلَازِمٍ دَائِمًا أَوْ غَالِبًا يُقَالُ لَهُ قَعِيدٌ[1].

فائدة: تساءل ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: ما الذي تكتبه الملائكة؟

فأجاب رَحِمَهُ اللَّهُ **قائلًا:** وَقَدِ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ: هَلْ يَكْتُبُ الْمَلَكُ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الْكَلَامِ؟ وَهُوَ قَوْلُ الْحَسَنِ وقَتَادَةَ، أَوْ إِنَّمَا يَكْتُبُ مَا فِيهِ ثَوَابٌ وَعِقَابٌ كَمَا هُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ، وَظَاهِرُ الْآيَةِ الْأَوَّلُ؛ لِعُمُومِ قَوْلِهِ: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٨].

وَقَدْ قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَلْقَمَةَ اللَّيْثِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ عَلْقَمَةَ، عَنْ بِلَالِ بْنِ الْحَارِثِ الْمُزَنِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ تَعَالَى مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، يَكْتُبُ اللَّهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ. وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، يَكْتُبُ اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ**».

قَالَ: فَكَانَ عَلْقَمَةُ يَقُولُ: كَمْ مِنْ كَلَامٍ قَدْ مَنَعَنِيهِ حَدِيثُ بِلَالِ بْنِ الْحَارِثِ...

---

(١) «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» (٧/ ٤٢٦).

وَقَالَ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ: صَاحِبُ الْيَمِينِ يَكْتُبُ الْخَيْرَ، وَهُوَ أَمِيرٌ عَلَى صَاحِبِ الشِّمَالِ، فَإِنْ أَصَابَ الْعَبْدُ خَطِيئَةً قَالَ لَهُ: أَمْسِكْ، فَإِنِ اسْتَغْفَرَ اللَّهَ تَعَالَى نَهَاهُ أَنْ يَكْتُبَهَا، وَإِنْ أَبَى كَتَبَهَا. رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ.

وقال الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ وَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾: يَا ابْنَ آدَمَ، بُسِطَتْ لَكَ صَحِيفَةٌ، وَوُكِّلَ بِكَ مَلَكَانِ كَرِيمَانِ أَحَدُهُمَا عَنْ يَمِينِكَ، وَالْآخَرُ عَنْ شِمَالِكَ، فَأَمَّا الَّذِي عَنْ يَمِينِكَ فَيَحْفَظُ حَسَنَاتِكَ، وَأَمَّا الَّذِي عَنْ يَسَارِكَ فَيَحْفَظُ سَيِّئَاتِكَ، فَاعْمَلْ مَا شِئْتَ، أَقْلِلْ أَوْ أَكْثِرْ، حَتَّى إِذَا مِتَّ طُوِيَتْ صَحِيفَتُكَ، وَجُعِلَتْ فِي عُنُقِكَ مَعَكَ فِي قَبْرِكَ، حَتَّى تَخْرُجَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقُولُ: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٣، ١٤] ثُمَّ يَقُولُ: عَدَلَ - وَاللَّهِ - فِيكَ مَنْ جَعَلَكَ حَسِيبَ نَفْسِكَ.

وقال عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ قَالَ: يَكْتُبُ كُلَّ مَا تَكَلَّمَ بِهِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَكْتُبُ قَوْلَهُ: «أَكَلْتُ، شَرِبْتُ، ذَهَبْتُ، جِئْتُ، رَأَيْتُ»، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ الْخَمِيسِ عَرَضَ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ، فَأَقَرَّ مِنْهُ مَا كَانَ فِيهِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ وَأَلْقَى سَائِرَهُ، وَذَلِكَ قَوْلِهِ: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾ [الرعد: ٣٩].

وَذُكِرَ عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ أَنَّهُ كَانَ يَئِنُّ فِي مَرَضِهِ، فَبَلَغَهُ عَنْ طَاوُوسٍ أَنَّهُ قَالَ: يَكْتُبُ الْمَلَكُ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الْأَنِينَ. فَلَمْ يَئِنَّ أَحْمَدُ حَتَّى مَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ[١].

٤- قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الزخرف: ٨٠].

---

(١) «تفسير ابن كثير» ت سلامة (٧/ ٣٩٨).

٥- قوله تعالى: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٢٩ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ۝٣٠ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ وَكُنتُمۡ قَوۡمًا مُّجۡرِمِينَ﴾ [الجاثية: ٢٩ - ٣١].

وفي تفسير مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ: أَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، قَالَ: ثنا إِبْرَاهِيمُ، قَالَ: نَا آدَمُ، قَالَ: ثَنَا وَرْقَاءُ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ مِقْسَمٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٩] قَالَ: «نَسْتَنْسِخُ الْحَفَظَةَ مِنْ أُمِّ الْكِتَابِ مَا يَعْمَلُ بَنُو آدَمَ، فَإِنَّمَا يَعْمَلُ الْإِنْسَانُ عَلَى مَا اسْتَنْسَخَ لَهُ الْمَلَكُ مِنْ أُمِّ الْكِتَابِ»[1].

٦- قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠ - ١٢].

قال البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: وقوله: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠﴾ رُقَبَاءَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَحْفَظُونَ عَلَيْكُمْ أَعْمَالَكُمْ. ﴿كِرَامٗا﴾ عَلَى اللَّهِ ﴿كَٰتِبِينَ﴾ يَكْتُبُونَ أَقْوَالَكُمْ وَأَعْمَالَكُمْ. ﴿يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ۝١٢﴾ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ[2].

٧- قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ۝٥٢ وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٌ﴾ [القمر: ٥٢، ٥٣].

٨- قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨].

٩- قوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ

(١) «تفسير مجاهد» (ص٦٠١) ط/ دار الفكر الإسلامي.

(٢) «تفسير البغوي» - طيبة (٨/ ٣٥٧).

حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ [الكهف: ٤٩].

١٠- قوله تعالى: ﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [التوبة: ١٢١].

١١- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **«يصاح برجل من أمتي يوم القيامة على رءوس الخلائق، فيُنشر له تسعة وتسعون سِجِلًّا كل سجل مد البصر، ثم يقول الله ﷻ هل تنكر من هذا شيئًا؟ فيقول: لا يا رب. فيقول: أظلمتك كتبتي الحافظون؟ ثم يقول: ألك عن ذلك حسنة؟ فيهاب الرجل فيقول: لا. فيقول: بلى إن لك عندنا حسنات وإنه لا ظلم عليك اليوم. فتخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله. قال: «فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟! فيقول: إنك لا تُظلم. فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة»**[1].

قلت: هذا نص صريح من النبي ﷺ في إثبات وجود الحفظة من الملائكة الذين يكتبون أعمال العباد.

١٢- وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: **«يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ، فَيَصْعَدُ إِلَيْهِ الَّذِينَ كَانُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ - وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ -: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ:**

---

(١) **صحيح:** أخرجه الترمذي (٢٦٣٩) وقال: حسن غريب. وابن ماجه (٤٣٠٠)، وأحمد (٦٩٩٤)، وابن حبان (٢٢٥)، والحاكم في «المستدرك» (٩) وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. والطبراني في «الأوسط» (٤٧٢٥) كلهم من طرق عن الليث بن سعد قال: حدثني عامر بن يحيى عن أبي عبد الرحمن الحُبُلّي قال: سمعت عبد الله بن عمرو يقول: قال رسول الله ﷺ به.
وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٣٥).

أَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَفَارَقْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ»[١].

١٣- وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: خَلَتِ الْبِقَاعُ حَوْلَ الْمَسْجِدِ، فَأَرَادَ بَنُو سَلِمَةَ أَنْ يَنْتَقِلُوا إِلَى قُرْبِ الْمَسْجِدِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ لَهُمْ: «**إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَنْتَقِلُوا قُرْبَ الْمَسْجِدِ**»، قَالُوا: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللهِ قَدْ أَرَدْنَا ذَلِكَ. فَقَالَ: «**يَا بَنِي سَلِمَةَ دِيَارَكُمْ تُكْتَبْ آثَارُكُمْ، دِيَارَكُمْ تُكْتَبْ آثَارُكُمْ**»[٢].

١٤- وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «**إِنَّ صَاحِبَ الشِّمَالِ لِيَرْفَعُ الْقَلَمَ سِتَّ سَاعَاتٍ عَنِ الْعَبْدِ الْمُسْلِمِ الْمُخْطِئِ الْمُسِيءِ، فَإِنْ نَدِمَ وَاسْتَغْفَرَ مِنْهَا أَلْقَاهَا عَنْهُ، وَإِلَّا كُتِبَتْ وَاحِدَةً**»[٣].

قال الصنعاني رَحِمَهُ اللهُ: (إن صاحب الشمال) وهو كاتب السيئات (ليرفع القلم ست ساعات) يؤخره عن كتب الخطيئة (عن العبد المسلم المخطئ) الذي أتى خطيئة. (فإن ندم واستغفر منها ألقاها) ترك كتابتها. والضمير للخطيئة الدال عليها ذكر المخطئ، (وإلا) يندم ويستغفر (كتبت واحدة) ويأتي أنه يأمره بالتأني صاحب اليمين، وأنه الأمير عليه فيأمر أن يتأنى ست

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٥٥) في مواقيت الصلاة، فضل صلاة العصر. ومسلم (ح٦٣٢) في المساجد، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما.

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٤٦٤) باب فضل كثرة الخطى إلى المساجد، وأحمد (١٤٦٢٠)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٤٥١).

(٣) **صحيح**: أخرجه الطبراني (٨/ ١٨٥، رقم ٧٧٦٥) قال الهيثمي (١٠/ ٢٠٨): رواه الطبراني بأسانيد ورجال أحدها وُثقوا. وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ١٢٤). والطبراني في «مسند الشاميين» (١/ ٣٠١، رقم ٥٢٦)، والبيهقي «في شعب الإيمان» (٥/ ٣٩١، رقم ٧٠٥١) كلهم من طرق عن إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَيَّاشٍ، عَنْ عَاصِمِ ابْنِ رَجَاءِ بْنِ حَيْوَةَ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ رُوَيْمٍ، عَنِ الْقَاسِمِ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ به. وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣/ ٢١٠) رقم (١٢٠٩).

ساعات، وهذا من كرم الرب ولطفه ورحمته[١].

١٥- وقد نقل ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ إجماع السلف على أن العبد عن يمينه ملك يكتب الحسنات، وعن شماله ملك يكتب السيئات[٢].

١٦- وقال الطحاوي في عقيدته مقررًا معتقد السلف في هذه المسألة: (ونؤمن بالكرام الكاتبين، فإن الله قد جعلهم علينا حافظين. . . .)[٣].

[مسألة] هل تكتب الملائكة أعمال القلوب كما تكتب الأعمال الظاهرة؟

ذهب كثير من أهل العلم إلى أن الله عَزَّ وَجَلَّ أعطى الملائكة القدرة على معرفة ما في قلب الإنسان، وبالتالي فهي تكتب أعمال القلوب كما تكتب الأعمال الظاهرة الصادرة من العباد.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: ولفظ ﴿يَعْلَمُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠ - ١٢] يُشعر أن الله عَزَّ وَجَلَّ أعطى الملائكة قدرة على العلم بما في قلب العبد، ورُوي عن الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال: ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ لا يخفى عليهم شيء من أعمالكم[٤].

وقال ابن أبي العز: (قد ثبت بالنصوص أن الملائكة تكتب القول، والفعل، وكذلك النية لأنها فعل القلب، فدخلت في عموم قوله: ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾)[٥].

وقال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: وقد ورد في السنة ما يدل على علم الملائكة بفعل

---

(١) «التنوير شرح الجامع الصغير» (٤/ ٧) مكتبة دار السلام، الرياض.

(٢) «جامع العلوم والحكم» (١/ ٣٣٦).

(٣) «شرح الطحاوية - ابن أبي العز» ت شاكر (ص٢٥٩).

(٤) «تفسير القرطبي» (١٩/ ٢٤٨).

(٥) «شرح العقيدة الطحاوية» (ص٤٤٢)، و«الإيمان بالملائكة» للصلابي (ص٧٥).

القلب وهمه وإرادته، فعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله تعالى: إذا همّ عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه فإن عملها فاكتبوها سيئة، وإذا همّ بحسنة...**» الحديث[(١)].

المبحث الرابع: ملازمة الإنسان (القرين) ودعوته إلى الخير

وكّل الله بكل إنسان قرينًا من الملائكة، وقرينًا من الجنّ، ولعلّ هذا القرين من الملائكة غير الملائكة الذين أُمروا بحفظ أعماله، قيَّضه الله له ليهديه ويرشده، وقرين الإنسان من الملائكة وقرينه من الجنّ يتعاوران الإنسان، هذا يأمره بالشر ويرغبه فيه، وذاك يحثه على الخير ويرغبه فيه.

ومن أعظم نعم الله على الإنسان أن يَسَّر لكل إنسان ملكًا يدعوه إلى الخير ويحثه عليه ويخوفه من الشر ويحذره.

ومن الأدلة على ذلك ما يلي:

١- قال تعالى: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ۝٢٣ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ۝٢٤ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ۝٢٥ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ۝٢٦ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ۝٢٧ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ﴾ [ق: ٢٣ - ٢٨].

قال ابن الجوزي رَحِمَهُٱللَّهُ: قوله تعالى: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ﴾ قال مقاتل: هو ملكه الذي كان يكتب عمله السيئ في دار الدنيا، يقول لربّه: قد كتبتُ ما وكَّلْتَني به، فهذا عندي مُعَدٌّ حاضرٌ من عمله الخبيث، فقد أتيتُك به وبعمله.

وفي «ما» قولان: أحدهما: أنها بمعنى «مِن» قاله مجاهد. والثاني: أنها

(١) «فتح الباري» (١٣/ ٢٦٤).

بمعنى الشيء، فتقديره: هذا شيء لديَّ عتيدٌ. قاله الزجاج. وقد ذكرنا معنى العتيد في هذه السّورة، فيقول الله تعالى: ﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ﴾.

وفي معنى هذا الخطاب ثلاثة أقوال: أحدها: أنه مخاطبة للواحد بلفظ الخطاب للاثنين، قال الفراء: والعرب تأمر الواحد والقوم بأمر الاثنين، فيقولون للرجُل: (ويلك ارحلاها وازجُراها)، سمعتها من العرب، وأنشدني بعضهم:

فقُلْتُ لِصَاحِبِي لا تَحْبِسانا ... بِنَزْعِ أُصُولِهِ واجْتَزَّ شِيحا

وقال امرؤ القيس:

خَلِيلَيَّ مُرَّا بِي على أُمِّ جُنْدَبٍ ... نُقَضِّي لبانات الفؤاد المعذّب

ثم قال:

ألم تر أنّي كُلمَّا جِئْتُ طارِقًا ... وَجَدْتُ بها طِيبًا وإِنْ لَمْ تَطَيَّبِ

فرجع إلى الواحد، وأول كلامه اثنان. وإلى هذا المعنى ذهب مقاتل، وقال: «ألقيا» خطاب للخازن، يعني خازن النار.

والثاني: أنه فِعل ثُنِّي توكيدًا، كأنه لمّا قال: «ألقيا»، ناب عن (أَلْقِ أَلْقِ)، وكذلك: قِفا نَبْكِ، معناه: قِفْ قِفْ، فلمّا ناب عن فعلين، ثُنِّي، قاله المبرد.

والثالث: أنه أمر للملكين يعني السائق والشهيد. وهذا اختيار الزجاج[١].

٢- عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «**ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعطِ مُنفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهمّ أعطِ مُمسكًا تلفًا**»[٢].

---

(١) زاد المسير في علم التفسير (٤/ ١٦١) دار الكتاب العربي - بيروت.

(٢) **صحيح:** أخرجه البخاري (١٤٤٢). كتاب: الزكاة، باب: قول الله تعالى: =

قال ابن بطال رَحِمَهُ اللهُ: معنى هذا الحديث: الحض على الإنفاق في الواجبات، كالنفقة على الأهل وصلة الرحم، ويدخل فيه صدقة التطوع، والفرض، ومعلوم أن دعاء الملائكة مجاب، بدليل قوله: «**فمَن وافق تأمينه تأمين الملائكة غُفر له ما تقدم من ذنبه**» ومصداق الحديث قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ يعني ما أنفقتم في طاعة الله. وقوله ﷺ: «**ابنَ آدم، أنفق أُنفق عليك**»[1].

قلت هذا من باب حض الملائكة الملازمين للمؤمن على فعل الخير ودعوته إليه.

٣- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ وَقَرِينُهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ**» قَالُوا: وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**وَإِيَّايَ، وَلَكِنَّ اللهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ، فَأَسْلَم فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ**»[2].

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: (فَأَسْلَم) بِرَفْعِ الْمِيمِ وَفَتْحِهَا، وَهُمَا رِوَايَتَانِ مَشْهُورَتَانِ: فَمَنْ رَفَعَ قَالَ: مَعْنَاهُ: أَسْلَمُ أَنَا مِنْ شَرِّهِ وَفِتْنَتِهِ، وَمَنْ فَتَحَ قَالَ: إِنَّ الْقَرِينَ أَسْلَمَ، مِنَ الْإِسْلَامِ وَصَارَ مُؤْمِنًا لَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ.

وَاخْتَلَفُوا فِي الْأَرْجَحِ مِنْهُمَا: فَقَالَ الْخَطَّابِيُّ: الصَّحِيحُ الْمُخْتَارُ الرَّفْعُ، وَرَجَّحَ الْقَاضِي عِيَاضٌ الْفَتْحَ وَهُوَ الْمُخْتَارُ؛ لِقَوْلِهِ: «فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ».

= ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥﴾، ومسلم (١٠١٠) كتاب الزكاة، باب في المنفق والممسك.

(١) «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٣/ ٤٣٩) مكتبة الرشد.

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٨١٤) كتاب الآداب، باب القرين، وأحمد (٣٦٤٨)، وأبو يعلى (٥١٤٣)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (١/ ٢٩) رقم (١٠٩)، والشاشي في «المسند» (٨٢٤)، وابن حبان (٦٤١٧)، والطبراني في «الكبير» (١٠٥٢٢) و(١٠٥٢٤)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٧/ ١٠١).

وَاخْتَلَفُوا عَلَى رِوَايَةِ الْفَتْح: قِيلَ: أَسْلَمَ بِمَعْنَى اسْتَسْلَمَ وَانْقَادَ، وَقَدْ جَاءَ هَكَذَا فِي غَيْرِ صَحِيحِ مُسْلِمٍ: (فَاسْتَسْلَمَ) وَقِيلَ: مَعْنَاهُ صَارَ مُسْلِمًا مُؤْمِنًا. وَهَذَا هُوَ الظَّاهِر.

قَالَ الْقَاضِي: وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ مُجْتَمِعَةٌ عَلَى عِصْمَةِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الشَّيْطَان فِي جِسْمهِ وَخَاطِرِهِ وَلِسَانِهِ.

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ: إِشَارَةٌ إِلَى التَّحْذِيرِ مِنْ فِتْنَةِ الْقَرِينِ وَوَسْوَسَتِهِ وَإِغْوَائِهِ، فَأَعْلَمَنَا بِأَنَّهُ مَعَنَا لِنَحْتَرِز مِنْهُ بِحَسَبِ الْإِمْكَانِ[1].

٤- وقد أمرنا الله ﷻ بالاستعاذة من الشيطان الرجيم في آيات كثيرة مما يدل على وجود قرين الجن مع الإنسان، ومنها:

قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

وقوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [يوسف: ١٠٠].

وقوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ [فصلت: ٣٦].

كلام نفيس لابن القيم في هذا الباب:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وإذا تأملت حال القلب مع المَلَك والشيطان رأيت أعجب العجائب، فهذا يُلم به مرة وهذا يُلم به مرة، فإذا ألم به الملك حدث من

---

(١) «شرح النووي على مسلم» (١٧/ ١٥٧) دار إحياء التراث العربي، بيروت.

لمته الانفساح والانشراح والنور والرحمة والإخلاص والإنابة ومحبة الله وإيثاره على ما سواه وقصر الأمل والتجافي عن دار البلاء والامتحان والغرور، فلو دامت له تلك الحالة لكان في أهنأ عيش وألذه وأطيبه، ولكن تأتيه لمة الشيطان فتُحْدث له من الضيق والظلمة والهم والغم والخوف والسخط على المقدور والشك في الحق والحرص على الدنيا وعاجلها والغفلة عن الله - ما هو من أعظم عذاب القلب.

ثم للناس في هذه المحنة مراتب لا يحصيها إلا الله:

فمنهم مَن تكون لمة الملك أغلب من لمة الشيطان وأقوى، فإذا ألمّ به الشيطان وجد من الألم والضيق والحصر وسوء الحال بحَسَب ما عنده من حياة القلب فيبادر إلى طرد تلك اللمة ولا يدعها تستحكم فيصعب تداركها، فهو دائمًا في حرب بين اللمتين، يدال له مرة ويدال عليه مرة أخرى والعاقبة للتقوى.

ومنهم من تكون لمة الشيطان أغلب عليه وأقوى، فلا تزال تغلب لمة الملك حتى تستحكم ويصير الحكم لها، فيموت القلب ولا يحس ما ناله الشيطان به مع أنه في غاية العذاب والضيق والحصر، ولكن سكر الشهوة والغفلة حَجَب عنه الإحساس بذلك الألم، فإذا كُشف أمكنه تداركه بالدواء وحسمه، وإن عاد الغطاء عاد الأمر كما كان حتى ينكشف عنه وقت المفارقة للدنيا فتظهر حينئذٍ تلك الآلام والهموم والغموم والأحزان، وهي لم تتجدد له وإنما كانت كامنة تواريها الشواغل، فلما زالت الشواغل ظهر ما كان كامنًا وتجدد له أضعافه.

والشيطان يُلم بالقلب لما كان هناك من جواذب تجذبه وهي نوعان: صفات وإرادات:

فإذا كانت الجواذب صفات قوي سلطانه هناك واستفحل أمره ووجد موطئًا ومقارا فتأتي الأذكار والدعوات والتعوذات كحديث النفس لا تدفع سلطان الشيطان لأن مركبه صفة لازمة، فإذا قلع العبد تلك الصفات وعمل على التطهر منها والاغتسال بقي للشيطان بالقلب خطرات ووساوس ولمات من غير استقرار وذلك يضعفه ويقوي لمة الملك، فتأتي الاذكار والدعوات والتعوذات فتدفعه بأسهل شيء.

وإذا أردت لذلك مثالًا مطابقًا: فمثله مثل كلب جائع شديد الجوع وبينك وبينه لحم أو خبز وهو يتأملك ويراك لا تقاومه وهو أقرب منك، فأنت تزجره وتصيح عليه وهو يأبى إلا التحوم عليك والغارة على ما بين يديك، فالأذكار بمنزلة الصياح عليه والزجر له، ولكن معلومه ومراده عندك وقد قربته عليك، فإذا لم يكن بين يديك شيء يصلح له وقد تأملك فرآك أقوى منه فإنك تزجره وتصيح عليه فيذهب.

وكذلك القلب الخالي عن قوة الشيطان ينزجر بمجرد الذكر.

وأما القلب الذي فيه تلك الصفات التي هي مركبه وموطنه فيقع الذكر في حواشيه وجوانيه ولا يقوى على إخراج العدو منه.

ومصداق ذلك تجده في الصلاة، فتأمل في الحال وانظر هل تُخرج الصلاة بأذكارها وقراءتها الشيطان من قلبك وتفرغه كله لله تعالى بكليته وتقيمه بين يدي ربه مقبلًا بكليته عليه يصلي لله تعالى كأنه يراه قد اجتمع همه كله على الله؟ وصار ذكره ومراقبته ومحبته والأنس به في محل الخواطر والوساوس أم لا؟ والله المستعان[1].

---

(١) «التبيان في أقسام القرآن» (ص٢٦٢) دار الفكر.

المبحث الخامس: السفارة بين الله ورسله

من أهم الوظائف المنوطة بالملائكة هو قيامهم بتبليغ الوحي إلى أنبياء الله، ورسله، فالملائكة واسطة بين الله تعالى وبين الرسل في تبليغ الوحي والشرائع، ويكون الملك واسطة بين الرسول وبين ربه، والرسول واسطة بين الملك وقومه.

وما يؤديه الملك إلى الرسول ليؤديه الرسول إلى قومه ضربان: قرآن ووحي، فقد اصطفى الله ﷻ من بني آدم أفرادًا شَرَّفهم بنبوته ورسالته وأرسل إليهم ملائكة منه يبلغونهم أوامر الله ﷻ ودينه، وهؤلاء المصطفون هم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام(١).

ومن الأدلة على ذلك ما يلي:

١- قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥١-٥٣].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: هَذِهِ مَقَامَاتُ الْوَحْيِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى جَنَابِ اللَّهِ، ﷻ، وَهُوَ أَنَّهُ تَعَالَى تَارَةً يَقْذِفُ فِي رَوْعِ النَّبِيِّ ﷺ شَيْئًا لَا يَتَمَارَى فِيهِ أَنَّهُ مِنَ اللَّهِ ﷻ، كَمَا جَاءَ فِي صَحِيحِ ابْنِ حِبَّانَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي: إِنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا وَأَجَلَهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ**

---

(١) «معارج القبول» (٢/ ٧٨)، و«الإيمان بالملائكة» (٨١) للصلابي.

وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ».

وَقَوْلُهُ: ﴿أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ﴾ كَمَا كَلَّمَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِنَّهُ سَأَلَ الرُّؤْيَةَ بَعْدَ التَّكْلِيمِ، فَحُجِبَ عَنْهَا.

وَفِي الصَّحِيحِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال لِجَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ: «**مَا كَلَّمَ اللَّهُ أَحَدًا إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَإِنَّهُ كَلَّمَ أَبَاكَ كِفَاحًا...**» الْحَدِيثَ، وَكَانَ أَبُوهُ قَدْ قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَلَكِنَّ هَذَا فِي عَالَمِ الْبَرْزَخِ، وَالْآيَةُ إِنَّمَا هِيَ فِي الدَّارِ الدُّنْيَا.

وَقَوْلُهُ: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾ كَمَا يُنْزِلُ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَغَيْرَهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ، عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

﴿إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾، فَهُوَ عَلِيٌّ عَلِيمٌ خَبِيرٌ حَكِيمٌ[1].

٢- قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٣ - ١٩٥].

٣- قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [البقرة: ٩٧].

٤- قوله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [النحل: ١٠٢].

٥- قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ﴾ [النجم: ٣ - ٦].

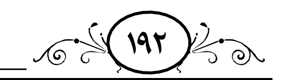
٦- قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: ١٩ - ٢١].

٧- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَالِجُ مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةً،

---

(١) «تفسير ابن كثير» ت سلامة (٧/ ٢١٧).

فَكَانَ يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ - قَالَ: فَقَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ(١): أَنَا أُحَرِّكُ شَفَتَيَّ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُحَرِّكُ وَقَالَ لِي سَعِيدٌ(٢): أَنَا أُحَرِّكُ كَمَا رَأَيْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ - فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٧] قَالَ: جَمْعُهُ فِي صَدْرِكَ، ثُمَّ نَقْرَؤُهُ: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾ [القيامة: ١٨] فَاسْتَمِعْ لَهُ وَأَنْصِتْ: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [القيامة: ١٩] فَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا انْطَلَقَ جِبْرِيلُ، قَرَأَهُ كَمَا أَقْرَأَهُ»(٣).



وقد كان جبريل عليه السلام ينزل على النبي ﷺ على أشكال وهي:

أولًا: أنه كان يأتيه على صورة عير مرئية، ويقع كلامه في قلب النبي ﷺ فيعي ما يقول ولا يراه الصحابة.

ومن العلامات التي كانت تدل على أن النبي ﷺ يوحى إليه ما يلي:

- خروج العرق من جسمه الشريف ﷺ في اليوم البارد، كما جاء عن عائشة رضي الله عنها قالت: إِنْ كَانَ لَيَنْزِلُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الْغَدَاةِ الْبَارِدَةِ، ثُمَّ تَفِيضُ جَبْهَتُهُ عَرَقًا(٤).

- تَغَيُّر وجهه الشريف، كما جاء عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: كَانَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ إِذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كُرِبَ لِذَلِكَ، وَتَرَبَّدَ لَهُ وَجْهُهُ. قَالَ: فَأُنْزِلَ عَلَيْهِ ذَاتَ يَوْمٍ، فَلُقِيَ كَذَلِكَ، فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْهُ، قَالَ: «**خُذُوا عَنِّي، فَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا، الثَّيِّبُ بِالثَّيِّبِ، وَالْبِكْرُ بِالْبِكْرِ، الثَّيِّبُ جَلْدُ مِئَةٍ، ثُمَّ رَجْمٌ بِالْحِجَارَةِ، وَالْبِكْرُ جَلْدُ**

---

(١) القائل هو سعيد بن جبير الراوي عن ابن عباس.

(٢) القائل هو مُوسَى بْنِ أَبِي عَائِشَةَ الراوي عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ.

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥) كتاب بدء الوحي، ومسلم (٤٤٨) كتاب الصلاة، باب الاستماع للقراءة.

(٤) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٣٣٣) باب نزول الوحي.

مِئَةٍ، ثُمَّ نَفْيُ سَنَةٍ»(١).

- ثقل جسمه الشريف ﷺ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: رَأَيْتُ مَرْوَانَ بْنَ الحَكَمِ جَالِسًا فِي المَسْجِدِ، فَأَقْبَلْتُ حَتَّى جَلَسْتُ إِلَى جَنْبِهِ، فَأَخبَرَنَا أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَمْلَى عَلَيَّ: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ قَالَ: فَجَاءَهُ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ وَهُوَ يُمِلُّهَا عَلَيَّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ أَسْتَطِيعُ الجِهَادَ لَجَاهَدْتُ!! وَكَانَ رَجُلًا أَعْمَى، فَأَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى رَسُولِهِ ﷺ، وَفَخِذُهُ عَلَى فَخِذِي، فَثَقُلَتْ عَلَيَّ، حَتَّى خِفْتُ أَنْ تَرُضَّ فَخِذِي، ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ﴾(٢).

ثانيًا: قد يراه على صورته التي خُلق عليها، فقد جاء عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: من زعم أن محمدًا رأى ربه فقد أعظم، ولكن قد رأى جبريل في صورته وخلقه ساد ما بين الأفق(٣).

وجاء أيضًا عن أبي إسحاق الشيباني قال: سألت زر بن حبيش عن قول الله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ٩، ١٠]

---

(١) **صحيح:** أخرجه مسلم (٢٣٣٤) باب نزول الوحي.

(٢) **صحيح:** أخرجه البخاري (٢٨٣٢) بَابُ قَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

(٣) **صحيح:** أخرجه البخاري (٣٠٦٢) باب إذا قال أحدكم: آمين والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غُفر له ما تقدم من ذنبه، ومسلم (١٧٧) كتاب الإيمان، باب معنى قول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣﴾.

قال حدثنا ابن مسعود أنه رأى جبريل له ستمائة جناح[(١)].

ثالثًا: وقد يتمثل جبريل للنبي ﷺ في صورة رجل فيكلمه بالوحي، ومن ذلك:

- ما جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لاَ يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلاَ يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلاَمِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الإِسْلاَمُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً**»، قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ. قَالَ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»، قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ. قَالَ: «**أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ. قَالَ: «**مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**» قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا. قَالَ: «**أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ**»، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «**يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟**». قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**»[(٢)].

---

(١) **صحيح:** أخرجه البخاري (٣٠٦٠) باب إذا قال أحدكم: آمين والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى، غُفر له ما تقدم من ذنبه، ومسلم (١٧٤) كتاب/ الإيمان باب في ذكر سدرة المنتهى.

(٢) **صحيح:** أخرجه مسلم (٨) كتاب الإيمان، باب الإيمان والإسلام والإحسان، =

وقد كان يتمثل أحيانًا في صورة دحية الكلبي رضي الله عنه وقد كان رجلًا معروفًا بجماله، فقد جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: كان جبريل عليه السلام يأتي النبي صلى الله عليه وسلم في صورة دحية رضي الله عنه[١].

رابعًا: وقد كان أحيانًا يأتيه مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليه، فعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أحيانًا يأتيني مثل صلصلة الجرس[٢] وهو أشده عليَّ فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانًا يتمثل لي الملك رجلًا فيكلمني فأعي ما يقول**».

قالت عائشة رضي الله عنها: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقًا[٣].

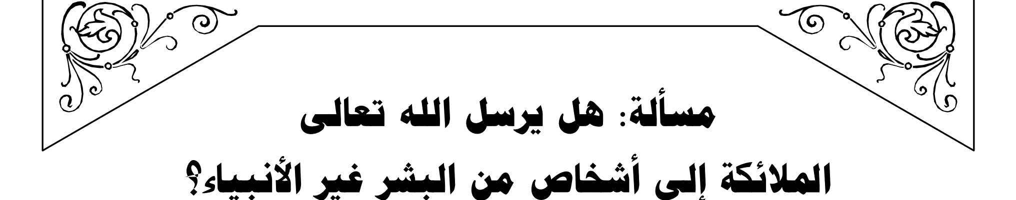
❊ ❊ ❊

= وأبو داود (٤٦٩٧) باب في القدر؛ والنسائي (٤٩٩٠) باب نعت الإسلام، والبيهقي في «الكبرى» (٢٠٦٦٠).

(١) **صحيح:** أخرجه أحمد في المسند (٥٨٥٧)، ومحمد بن نصر في تعظيم قدر الصلاة (٣٧٢).

(٢) أي: صوت الجرس.

(٣) **صحيح:** أخرجه البخاري (٢) باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومسلم (٢٣٣٣) كتاب الفضائل، باب طِيب عرق النبي صلى الله عليه وسلم في البرد وحين يأتيه الوحي.



مسألة: هل يرسل الله تعالى الملائكة إلى أشخاص من البشر غير الأنبياء؟

قد وردت في القرآن والسنة أدلة على أن الله تعالى أرسل الملائكة إلى أناس من البشر ليسوا من الأنبياء، وكانت الملائكة تأتيهم إما بالبشارة، وإما النذارة.

ومن الأدلة على ذلك ما يلي:

١- قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧٠، ٧١].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: قَالَ السُّدِّيُّ: لَمَّا بَعَثَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ لِقَوْمِ لُوطٍ، أَقْبَلَتْ تَمْشِي فِي صُور رِجَالٍ شُبَّانٍ حَتَّى نَزَلُوا عَلَى إِبْرَاهِيمَ فَتَضَيَّفُوهُ، فَلَمَّا رَآهُمْ إِبْرَاهِيمُ أجَلَّهم، ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾﴾ فَذَبَحَهُ ثُمَّ شَوَاهُ فِي الرَّضْفِ. [فَهُوَ الْحَنِيذ حِينَ شَوَاهُ] وَأَتَاهُمْ بِهِ فَقَعَدَ مَعَهُمْ، وَقَامَتْ سَارَّةُ تَخْدِمُهُمْ فَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ: «وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ وَهُوَ جَالِسٌ» فِي قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ. «فَلَمَّا قَربه إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ قَالُوا: يَا إِبْرَاهِيمُ إِنَّا لَا نَأْكُلُ طَعَامًا إِلَّا بِثَمَنٍ. قَالَ: فَإِنَّ لِهَذَا ثَمَنًا. قَالُوا: وَمَا ثَمَنُهُ؟ قَالَ: تَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَى أَوَّلِهِ، وَتَحْمَدُونَهُ عَلَى آخِرِهِ. فَنَظَرَ جِبْرِيلُ إِلَى مِيكَائِيلَ فَقَالَ: حُق لِهَذَا أَنْ يَتَّخِذَهُ رَبُّهُ خَلِيلًا». ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ يَقُولُ: فَلَمَّا رَآهُمْ لَا يَأْكُلُونَ فزِعَ مِنْهُمْ، وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً.

فَلَمَّا نَظَرَتْ إِلَيْهِ سَارَّةُ أَنَّهُ قَدْ أَكْرَمَهُمْ وَقَامَتْ هِيَ تَخْدِمُهُمْ، ضَحِكَتْ

وَقَالَتْ: عَجَبًا لِأَضْيَافِنَا هَؤُلَاءِ، إِنَّا نَخْدِمُهُمْ بِأَنْفُسِنَا كَرَامَةً لَهُمْ، وَهُمْ لَا يَأْكُلُونَ طَعَامَنَا[١].

٢- قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (٢٨) فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ (٢٩) قَالُوا كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ [الذاريات: ٢٨ - ٣٠].

فتبين من هاتين الآيتين أن الله تعالى أوحى إلى سارة بواسطة هؤلاء الملائكة الذين بشروها بأنها ستلد إسحاق رغم كبر سنها وشيخوخة بعلها، وأن إسحاق سيولد له ولد يسمى يعقوب[٢].

٣- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (٤٢) يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ (٤٣) ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آل عمران: ٤٢ - ٤٤].

٤- قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (١٦) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٧) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا (١٨) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ [مريم: ١٦ - ١٩].

٥- قوله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (٣٩)﴾ [آل عمران: ٣٩].

---

(١) «تفسير ابن كثير» ت سلامة (٤/ ٣٣٣).

(٢) «الواسطة بين الله وخلقه» (١٢٧)، و«الإيمان بالملائكة» (٨٥) للصلابي.

فثبت من هذه الآيات أن الملائكة أوحت إلى مريم ثلاث مرات، واسطة بينها وبين الله تعالى، وفي بعض هذه المرات كانت الواسطة جمعًا من الملائكة بصيغة العموم، وفي المرة الثالثة (التي في سورة مريم) كان الواسطة هو جبريل عليه السلام، حيث تمثل لمريم على صورة رجل تام الخلقة وأخبرها أنه رسول من عند الله تعالى ليهب لها غلامًا زكيًّا[١].

٦- عن أبي هريرة رضي الله عنه: عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم **«أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ، قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ. قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لاَ، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ** عز وجل، **قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ، بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ»**[٢].

قال النووي رحمه الله: (فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا) مَعْنَى أَرْصَدَهُ أَقْعَدَهُ يَرْقُبُهُ. والمَدْرَجَةُ - بِفَتْحِ الْمِيمِ وَالرَّاءِ - هِيَ الطَّرِيقُ سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّ النَّاسَ يَدْرُجُونَ عَلَيْهَا، أَيْ يَمْضُونَ وَيَمْشُونَ. قَوْلُهُ: (هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا) أَيْ تَقُومُ بِإِصْلَاحِهَا وَتَنْهَضُ إِلَيْهِ بِسَبَبِ ذَلِكَ. قَوْلُهُ: (بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ) قَالَ الْعُلَمَاءُ: مَحَبَّةُ اللَّهِ عَبْدَهُ هِيَ رَحْمَتُهُ لَهُ وَرِضَاهُ عَنْهُ وَإِرَادَتُهُ لَهُ الْخَيْرَ وَأَنْ يَفْعَلَ بِهِ فِعْلَ الْمُحِبِّ مِنَ الْخَيْرِ. وَأَصْلُ الْمَحَبَّةِ فِي حَقِّ الْعِبَادِ مَيْلُ الْقَلْبِ، وَاللَّهُ تَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنْ ذَلِكَ[٣].

---

(١) «الواسطة بين الله وخلقه» (١٢٨).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٣٥٠)، ومسلم (٢٥٦٧) كتاب الآداب، بَابٌ فِي فَضْلِ الْحُبِّ فِي اللَّهِ، وأحمد (٧٩١٩)، وابن حبان (٥٧٢) و(٥٧٦)، والبغوي (٣٤٦٥).

(٣) هذا التأويل من النووي لصفة محبة الله للعبد غير صحيح، إذ الواجب إثبات صفة المحبة لله تعالى على ما يليق بجلاله سبحانه من غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه =

فِي هَذَا الْحَدِيثِ فَضْلُ الْمَحَبَّةِ فِي اللَّهِ تَعَالَى وَأَنَّهَا سَبَبٌ لِحُبِّ اللَّهِ تَعَالَى الْعَبْدَ. وَفِيهِ فَضِيلَةُ زِيَارَةِ الصَّالِحِينَ وَالْأَصْحَابِ. وَفِيهِ أَنَّ الْآدَمِيِّينَ قَدْ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ(١).

٧- الملك الذي أرسله الله تعالى إلى الأبرص والأقرع والأعمى لابتلائهم(٢) وقد مر في بحث قدرة الملائكة على التشكل في صورة الآدميين.

المبحث السادس: حضور مجالس الذكر وخطبة الجمعة

دلت النصوص على أن الملائكة يحضرون مجالس الذكر، كما أنهم يحضرون للاستماع لخطبة الجمعة، وتسجيل أسماء الحاضرين قبل صعود الإمام المنبر.

ومن هذه الأدلة ما يأتي:

١- ما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلَائِكَةً سَيَّارَةً، فُضُلًا يَتَتَبَّعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ، وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ، حَتَّى يَمْلَؤُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ**». قَالَ: «**فَيَسْأَلُهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادٍ لَكَ فِي الْأَرْضِ، يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ**

= ولا تعطيل - وصفة المحبة قد دلّ عليها الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة. انظر: «شرح الطحاوية» (ص٣٩٦) لابن أبي العز الحنفي ط. الرسالة، و«مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٢/ ٣٥٤)، و«الفتوى الحموية» (ص٤٥٧).

(١) «شرح النووي على مسلم» (١٦/ ١٢٤).

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٥٣) بَابُ: لاَ يَقُولُ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ، ومسلم (٢٩٦٤).

وَيُهَلِّلُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ. قَالَ: وَمَاذَا يَسْأَلُونِي؟ قَالُوا: يَسْأَلُونَكَ جَنَّتَكَ. قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: لاَ، أَيْ رَبِّ. قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَجِيرُونَكَ. قَالَ: وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونَنِي؟ قَالُوا: مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ. قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: لاَ. قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَغْفِرُونَكَ. قَالَ: فَيَقُولُ: قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا، وَأَجَرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا. قَالَ: فَيَقُولُونَ: رَبِّ فِيهِمْ فُلاَنٌ عَبْدٌ خَطَّاءٌ، إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ. قَالَ: فَيَقُولُ: وَلَهُ غَفَرْتُ، هُمُ الْقَوْمُ لاَ يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ»(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: فهذا من بركتهم على نفوسهم وعلى جليسهم، فلهم نصيب من قوله: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ فهكذا المؤمن مبارك أين حل، والفاجر مشؤوم أين حل، فمجالس الذكر مجالس الملائكة، ومجالس الغفلة مجالس الشياطين، وكلٌّ مضاف إلى شكله وأشباهه، وكل امرئ يصير إلى ما يناسبه(٢).

قال السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ: قال العلماء: معناه على جميع الروايات أنهم زائدون على الحفظة وغيرهم من المرتبين مع الخلائق لا وظيفة لهم إلا حضور حلق الذكر(٣).

٢- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ. وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا**

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٠٤٥) باب فضل ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ، ومسلم (٢٦٨٩) كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب فضل مجالس الذكر.

(٢) «الوابل الصيب من الكلم الطيب» (ص٧٣) ط/ دار الحديث.

(٣) «الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج» للسيوطي (٦/ ٥٢).

وَالآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ. وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ. وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِم السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ. وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»[(١)].

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: ومعنى «حفتهم الملائكة» أي حافتهم، من قوله ﷻ: ﴿حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ أي: محدقين محيطين به مطيفين بجوانبه. فكأن الملائكة قريب منهم قربًا حفتهم حتى لم تدع فرجة تتسع لشيطان.

قوله: «وغشيتهم الرحمة» لا يستعمل (غشي) إلا في شيء شمل المغشي من جميع أجزائه، قال الشيخ شهاب الدين بن فرج: والمعنى في هذا فيما أرى أن غشيان الرحمة يكون بحيث يستوعب كل ذنب تقدم إن شاء الله تعالى.

قوله: «وذكرهم الله فيمن عنده» يقتضي أن يكون ذكر الله تعالى لهم في الأنبياء وكرام الملائكة. والله أعلم[(٢)].

٣- وعَنِ ابْنِ شِهَابٍ قال: أَخْبَرَنِي أَبُو عَبْدِ اللهِ الأَغَرُّ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، كَانَ عَلَى كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ مَلائِكَةٌ يَكْتُبُونَ الأَوَّلَ فَالأَوَّلَ، فَإِذَا جَلَسَ الإِمَامُ طَوَوُا الصُّحُفَ، وَجَاؤُوا يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ، وَمَثَلُ الْمُهَجِّرِ كَمَثَلِ الَّذِي يُهْدِي الْبَدَنَةَ، ثُمَّ كَالَّذِي يُهْدِي بَقَرَةً، ثُمَّ**

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٦٩٩) كتاب الآداب، بَابُ فَضْلِ الاِجْتِمَاعِ عَلَى تِلاَوَةِ الْقُرْآنِ والذِّكْرِ، والترمذي (٣٣٧٨) وقال: حسن صحيح، وأحمد (١١٨٩٣)، وأبو يعلى (١٢٥٢)، وابن حبان (٨٥٥).

(٢) «شرح الأربعين النووية» للنووي (ص٣٢).

كَالَّذِي يُهْدِي الْكَبْشَ، ثُمَّ كَالَّذِي يُهْدِي الدَّجَاجَةَ، ثُمَّ كَالَّذِي يُهْدِي الْبَيْضَةَ»[١].

وهَؤُلَاءِ الْمَلَائِكَةُ وَظِيفَتُهُمْ كِتَابَةُ حَاضِرِي الْجُمُعَةِ، وَهُمْ غَيْرُ الْحَفَظَةِ، كَذَا نَقَلَهُ النَّوَوِيُّ وَغَيْرُهُ، وَاسْتَدَلَّ لَهُ الْقَاضِي عِيَاضٌ بِقَوْلِهِ: «فَإِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ طُوِيَتِ الصُّحُفُ» وَالْمُرَادُ مَا ذَكَرَهُ ابْنُ الْعَرَبِيِّ وَغَيْرُهُ صُحُفُ الْمُتَسَابِقِينَ الْمُبَكِّرِينَ. وَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ عَنْ أَبِي غَالِبٍ: قُلْت: يَا أَبَا أُمَامَةَ لَيْسَ لِمَنْ جَاءَ بَعْدَ خُرُوجِ الْإِمَامِ جُمُعَةٌ؟ قَالَ: بَلَى وَلَكِنْ لَيْسَ مِمَّنْ يُكْتَبُ فِي الصُّحُفِ. وعند ابْنِ مَاجَهْ: فَمَنْ جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ فَإِنَّمَا يَجِيءُ لِحَقِّ الصَّلَاةِ[٢].

المبحث السابع: تثبيت المؤمنين وقتالهم معهم

ثبت في نصوص كثيرة من القرآن والسنة أن الملائكة قد حضرت في غزوات كثيرة، وشاركت المؤمنين في قتال المشركين، وذلك بالقتال مع المؤمنين، وتثبيت قلوبهم، وتأييدهم.

ومن الأدلة على ذلك ما يلي:

١- قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأنفال: ١٢].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: وَقَوْلُهُ: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۚ﴾ وَهَذِهِ نِعْمَةٌ خَفِيَّةٌ أَظْهَرَهَا اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ لِيَشْكُرُوهُ عَلَيْهَا، وَهُوَ أَنَّهُ -

---

(١) **صحيح:** أخرجه البخاري (٩٢٩) باب الاستماع إلى الخطبة، ومسلم (٨٥٠) كتاب الجمعة، باب التبكير إلى الجمعة.

(٢) انظر: «طرح التثريب في شرح التقريب» (٣/ ١٧٣).

تَعَالَى وَتَقَدَّسَ وَتَبَارَكَ وَتَمَجَّدَ - أَوْحَى إِلَى الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ أَنْزَلَهُمْ لِنَصْرِ نَبِيِّهِ وَدِينِهِ وَحِزْبِهِ الْمُؤْمِنِيْنِ، يُوحِي إِلَيْهِمْ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ أَنْ يُثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا. قال ابْنُ إِسْحَاقَ: وَازِرُوهُمْ. وَقَالَ غَيْرُهُ: قَاتِلُوا مَعَهُمْ. وَقِيلَ: كَثِّرُوا سَوَادَهُمْ. وَقِيلَ: كَانَ ذَلِكَ بِأَنَّ الْمَلَكَ كَانَ يَأْتِي الرَّجُلَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ يَقُولُ: سَمِعْتُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ -يَعْنِي الْمُشْرِكِينَ -يَقُولُونَ: «وَاللَّهِ لَئِنْ حَمَلُوا عَلَيْنَا لَنَنْكَشِفَنَّ»، فَيُحَدِّثُ الْمُسْلِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِذَلِكَ، فَتَقْوَى أَنْفُسُهُمْ[(١)].

٢- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٣ - ١٢٦].

قال البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: يَذْكُرُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ مِنَّتَهُ عَلَيْهِمْ بِالنُّصْرَةِ يَوْمَ بَدْرٍ، ﴿وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ جَمْعُ: ذَلِيلٍ، وَأَرَادَ بِهِ قِلَّةَ الْعَدَدِ فَإِنَّهُمْ كَانُوا ثَلَاثَمِائَةٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَنَصَرَهُمُ اللَّهُ مَعَ قِلَّةِ عَدَدِهِمْ، ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

قَوْلُهُ: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم﴾ اخْتَلَفُوا فِي هَذِهِ الْآيَةِ: فَقَالَ قَتَادَةُ: كَانَ هَذَا يَوْمَ بَدْرٍ، أَمَدَّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ كَمَا قَالَ: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ [الْأَنْفَالِ: ٩] ثُمَّ صَارُوا ثَلَاثَةَ آلَافٍ ثُمَّ صَارُوا خَمْسَةَ آلَافٍ كَمَا ذُكِرَ هَاهُنَا ﴿بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ

(١) «تفسير ابن كثير» ت سلامة (٤/ ٢٥).

مُنزَلِينَ﴾ ﴿بَلَىٰٓ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ١٢٥﴾ فَصَبَرُوا يَوْمَ بَدْرٍ فَاتَّقَوْا فَأَمَدَّهُمُ اللَّهُ بِخَمْسَةِ آلَافٍ كَمَا وَعَدَ، قَالَ الْحَسَنُ: وَهَؤُلَاءِ الْخَمْسَةُ آلَافٍ رِدْءُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. وقال ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ: لَمْ تُقَاتِلِ الْمَلَائِكَةُ فِي الْمَعْرَكَةِ إِلَّا يَوْمَ بَدْرٍ، وَفِيمَا سِوَى ذَلِكَ يَشْهَدُونَ الْقِتَالَ وَلَا يُقَاتِلُونَ، إِنَّمَا يَكُونُونَ عَدَدًا وَمَدَدًا. قال مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ انْجَلَى الْقَوْمُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبَقِيَ سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ يَرْمِي وَفَتًى شَابٌّ يَتَنَبَّلُ لَهُ كُلَّمَا فَنِيَ النَّبْلُ أَتَاهُ بِهِ فَنَثَرَهُ فَقَالَ: «ارْمِ أَبَا إِسْحَاقَ» مَرَّتَيْنِ، فَلَمَّا انْجَلَتِ الْمَعْرَكَةُ سُئِلَ عَنْ ذَلِكَ الرَّجُلِ يُعْرَفْ.

وقال الْآخَرُونَ: إِنَّمَا وَعَدَ اللَّهُ تَعَالَى الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ بَدْرٍ إِنْ صَبَرُوا عَلَى طَاعَتِهِ وَاتَّقَوْا مَحَارِمَهُ - أَنْ يُمِدَّهُمْ أَيْضًا فِي حُرُوبِهِمْ كُلِّهَا، فَلَمْ يَصْبِرُوا إِلَّا فِي يَوْمِ الْأَحْزَابِ، فَأَمَدَّهُمُ اللَّهُ حَتَّى حَاصَرُوا قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرَ[(١)].

٣- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الأحزاب: ٩].

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ﴾ يَعْنِي الْأَحْزَابَ. ﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ: هِيَ الصَّبَا، أُرْسِلَتْ عَلَى الْأَحْزَابِ يَوْمَ الْخَنْدَقِ حَتَّى أَلْقَتْ قُدُورَهُمْ وَنَزَعَتْ فَسَاطِيطَهُمْ. قَالَ: وَالْجُنُودُ: الْمَلَائِكَةُ، وَلَمْ تُقَاتِلْ يَوْمَئِذٍ. وَقَالَ عِكْرِمَةُ: قَالَتِ الْجَنُوبُ لِلشَّمَالِ لَيْلَةَ الْأَحْزَابِ: انْطَلِقِي لِنُصْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ. فَقَالَتِ الشَّمَالُ: إِنَّ مَحْوَةَ[(٢)] لَا تَسْرِي بِلَيْلٍ.

---

(١) «تفسير البغوي» - طيبة (٢/ ٩٨).

(٢) مَحوَة: قال الخطابي في «غريب الحديث» (٣/ ١٤٤): قال أبو زيد مَحْوَة: ريح الدبور، وسميت محوة لأنها تمحو السحاب، وقال غيره: محوة اسم للشمال.

فَكَانَتْ الرِّيحُ الَّتِي أُرْسِلَتْ عَلَيْهِمُ الصَّبَا. وَرَوَى سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**نُصِرْتُ بِالصَّبَا، وَأُهْلِكَتْ عَادٌ بِالدَّبُورِ**». وَكَانَتْ هَذِهِ الرِّيحُ مُعْجِزَةً لِلنَّبِيِّ ﷺ، لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَالْمُسْلِمِينَ كَانُوا قَرِيبًا مِنْهَا، لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهَا إِلَّا عَرْضُ الْخَنْدَقِ، وَكَانُوا فِي عَافِيَةٍ مِنْهَا، وَلَا خَبَرَ عِنْدَهُمْ بِهَا. ﴿وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ وَقُرِئَ بِالْيَاءِ، أَيْ: لَمْ يَرَهَا الْمُشْرِكُونَ.

قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ فَقَلَعَتِ الْأَوْتَادَ، وَقَطَعَتْ أَطْنَابَ الْفَسَاطِيطِ، وَأَطْفَأَتِ النِّيرَانَ، وَأَكْفَأَتِ الْقُدُورَ، وَجَالَتِ الْخَيْلُ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ، وَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الرُّعْبَ، وَكَثُرَ تَكْبِيرُ الْمَلَائِكَةِ فِي جَوَانِبِ الْعَسْكَرِ، حَتَّى كَانَ سَيِّدُ كُلِّ خِبَاءٍ يَقُولُ: يَا بَنِي فُلَانٍ هَلُمَّ إِلَيَّ. فَإِذَا اجْتَمَعُوا قَالَ لَهُمُ: النَّجَاءَ النَّجَاءَ!! لِمَا بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ مِنَ الرُّعْبِ(١).

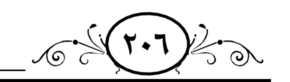
المبحث الثامن: نزول عيسى بصحبة ملكين

قد أخبرنا الله تبارك وتعالى أن اليهود لم يقتلوا عيسى ابن مريم وإن ادعوا هذه الدعوى وصَدَّقها النصارى، والحقيقة أن عيسى لم يُقتل، ولكن الله ألقى شبهه على غيره، أما هو فقد رفعه الله إلى السماء كما قال تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٧، ١٥٨].

وأشار ربنا تبارك وتعالى في كتابه إلى أن عيسى سينزل في آخر الزمان، وأن نزوله سيكون علامة دالة على قرب وقوع الساعة كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ

---

(١) «تفسير القرطبي» (١٤/ ١٤٣).

لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ [الزخرف: ٦١]، كما أخبرنا أن أهل الكتاب في ذلك الزمان سيؤمنون به، قال تعالى:  ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٩].

وقد جاء تفصيل هذه النصوص في السنة النبوية، فقد أخبرنا الرسول ﷺ أنه عندما تشتد فتنة الدجال ويضيق الأمر بالمؤمنين في ذلك الزمان، يُنزل الله عبده ورسوله عيسى عليه السلام، وينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق[١]، واضعًا يديه على أجنحة ملكين.

ومن الأدلة على ذلك:

ما جاء عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رضي الله عنه في حديث الدجال الطويل: قال رسول الله ﷺ: «...**فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ[٢]، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ**»[٣].

(١) «القيامة الصغرى» (ص٢٥٩) للأشقر.

(٢) قَوْله: «بَيْنَ مهرودتين»، أَي: فِي شقتين أَوْ حُلتين، ويروى هَذَا الْحَرْف: مهروذتين، بِالدَّال والذال جَمِيعًا، أَي: مُمَصَّرَتَيْنِ، والممصرة من الثِّيَاب: الَّتِي فِيهَا صفرَة. انظر: «شرح السنة» للبغوي (١٥/ ٥٨).

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (١١٠، ١١١) و(٢٩٣٧)، والترمذي (٢٢٤٠)، وأبو داود (٤٣٢١)، والنسائي في «الكبرى» (٨٠٢٤)، وفي «عمل اليوم والليلة» (٩٤٧)، وابن قانع في «معجم الصحابة» (٣/ ١٦٣، ١٦٤) من طرق عن الوليد بن مسلم. وأخرجه ابن ماجه (٤٠٧٦)، والحاكم (٤/ ٤٩٢) من طرق عن عبد الرحمن بن يزيد ابن جابر، به. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه! وأخرجه ابن ماجه (٤٠٧٥) عن هشام بن عمار، عن يحيى بن حمزة، عن عبد الرحمن بن يزيد، عن عبد الرحمن بن جبير، به. دون ذكر يحيى بن جابر. =

قال العظيم آبادي رَحِمَهُ اللَّهُ: فَهَذَا الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ صَرِيحٌ فِي أَنَّ نَبِيَّ اللَّه عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ عِنْدَ قُرْبِ السَّاعَةِ فَيَقْتُلُ الدَّجَّالَ الْمَوْعُودَ الْمُنْذَرَ بِهِ، وَهُوَ حُجَّةٌ قَاطِعَةٌ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ مِنْ أَهْلِ الضَّلَالِ وَالْفَسَادِ نُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مِنَ السَّمَاءِ. وَاَللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ(١).

وقد كان نزول عيسى ممكنًا بغير ملائكة، ولكن حَمْل الملائكة لعيسى إثبات لافتقار عيسى إلى الحمل، ولذلك كان الحمل من خصائص الخلق، فأصبح كل من يجري عليه الحمل مفتقرًا إلى غيره في قيامه وليس قائمًا بنفسه، وهو أيضًا الحكمة من جعل الملائكة حملة للعرش إثباتًا لحقيقة أن العرش مخلوق(٢).

المبحث التاسع: الملائكة الذين جاءوا بالتابوت

من الأعمال المتعلقة ببني آدم التي قامت بها الملائكة - مجيئهم بالتابوت الذي فيه بقايا آثار آل موسى وآل هارون، وذلك إلى طائفة من بني إسرائيل لتكون علامة على ملك طالوت وعلى وجوب اتباعه.

= وأخرج البزار (٣٣٨١) من طريق عبد الله بن صالح المصري، عن معاوية ابن صالح، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير، عن أبيه، عن جده نفير الحضرمي أن رسول الله ﷺ. . . ولم يسق لفظه كاملًا. قال الهيثمي في «المجمع» (٧/ ٣٤٧): رواه البزار، وفيه عبد الله بن صالح كاتب الليث، وقد وُثق، وضعفه جماعة، وبقية رجاله رجال الصحيح. وانظر تحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط على مسند أحمد/ ط الرسالة (٢٩/ ١٧٥).

(١) «عون المعبود شرح سنن أبي داود» (١١/ ٤٤٩) ط/ المكتبة السلفية.

(٢) «المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ دراسة سلفية» (١/ ٧٣) تأليف: رفاعي سرور.

وقد ذكر الله تبارك وتعالى لنا ذلك في القرآن فقال سبحانه: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٧، ٢٤٨].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: وَقَوْلُهُ: ﴿تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: جَاءَتِ الْمَلَائِكَةُ تَحْمِلُ التَّابُوتَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ حَتَّى وَضَعَتْهُ بَيْنَ يَدَيْ طَالُوتَ وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ. وَقَالَ السُّدِّيُّ: أَصْبَحَ التَّابُوتُ فِي دَارِ طَالُوتَ فَآمَنُوا بِنُبُوَّةِ شَمْعُونَ وَأَطَاعُوا طَالُوتَ. وَقَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنِ الثَّوْرِيِّ عَنْ بَعْضِ أَشْيَاخِهِ: جَاءَتْ بِهِ الْمَلَائِكَةُ تَسُوقُهُ عَلَى عَجَلَةٍ عَلَى بَقَرَةٍ، وَقِيلَ: عَلَى بَقَرَتَيْنِ.

وَذَكَرَ غَيْرُهُ أَنَّ التَّابُوتَ كَانَ بِأَرِيحَا وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ لَمَّا أَخَذُوهُ وَضَعُوهُ فِي بَيْتِ آلِهَتِهِمْ تَحْتَ صَنَمِهِمُ الْكَبِيرِ، فَأَصْبَحَ التَّابُوتُ عَلَى رَأْسِ الصَّنَمِ، فَأَنْزَلُوهُ فَوَضَعُوهُ تَحْتَهُ فَأَصْبَحَ كَذَلِكَ، فَسَمَّرُوهُ تَحْتَهُ فَأَصْبَحَ الصَّنَمُ مَكْسُورَ الْقَوَائِمِ مُلْقًى بَعِيدًا، فَعَلِمُوا أَنَّ هَذَا أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهِ، فَأَخْرَجُوا التَّابُوتَ مِنْ بَلَدِهِمْ، فَوَضَعُوهُ فِي بَعْضِ الْقُرَى، فَأَصَابَ أَهْلَهَا دَاءٌ فِي رِقَابِهِمْ، فَأَمَرَتْهُمْ جَارِيَةٌ مِنْ سَبْيِ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَرُدُّوهُ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ حَتَّى يُخَلَّصُوا مِنْ هَذَا الدَّاءِ، فَحَمَلُوهُ عَلَى بَقَرَتَيْنِ فَسَارَتَا بِهِ لَا يَقْرَبُهُ أَحَدٌ إِلَّا مَاتَ، حَتَّى اقْتَرَبَتَا مِنْ بَلَدِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَكَسَرَتَا النَّيِّرَيْنِ وَرَجَعَتَا، وَجَاءَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فَأَخَذُوهُ فَقِيلَ: إِنَّهُ تَسَلَّمَهُ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ إِلَيْهِمَا حَجَلَ مِنْ

فَرَحِهِ بِذَلِكَ. وَقِيلَ: شَابَّانِ مِنْهُمْ فَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقِيلَ: كَانَ التَّابُوتُ بِقَرْيَةٍ مِنْ قُرَى فِلَسْطِينَ يُقَالُ لَهَا: أَزْدَرِدُ[١].

قال الشيخ الأشقر: والذي يعنينا من هذه الآية ما أخبرنا الله به - أن الملائكة جاءت بني إسرائيل في تلك الفترة، بتابوت، تطمينًا لهم وتثبيتًا؛ كي يعلموا أن طالوت مختار من الله تعالى، فيتابعوه ويطيعوه[٢].

المبحث العاشر: قَبْض الأرواح عند الموت

ثبت في الكتاب والسنة أن الله تعالى وكّل بالروح ملائكة يقبضونها عند الموت، كما بينت لنا الأدلة الصحيحة كيفية خروج الروح، وحال المؤمن عند الاحتضار، وحال الكافر عند الاحتضار، وأن الملائكة التي تقبض أرواح العباد منها ملائكة رحمة، ومنها ملائكة عذاب.

ومن هذه الأدلة ما يلي:

١- قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ [الواقعة: ٨٣-٨٥].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: يَقُولُ تَعَالَى: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ﴾ أَي: الرُّوحُ ﴿ٱلْحُلْقُومَ﴾ أَي: الحَلْقَ، وَذَلِكَ حِينَ الاحْتِضَارِ ﴿وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾﴾ أَيْ: إِلَى الْمُحْتَضَرِ وَمَا يُكَابِدُهُ مِنْ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ. ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾ أَيْ: بِمَلَائِكَتِنَا ﴿وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ أَيْ: وَلَكِنْ لَا تَرَوْنَهُمْ. كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ

(١) «تفسير ابن كثير» ت سلامة (١/ ٦٦٧).

(٢) «عالم الملائكة الأبرار» (١/ ٦٦).

ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأَنْعَام: ٦١، ٦٢]. وَقَوْلُهُ: ﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ﴾: مَعْنَاهُ: فَهَلَّا تَرجعُون هَذِهِ النَّفْسَ الَّتِي قَدْ بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ إِلَى مَكَانِهَا الْأَوَّلِ وَمَقَرِّهَا فِي الْجَسَدِ إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ. قال ابْنُ عَبَّاسٍ: يَعْنِي مُحَاسَبِينَ. ورُوِيَ عَنْ مُجَاهِدٍ، وعِكْرِمَة، وَالْحَسَنِ، وَقَتَادَةَ، وَالضَّحَّاكِ، والسُّدِّيِّ، وَأَبِي حَزْرَة - مِثْلُهُ(١).

٢- قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأَنْعَام: ٦١، ٦٢].

قال القاسمي رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦۖ﴾ قد مرّ تفسيره، وأنه المتصرف في أمورهم لا غيره، يفعل بهم ما يشاء. ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ أي: ملائكة تحفظ أعمالكم وتحصيها، وهم الكرام الكاتبون، كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ﴾ [الانفطار: ١٠]. وقوله: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ﴾ [ق: ١٧] الآية.

لطيفة: الحكمة في ذلك أن المكلف إذا علم أن أعماله تُكتب عليه وتُعْرض على رؤوس الأشهاد، كان أزجر عن المعاصي. وأن العبد إذا وثق بلطف سيده، واعتمد على عفوه وستره، لم يحتشم منه احتشامه من خدمه المطلعين عليه. أفاده القاضي.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ أي: أسبابه ومباديه ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ أي: ملائكة موكلون بذلك، ﴿وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ أي: بالتواني والتأخير. وقال ابن

---

(١) «تفسير ابن كثير» ت سلامة (٧/ ٥٤٧) بتصرف.

كثير: أي: في حفظ روح المتوفى، بل يحفظونها ويتركونها حيث شاء الله ﷻ، إن كان من الأبرار ففي علّيين، وإن كان من الفجار ففي سجّين.

قوله: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ أي: الذي يتولى أمورهم. و(الحقّ): العدل الذي لا يحكم إلا بالحق. قال ابن كثير: الضمير للملائكة. أو للخلائق المدلول عليهم بـ(أحد). والإفراد أولًا والجمع آخرًا لوقوع التوفي على الانفراد، والرد على الاجتماع. أي: رُدوا بعد البعث، فيحكم فيهم بعدله، كما قال: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَوَّلِينَ وَٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجۡمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ﴾ [الواقعة: ٤٩، ٥٠] وقال: ﴿وَحَشَرۡنَٰهُمۡ فَلَمۡ نُغَادِرۡ مِنۡهُمۡ أَحَدٗا﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا﴾ [الكهف: ٤٧- ٤٩] ولهذا قال: ﴿مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ﴾. ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ﴾ يومئذ لا حكم فيه لغيره، ﴿وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ﴾ يحاسب الخلائق في أسرع زمان.

فائدة: قال الخازن: فإن قلت: قال الله تعالى في آية: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]. وقال في آية أخرى: ﴿قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ﴾ [السجدة: ١١]. وقال هنا: ﴿تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا﴾، فكيف الجمع بين هذه الآيات؟.

قلت: وجه الجمع أن المتوفي في الحقيقة هو الله تعالى. فإذا حضر أجل العبد أمر الله ملك الموت بقبض روحه، ولملك الموت أعوان من الملائكة، يأمرهم بنزع روح ذلك العبد من جسده. فإذا وصلت إلى الحلقوم، تولى قبضها ملك الموت نفسه، فحصل الجمع. قال مجاهد: جُعلت الأرض لملك الموت مثل الطشت، يتناول من حيث شاء. وجعلت له أعوان ينزعون الأنفس ثم يقبضها منهم(١).

(١) «تفسير القاسمي = محاسن التأويل» (٤/ ٣٨٤) دار الكتب العلمية - بيروت.

٣- قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ﴾ [القيامة: ٢٦-٣٠].

قال البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ **في قوله:** ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ﴾: يَعْنِي النَّفْسَ، كِنَايَةٌ عَنْ غَيْرِ مَذْكُورٍ ﴿ٱلتَّرَاقِيَ﴾ فَحَشْرَجَ بِهَا عِنْدَ الْمَوْتِ، وَ«التَّرَاقِي» جَمْعُ التَّرْقُوَةِ، وَهِيَ الْعِظَامُ بَيْنَ ثُغْرَةِ النَّحْرِ وَالْعَاتِقِ، وَيُكَنَّى بِبُلُوغِ النَّفْسِ التَّرَاقِيَ عَنِ الْإِشْرَافِ عَلَى الْمَوْتِ. ﴿وَقِيلَ﴾ أَيْ قَالَ مَنْ حَضَرَهُ [الْمَوْتُ]: هَلْ ﴿مَنۡۜ رَاقٖ﴾ هَلْ مِنْ طَبِيبٍ يَرْقِيهِ وَيُدَاوِيهِ فَيَشْفِيَهُ بِرُقْيَتِهِ أَوْ دَوَائِهِ؟ وَقَالَ قَتَادَةُ: الْتَمَسُوا لَهُ الْأَطِبَّاءَ فَلَمْ يُغْنُوا عَنْهُ مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ شَيْئًا. وَقَالَ سُلَيْمَانُ التَّيْمِيُّ وَمُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ: هَذَا مِنْ قَوْلِ الْمَلَائِكَةِ، يَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَنْ يَرْقَى بِرُوحِهِ؟ فَتَصْعَدُ بِهَا مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ أَوْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ. ﴿وَظَنَّ﴾ أَيْقَنَ الذي بَلَغَتْ رُوحُهُ التَّرَاقِيَ ﴿أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ﴾ مِنَ الدُّنْيَا[(١)].

٤- قوله تعالى: ﴿۞ قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ﴿١١﴾﴾ [السجدة: ١١].

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: ظَاهِرُ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنَّ الَّذِي يَقْبِضُ أَرْوَاحَ النَّاسِ مَلَكٌ وَاحِدٌ مُعَيَّنٌ، وَهَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ، وَقَدْ جَاءَ فِي بَعْضِ الْآثَارِ أَنَّ اسْمَهُ عِزْرَائِيلُ[(٢)]. وَقَدْ بَيَّنَ تَعَالَى فِي آيَاتٍ أُخَرَ أَنَّ النَّاسَ تَتَوَفَّاهُمْ مَلَائِكَةٌ لَا مَلَكٌ وَاحِدٌ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ الْآيَةَ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَكَيۡفَ إِذَا تَوَفَّتۡهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ ﴿٢٧﴾﴾، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ﴾ الْآيَةَ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ﴾

---

(١) «تفسير البغوي» - طيبة (٨/ ٢٨٥).

(٢) سبق الكلام عن تسمية ملك الموت بعزرائيل وأنه ليس ثم دليل على هذه التسمية.

إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ.

وَإِيضَاحُ هَذَا عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ: أَنَّ الْمُوَكَّلَ بِقَبْضِ الْأَرْوَاحِ مَلَكٌ وَاحِدٌ هُوَ الْمَذْكُورُ هُنَا، وَلَكِنْ لَهُ أَعْوَانٌ يَعْمَلُونَ بِأَمْرِهِ يَنْتَزِعُونَ الرُّوحَ إِلَى الْحُلْقُومِ، فَيَأْخُذُهَا مَلَكُ الْمَوْتِ، أَوْ يُعِينُونَهُ إِعَانَةً غَيْرَ ذَلِكَ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ فَلَا إِشْكَالَ فِيهِ؛ لِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يَتَوَفَّوْا أَحَدًا إِلَّا بِمَشِيئَتِهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: ١٤٥].

فَتَحَصَّلَ أَنَّ إِسْنَادَ التَّوَفِّي إِلَى مَلَكِ الْمَوْتِ فِي قَوْلِهِ هُنَا: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ لِأَنَّهُ هُوَ الْمَأْمُورُ بِقَبْضِ الْأَرْوَاحِ، وَأَنَّ إِسْنَادَهُ لِلْمَلَائِكَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ الْآيَةَ، وَنَحْوِهَا مِنَ الْآيَاتِ؛ لِأَنَّ لِمَلَكِ الْمَوْتِ أَعْوَانًا يَعْمَلُونَ بِأَمْرِهِ، وَأَنَّ إِسْنَادَهُ إِلَى اللَّهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ كَائِنًا مَا كَانَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ، وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى[(١)].

٥- قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ۝١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ۝٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ۝٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ۝٤ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾ [النازعات: ١ - ٥].

قال الخازن: قوله ﷻ: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ۝١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ۝٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ۝٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا﴾ اختلفت عبارات المفسرين في هذه الكلمات هل هي صفات لشيء واحد أو لأشياء مختلفة، على أوجه واتفقوا على أن المراد بقوله: ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ۝٥﴾ وصف لشيء واحد وهم الملائكة:

الوجه الأول في قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ۝١﴾ يعني الملائكة تنزع

(١) «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» (٦/ ١٨٤) دار الفكر.

أرواح الكفار من أقاصي أجسامهم. كما يغرق النازع في القوس فيبلغ بها غاية المد، والغرق من الإغراق، أي، والنازعات إغراقًا. وقال ابن مسعود: «إن ملك الموت وأعوانه ينزعون روح الكافر كما يُنزع السفود الكثير الشُّعب من الصوف المبتل، فتخرج نفس الكافر كالغريق في الماء».

﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ۝٢﴾ الملائكة تنشط نفس المؤمن، أي تسلها سلاً رفيقًا فتقبضها كما ينشط العقال من يد البعير. وإنما خص النزع بنفس الكافر والنشط بنفس المؤمن لأن بينهما فرقًا، فالنزع جذب بشدة والنشط جذب برفق.

﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ۝٣﴾ يعني الملائكة يقبضون أرواح المؤمنين يسلونها سلًّا رفيقًا، ثم يَدَعُونها حتى تستريح، ثم يستخرجونها كالسابح في الماء يتحرك فيه برفق ولطافة. وقيل: هم الملائكة ينزلون من السماء مسرعين كالفرس الجواد إذا أسرع في جريه. يقال له سابح.

﴿فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ۝٤﴾ يعني الملائكة سبقت ابن آدم بالخير والعمل الصالح. وقيل: هم الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة(١).

وقد بَيَّن لنا ربنا تبارك وتعالى حال المؤمن عند قبض الملائكة روحه في عدة آيات، منها:

١- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ۝٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ [فصلت: ٣٠-٣١].

---

(١) «لباب التأويل في معاني التنزيل» - الخازن (٦/ ٢١٤).

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: يخبر تعالى عن أوليائه، وفي ضمن ذلك تنشيطهم والحث على الاقتداء بهم، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ أي: اعترفوا ونطقوا ورضُوا بربوبية الله تعالى، واستسلموا لأمره، ثم استقاموا على الصراط المستقيم، علمًا وعملًا؛ فلهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة. ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ الكرام، أي: يتكرر نزولهم عليهم، مبشرين لهم عند الاحتضار. ﴿أَلَّا تَخَافُواْ﴾ على ما يُستقبل من أمركم، ﴿وَلَا تَحۡزَنُواْ﴾ على ما مضى. فنفوا عنهم المكروه الماضي والمستقبل، ﴿وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾ فإنها قد وجبت لكم وثبتت، وكان وعد الله مفعولًا. ويقولون لهم أيضًا - مثبتين لهم ومبشرين: ﴿نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ يحثونهم في الدنيا على الخير، ويزينونه لهم، ويرهبونهم عن الشر، ويقبحونه في قلوبهم، ويدعون الله لهم، ويثبتونهم عند المصائب والمخاوف، وخصوصًا عند الموت وشدته، والقبر وظلمته، وفي القيامة وأهوالها، وعلى الصراط، وفي الجنة يهنئونهم بكرامة ربهم(١).

٢- قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٤].

قال الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ: أَيْ: لَهُمُ الْبُشْرَى مِنَ اللَّهِ مَا دَامُوا فِي الْحَيَاةِ بِمَا يُوحِيهِ إِلَى أَنْبِيَائِهِ، وَيُنْزِلُهُ فِي كُتُبِهِ، مِنْ كَوْنِ حَالِ الْمُؤْمِنِينَ عِنْدَهُ هُوَ إِدْخَالُهُمُ الْجَنَّةَ وَرِضْوَانُهُ عَنْهُمْ، كَمَا وَقَعَ كَثِيرٌ مِنَ الْبِشَارَاتِ لِلْمُؤْمِنِينَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَكَذَلِكَ مَا يَحْصُلُ لَهُمْ مِنَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةِ، وَمَا يَتَفَضَّلُ اللَّهُ بِهِ

---

(١) «تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن» (ص٧٤٨).

عَلَيْهِمْ مِنْ إِجَابَةِ دُعَائِهِمْ، وَمَا يُشَاهِدُونَهُ مِنَ التَّبْشِيرِ لَهُمْ عِنْدَ حُضُورِ آجَالِهِمْ، تتَنَزُّلِ الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِمْ قَائِلِينَ لَهُمْ: لَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ. وَأَمَّا الْبُشْرَى فِي الْآخِرَةِ: فَتَلَقِّي الْمَلَائِكَةِ لَهُمْ مُبَشِّرِينَ بِالْفَوْزِ بِالنَّعِيمِ وَالسَّلَامَةِ مِنَ الْعَذَابِ[(١)].

٣- قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢].

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ وقرأ حمزة «يتوفاهم» بياء مع الإمالة.

وفي معنى ﴿طَيِّبِينَ﴾ خمسة أقوال: أحدها: مؤمنين. والثاني: طاهرين من الشرك. والثالث: زاكية أفعالهم وأقوالهم. والرابع: طيبةٌ وفاتُهم سَهْلٌ خروجُ أرواحهم. والخامس: طيبة أنفسهم بالموت ثقة بالثواب.

قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ﴾ يعني الملائكة ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ﴾، وفي أي وقت يكون هذا السلام؟ فيه قولان:

أحدهما: عند الموت. قال البراء بن عازب: يسلِّم عليه ملك الموت إذا دخل عليه. وقال القرظي: ويقول له: الله ﷻ يقرأ عليك السلام. ويبشره بالجنة. والثاني: عند دخول الجنة. قال مقاتل: هذا قول خزنة الجنة لهم في الآخرة. يقولون: سلام عليكم[(٢)].

٤- قوله تعالى: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ

---

(١) «فتح القدير» للشوكاني (٢/ ٥٢٠) دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت.

(٢) «زاد المسير في علم التفسير» (٢/ ٥٥٨) دار الكتاب العربي - بيروت.

ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٨٨ - ٩٦].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: هَذِهِ الْأَحْوَالُ الثَّلَاثَةُ هِيَ أَحْوَالُ النَّاسِ عِنْدَ احْتِضَارِهِمْ: إِمَّا أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ، أَوْ يَكُونَ مِمَّنْ دُونَهُمْ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ. وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ عَنِ الْهُدَى، الْجَاهِلِينَ بِأَمْرِ اللَّهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ﴾ أَيِ: الْمُحْتَضَرُ، ﴿مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾، وَهُمُ الَّذِينَ فَعَلُوا الْوَاجِبَاتِ وَالْمُسْتَحَبَّاتِ، وَتَرَكُوا الْمُحَرَّمَاتِ وَالْمَكْرُوهَاتِ وَبَعْضَ الْمُبَاحَاتِ، ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ أَيْ: فَلَهُمْ رَوْحٌ وَرَيْحَانٌ، وَتُبَشِّرُهُمُ الْمَلَائِكَةُ بِذَلِكَ عِنْدَ الْمَوْتِ، كَمَا تَقَدَّمَ فِي حَدِيثِ الْبَرَاءِ: أَنَّ مَلَائِكَةَ الرَّحْمَةِ تَقُولُ: «أَيَّتُهَا الرُّوحُ الطَّيِّبَةُ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ كُنْتِ تَعْمُرِينَهُ، اخْرُجِي إِلَى رَوْحٍ وَرَيْحَانٍ، وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ».

قَالَ عَلِيُّ بْنُ طَلْحَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿فَرَوْحٌ﴾ يَقُولُ: رَاحَةٌ وَرَيْحَانٌ، يَقُولُ: مُسْتَرَاحَةٌ. وَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ: إِنَّ الرَّوْحَ: الِاسْتِرَاحَةُ. وَقَالَ أَبُو حَزْرَةَ: الرَّاحَةُ مِنَ الدُّنْيَا. وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَالسُّدِّيُّ: الرَّوْحُ: الْفَرَحُ. وَعَنْ مُجَاهِدٍ: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾: جَنَّةٌ وَرَخَاءٌ. وَقَالَ قَتَادَةُ: فَرَوْحٌ وَرَحْمَةٌ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: ﴿وَرَيْحَانٌ﴾: وَرِزْقٌ.

وَكُلُّ هَذِهِ الْأَقْوَالِ مُتَقَارِبَةٌ صَحِيحَةٌ، فَإِنَّ مَنْ مَاتَ مُقَرَّبًا حَصَلَ لَهُ جميعُ ذَلِكَ مِنَ الرَّحْمَةِ وَالرَّاحَةِ وَالِاسْتِرَاحَةِ، وَالْفَرَحِ وَالسُّرُورِ وَالرِّزْقِ الْحَسَنِ(١).

٥- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾

---

(١) «تفسير ابن كثير» ت سلامة (٧/ ٥٤٨).

فَٱدْخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر: ٢٧ - ٣٠].

قال ابن عطية رَحِمَهُ اللَّهُ: ولما فرغ ذكر هؤلاء المعذبين عَقَّب تعالى بذكر نفوس المؤمنين وحالهم فقال: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾﴾ الآية، و﴿ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ معناه: الموقنة غاية اليقين...

واختلف الناس في هذا النداء متى يقع: فقال ابن زيد وغيره: هو عند خروج نفس المؤمن من جسده في الدنيا. ورُوي أن أبا بكر الصِّديق سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال له: «**إن الملك سيقولها لك يا أبا بكر عند موتك**»، ومعنى ﴿ٱرْجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ على هذا التأويل: ارْجِعِي بالموت، وقال: وقوله: ﴿فِي عِبَٰدِي﴾ أي في أعداد عبادي الصالحين، وهذه قراءة الجمهور بجمع «عبادي».

وقال قوم: النداء عند قيام الأجساد من القبور، فقوله: ﴿ٱرْجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ معناه بالبعث من موتك ارجعي إلى الله[1].

ثم بَيَّنَ لنا ربنا تبارك وتعالى حال الكافر عياذًا بالله عند قبض الملائكة روحه وما يلاقيه من الشدة والعذاب، وذلك في عدة آيات، منها:

١- قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣].

قال أبو جعفر رَحِمَهُ اللَّهُ: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾، يا محمد، حين يغمر الموت بسكراته هؤلاء الظالمين العادلين بربهم الآلهة

---

(١) «تفسير ابن عطية» (٥/ ٤٨١) دار الكتب العلمية.

والأنداد، والقائلين: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيۡءٍۗ﴾، والمفترين على الله كذبًا، الزاعمين أنّ الله أوحى إليه ولم يوحَ إليه شيء، والقائلين: ﴿سَأُنزِلُ مِثۡلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۗ﴾ فتعاينهم وقد غشيتهم سكرات الموت، ونزل بهم أمر الله، وحان فناء آجالهم، والملائكة باسطو أيديهم يضربون وجوههم وأدبارهم. يقولون لهم: أخرجوا أنفسكم.

وأما بسط الملائكة أيديها فإنه مدُّها، ثم اختلف أهل التأويل في سبب بسطها أيديها عند ذلك، فقال بعضهم بنحو الذي قلنا في ذلك:

حدثني المثنى قال: حدثنا عبد الله بن صالح قال: حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ﴾، قال: هذا عند الموت، «والبسط»، الضرب، يضربون وجوههم وأدبارهم[(١)].

٢- قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يَرَوۡنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشۡرَىٰ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُجۡرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا ﴿٢٢﴾﴾ [الفرقان: ٢٢].

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿يَوۡمَ يَرَوۡنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشۡرَىٰ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُجۡرِمِينَ﴾ يُرِيدُ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا يَرَاهَا أَحَدٌ إِلَّا عِنْدَ الْمَوْتِ، فَتُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْجَنَّةِ، وَتَضْرِبُ الْمُشْرِكِينَ وَالْكُفَّارَ بِمَقَامِعِ الْحَدِيدِ حَتَّى تَخْرُجَ أَنْفُسُهُمْ. ﴿وَيَقُولُونَ حِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا﴾ يُرِيدُ: تَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: حَرَامًا مُحَرَّمًا أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَقَامَ شَرَائِعَهَا. عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِ. وَقِيلَ: إِنَّ ذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ وَعَطِيَّةُ الْعَوْفِيُّ. قَالَ عَطِيَّةُ: إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ تَلْقَى الْمُؤْمِنَ بِالْبُشْرَى، فَإِذَا رَأَى ذَلِكَ الْكَافِرُ تَمَنَّاهُ فَلَمْ يَرَهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ.

---

(١) «تفسير الطبري = جامع البيان» ت شاكر (١١/ ٥٣٧).

وَانْتَصَبَ ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ﴾ بِتَقْدِيرِ: لَا بُشْرَى لِلْمُجْرِمِينَ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ. ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ تَأْكِيدٌ لِـ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ﴾[1].

٣- قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [النحل: ٢٨، ٢٩].

قال البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ وَهُمُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿إِنَّ ٱلْخِزْىَ﴾ الْهَوَانَ، ﴿ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ﴾ أَيِ: الْعَذَابَ، ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ يَقْبِضُ أَرْوَاحَهُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ وَأَعْوَانُهُ، قَرَأَ حَمْزَةُ: «يَتَوَفَّاهُمْ» بِالْيَاءِ، وَكَذَا مَا بَعْدَهُ، ﴿ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ بِالْكُفْرِ، وَنُصِبَ عَلَى الْحَالِ، أَيْ: فِي حَالِ كُفْرِهِمْ، ﴿فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ﴾ أَيِ: اسْتَسْلَمُوا وَانْقَادُوا وَقَالُوا: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ﴾ شِرْكٍ، فَقَالَ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ: ﴿بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ قَالَ عِكْرِمَةُ: عَنَى بِذَلِكَ مَنْ قُتِلَ مِنَ الْكُفَّارِ بِبَدْرٍ[2].

٤- قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد: ٢٧، ٢٨].

قال ابن عطية رَحِمَهُ اللَّهُ: وقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ﴾ الآية، يحتمل أن يتوعدوا به على معنيين: أحدهما: هذا هلعهم وجزعهم لفرض القتال وفزع الأعداء، ﴿فَكَيْفَ﴾ فزعهم وجزعهم إذا ﴿تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾؟ والثاني: أن يريد: هذه معاصيهم وعنادهم وكفرهم، ﴿فَكَيْفَ﴾ تكون حالهم مع الله إذا

(١) «تفسير القرطبي» (١٣/ ٢٠) دار الكتب المصرية - القاهرة.
(٢) «تفسير البغوي» - طيبة (٥/ ١٧).

﴿تَوَفَّتۡهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾؟ وقال الطبري: المعنى ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِسۡرَارَهُمۡ ۝٢٦ فَكَيۡفَ﴾ علمه بها إذا ﴿تَوَفَّتۡهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾. الْمَلائِكَةُ هنا: ملك الموت والمصرفون معه. والضمير في ﴿يَضۡرِبُونَ﴾ للْمَلائِكَة، وفي نحو هذا أحاديث تقتضي صفة الحال ومن قال: (إن الضمير في: (يَضْرِبُونَ) للكفار الذين يتوفون) فذلك ضعيف[1].

وقد جاء الدليل بأن العبد المؤمن تحضره ملائكة الرحمة حال خروج الروح، كما أن العبد الكافر تحضره ملائكة العذاب حال خروج روحه، فإذا لم يتميز حاله بالنسبة إليهم اختصموا فيه.

ومن الأدلة على ذلك ما يلي:

١- عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدْ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، كَأَنَّ عَلَى رُؤوسِنَا الطَّيْرَ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «**اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ - مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا -**».

ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ،** عليه السلام**، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ**».

قَالَ: «**فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا، فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ، وَفِي ذَلِكَ**

---

(١) «تفسير ابن عطية» (٥/ ١٢٠).

الْحَنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ».

قَالَ: «فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ - يَعْنِي بِهَا - عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ! بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَهُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ، فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَيَقُولُ اللهُ ﷻ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ؛ فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى».

قَالَ: «فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الْإِسْلَامُ. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ، فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ. فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ».

قَالَ: «فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا، وَطِيبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ».

قَالَ: «وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ! فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ؟ فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ. فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي، وَمَالِي».

قَالَ: «وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ، مَعَهُمُ الْمُسُوحُ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ، اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللهِ وَغَضَبٍ».

قَالَ: «فَتُفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ، فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ،

وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ؟! فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ!! بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ، فَلَا يُفْتَحُ لَهُ»، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠] **فَيَقُولُ اللهُ** ﷻ: **اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى. فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا»**. ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١] **«فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي. فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ، فَافْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ! فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا، وَسَمُومِهَا، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ، قَبِيحُ الثِّيَابِ، مُنْتِنُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوؤُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ!! فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ؟ فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ!! فَيَقُولُ: رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ»**(١).

---

(١) **حسن:** أخرجه أبو داود (٤٧٥٣) وأحمد (١٨٥٥٧) والطيالسي (٧٥٣)، وقال الهيثمي (٣/ ٥٠): رجاله رجال الصحيح، والروياني (٣٩٢)، وهناد (٣٣٩)، وابن خزيمة في التوحيد (ص ١١٩)، وأبو عوانة كما في إتحاف المهرة (٢٠٦٣)، وابن منده (١٠٦٤)، وقال: هذا إسناد متصل مشهور، رواه جماعة عن البراء وهو ثابت على رسم الجماعة. والحاكم (١٠٧، ١٠٩ ١١٧)، وقال: صحيح على شرط الشيخين. والبيهقي «في شعب الإيمان» (٣٩٥)، وقال: صحيح الإسناد. قال المنذري رَحِمَهُ اللَّهُ: في إسناده المنهال بن عمرو، قد أخرج له البخاري في صحيحه حديثًا واحدًا. وقال يحيى بن معين رَحِمَهُ اللَّهُ: ثقة. وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: تركه =

والقصد أن ملائكة الموت نوعان: ملائكة رحمة وملائكة عذاب ينزلون لقبض أرواح بني آدم، كلٌّ حَسَب عمله: فأهل الإيمان تقبض أرواحهم ملائكة الرحمة، وأهل الكفر تقبض أرواحهم ملائكة العذاب(١).

٢- وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «**كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسًا، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدُل على راهب فأتاه فقال إنه قتل تسعة وتسعين نفسًا فهل له من توبة؟ فقال: لا. فقتله فكَمَّل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدُل على رجل عالم فقال إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة؟ فقال: نعم، ومَن يَحُول بينه وبين التوبة؟ انطلِقْ إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناسًا يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء. فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائبًا مقبلًا بقلبه إلى الله. وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيرًا قط. فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم فقال: قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له. فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد،**

= شعبة على عمد، وغمزه يحيى بن سعيد. وحكى عن شعبة أنه تركه. وقال ابن عدي والمنهال بن عمرو: هو صاحب حديث القبر الحديث الطويل، رواه عن زاذان، عن البراء، ورواه عن منهال جماعة، وذكر أبو موسى الأصبهاني رَحِمَهُ اللَّهُ أنه حديث حسن مشهور للمنهال عن زاذان، وللمنهال حديث واحد في كتاب البخاري حسب، ولزاذان في كتاب مسلم حديثان، عن أبي عمر، كنيته زاذان. وقال أحمد بن عبد الله العِجْلِي رَحِمَهُ اللَّهُ: زاذان أبو عمر سمع من عبد الله، ثقة. قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: المنهال ابن عمرو الأسدي مولاهم الكوفي صدوق ربما وهم، من الخامسة قال ابن حجر أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: وزاذان أبو عمر الكندي البزاز ويُكْنَى أبا عبد الله أيضًا، صدوق يرسل، وفيه شيعية من الثانية، مات سنة اثنتين وثمانين.

والحديث صححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١٦٧٦).

(١) «المعتقد في الملائكة المقربين» (ص١٩٢).

فقبضته ملائكة الرحمة». قال قتادة: فقال الحسن: ذُكر لنا أنه لما أتاه الموت نأى بصدره»(١).

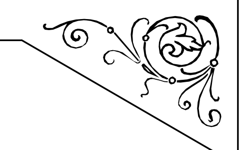
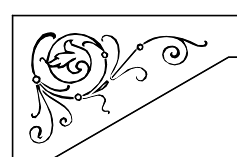
وقد دل هذا الحديث على أن ملائكة الرحمة وملائكة العذاب يختصمون فيمن لم تتضح حاله من بني آدم، كلٌّ يقول: أنا أقبض روحه!! حتى يفصل الله ﷻ بينهما(٢).



---

(١) **صحيح:** أخرجه البخاري (٣٢٨٣) باب ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ﴾ [الكهف: ٩] ومسلم (٢٧٦٦) باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله، وابن ماجه (٢٦٢٢) كتاب الديات، بَابُ هَلْ لِقَاتِلِ مُؤْمِنٍ تَوْبَةٌ، وابن حبان (٦١١)، وأحمد (١١٧٠٥)، وأبو يعلى (١٣٥٦) وابن أبي شيبة (٣٤٢٢٠).

(٢) «الإيمان بالملائكة» للصلابي (٩٨).

الفصل الثاني
أعمال الملائكة المتعلقة بالإنسان في الآخرة

المبحث الأول: سؤال الميت في القبر ثم تنعيمه أو تعذيبه بعد إعادة الروح إليه

تبدأ علاقة الملائكة بالإنسان في الآخرة بعد موته مباشرة، فإذا وُضع العبد في قبره جاءه ملكان (منكر ونكير) يسألانه عن ربه، وعن دينه، وعن رسوله، وذلك في الحياة البرزخية (التي تبدأ من وقت الموت إلى البعث).

ومن الأدلة على ذلك ما يلي:

١- قوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [التوبة: ١٠١].

قال ابن عطية رَحِمَهُ اللَّهُ: قال القاضي أبو محمد: وقوله تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ في مصحف أنس بن مالك: «سيعذبهم» بالياء، والكلام على القراءتين وعيد، واللفظ يقتضي ثلاثة مواطن من العذاب، ولا خلاف بين المتأولين أن «العذاب العظيم» الذي يُردون إليه هو عذاب الآخرة، وأكثر الناس أن العذاب المتوسط هو عذاب القبر. واختلف في عذاب المرة الأولى: فقال مجاهد وغيره: هو عذابهم بالقتل والجوع. وهذا بعيد لأن منهم من لم يصبه هذا. وقال ابن عباس أيضًا: عذابهم هو

بإقامة حدود الشرع عليهم مع كراهيتهم فيه. وقال ابن إسحاق: عذابهم هو همهم بظهور الإسلام وعلو كلمته. وقال ابن عباس وهو الأشهر عنه: عذابهم هو فضيحتهم ووصمهم بالنفاق(١).

٢- وقوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ٤٦﴾ [غافر: ٤٦].

قال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَذَهَبَ الْجُمْهُورُ أَنَّ هَذَا الْعَرْضَ هُوَ فِي الْبَرْزَخِ، وَقِيلَ: هُوَ فِي الْآخِرَةِ. قَالَ الْفَرَّاءُ: وَيَكُونُ فِي الْآيَةِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ، أَيْ: أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا. وَلَا مُلْجِئَ إِلَى هَذَا التَّكَلُّفِ؛ فَإِنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾ يَدُلُّ دَلَالَةً وَاضِحَةً عَلَى أَنَّ ذَلِكَ الْعَرْضَ هُوَ فِي الْبَرْزَخِ. وَقَوْلُهُ: ﴿أَدۡخِلُوٓاْ﴾ هُوَ بِتَقْدِيرِ الْقَوْلِ، أي: يقال للملائكة: أدخلوا آل فرعون، و﴿أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾ هُوَ عَذَابُ النَّارِ(٢).

وهذا النص من النصوص الصريحة في عذاب القبر، فإن العذاب الذي حصل لآل فرعون إنما كان بعد موتهم، وأما عذاب الآخرة فهو المذكور بعده بقوله: ﴿أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾(٣).

٣- وقوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ٢٧﴾ [إبراهيم: ٢٧].

فتثبيتهم في الدنيا هو تثبيتهم على العقيدة والشهادة والإيمان ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾، والقول الثابت منه الشهادتان،

---

(١) «تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» (٣/ ٧٦).

(٢) «فتح القدير» للشوكاني (٤/ ٥٦٧).

(٣) «الإيمان بالملائكة» للصلابي (ص١٠٠).

وأركان الإيمان، ومعرفة الله تعالى، ووصفه بصفات الكمال، وتنزيهه عن صفات النقص وما أشبه ذلك. وبقي التثبيت في البرزخ ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ﴾، ومن الآخرة البرزخ، فيثبتهم الله في البرزخ عندما تأتيهم الملائكة الذين رؤيتهم وأصواتهم وأبصارهم مفزعة، فإن الله يثبتهم ويربط على قلوبهم فلا يفزعون، بل يثبت أحدهم فيقول: ربي الله، ديني الإسلام، نبيي محمد(١).

٤- وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: إِنَّ العَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ - أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ، فَيَقُولاَنِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ - لِمُحَمَّدٍ ﷺ - فَأَمَّا المُؤْمِنُ، فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ. فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الجَنَّةِ. فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا». قَالَ قَتَادَةُ: وَذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى حَدِيثِ أَنَسٍ، قَالَ: «وَأَمَّا المُنَافِقُ وَالكَافِرُ، فَيُقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لاَ أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ. فَيُقَالُ: لاَ دَرَيْتَ، وَلاَ تَلَيْتَ. وَيُضْرَبُ بِمَطَارِقَ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ(٢).

قال ابن حجر: وفي أحاديث الباب من الفوائد إثبات عذاب القبر وأنه واقع على الكفار ومن شاء الله من الموحدين، والمساءلة، وهل هي واقعة على كل واحد؟ تقدم تقرير ذلك، وهل تختص بهذه الأمة أم وقعت على الأمم

---

(١) انظر: «المفهم لما أشكل من كتاب تلخيص مسلم» ت التازي (٤/ ١٦٢١)، و«اعتقاد أهل السنة» (١١/ ٨) لابن جبرين رَحِمَهُ اللهُ.

(٢) **صحيح:** أخرجه البخاري (١٣٧٤) بَابُ مَا جَاءَ فِي عَذَابِ القَبْرِ، ومسلم (٢٨٧٠) كتاب الآداب، باب في سؤال القبر.

قبلها؟ ظاهر الأحاديث الأول، وبه جزم الحكيم الترمذي وقال: كانت الأمم قبل هذه الأمة تأتيهم الرسل فإن أطاعوا فذاك وإن أبوا اعتزلوهم وعوجلوا بالعذاب، فلما أرسل الله محمدًا رحمة للعالمين أمسك عنهم العذاب وقَبِل الإسلام ممن أظهره سواء أَسَرَّ الكفر أو لا، فلما ماتوا قَيَّض الله لهم فتاني القبر ليستخرج سرهم بالسؤال وليميز الله الخبيث من الطيب ويثبت الله الذين آمنوا ويضل الله الظالمين[١].

٥- وعن البراء بن عازب رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**إذا أُقعد المؤمن في قبره أُتي ثم شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فذلك قوله:** ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ  ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾»[٢].

٦- وعن أسماء رضي الله عنها قالت: أتيت عائشة وهي تصلي فقلت ما شأن الناس؟ فأشارت إلى السماء فإذا الناس قيام فقلت: سبحان الله قلت: آية؟ فأشارت برأسها أي نعم، فقمت حتى تجلاني الغشي فجعلت أصب على رأسي الماء فحمد الله عز وجل النبي ﷺ وأثنى عليه ثم قال: «**ما من شيء لم أكن أُريته إلا رأيته في مقامي حتى الجنة والنار، فأوحي إليَّ أنكم تُفتنون في قبوركم** - مثل أو: قريب - لا أدري أي ذلك قالت أسماء - **من فتنة المسيح الدجال يقال: ما علمك بهذا الرجل؟ فأما المؤمن** - أو: الموقن - لا أدري بأيهما قالت أسماء - **فيقول: هو محمد رسول الله جاءنا بالبينات والهدى فأجبنا واتبعنا هو محمد ثلاثًا فيقال: نم صالحًا قد علمنا إن كنت لموقنًا به. أما المنافق** - أو المرتاب - لا أدري أي ذلك قالت أسماء - **فيقول: لا أدري سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته**»[٣].

(١) «فتح الباري» لابن حجر (٣/ ٢٤٠).

(٢) **صحيح:** أخرجه البخاري (١٣٠٣) باب ما جاء في عذاب القبر. ومسلم (٢٨٧١) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه.

(٣) **صحيح:** أخرجه البخاري (٨٦) باب من أجاب الفتيا بإشارة اليد والرأس، =

٧- وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**إذا قُبر الميت أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما: المنكر وللآخر النكير فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: ما كان يقول: هو: عبد الله ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله. فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول. ثم يُفسح له في قبره سبعون ذراعًا في سبعين ثم يُنور له فيه ثم يقال: نم. فيقول: أرجع إلى أهلي فأخبرهم. فيقولان: نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه. حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك.**

وإن كان منافقًا قال: سمعت الناس يقولون قولًا فقلت مثله لا أدري. فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك. فيقال للأرض: التئمي عليه. فتلتئم عليه فتختلف أضلاعه، فلا يزال فيها معذبًا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك»[(١)].

قال الشوكاني رَحِمَهُٱللَّهُ: فيأتيه منكر ونكير، وخَلْقهما لا يشبه خلق الآدميين، ولا الملائكة، ولا الطير، ولا البهائم، ولا الهوام، بل خلق بديع، وليس في خلقهما أُنس للناظرين، جعلهما الله مكرمة للمؤمن لتثبيته، ونصرته، وهَتكًا لستر المنافق في البرزخ، من قبل أن يُبعث، حتى يحل عليه العذاب، وإنما كان مَكرمة للمؤمن لأن العدو لم ينقطع طمعه بعد، فهو يتخلل السبيل إلى أن يجيء إليه في البرزخ، ولو لم يكن للشيطان عليه سبيل هناك ما أمر

= ومسلم (٩٠٥) في الكسوف، باب ما عُرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف.

(١) **حسن:** أخرجه الترمذي (١٠٧١) وقال: حسن غريب. وابن حبان (٣١١٧)، وابن أبي عاصم (٨٦٤) كلهم من طرق عن عبد الرحمن بن إسحاق عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة به، وعبد الرحمن بن إسحاق صدوق، رُمي بالقدر كما قال ابن حجر في «التقريب» (٣٨٠٠).
وقد حسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٢٤).

رسول الله بالدعاء بالتثبيت[١].

٨- قال الإمام الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ **في عقيدته الطحاوية:** (ونؤمن بِعَذَابِ الْقَبْرِ لِمَنْ كَانَ لَهُ أَهْلًا، وَسُؤَالِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ فِي قَبْرِهِ عَنْ رَبِّهِ وَدِينِهِ وَنَبِيِّهِ، عَلَى مَا جَاءَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ. وَالْقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النِّيرَانِ)[٢].

قال ابن أبي العز الحنفي: وَقَدْ تَوَاتَرَتِ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ في ثُبُوتِ عَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِه لِمَنْ كَانَ لِذَلِكَ أَهْلًا، وَسُؤَالِ الْمَلَكَيْنِ، فَيَجِبُ اعْتِقَادُ ثُبُوتِ ذَلِكَ وَالْإِيمَانُ به، وَلَا يُتَكَلَّمُ في كَيْفِيَّتِه، إِذْ لَيْسَ لِلْعَقْلِ وُقُوفٌ عَلَى كَيْفِيَّتِهِ؛ لِكَوْنِه لَا عَهْدَ لَهُ بِهِ فِي هَذِهِ الدَّارِ[٣].

٩- قال أبو بكر بن مجاهد: أجمع أهل السنة أن عذاب القبر حق، وأن الناس يُفتنون في قبورهم بعد أن يُحيوا فيها ويُسألوا فيها، ويثبت الله من أحب تثبيته منهم[٤].

❊ ❊ ❊

(١) «فيض القدير» (٥/ ١٥١).

(٢) «شرح الطحاوية» ت الأرناؤوط (٢/ ٥٧٢).

(٣) «شرح الطحاوية» - ابن أبي العز ت شاكر (ص٢٦٧).

(٤) «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٣/ ٣٥٨).

المبحث الثاني: النفخ في الصور، وفيه مسائل

المسألة الأولى معنى الصور: اختلف أهل العلم في معنى الصور على قولين:

الأول: الصور هو البوق.

واستدلوا لذلك بالآتي:

١- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ أَعْرَابِيٌّ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الصُّورُ؟ قَالَ: «**قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ**»(١).

٢- عن مجاهد أنه قال: «الصور كهيئة البوق»(٢).

٣- وذكر الحافظ عن الجوهري أنه قال: «البوق: الذي يزمر به، وهو معروف...»(٣).

والصور إنما هو قرن كما جاء في الأحاديث المرفوعة، وقد وقع في قصة بدء الأذان بلفظ البوق، والقرن: الآلة التي يستعملها اليهود للأذان ويقال: إن الصور اسم القرن بلغة أهل اليمن وشاهده قول الشاعر:

---

(١) **صحيح:** أخرجه الترمذي (٣٢٤٤) وقال: هذا حديث حسن، إنما نعرفه من حديث سليمان التيمي. والنسائي في «الكبرى» (١١٣١٢) وابن حبان (٧٣١٢)، وابن المبارك في «الزهد» (١٥٩٩)، والطبري في «تفسيره» (١٦/ ٢٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٢٤٣) من طرق عن سليمان التيمي به.

(٢) أخرجه البخاري معلقًا قال: قال مجاهد/ ٤٣ بَابُ نَفْخِ الصُّورِ. ووصله ابن حجر في تغليق التعليق (٥/ ١٧٩).

(٣) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٣/ ٦٠)، و«الصحاح» للجوهري (٢/ ٧١٦-٧١٧)، و«تحفة الأحوذي» (٧/ ١١٧).

نحن نفخناهم غداة النقعين نطحًا شديدًا لا كنطح الصورين[١]

القول الثاني: الصور: جمع صورة يُنفخ فيها روحها فتحيا؛ لقولهم: سور لسور المدينة وهو جمع سورة كما قال جرير:

لما أتى خبر الزبير تواضعت سور المدينة والجبال الخُشع[٢]

قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك عندنا ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن إسرافيل قد التقم الصور وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ**» وأنه قال: «**الصور قرن يُنفخ فيه**»[٣]. اهـ.

وقال ابن كثير بعد أن ذكر القولين المتقدمين في معنى الصور: «والصحيح أن المراد بالصور القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام»[٤].

المسألة الثانية: الملك الموكل بالنفخ في الصور:

من الأعمال التي تقوم بها الملائكة والتي هي متعلقة بالإنسان - أن الله تعالى إذا أراد إنهاء الحياة الدنيا أَمَر صاحب القرن بالنفخ في الصور النفخة الأولى ليهلك جميع الخلق إلا من شاء الله، ثم إذا أراد سبحانه بعث الناس من القبور للحساب أَمَر الملك الموكل بالنفخ في الصور أن ينفخ فيه النفخة الثانية وهي نفخة البعث والنشور ليقوم الناس للحساب.

والمشهور عند المفسرين أن إسرافيل عليه السلام موكل بالنفخ في الصور، وإن كان ذلك لم يأتِ صراحة في أي دليل صحيح من القرآن أو السنة، بل

---

(١) انظر: «الصحاح» (٢/ ٧١٦)، و«تحفة الأحوذي» (٧/ ١١٧).

(٢) «ديوان جرير» (ص٣٤٥).

(٣) «تفسير الطبري» (٧/ ٢٣٩).

(٤) «تفسير القرآن العظيم» (٣/ ٤٦)، وانظر: «تفسير روح المعاني» للألوسي (٧/ ١٩١).

جاءت تسميته في الأدلة بصاحب القرن، ولكن نقل الإمام القرطبي الإجماع على أن الذي ينفخ في الصور هو إسرافيل فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَالْأُمَمُ مُجْمِعَةٌ عَلَى أَنَّ الَّذِي يَنْفُخُ فِي الصُّورِ إِسْرَافِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ. قَالَ أَبُو الْهَيْثَمِ: مَنْ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ الصُّورُ قَرْنًا فَهُوَ كَمَنْ يُنْكِرُ الْعَرْشَ وَالْمِيزَانَ وَالصِّرَاطَ، وَطَلَبَ لَهَا تَأْوِيلَاتٍ[١].

وقد اختلف أهل العلم في عدد النفخات على أقوال[٢]:

القول الأول: أنهما نفختان (نفخة الإماتة، ونفخة الإحياء).

وممن قال بهذا القول القرطبي، وابن حجر[٣].

القول الثاني: أنها ثلاث نفخات (نفخة الفزع، ونفخة الصعق، ونفخة البعث).

وممن قال بهذا شيخ الإسلام ابن تيمية[٤].

القول الثالث: أنها أربع نفخات:

الأولى: نفخة إماتة، يموت بها من بقي حيًّا.

الثانية: نفخة إحياء، يقوم بها الأموات، ويُنشرون من القبور للحساب.

الثالثة: نفخة فزع، يفيقون منها كالمغشي عليه، لا يموت منها أحد.

الرابعة: نفخة إفاقة من ذلك الغشي.

وعزاه ابن حجر لابن حزم[٥].

(١) «تفسير القرطبي» (٧/ ٢٠) دار الكتب المصرية - القاهرة.
(٢) «علاقة الملائكة بالإنسان للعبيد» (٣٠٧).
(٣) «فتح الباري» (١١/ ٣٦٩).
(٤) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٣٦٠).
(٥) «فتح الباري» (٦/ ٤٤٦).

والراجح والله أعلم هو القول الأول أنهما نفختان، حيث يمكن الجمع بين الفزع والصعق، وجَعْلهما نفخة واحدة، ولكنها تبدأ بالفزع وتنتهي بالصعق، مع وجود مسافة زمنية تفصل بين بدايتها ونهايتها، حتى يتوافق ذلك مع ما جاء في الآيات والأحاديث الواردة التي لم تأتِ إلا بذكر نفختين فقط، ومنها قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزمر: ٦٨]. فذكرت الآية نفختين فقط.

وقد جاءت الأحاديث مصرِّحة بالنفختين أيضًا، منها ما جاء عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن النبي ﷺ قال: «**ما بين النفختين أربعون**»، قالوا: يا أبا هريرة: أربعون يومًا؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون سنة؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون شهرًا؟ قال: أبيت، «**ويبلى كل شيء من الإنسان إلا عَجْب ذنبه فيه يُركب الخلق**»(١) وهذا الحديث صريح بأنهما نفختان.

ومن ذلك أيضًا ما جاء عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بينما يهودي يعرض سلعته أُعطي بها شيئًا كرهه، فقال: لا والذي اصطفى موسى على البشر!! فسمعه رجل من الأنصار؛ فقام فلطم وجهه وقال: تقول: (والذي اصطفى موسى على البشر) والنبي بين أظهرنا؟! فذهب إليه فقال: يا أبا القاسم، إن لي ذمة وعهدًا، فما بال فلان لطم وجهي؟! فقال: لم لطمت وجهه؟ فذكره؛ فغضب النبي حتى رُؤي في وجهه ثم قال: «**لا تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ فَإِنَّهُ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَيَصْعَقُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلا مَنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ بُعِثَ فَإِذَا مُوسَى آخِذٌ بِالْعَرْشِ، فَلا أَدْرِي أَحُوسِبَ**

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٥٣٦) كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ...﴾، ومسلم (٢٩٥٥) كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ما بين النفختين.

بِصَعْقَتِهِ يَوْمَ الطُّورِ أَمْ بُعِثَ قَبْلِي»[(١)].

وانظر غيرها من الأدلة التي ترجح ما ذهبنا إليه في شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (١/ ٤٣٥) للشيخ عبد الله الغنيمان.

وبناءً على هذا الترجيح فسوف أذكر الأدلة على النفخة الأولى ثم أردف ذلك بذكر الأدلة على النفخة الثانية إن شاء الله تعالى.

أولًا: الأدلة على نفخ صاحب القرن (أو إسرافيل) في القرن النفخة الأولى:

١- قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنعام: ٧٣].

قال ابن عطية رَحِمَهُ اللَّهُ: قوله: ﴿فِى ٱلصُّورِ﴾ قال أبو عبيدة: هو جمع صورة، فالمعنى يوم تعاد العوالم. وقال الجمهور: هو الصور القرن الذي قال النبي ﷺ إنه يُنفخ فيه للصعق ثم للبعث، ورجحه الطبري بقول النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**إن إسرافيل قد التقم الصور وحنى جبهته ينظر متى يؤمر فينفخ**»[(٢)].

٢- قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [النمل: ٨٧].

قال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وَالصُّورُ قَرْنٌ يَنْفُخُ فِيهِ إِسْرَافِيلُ، وَقَالَ الحَسَنُ: الصُّورُ هِيَ الْقَرْنُ. وَأَوَّلَ بَعْضُهُمْ كَلَامَهُ أَنَّ الْأَرْوَاحَ تُجْمَعُ فِي الْقَرْنِ ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ فَتَذْهَبُ الْأَرْوَاحُ إِلَى الْأَجْسَادِ فَتَحْيَا الْأَجْسَادُ.

---

(١) **صحيح:** أخرجه البخاري (٣١٦٢) كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [الصافات: ١٣٩].

(٢) «تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» (٢/ ٣٠٩).

وَقَوْلُهُ: ﴿فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أَيْ: فَصَعِقَ، كَمَا قَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الزُّمَر: ٦٨]، أَيْ: مَاتُوا، وَالْمَعْنَى أَنَّهُمْ يُلْقَى عَلَيْهِمُ الْفَزَعُ إِلَى أَنْ يَمُوتُوا(١).

٣- قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ۝٦٨﴾ [الزمر: ٦٨].

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ﴾ وقرأ ابن السميقع، وابن يعمر، والجحدري: «فصُعِقَ» بضم الصاد ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِۖ﴾ أي: ماتوا من الفزع وشِدَّة الصَّوت. وقد بيَّنّا هذه الآية والخلاف في الذين استُثنوا في سورة النمل. ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾ وهي نفخة البعث ﴿فَإِذَا هُم﴾ يعني الخلائق ﴿قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾(٢).

٤- ومن الآيات الدالة على نفخة الصعق أيضًا قوله تعالى: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ۝٤٩﴾ [يس: ٤٩].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ۝٤٩﴾ أَيْ: مَا يَنْتَظِرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً، وَهَذِهِ -وَاللَّهُ أَعْلَمُ- نَفْخَةُ الْفَزَعِ، يُنْفَخُ فِي الصُّورِ نَفْخَةَ الْفَزَعِ، وَالنَّاسُ فِي أَسْوَاقِهِمْ وَمَعَايِشِهِمْ يَخْتَصِمُونَ وَيَتَشَاجَرُونَ عَلَى عَادَتِهِمْ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى إِسْرَافِيلَ فَنَفَخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةً يُطَوِّلُها ويَمُدُّها، فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ إِلَّا أَصْغَى لَيْتًا، وَرَفَعَ لَيْتًا -وَهِيَ صَفْحَةُ الْعُنُقِ- يَتَسَمَّعُ الصَّوْتَ مِنْ قِبَلِ السَّمَاءِ. ثُمَّ يُسَاقُ الْمَوْجُودُونَ مِنَ النَّاسِ إِلَى مَحْشَرِ الْقِيَامَةِ بِالنَّارِ، تُحِيطُ بِهِمْ مِنْ جَوَانِبِهِمْ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ أَيْ: عَلَى مَا

(١) «تفسير البغوي» - طيبة (٦/ ١٨١).

(٢) «زاد المسير في علم التفسير» (٤/ ٢٦).

يَمْلِكُونَهُ، الْأَمْرُ أَهَمُّ مِنْ ذَلِكَ، ﴿وَلَآ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ يَرۡجِعُونَ﴾[1].

٥- قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ ﴿١٥﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ﴾ [ص: ١٥، ١٦].

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ ﴿يَنظُرُ﴾ بِمَعْنَى يَنْتَظِرُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ﴾ [الحديد: ١٣]. ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يَعْنِي كُفَّارَ مَكَّةَ. ﴿إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ أَيْ: نَفْخَةُ الْقِيَامَةِ. أَيْ: مَا يَنْتَظِرُونَ بَعْدَ مَا أُصِيبُوا بِبَدْرٍ إِلَّا صَيْحَةَ الْقِيَامَةِ. وَقِيلَ: مَا يَنْتَظِرُ أَحْيَاؤُهُمُ الْآنَ إِلَّا الصَّيْحَةَ الَّتِي هِيَ النَّفْخَةُ فِي الصُّوَرِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ تَأۡخُذُهُمۡ وَهُمۡ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ تَوۡصِيَةٗ﴾ [يس: ٤٩، ٥٠] وَهَذَا إِخْبَارٌ عَنْ قُرْبِ الْقِيَامَةِ وَالْمَوْتِ. وَقِيلَ: أَيْ: مَا يَنْتَظِرُ كُفَّارُ آخِرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمُتَدَيِّنِينَ بِدِينِ أُولَئِكَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً وَهِيَ النَّفْخَةُ[2].

٦- قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾ [النازعات: ٧، ٨].

قال البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾﴾ يَعْنِي النَّفْخَةَ الْأُولَى، يَتَزَلْزَلُ وَيَتَحَرَّكُ لَهَا كُلُّ شَيْءٍ، وَيَمُوتُ مِنْهَا جَمِيعُ الْخَلَائِقِ ﴿تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾﴾ وَهِيَ النَّفْخَةُ الثَّانِيَةُ رَدِفَتِ الْأُولَى، وَبَيْنَهُمَا أَرْبَعُونَ سَنَةً.

قال قَتَادَةُ: هُمَا صَيْحَتَانِ: فَالْأُولَى تُمِيتُ كُلَّ شَيْءٍ، وَالْأُخْرَى تُحْيِي كُلَّ شَيْءٍ بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وقال مُجَاهِدٌ: تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتَزَلْزَلُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ، تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ حِينَ تَنْشَقُّ السَّمَاءُ، وَتُحْمَلُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدَكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً.

وَقَالَ عَطَاءٌ: «الرَّاجِفَةُ» الْقِيَامَةُ و«الرَّادِفَةُ» الْبَعْثُ. وَأَصْلُ الرَّجْفَةِ: الصَّوْتُ

---

(١) «تفسير ابن كثير» ت سلامة (٦/ ٥٨١).

(٢) «تفسير القرطبي» (١٥/ ١٥٦).

وَالْحَرَكَةُ(١).

٧- وعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ سَالِمٍ، قَالَ: سَمِعْتُ يَعْقُوبَ بْنَ عَاصِمِ بْنِ عُرْوَةَ بْنِ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيَّ، يَقُولُ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو، وَجَاءَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: مَا هَذَا الْحَدِيثُ الَّذِي تُحَدِّثُ بِهِ؟ تَقُولُ: إِنَّ السَّاعَةَ تَقُومُ إِلَى كَذَا وَكَذَا؟! فَقَالَ: سُبْحَانَ اللهِ - أَوْ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهُمَا - لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ لاَ أُحَدِّثَ أَحَدًا شَيْئًا أَبَدًا، إِنَّمَا قُلْتُ: إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدَ قَلِيلٍ أَمْرًا عَظِيمًا، يُحَرَّقُ الْبَيْتُ، وَيَكُونُ وَيَكُونُ!! ثُمَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِي أُمَّتِي فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ - لاَ أَدْرِي: أَرْبَعِينَ يَوْمًا، أَوْ أَرْبَعِينَ شَهْرًا، أَوْ أَرْبَعِينَ عَامًا - فَيَبْعَثُ اللَّهُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ كَأَنَّهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ، فَيَطْلُبُهُ فَيُهْلِكُهُ، ثُمَّ يَمْكُثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ رِيحًا بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّأْمِ، فَلاَ يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إِيمَانٍ إِلاَّ قَبَضَتْهُ، حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَبِدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْهُ عَلَيْهِ حَتَّى تَقْبِضَهُ**» قَالَ: سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

قَالَ: **فَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ فِي خِفَّةِ الطَّيْرِ وَأَحْلاَمِ السِّبَاعِ، لاَ يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا وَلاَ يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا، فَيَتَمَثَّلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ، فَيَقُولُ: أَلاَ تَسْتَجِيبُونَ؟ فَيَقُولُونَ: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الأَوْثَانِ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ دَارٌّ رِزْقُهُمْ حَسَنٌ عَيْشُهُمْ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَلاَ يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلاَّ أَصْغَى لِيتًا وَرَفَعَ لِيتًا»، قَالَ: «وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ»، قَالَ: «فَيَصْعَقُ، وَيَصْعَقُ النَّاسُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ - أَوْ قَالَ - يُنْزِلُ اللَّهُ - مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ - أَوِ: الظِّلُّ، نُعْمَانُ الشَّاكُّ - فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ، وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ» قَالَ: «ثُمَّ يُقَالُ: أَخْرِجُوا بَعْثَ النَّارِ، فَيُقَالُ: مِنْ كَمْ؟ فَيُقَالُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ**

---

(١) «تفسير البغوي» - طيبة (٨/ ٣٢٦).

تِسْعَ مِئَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ»، قَالَ: «فَذَاكَ يَوْمَ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا، وَذَلِكَ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ»(١).

٨- وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**كَيْفَ أَنْعَمُ وَقَدِ الْتَقَمَ صَاحِبُ الْقَرْنِ الْقَرْنَ، وَحَنَى جَبْهَتَهُ، وَأَصْغَى سَمْعَهُ يَنْظُرُ مَتَى يُؤْمَرُ**» قَالَ الْمُسْلِمُونَ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَمَا نَقُولُ؟ قَالَ: «**قُولُوا: حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا**»(٢).

٩- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ طَرْفَ صَاحِبِ الصُّورِ مُذْ وُكِّلَ بِهِ مُسْتَعِدٌّ يَنْظُرُ نَحْوَ الْعَرْشِ مَخَافَةَ أَنْ يُؤْمَرَ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْهِ طَرْفُهُ، كَأَنَّ عَيْنَيْهِ كَوْكَبَانِ دُرِّيَّانِ**»(٣).

---

(١) **صحيح:** أخرجه مسلم (٢٩٤٠) كتاب الآداب، باب ذكر الدجال، وأحمد (٦٥٥٥)، وابن منده في «الإيمان» (١٠٦١)، والبيهقي «في شعب الإيمان» (٣٥١).

(٢) **صحيح:** أخرجه الترمذي (٢٤٣١) والنسائي في «الكبرى» (١١٠٨٢)، وابن حبان (٨٢٣)، وأحمد (١١٧١٤)، وعبد بن حميد (٨٨٦)، وأبو يعلى (١٠٨٤)، والحاكم (٨٦٧٨)، والحميدي (٧٥٤)، وأبو نعيم (٥/ ١٠٥).
وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٠٧٩).

(٣) **حسن لغيره:** أخرجه الحاكم في المستدرك (٨٦٧٦) وقال: صَحِيحُ الإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ. وأبو الشيخ في «العظمة» (٣٩١)، وأخرجه اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٢١٨٥) من طريق ابن عباس، كلهم من طرق عن عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْأَصَمِّ، وهو ضعيف كما ترجم له الحافظ في «التقريب» (٤٣٠٤). وله شاهد يحسن به أخرجه الضياء في «المختارة» (٢٥٦٧) قال: أَخْبَرَنَا الإِمَامُ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ مَعَالِي ابْنِ غَنِيمَةَ بْنِ أَبِي غَالِبٍ الْفَقِيهُ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْحَلاوِيِّ بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ بِبَغْدَادَ، قُلْتُ لَهُ: أَخْبَرَكُمْ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نَصْرِ بْنِ الزَّاغُونِيِّ قِرَاءَةً عَلَيْهِ وَأَنْتَ تَسْمَعُ فَأَقَرَّ بِهِ قَالَ: أبنا الْحُسَيْنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّد بن طَلْحَة الْمَعَالِي أبنا الْقَاضِي أَبُو الْقَاسِمِ الْحَسَنُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْمُنْذِرِ قِرَاءَةً عَلَيْهِ قَالَ أنبا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ =

ثانيًا: الأدلة على نفخ صاحب القرن (أو إسرافيل) في القرن النفخة الثانية:

بعد نفخة إسرافيل النفخة الأولى يموت جميع الناس ويمكثون أربعين سنة على هذه الحالة، فإذا أراد الله أن يعيد جميع الناس للحياة مرة ثانية للجزاء والحساب فإنه يُنزّل عليهم ماءً أبيض ثقيلًا، فتنبت به أجسامهم، ثم يأمر إسرافيل أن ينفخ في الصور مرة ثانية ليقوم الناس لرب العالمين.

وقد ذكر الله هذه النفخة ونتائجها في آيات متعددة من كتابه العزيز[1] فمن ذلك:

١- قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنعام: ٧٣].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: ثُمَّ يَزْجُرُ اللَّهُ الْخَلْقَ زَجْرَةً، فَإِذَا هُمْ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ الْمُبْدَّلَةِ مِثْلَ مَا كَانُوا فِيهَا مِنَ الْأُولَى، مَنْ كَانَ فِي بَطْنِهَا كَانَ فِي بَطْنِهَا، وَمَنْ كَانَ عَلَى ظَهْرِهَا كَانَ عَلَى ظَهْرِهَا، ثُمَّ يُنَزِّلُ اللَّهُ عَجَّلَ عَلَيْهِمْ مَاءً مِنْ تَحْتِ

= ابْنِ الزُّبَيْرِ الْكُوفِيُّ قِرَاءَةً عَلَيْهِ ثَنَا إِسْمَاعِيلُ - وَهُوَ ابْنُ عَلِيِّ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْخُطَبِيُّ - قثنا أَحْمَدُ بْنُ مَنْصُورِ بْنِ حَبِيبٍ الْمَرْوَزِيُّ الْخَضِيبُ أَبُو بَكْرٍ ثَنَا عَفَّانُ ثَنَا هَمَّامٌ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الصُّورِ قَدِ الْتَقَمَ الْقَرْنَ وَحَنَى ظَهْرَهُ يَنْظُرُ تِجَاهَ الْعَرْشِ كَأَنَّ عَيْنَيْهِ كَوْكَبَانِ دُرِّيَّانِ لَمْ يَطْرِفْ قَطُّ مَخَافَةَ أَنْ يُؤْمَرَ قَبْلَ ذَلِكَ؟!**». وفي إسناده قتادة بن دعامة السدوسي مدلس وقد عنعن.

وله شاهد آخر من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعًا وفيه: «**كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الْقَرْنِ قَدِ الْتَقَمَ الْقَرْنَ، وَحَنَى جَبْهَتَهُ وَأَصْغَى بِسَمْعِهِ يَنْتَظِرُ مَتَى يُؤْمَرُ فَيَنْفُخَ؟!**» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ فَكَيْفَ نَقُولُ؟ قَالَ: «**قُولُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ تَوَكَّلْنَا عَلَى اللَّهِ**» أخرجه الترمذي (٢٤٣١) والنسائي في «الكبرى» (١١٠٨٢) وابن حبان (٨٢٣)، والحاكم (٨٦٧٨).

وقد صحح الحديث الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «السلسلة الصحيحة» برقم (١٠٧٨).

(١) «علاقة الملائكة بالإنسان» (٣١٧) للعبيد.

الْعَرْشِ، ثُمَّ يَأْمُرُ اللَّهُ السَّمَاءَ أَنْ تُمْطِرَ، فَتُمْطِرُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، حَتَّى يَكُونَ الْمَاءُ فَوْقَهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ ذِرَاعًا، ثُمَّ يَأْمُرُ اللَّهُ الْأَجْسَادَ أَنْ تَنْبُتَ فَتَنْبُتُ كَنَبَاتِ الطَّرَاثِيثِ - أَوْ: كَنَبَاتِ الْبَقْلِ - حَتَّى إِذَا تَكَامَلَتْ أَجْسَادُهُمْ فَكَانَتْ كَمَا كَانَتْ، قَالَ اللَّهُ ﷻ: لِيَحْيَ حملةُ عَرْشِي. فَيَحْيَوْنَ. وَيَأْمُرُ اللَّهُ إِسْرَافِيلَ فَيَأْخُذُ الصُّورَ، فَيَضَعُهُ عَلَى فِيهِ، ثُمَّ يَقُولُ: لِيَحْيَ جِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ. فَيَحْيِيانِ، ثُمَّ يَدْعُو اللهُ الأَرْوَاحَ فَيُؤْتَى بِهَا تَتَوَهَّجُ أَرْوَاحُ الْمُسْلِمِينَ نُورًا، وَأَرْوَاحُ الْكَافِرِينَ ظُلْمَةً، فَيَقْبِضُهَا جَمِيعًا ثُمَّ يُلْقِيهَا فِي الصُّورِ. ثُمَّ يَأْمُرُ اللَّهُ إِسْرَافِيلَ أَنْ يَنْفُخَ نَفْخَةَ الْبَعْثِ، فَيَنْفُخُ نَفْخَةَ الْبَعْثِ، فَتَخْرُجُ الْأَرْوَاحُ كَأَنَّهَا النَّحْلُ قَدْ مَلَأَتْ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَيَقُولُ اللَّهُ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي، لَيَرْجِعَنَّ كُلُّ رُوحٍ إِلَى جَسَدِهِ. فَتَدْخُلُ الْأَرْوَاحُ فِي الْأَرْضِ إِلَى الْأَجْسَادِ، فَتَدْخُلُ فِي الْخَيَاشِيمِ، ثُمَّ تَمْشِي فِي الْأَجْسَادِ كَمَا يَمْشِي السُّمُّ فِي اللَّدِيغِ، ثُمَّ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ عَنْكُمْ(١).

٢- وقوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾﴾ [الكهف: ٩٩].

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ في المشار إليهم ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم يأجوج ومأجوج. ثم في المراد بـ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ قولان: أحدهما: أنه يوم انقضى أمر السدِّ، تُركوا يموج بعضهم في بعض من ورائه مختلطين لكثرتهم. وقيل: ماجوا متعجبين من السدِّ. والثاني: أنه يوم يخرجون من السدِّ تُركوا يموج بعضهم في بعض.

والثاني: أنهم الكفار.

---

(١) «تفسير ابن كثير» ت سلامة (٣/ ٢٨٣).

والثالث: أنهم جميع الخلائق: الجن والإنس يموجون حيارى. فعلى هذين القولين، المراد باليوم المذكور يوم القيامة، وقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ هذه نفخة البعث(١).

٣- وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾﴾ [طه: ١٠٢].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي: إذا نُفخ في الصور وخرج الناس من قبورهم، كلٌّ على حَسَب حاله، فالمتقون يُحشرون إلى الرحمن وفدًا، والمجرمون يُحشرون زرقًا ألوانهم من الخوف والقلق والعطش، يتناجون بينهم، ويتخافتون في قِصر مدة الدنيا، وسرعة الآخرة، فيقول بعضهم: ما لبثتم إلا عشرة أيام. ويقول بعضهم غير ذلك، والله يعلم تخافتهم ويسمع ما يقولون ﴿إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً﴾ أي: أعدلهم وأقربهم إلى التقدير ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾(٢).

٤- وقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٥١، ٥٢].

قال أبو جعفر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ويُعْنَى بهذه النفخة نفخة البعث. وقوله: ﴿فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ يعني من أجداثهم، وهي قبورهم، احدها جدث، وفيها لغتان، فأما أهل العالية، فتقوله بالثاء: جَدَث، وأما أهل السافلة فتقوله بالفاء جَدَف.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

---

(١) «زاد المسير في علم التفسير» (٣/ ١١١).

(٢) «تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن» (ص٥١٣).

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿مِّنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يَنسِلُونَ﴾ يقول: من القبور. حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ﴾ أي: من القبور.

وقوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يَنسِلُونَ﴾ يقول: إلى ربهم يخرجون سراعًا، والنَّسَلان: الإسراع في المشي[(١)].

٥- وقوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَمِعۡ يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ۝٤١ يَوۡمَ يَسۡمَعُونَ ٱلصَّيۡحَةَ بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُرُوجِ﴾ [ق: ٤١، ٤٢].

قال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿وَٱسۡتَمِعۡ يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ﴾ أَيِ: اسْتَمِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ أَحْوَالِ القِيَامَةِ يَوْمَ يُنَادِي المُنَادِي، وَهُوَ إِسْرَافِيلُ أَوْ جِبْرِيلُ. وَقِيلَ: اسْتَمِعِ النِّدَاءَ أَوِ الصَّوْتَ أَوِ الصَّيْحَةَ، وَهِيَ صَيْحَةُ الْقِيَامَةِ، أَعْنِي النَّفْخَةَ الثَّانِيَةَ فِي الصُّورِ مِنْ إِسْرَافِيلَ، وَقِيلَ: إِسْرَافِيلُ يَنْفُخُ، وَجِبْرِيلُ يُنَادِي أَهْلَ الْمَحْشَرِ، وَيَقُولُ: هَلُمُّوا لِلْحِسَابِ. فَالنِّدَاءُ عَلَى هَذَا فِي الْمَحْشَرِ. قَالَ مُقَاتِلٌ: هُوَ إِسْرَافِيلُ يُنَادِي بِالْحَشْرِ فَيَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمُّوا لِلْحِسَابِ! مِنْ مَكانٍ قَرِيبٍ بِحَيْثُ يَصِلُ النِّدَاءُ إِلَى كُلِّ فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِ أَهْلِ الْمَحْشَرِ. قَالَ قَتَادَةُ: كُنَّا نُحَدَّثُ أَنَّهُ يُنَادِي مِنْ صَخْرَةِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ. قَالَ الْكَلْبِيُّ: وَهِيَ أَقْرَبُ الْأَرْضِ إِلَى السَّمَاءِ بِاثْنَيْ عَشَرَ مِيلًا. وَقَالَ كَعْبٌ: بِثَمَانِيَةَ عَشَرَ مِيلًا.

﴿يَوۡمَ يَسۡمَعُونَ ٱلصَّيۡحَةَ بِٱلۡحَقِّۚ﴾ هُوَ بَدَلٌ مِنْ ﴿يَوۡمَ يُنَادِ﴾، يَعْنِي صَيْحَةَ الْبَعْثِ، و«بِالْحَقِّ» مُتَعَلِّقٌ بِالصَّيْحَةِ ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُرُوجِ﴾ أَيْ: يَوْمُ الْخُرُوجِ مِنَ الْقُبُورِ[(٢)].

---

(١) «تفسير الطبري = جامع البيان» ت شاكر (٢٠/ ٥٣١).

(٢) «فتح القدير» (٥/ ٩٦).

٦- وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحاقة: ١٣].

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ وفيها قولان: أحدهما: أنها النفخة الأولى، قاله عطاء. والثاني: الأخيرة، قاله ابن السّائب ومقاتل[1].

٧- وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ [المدثر: ٨ - ١٠].

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: النَّاقُورُ: هُوَ الصُّورُ، وَأَصْلُ النَّاقُورِ الصَّوْتُ، وَقَوْلُهُ: ﴿يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾. قِيلَ: عَسِيرٌ وَغَيْرُ يَسِيرٍ عَلَى الْكَافِرِينَ. وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: إِنَّ غَيْرَ يَسِيرٍ كَانَ يَكْفِي عَنْهَا يَوْمٌ عَسِيرٌ، إِلَّا أَنَّهُ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّ عُسْرَهُ لَا يُرْجَى تَيْسِيرُهُ، كَعُسْرِ الدُّنْيَا، وَأَنَّ فِيهِ زِيَادَةَ وَعِيدٍ لِلْكَافِرِينَ[2].

٨- وقوله تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ [النبأ: ١٧، ١٨].

قال الألوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، أي النفخة الثانية «ويَوْمَ» بدل من يَوْمَ الْفَصْلِ أو عطف بيان مفيد لزيادة تفخيمه وتهويله، ولا ضير في تأخر الفصل عن النفخ فإنه زمان ممتد يقع في مبدئه النفخ وفي بقيته الفصل ومبادئه وآثاره[3].

٩- وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾ [النازعات: ٦، ٧].

---

(١) «زاد المسير في علم التفسير» (٤/ ٣٣٠).

(٢) «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» (٨/ ٣٦٣).

(٣) «تفسير الألوسي = روح المعاني» (١٥/ ٢١١).

قال ابن عباس: ﴿ٱلرَّاجِفَةُ﴾النفخة الأولى و﴿ٱلرَّادِفَةُ﴾ هي النفخة الثانية[١].

١٠- وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾ [النازعات: ١٣، ١٤].

قال ابن عطية: أخبر الله تعالى عن حال القيامة، فقال: ﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾، أي نفخة في الصور فإذا الناس قد نُشروا وصاروا أحياء على وجه الأرض، وفي قراءة عبد الله «فإنما هي رقة واحدة»، و﴿بِٱلسَّاهِرَةِ﴾: وجه الأرض، ومنه قول أمية بن أبي الصلت:

وفيها لحم ساهرة وبحر وما فاهوا به فلهم مقيم[٢]

المبحث الثالث: موقف الملائكة من الإنسان يوم القيامة، وفيه مسائل

المسألة الأولى: تلقي الملائكة للمؤمنين إذا خرجوا من قبورهم.

عَرَفنا في الفصل السابق أن صاحب القرن ينفخ في الصور النفخة الثانية، فيقوم الناس من قبورهم فزعين خائفين، وهنا تقوم الملائكة بدور مهم جدًّا حيث تتلقى المؤمنين وهم على تلك الحال من الفزع لتطمئنهم وتبشرهم بنعيم الله لهم، وأنهم لا خزي عليم اليوم.

ومن الأدلة على ذلك ما يلي:

١- قوله تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٣].

---

(١) أخرجه البخاري تعليقًا/ ٤٣- باب نفخ الصور

(٢) «تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» (٥/ ٤٣٣).

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: وَقَوْلُهُ: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ قِيلَ: الْمُرَادُ بِذَلِكَ الْمَوْتُ. رَوَاهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنْ يَحْيَى بْنِ رَبِيعَةَ عَنْ عَطَاءٍ. وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِالْفَزَعِ الْأَكْبَرِ: النَّفْخَةُ فِي الصُّورِ. قَالَهُ العَوْفِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَأَبُو سِنَانٍ سَعِيدُ بن سِنَانٍ الشَّيْبَانِيُّ، وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ. وَقِيلَ: حِينَ يُؤْمَر بِالْعَبْدِ إِلَى النَّارِ. قَالَهُ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ.

وَقِيلَ: حِينَ تُطْبِقُ النَّارُ عَلَى أَهْلِهَا. قَالَهُ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَابْنُ جُرَيجٍ. وَقِيلَ: حِينَ يُذبَحُ الْمَوْتُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ. قَالَهُ أَبُو بَكْرٍ الْهُذَلِيُّ، فِيمَا رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، عَنْهُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾، يَعْنِي: تَقُولُ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ، تُبَشِّرُهُمْ يَوْمَ مَعَادِهِمْ إِذَا خَرَجُوا مِنْ قُبُورِهِمْ: ﴿هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ أَيْ: قابِلوا ما يسركم[١].

٢- قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ۝٢٠ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: ٢٠، ٢١].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ۝٢٠﴾ أي: اليوم الذي يلحق الظالمين ما أوعدهم الله به من العقاب، والمؤمنين ما وعدهم به من الثواب.

﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ﴾ يسوقها إلى موقف القيامة، فلا يمكنها أن تتأخر عنه، ﴿وَشَهِيدٌ﴾ يشهد عليها بأعمالها، خيرها وشرها[٢].

فدل ذلك على أن الملائكة تسوق الناس إلى الموقف إذا خرجوا من قبورهم، فتتلقى المؤمنين معززين مكرمين مطمئنين.

---

(١) «تفسير ابن كثير» ت سلامة (٥/ ٣٨١).

(٢) «تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن» (ص٨٠٥).

المسألة الثانية: تلقي الملائكة للكفار إذا خرجوا من قبورهم

وعلى النقيض من حال الملائكة مع المؤمنين إذا خرجوا من قبورهم وتلقيهم لهم بالتبشير والتَّرحاب، فإن الملائكة تتلقى الكفار إذا خرجوا من قبورهم فزعين بالتبكيت والإهانة، ثم تسوقهم إلى العرصات بشدة وعنف.

ومن الأدلة على ذلك ما يلي:

١- قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝٥٢﴾ [يس: ٥٢].

قال البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ﴾ قَالَ أُبَيُّ ابْنُ كَعْبٍ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَقَتَادَةُ: إِنَّمَا يَقُولُونَ هَذَا لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَرْفَعُ عَنْهُمُ الْعَذَابَ بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ فَيَرْقُدُونَ، فَإِذَا بُعِثُوا بَعْدَ النَّفْخَةِ الْأَخِيرَةِ وَعَايَنُوا الْقِيَامَةَ دَعَوْا بِالْوَيْلِ.

وقال أَهْلُ الْمَعَانِي: إِنَّ الْكُفَّارَ إِذَا عَايَنُوا جَهَنَّمَ وَأَنْوَاعَ عَذَابِهَا صَارَ عَذَابُ الْقَبْرِ فِي جَنْبِهَا كَالنَّوْمِ، فَقَالُوا: يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا؟ ثُمَّ قَالُوا: ﴿هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ أَقَرُّوا حِينَ لَمْ يَنْفَعْهُمُ الْإِقْرَارُ. وَقِيلَ: قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ لَهُمْ: ﴿هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾.

قال مُجَاهِدٌ: يَقُولُ الْكُفَّارُ: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ﴾؟ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُونَ: ﴿هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾(١).

وقد ذهب الفراء والبيهقي رحمهما الله إلى أن الملائكة هم الذين يردون على الكفار إذ قالوا: ﴿يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ﴾ بقولهم: ﴿هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ وهذا فيه نوع من التبكيت والإخافة لهم(٢).

---

(١) «تفسير البغوي» - طيبة (٧/ ٢١).

(٢) انظر: «معاني القرآن» (٢/ ٣٨٠)، و«الجامع لشعب الإيمان» (٢/ ٢٠٩)، =

٢- قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ [الصافات: ١٩، ٢٠].

قال ابن عطية رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا استئناف إخبار جره ما قبله، فأخبر تعالى أن بعثهم من قبورهم إنما هو زجرة واحدة، وهي نفخة البعث في الصور، وقوله يَنْظُرُونَ، يحتمل أن يريد بالأبصار أي ينظرون ما هم فيه وصدق ما كانوا يكذبون به، ويحتمل أن يكون بمعنى ينتظرون، أي ما يُفعل بهم ويؤمرون به، ثم أخبر عنهم أنهم في تلك الحال يقولون: ﴿يَا وَيْلَنَا﴾ ينادون الويل بمعنى هذا وقت حضورك وأوان حلولك، وروى أبو حاتم الوقف هاهنا وجعل قوله: ﴿هَٰذَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ من قول الله تعالى لهم أو الملائكة[١].

المسألة الثالثة: شهادة الملائكة للمؤمنين، وشهادتهم على الكافرين

من الأعمال التي تقوم بها الملائكة يوم القيامة وهي متعلقة ببني آدم، أنها تشهد على المؤمنين وعلى الكافرين بما كانوا يعملون في الدنيا، وذلك بين يدي الله تعالى في عرصات يوم القيامة.

ومن الأدلة على ذلك ما يلي:

١- قوله تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [الزمر: ٦٩].

قال العز بن عبد السلام رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَالشُّهَدَاءِ﴾ الملائكة الذين يشهدون على أعمال العباد، أو الذين استشهدوا في طاعة الله[٢].

= و«علاقة الملائكة بالإنسان» للعبيد (٣٣٢).

(١) «تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» (٤/ ٤٦٨).

(٢) «تفسير العز بن عبد السلام» (٣/ ١٠٥).

وقد ذكر ذلك البغوي عن عطاء، والقرطبي عن ابن زيد، وقال به ابن كثير[(١)].

٢- قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر: ٥١].

قال الإمام القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ يَعْنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ. قَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ: ﴿ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ أَرْبَعَةٌ: الْمَلَائِكَةُ وَالنَّبِيُّونَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْأَجْسَادُ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَالسُّدِّيُّ: ﴿ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ الْمَلَائِكَةُ تَشْهَدُ لِلْأَنْبِيَاءِ بِالْإِبْلَاغِ وَعَلَى الْأُمَمِ بِالتَّكْذِيبِ. وَقَالَ قَتَادَةُ: الْمَلَائِكَةُ وَالْأَنْبِيَاءُ[(٢)].

٣- قوله تعالى: ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾﴾ [ق: ٢١].

قال ابن عطية رَحِمَهُ اللَّهُ: واختلف الناس في السائق والشهيد: فقال عثمان بن عفان ومجاهد وغيره: ملكان موكلان بكل إنسان، أحدهما يسوقه والآخر من حفظته يشهد عليه. وقال أبو هريرة: السائق ملك، والشهيد: العمل. وقال منذر بن سعيد: السائق: الملك، والشهيد: النبي ﷺ. قال: وقيل: الشهيد: الكتاب الذي يلقاه منشورًا. وقال بعض النظار: سائِقٌ: اسم جنس، وشَهِيدٌ كذلك، فالساقة للناس ملائكة يوكلون بذلك، والشهداء: الحفظة في الدنيا وكل ما يشهد. وقال ابن عباس والضحاك: السائق ملك، والشهيد: جوارح الإنسان. وهذا يبعد على ابن عباس؛ لأن الجوارح إنما تشهد بالمعاصي.

وقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ يعم الصالحين، فإنما معناه: وشهيد بخيره

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٨٨)، والقرطبي (١٥/ ٢٨٣)، وابن كثير (٤/ ٦٥)، و«علاقة الملائكة بالإنسان للعبيد» (٣٣٥).

(٢) «تفسير القرطبي» (١٥/ ٣٢٢).

وشره، ويقوى في: شَهِيدٌ اسم الجنس، فتشهد بالخير الملائكة والبقاع، ومنه قول النبي ﷺ: «**لا يسمع مدى صوت المؤذن إنس ولا جن ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة**». وكذلك يشهد بالشر الملائكة والبقاع والجوارح[1].

قلت: ولا مانع من أن يكون كل ما ذُكر في تفسير الشهيد داخلًا تحت هذا المعنى، ومن بين ذلك الملائكة.

٤- قوله تعالى: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣﴾ [البروج: ٣] اختلف المفسرون في الشاهد والمشهود على نحو عشرين قولًا في كل واحد منها تخصيص بدون مخصص؛ لذلك فالأَوْلى أنها عامة وأن الله أقسم بكل شاهد ومشهود، ومن ذلك: الملائكة يشهدون يوم القيامة على الناس بما عملوا من خير أو شر[2].

٥- قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُولَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٨﴾ [هود: ١٨].

قال أبو جعفر رَحِمَهُ اللهُ: وقوله: ﴿وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾، يعني الملائكة والأنبياء الذين شهدوهم وحفظوا عليهم ما كانوا يعملون، وهم جمع «شاهد» مثل «الأصحاب» الذي هو جمع «صاحب» ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾، يقول: شهد هؤلاء الأشهاد في الآخرة على هؤلاء المفترين على الله في الدنيا، فيقولون: هؤلاء الذين كذبوا في الدنيا على ربهم. يقول الله: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، يقول: ألا غضب الله على المعتدين الذين كفروا

---

(١) «تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» (٥/ ١٦١).

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (١٩/ ٢٨٥)، و«علاقة الملائكة بالإنسان» (٣٣٨) للعبيد.

بربّهم(١).

٦- قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَهَـٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ۝٤٠ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سبأ: ٤٠، ٤١].

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ أي: العابدين لغير الله والمعبودين من دونه، من الملائكة. ﴿ثُمَّ يَقُولُ﴾ الله ﴿لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ﴾ على وجه التوبيخ لمن عبدهم: ﴿أَهَـٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ﴾ فتبرأوا من عبادتهم. و﴿قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ﴾ أي: تنزيهًا لك وتقديسًا أن يكون لك شريك أو ند ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾ فنحن مفتقرون إلى ولايتك، مضطرون إليها، فكيف ندعو غيرنا إلى عبادتنا؟! أم كيف نصلح لأن نتخذ من دونك أولياء وشركاء؟ ولكن هؤلاء المشركون ﴿كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ﴾ أي: الشياطين، يأمرونهم بعبادتنا أو عبادة غيرنا، فيطيعونهم بذلك(٢).

إذًا فقد دلت الآية على أن الملائكة يشهدون على الكفار بأعمالهم التي عملوها في الدنيا، ومن ذلك شهادتهم عليهم بأنهم عبدوا الجن وافتروا على الله الكذب كما في الآية.

٧- وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَضَحِكَ، فَقَالَ: «**هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟**» قَالَ: قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ، يَقُولُ: يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ قَالَ: يَقُولُ: بَلَى. قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي لاَ أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلاَّ شَاهِدًا مِنِّي. قَالَ: فَيَقُولُ: كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا، وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا. قَالَ: فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، فَيُقَالُ لأَرْكَانِهِ: انْطِقِي**». قَالَ: «**فَتَنْطِقُ**

(١) «تفسير الطبري = جامع البيان» ت شاكر (١٥/ ٢٨٢).

(٢) «تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن» (ص٦٨٢).

بِأَعْمَالِهِ»، قَالَ: «ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ»، قَالَ: «فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ»[١].

قال الملا الهروي القاري: (قَالَ: فَيَقُولُ: كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا): نَصْبُهُ عَلَى الْحَالِ، وَ(عَلَيْكَ) مَعْمُولُهُ تَقَدَّمَ عَلَيْهِ لِلِاهْتِمَامِ وَالِاخْتِصَاصِ، وَالْبَاءُ زَائِدَةٌ فِي فَاعِلِ (كَفَى)، وَ(الْيَوْمَ) ظَرْفٌ لَهُ أَوْ لِشَهِيدٍ (وَبِالْكِرَامِ) أَيْ: وَكَفَى بِالْعُدُولِ الْمُكَرَّمِينَ (الْكَاتِبِينَ) أَيْ: لِصُحُفِ الْأَعْمَالِ (شُهُودًا). قَالَ الطِّيبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَإِذَا قُلْتَ: دَلَّ أَدَاةُ الْحَصْرِ عَلَى أَنْ لَا يَشْهَدَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ، فَكَيْفَ أَجَابَ بِقَوْلِهِ: (كَفَى بِنَفْسِكَ وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ؟) قُلْتُ: بَذَلَ مَطْلُوبَهُ وَزَادَ عَلَيْهِ تَأْكِيدًا وَتَقْرِيرًا[٢].

المسألة الرابعة: شفاعة الملائكة للمؤمنين:

إذا حُشر الناس يوم القيامة في العرصات وبدأ الحساب، فإن الله تبارك وتعالى يأذن بشفاعة الشفعاء لمن شاء من عباده، ومن هؤلاء الشفعاء يوم القيامة الأنبياء، والصالحون، والملائكة أيضًا حيث يأذن الله تعالى لملائكته أن يشفعوا لمن شاء سبحانه من عباده المؤمنين.

ومن الأدلة على ذلك ما يلي:

١- قوله تعالى: ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم: ٢٦].

---

(١) **صحيح:** أخرجه مسلم (٢٩٦٩) كتاب الزهد، باب شهود الجوارح على الإنسان بما عمل، والنسائي في «الكبرى» (١١٥٨٩) باب سورة الانفطار، وابن حبان (٧٣٥٨)، وأبو يعلى في «مسنده» (٣٩٧٧)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٢١٧، ٢١٨).

(٢) «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٨/ ٣٥٢٧).

قال الشوكاني رَحِمَهُ اللهُ: وَالْمَعْنَى: التَّوْبِيخُ لَهُمْ بِمَا يَتَمَنَّوْنَ وَيَطْمَعُونَ فِيهِ مِنْ شَفَاعَةِ الْأَصْنَامِ مَعَ كَوْنِ الْمَلَائِكَةِ مَعَ كَثْرَةِ عِبَادَتِهَا وَكَرَامَتِهَا عَلَى اللَّهِ لَا تَشْفَعُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ أَنْ يُشْفَعَ لَهُ، فَكَيْفَ هَذِهِ الْجَمَادَاتُ الْفَاقِدَةُ لِلْعَقْلِ وَالْفَهْمِ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ﴾ لَهُمْ بِالشَّفَاعَةِ ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ أَنْ يَشْفَعُوا لَهُ ﴿وَيَرۡضَىٰٓ﴾ بِالشَّفَاعَةِ لَهُ لِكَوْنِهِ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ، وَلَيْسَ لِلْمُشْرِكِينَ فِي ذَلِكَ حَظٌّ، وَلَا يَأْذَنُ اللَّهُ بِالشَّفَاعَةِ لَهُمْ، وَلَا يَرْضَاهَا لِكَوْنِهِمْ لَيْسُوا مِنَ الْمُسْتَحِقِّينَ لَهَا[١].

إذًا فقد دلت الآية على شفاعة الملائكة في المؤمنين يوم القيامة، ولكن هذا متوقف على إذن الله تعالى لهم.

٢- قوله تعالى: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنبياء: ٢٨].

قال الألوسي رَحِمَهُ اللهُ: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ اللهُ تعالى أن يشفع له، وهو كما أخرج ابن جرير وابن المنذر والبيهقي في البعث.

وابن أبي حاتم عن ابن عباس: مَن قال: لا إله إلا الله. وشفاعتهم الاستغفار، وهي كما في الصحيح تكون في الدنيا والآخرة[٢].

٣- وفي حديث أبي سعيد الخدري الطويل قال: قال رسول الله ﷺ: «...**فَيَقُولُ اللَّهُ** عَزَّ وَجَلَّ: **شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ. فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ: نَهَرُ الْحَيَاةِ...**» الحديث[٣].

---

(١) «فتح القدير» (٥/ ١٣٢).

(٢) «تفسير الألوسي = روح المعاني» (٩/ ٣٢).

(٣) **صحيح:** أخرجه البخاري (٧٤٣٩)، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: =

٤- وعن أبي بَكْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يُحْمَلُ النَّاسُ عَلَى الصِّرَاطِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَتَقَادَعُ بِهِمْ جَنَبَتَا الصِّرَاطِ تَقَادُعَ الْفَرَاشِ فِي النَّارِ**»، قَالَ: «**فَيُنْجِي اللهُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ**»، قَالَ: «**ثُمَّ يُؤْذَنُ لِلْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ أَنْ يَشْفَعُوا فَيَشْفَعُونَ، وَيُخْرِجُونَ وَيَشْفَعُونَ، وَيُخْرِجُونَ وَيَشْفَعُونَ، وَيُخْرِجُونَ**»، وَزَادَ عَفَّانُ مَرَّةً فَقَالَ أَيْضًا: «**وَيَشْفَعُونَ وَيُخْرِجُونَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مَا يَزِنُ ذَرَّةً**»(١).

٥- قال ابن أبي العز رحمه الله: (النوع الثامن: شفاعته في أهل الكبائر من أمته ممن دخل النار فيخرجون منها. وقد تواترت بهذا النوع الأحاديث، وقد خفي علم ذلك على الخوارج والمعتزلة فخالفوا في ذلك جهلًا منهم بصحة الأحاديث وعنادًا ممن علم ذلك واستمر على بدعته. وهذه الشفاعة تشاركه فيها الملائكة والنبيون والمؤمنون أيضًا)(٢).

المسألة الخامسة: سَوْق الملائكة أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار:

بعد أن يقضي الله تعالى بين الخلائق يوم القيامة، ومن الناس من يدخل الجنة ومنهم من يدخل النار، فإن من الملائكة من يسوق أهل الجنة إلى

= ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾، ومسلم (١٨٣) كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية. واللفظ لمسلم.

(١) **حسن**: أخرجه أحمد (٢٠٤٥٧)، والطبراني في «الصغير» (٩٢٩)، وعبد الرزاق في «مصنفه» (٣٤١٩٣) كلهم من طرق عن أبي سُلَيْمَانَ الْعَصَرِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُقْبَةُ بْنُ صُهْبَانَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا بَكْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ به، وأبو سليمان العصري صدوق يرسل كما قال الحافظ في «التقريب» (١٧٤١)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/٣٥٩): رواه أحمد والبزار ورجاله رجال الصحيح.

وحسنه الشيخ الألباني في «ظلال الجنة» (٨٣٧).

(٢) «شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز (ص٢٢٩).

الجنة، ومنهم من يسوق أهل النار إلى النار.

ومن الأدلة على ذلك ما يلي:

أولًا: سَوْق الملائكة أهل الجنة إلى الجنة:

١- قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾ [مريم: ٨٥].

قال ابن عطية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: و﴿وَفْدًا﴾ قال المفسرون: معناه ركبانًا، وهي عادة الوفود لأنهم سَرَاة الناس وأحسنهم شكلًا، فشبه أهل الجنة بأولئك لا أنهم في معنى الوفادة إذ هو مضمن الانصراف، وإنما المراد تشبيههم بالوفد هيئة وكرامة، ورُوي عن علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنهم يجيئون ركبانًا على النوق المحلاة بحلية الجنة خطمها من ياقوت وزبرجد ونحو هذا[(١)].

٢- قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزمر: ٧٣] والمعنى أن الله يأمر الملائكة بعد انتهاء الفصل بين العباد، أن تسوق المؤمنين معززين مكرمين إلى الجنة، فهم يفدون على الجنة كما تفد الوفود على الملوك في الدنيا في عزة وكرامة، وتسوقهم جماعات جماعات على حَسَب مراتبهم وعلو طبقاتهم: الأنبياء مع الأنبياء، والصِّديقون مع أشكالهم، والشهداء مع أضرابهم، والعلماء مع أقرانهم، وكل صنف مع صنف وكل زمرة يناسب بعضها بعضًا[(٢)].

ثانيًا: سوق الملائكة أهل النار إلى النار:

١- قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾﴾ [آل عمران: ١٢] فالملائكة هي التي ستتولى حشرهم يوم القيامة.

---

(١) «تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» (٤/ ٣٢).

(٢) «علاقة الملائكة بالإنسان» (٣٤٤) للعبيد.

٢- قوله تعالى: ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾﴾ [مريم: ٨٦].

قال البغوي: أَيْ: مُشَاةً. وَقِيلَ: عِطَاشًا قَدْ تَقَطَّعَتْ أَعْنَاقُهُمْ مِنَ الْعَطَشِ. «وَالْوِرْدُ» جَمَاعَةٌ يَرِدُونَ الْمَاءَ، وَلَا يَرِدُ أَحَدٌ الْمَاءَ إِلَّا بَعْدَ عَطَشٍ(١).

٣- قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾﴾ [الفرقان: ٣٤].

قال ابن عطية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ثم توعد الكفار بما ينزل بهم يوم القيامة من الحشر على وجوههم إلى النار. وذهب الجمهور إلى أن هذا المشي على الوجوه حقيقة، ورُوي في ذلك من طريق أنس بن مالك حديث أن النبي ﷺ قال له رجل: يا رسول الله كيف يقدرون على المشي على وجوههم؟! وقال: «**إن الذي أقدرهم على المشي على أرجلهم قادر أن يمشيهم على وجوههم**». وقالت فرقة: المشي على الوجوه استعارة للذلة المفرطة والهوان والخزي(٢).

٤- قوله تعالى: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ [الصافات: ٢٢ - ٢٤].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾، هُوَ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى لِلْمَلَائِكَةِ: ﴿وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ أَيْ أَشْيَاعَهُمْ فِي الشِّرْكِ، وَالشِّرْكُ الظُّلْمُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣] فَيُحْشَرُ الْكَافِرُ مَعَ الْكَافِرِ، قَالَهُ قَتَادَةُ وَأَبُو الْعَالِيَةِ. وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ قَالَ: الزَّانِي مَعَ الزَّانِي، وَشَارِبُ الْخَمْرِ مَعَ شَارِبِ الخَمْرِ، وَصَاحِبُ السَّرِقَةِ مَعَ صَاحِبِ السَّرِقَةِ(٣).

---

(١) «تفسير البغوي» - طيبة (٥/ ٢٥٥).

(٢) «تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» (٤/ ٢١٠).

(٣) «تفسير القرطبي» (١٥/ ٧٣).

٥- قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ [الزمر: ٧١].

قال أبو جعفر: وقوله: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ يقول: وحُشر الذين كفروا بالله إلى ناره التي أعدّها لهم يوم القيامة جماعات، جماعة جماعة، وحزبًا حزبًا. كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة في قوله: ﴿زُمَرًا﴾ قال: جماعات(١).

٦- قوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٦].

قال البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْ مُسْتَقَرِّهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقَالَ: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ﴾، قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَابْنُ عَامِرٍ وَأَبُو عَمْرٍو وَأَبُو بَكْرٍ: «السَّاعَةُ ادْخُلُوا»، بِحَذْفِ الْأَلِفِ وَالْوَصْلِ وَبِضَمِّهَا فِي الِابْتِدَاءِ وَضَمِّ الْخَاءِ، مِنَ الدُّخُولِ، أَيْ: يُقَالُ لَهُمْ: ادْخُلُوا يَا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذابِ. وَقَرَأَ الْآخَرُونَ: ﴿أَدْخِلُوٓاْ﴾ بِقَطْعِ الْأَلِفِ وَكَسْرِ الْخَاءِ، مِنَ الْإِدْخَالِ، أَيْ: يُقَالُ لِلْمَلَائِكَةِ: أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يُرِيدُ أَلْوَانَ الْعَذَابِ غَيْرَ الَّذِي كَانُوا يُعَذَّبُونَ بِهِ مُنْذُ غُرِّقُوا(٢).

٧- قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾﴾ [فصلت: ١٩].

يخبر تعالى عن أعدائه الذين بارزوه بالكفر به وبآياته، وتكذيب رسله ومعاداتهم ومحاربتهم، وحالهم الشنيعة حين يُحشرون، أي: يُجمعون. ﴿إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ أي: يرد أولهم على آخرهم، ويتبع آخرهم أولهم، ويساقون إليها سَوْقًا عنيفًا، لا يستطيعون امتناعًا، ولا ينصرون أنفسهم، ولا

(١) «تفسير الطبري = جامع البيان» ت شاكر (٢١/ ٣٣٧).

(٢) «تفسير البغوي» - إحياء التراث (٤/ ١١٤).

هم ينصرون(١).

قلت: والذين يسوقونهم هذا السوق العنيف هم الملائكة.

٨- قوله تعالى: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾﴾ [ق: ٢٤].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: **وَقَدِ اخْتَلَفَ النُّحَاةُ فِي قَوْلِهِ:** ﴿أَلْقِيَا﴾: **فَقَالَ بَعْضُهُمْ:** هِيَ لُغَةٌ لِبَعْضِ الْعَرَبِ يُخَاطِبُونَ الْمُفْرَدَ بِالتَّثْنِيَةِ، كَمَا رُوِيَ عَنِ الْحَجَّاجِ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: يَا حَرَسِيُّ، اضْرِبَا عُنُقَهُ. وَمِمَّا أَنْشَدَ ابْنُ جَرِيرٍ عَلَى هَذِهِ اللُّغَةِ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

فَإِنْ تَزْجُرَانِي -يَا ابْنَ عَفَّانَ- أَنْزَجِرْ وَإِنْ تَتْرُكَانِي أَحْمِ عِرْضًا مُمَنَّعا

وَقِيلَ: بَلْ هِيَ نُونُ التَّأْكِيدِ، سُهِّلَتْ إِلَى الْأَلْفِ. وَهَذَا بَعِيدٌ؛ لِأَنَّ هَذَا إِنَّمَا يَكُونُ فِي الْوَقْفِ.

وَالظَّاهِرُ أَنَّهَا مُخَاطَبَةٌ مَعَ السَّائِقِ وَالشَّهِيدِ، فَالسَّائِقُ أَحْضَرَهُ إِلَى عَرْصَةِ الْحِسَابِ، فَلَمَّا أَدَّى الشَّهِيدُ عَلَيْهِ، أَمَرَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى بِإِلْقَائِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ(٢).

٩- قوله تعالى: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾﴾ [الرحمن: ٤١].

قال الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ﴾ هَذِهِ الْجُمْلَةُ جَارِيَةٌ مَجْرَى التَّعْلِيلِ لِعَدَمِ السُّؤَالِ. وَالسِّيمَا: الْعَلَامَةُ. قَالَ الْحَسَنُ: سِيمَاهُمْ: سَوَادُ الْوُجُوهِ وَزُرْقَةُ الْأَعْيُنِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ وقال: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ وَقِيلَ: سِيمَاهُمْ مَا يَعْلُوهُمْ مِنَ الْحُزْنِ وَالْكَآبَةِ.

---

(١) «تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن» (ص٧٤٧).

(٢) «تفسير ابن كثير» ت سلامة (٧/ ٤٠٢).

﴿فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِي وَٱلْأَقْدَامِ﴾ وَالجَارُّ وَالْمَجْرُورُ فِي مَحَلِّ رَفْعٍ عَلَى أَنَّهُ النَّائِبُ، وَالنَّوَاصِي: شُعُورُ مُقَدَّمِ الرُّؤُوسِ، وَالْمَعْنَى: أَنَّهَا تُجْعَلُ الْأَقْدَامُ مَضْمُومَةً إِلَى النَّوَاصِي، وَتُلْقِيهِمُ الْمَلَائِكَةُ فِي النَّارِ. قَالَ الضَّحَّاكُ: يُجْمَعُ بَيْنَ نَاصِيَتِهِ وَقَدَمِهِ فِي سِلْسِلَةٍ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ. وَقِيلَ: تَسْحَبُهُمُ الْمَلَائِكَةُ إِلَى النَّارِ، تَارَةً تَأْخُذُ بِنَوَاصِيهِمْ وَتَجُرُّهُمْ عَلَى وُجُوهِهِمْ، وَتَارَةً تَأْخُذُ بِأَقْدَامِهِمْ وَتَجُرُّهُمْ عَلَى رُؤُوسِهِمْ[1].

١٠- قوله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝٣١ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ﴾ [الحاقة: ٣٠ - ٣٢].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: أَيْ: يَأْمُرُ الزَّبَانِيَةَ أَنْ تَأْخُذَهُ عُنْفًا مِنَ الْمَحْشَرِ، فَتَغُلُّهُ، أَيْ: تَضَعُ الْأَغْلَالَ فِي عُنُقِهِ، ثُمَّ تُورِدُهُ إِلَى جَهَنَّمَ فَتُصْلِيهِ إِيَّاهَا، أَيْ: تَغْمُرُهُ فِيهَا. قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا: أَبُو سَعِيدٍ الْأَشَجُّ، حَدَّثَنَا أَبُو خَالِدٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ قَيْسٍ، عَنِ المِنْهَالِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: إِذَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ ابْتَدَرَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِنَّ الْمَلَكَ مِنْهُمْ لَيَقُولُ هَكَذَا، فَيُلْقِي سَبْعِينَ أَلْفًا فِي النَّارِ. وَرَوَى ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «الْأَهْوَالِ» أَنَّهُ يَبْتَدِرُهُ أَرْبَعُمِائَةِ أَلْفٍ، وَلَا يَبْقَى شَيْءٌ إِلَّا دَقَّهُ، فَيَقُولُ: مَا لِي وَلَكَ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ الرَّبَّ عَلَيْكَ غَضْبَانُ، فَكُلُّ شَيْءٍ غَضْبَانُ عَلَيْكَ. وَقَالَ الْفُضَيْلُ -هُوَ ابْنُ عِيَاضٍ-: إِذَا قَالَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠﴾ ابْتَدَرَهُ سَبْعُونَ ألف مَلَكٍ، أَيُّهُمْ يَجْعَلُ الْغُلَّ فِي عُنُقِهِ. ﴿ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝٣١﴾ أَيِ: اغْمُرُوهُ فِيهَا[2].

١١- وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رجلًا قال: يا نبيّ الله كيف يُحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: «**أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا**

(١) «فتح القدير» (٥/ ١٦٦).

(٢) «تفسير ابن كثير» ت سلامة (٨/ ٢١٦).

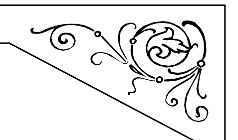
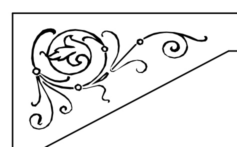
قادرًا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة؟». قال قتادة: بلى وعزة ربنا[(١)].

قال ابن حجر: والحكمة في حشر الكافر على وجهه أنه عوقب على عدم السجود لله في الدنيا بأن يُسحب على وجهه في القيامة؛ إظهارًا لهوانه بحيث صار وجهه مكان يده ورجله في التوقي عن المؤذيات[(٢)].



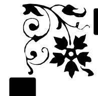
(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٤٨٢) باب كيف الحشر؟ ومسلم (٢٨٠٦) في صفات المنافقين وأحكامهم، باب يُحشر الكافر على وجهه.

(٢) انظر: «فتح الباري» (١١/ ٣٨٢).

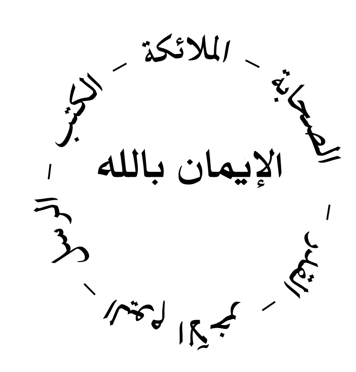



فهرس الموضوعات





الجامع الصحيح لأدلة الاعتقاد



❑ كتاب الإيمان بالقدر ❑

تأليف

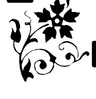
سيد عبد العزيز

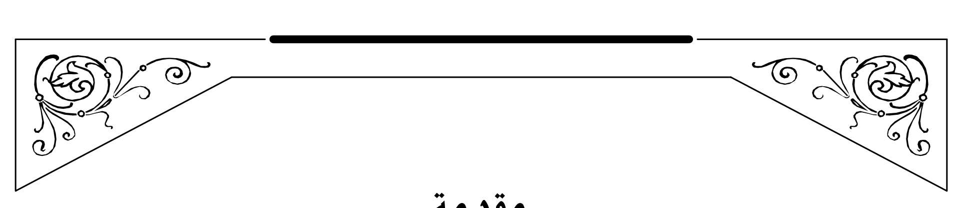
إشراف

أبي إسحاق السمنودي

مجدي بن عطية حمودة

المجلد الثاني





مقدمة

الْحَمْدُ لِلَّهِ، أَهْلِ الْحَمْدِ وَوَلِيِّهِ، الْمَنَّانِ، الْجَوَّادِ، الَّذِي ثَوَابُهُ جَزْلٌ، وَعَطَاؤُهُ فَضْلٌ، وَأَيَادِيهِ مُتَتَابِعَةٌ، وَنَعْمَاؤُهُ سَابِغَةٌ، وَإِحْسَانُهُ مُتَوَاتِرٌ، وَحُكْمُهُ عَدْلٌ، وَقَوْلُهُ فَصْلٌ، حَصَرَ الْأَشْيَاءَ فِي قُدْرَتِهِ، وَأَحَاطَ بِهَا عِلْمُهُ وَنَفَذَتْ فِيهَا مَشِيئَتُهُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى خَيْرِ خَلْقِهِ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا إِخْوَانِي، وَفَّقَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ لِأَقْصَدِ الطَّرِيقِ وَأَهْدَاهَا، وَأَرْشَدِ السُّبُلِ وَأَسْوَاهَا، فَهِيَ طَرِيقُ الْحَقِّ الَّتِي اخْتَارَهَا وَارْتَضَاهَا.

وَاعْلَمُوا أَنَّ طَرِيقَ الْحَقِّ أَقْصَدُ الطُّرُقِ، وَمَنَاهِجَهُ أَوْضَحُ الْمَنَاهِجِ، وَهِيَ مَا أَنْزَلَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ وَجَاءَتْ بِهِ رُسُلُهُ، وَلَمْ يَكُنْ رَأْيًا مُتَّبَعًا وَلَا هَوًى مُبْتَدَعًا وَلَا إِفْكًا مُخْتَرَعًا، وَهُوَ الْإِقْرَارُ لِلَّهِ بِالْمُلْكِ وَالْقُدْرَةِ وَالسُّلْطَانِ، وَأَنَّهُ هُوَ الْمُسْتَوْلِي عَلَى الْأُمُورِ، سَابِقُ الْعِلْمِ بِكُلِّ كَائِنٍ، وَنَافِذُ الْمَشِيئَةِ فِيمَا يُرِيدُ، كَانَ الْخَلْقُ كُلُّهُ وَكُلُّ مَا هُوَ فِيهِ بِقَضَاءٍ وَتَدْبِيرٍ، لَيْسَ مَعَهُ شَرِيكٌ وَلَا دُونَهُ مُدَبِّرٌ وَلَا لَهُ مُضَادٌّ، بِيَدِهِ تَصَارِيفُ الْأُمُورِ، وَهُوَ الْآخِذُ بِعُقَدِ النَّوَاصِي، وَالْعَالِمُ بِخَفِيَّاتِ الْقُلُوبِ وَمَسْتُورَاتِ الْغُيُوبِ، فَمَنْ هَدَاهُ بِطَوْلٍ مِنْهُ اهْتَدَى، وَمَنْ خَذَلَهُ ضَلَّ بِلَا حُجَّةٍ وَلَا عُذْرٍ.

خَلَقَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ وَخَلَقَ لِكُلٍّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا أَهْلًا هُمْ سَاكِنُوهَا، أَحْصَاهُمْ عَدَدًا، وَعَلِمَ أَعْمَالَهُمْ وَأَفْعَالَهُمْ، وَجَعَلَهُمْ شَقِيًّا وَسَعِيدًا، وَغَوِيًّا وَرَشِيدًا.

وَخَلَقَ آدَمَ عليه السلام وَأَخَذَ مِنْ ظَهْرِهِ كُلَّ ذُرِّيَّةٍ هُوَ خَالِقُهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَقَدَّرَ أَعْمَالَهُمْ، وَقَسَّمَ أَرْزَاقَهُمْ، وَأَحْصَى آجَالَهُمْ، وَعَلِمَ أَعْمَالَهُمْ، فَكُلُّ أَحَدٍ

يَسْعَى فِي رِزْقٍ مَقْسُومٍ وَعَمَلٍ مَحْتُومٍ إِلَى أَجَلٍ مَعْلُومٍ، قَدْ عَلِمَ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهَا، فَلَا مَحِيصَ لَهَا عَمَّا عَلِمَهُ مِنْهَا، وَقَدَّرَ حَرَكَاتِ الْعِبَادِ وَهِمَمَهُمْ وَهَوَاجِسَ قُلُوبِهِمْ وَخَطَرَاتِ نُفُوسِهِمْ، فَلَيْسَ أَحَدٌ يَتَحَرَّكُ حَرَكَةً وَلَا يَهِمُّ هِمَّةً إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَخَلَقَ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ، وَخَلَقَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَامِلًا يَعْمَلُ بِهِ، فَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَعْمَلَ إِلَّا لَمَّا خُلِقَ لَهُ.

وَأَرَادَ قَوْمًا لِلْهُدَى، فَشَرَحَ صُدُورَهُمْ لِلْإِيمَانِ وَحَبَّبَهُ إِلَيْهِمْ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِهِمْ، وَأَرَادَ آخَرِينَ لِلضَّلَالِ فَجَعَلَ صُدُورَهُمْ ضَيِّقَةً حَرِجَةً، وَجَعَلَ الرِّجَاسَةَ عَلَيْهِمْ.

وَأَمَرَ عِبَادَهُ بِأَوَامِرَ، وَفَرَضَ عَلَيْهِمْ فَرَائِضَ، فَلَنْ يُؤَدُّوهَا إِلَيْهِ إِلَّا بِتَوْفِيقِهِ وَمَعُونَتِهِ، وَحَرَّمَ مَحَارِمَ وَحَدَّ حُدُودًا، فَلَنْ يَكُفُّوا عَنْهَا إِلَّا بِعِصْمَتِهِ، فَالْحَوْلُ وَالْقُوَّةُ لَهُ، وَوَاقِعَةٌ عَلَيْهِمْ حُجَّتُهُ غَيْرَ مَعْذُورِينَ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ، يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ(١).

إِنَّ أَوْجَبَ مَا عَلَى الْمَرْءِ مَعْرِفَةُ اعْتِقَادِ الدِّينِ، وَمَا كَلَّفَ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ مِنْ فَهْمِ تَوْحِيدِهِ وَصِفَاتِهِ وَتَصْدِيقِ رُسُلِهِ بِالدَّلَائِلِ وَالْيَقِينِ، وَالتَّوَصُّلِ إِلَى طُرُقِهَا وَالِاسْتِدْلَالِ عَلَيْهَا بِالْحُجَجِ وَالْبَرَاهِينِ.

وَكَانَ مِنْ أَعْظَمِ مَقُولٍ، وَأَوْضَحِ حُجَّةٍ وَمَعْقُولٍ:

كِتَابُ اللَّهِ الْحَقُّ الْمُبِينُ.

ثُمَّ قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَصَحَابَتِهِ الْأَخْيَارِ الْمُتَّقِينَ.

ثُمَّ مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُونَ.

ثُمَّ التَّمَسُّكُ بِمَجْمُوعِهَا وَالْمُقَامُ عَلَيْهَا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

---

(١) «الإبانة الكبرى» لابن بطة (٣/ ٢٣٥).

ثُمَّ الِاجْتِنَابُ عَنِ الْبِدَعِ وَالِاسْتِمَاعِ إِلَيْهَا مِمَّا أَحْدَثَهَا الْمُضِلُّونَ.

فَهَذِهِ الْوَصَايَا الْمَوْرُوثَةُ الْمَتْبُوعَةُ، وَالْآثَارُ الْمَحْفُوظَةُ الْمَنْقُولَةُ، وَطَرَائِقُ الْحَقِّ الْمَسْلُوكَةُ، وَالدَّلَائِلُ اللَّائِحَةُ الْمَشْهُورَةُ، وَالْحُجَجُ الْبَاهِرَةُ الْمَنْصُورَةُ الَّتِي عَمِلَتْ عَلَيْهَا الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ خَاصَّةِ النَّاسِ وَعَامَّتِهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَاعْتَقَدُوهَا حُجَّةً فِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. ثُمَّ مَنِ اقْتَدَى بِهِمْ مِنَ الْأَئِمَّةِ الْمُهْتَدِينَ، وَاقْتَفَى آثَارَهُمْ مِنَ الْمُتَّبِعِينَ، وَاجْتَهَدَ فِي سُلُوكِ سَبِيلِ الْمُتَّقِينَ، وَكَانَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ.

فَمَنْ أَخَذَ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْمَحَجَّةِ، وَدَاوَمَ بِهَذِهِ الْحُجَجِ عَلَى مِنْهَاجِ الشَّرِيعَةِ؛ أَمِنَ فِي دِينِهِ التَّبِعَةَ فِي الْعَاجِلَةِ وَالْآجِلَةِ، وَتَمَسَّكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى الَّتِي لَا انْفِصَامَ لَهَا، وَاتَّقَى بِالْجُنَّةِ الَّتِي يُتَّقَى بِمِثْلِهَا؛ لِيَتَحَصَّنَ بِجُمْلَتِهَا، وَيَسْتَعْجِلَ بَرَكَتَهَا، وَيَحْمَدَ عَاقِبَتَهَا فِي الْمَعَادِ وَالْمَآبِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْهَا وَابْتَغَى الْحَقَّ فِي غَيْرِهَا مِمَّا يَهْوَاهُ، أَوْ يَرُومُ سِوَاهَا مِمَّا تَعَدَّاهُ؛ أَخْطَأَ فِي اخْتِيَارِ بُغْيَتِهِ وَأَغْوَاهُ، وَسَلَكَهُ سَبِيلَ الضَّلَالَةِ، وَأَرْدَاهُ فِي مَهَاوِي الْهَلَكَةِ فِيمَا يَعْتَرِضُ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ بِضَرْبِ الْأَمْثَالِ وَدَفْعِهِمَا بِأَنْوَاعِ الْمِحَالِ وَالْحَيْدَةِ عَنْهُمَا بِالْقِيلِ وَالْقَالِ، مِمَّا لَمْ يُنَزِّلِ اللَّهُ بِهِ مِنْ سُلْطَانٍ، وَلَا عَرَفَهُ أَهْلُ التَّأْوِيلِ وَاللِّسَانِ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ عَاقِلٍ بِمَا يَقْتَضِيهِ مِنْ بُرْهَانٍ، وَلَا انْشَرَحَ لَهُ صَدْرُ مُوَحِّدٍ عَنْ فِكْرٍ أَوْ عِيَانٍ، فَقَدِ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ، وَأَحَاطَ بِهِ الْخِذْلَانُ، وَأَغْوَاهُ بِعِصْيَانِ الرَّحْمَنِ، حَتَّى كَابَرَ نَفْسَهُ بِالزُّورِ وَالْبُهْتَانِ.

وَالْآنَ أَيُّهَا الْحَبِيبُ، فَهَلُمَّ إِلَى تَدَيُّنِ الْمُتَّبِعِينَ، وَسِيرَةِ الْمُتَمَسِّكِينَ، وَسَبِيلِ الْمُتَقَدِّمِينَ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّتِهِ، وَالْمُنَادِينَ بِشَرَايِعِهِ وَحِكْمَتِهِ، الَّذِينَ قَالُوا: ﴿ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٣]، وَتَنَكَّبُوا

سَبِيلَ الْمُكَذِّبِينَ بِالإِيمَانِ بِالقَدَرِ، فَاتَّخَذُوا كِتَابَ اللَّهِ إِمَامًا، وَآيَاتِهِ فُرْقَانًا، وَنَصَبُوا الْحَقَّ بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ عِيَانًا، وَسُنَنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ جُنَّةً وَسِلاحًا، وَاتَّخَذُوا طُرُقَهَا مِنْهَاجًا، وَجَعَلُوهَا بُرْهَانًا، فَلَقَوُا الْحِكْمَةَ، وَوُقُوا مِنْ شَرِّ الْهَوَى وَالْبِدْعَةِ؛ لِامْتِثَالِهِمْ أَمْرَ اللَّهِ فِي اتِّبَاعِ الرَّسُولِ، وَتَرْكِهِمُ الْجِدَالَ بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ.

ثُمَّ إِنَّهُ لَمْ يَزَلْ فِي كُلِّ عَصْرٍ مِنَ الْأَعْصَارِ إِمَامٌ مِنْ سَلَفٍ، أَوْ عَالِمٌ مِنْ خَلَفٍ، قَائِمٌ لِلَّهِ بِحَقِّهِ، وَنَاصِحٌ لِدِينِهِ فِيهَا، يَصْرِفُ هِمَّتَهُ إِلَى جَمْعِ اعْتِقَادِ أَهْلِ الْحَدِيثِ عَلَى سُنَنِ كِتَابِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَآثَارِ صَحَابَتِهِ، وَيَجْتَهِدُ فِي تَصْنِيفِهِ، وَيُتْعِبُ نَفْسَهُ فِي تَهْذِيبِهِ؛ رَغْبَةً مِنْهُ فِي إِحْيَاءِ سُنَّتِهِ، وَتَجْدِيدِ شَرِيعَتِهِ، وَتَطْرِيَةِ ذِكْرِهِمَا عَلَى أَسْمَاعِ الْمُتَمَسِّكِينَ بِهِمَا مِنْ أَهْلِ مِلَّتِهِ، أَوْ لِزَجْرِ غَالٍ فِي بِدْعَتِهِ، أَوْ مُسْتَغْرِقٍ يَدْعُو إِلَى ضَلَالَتِهِ، أَوْ مُفْتَتِنٍ بِجَهَالَتِهِ لِقِلَّةِ بَصِيرَتِهِ.

فَأَفْرَغْتُ فِي ذَلِكَ جَهْدِي، وَأَتْعَبْتُ فِيهِ نَفْسِي؛ رَجَاءَ ثَوَابِ اللَّهِ وَاسْتِنْجَازِ مَوْعُودِهِ فِي اسْتِبْصَارِ جَاهِلٍ، وَاسْتِنْقَاذِ ضَالٍّ، وَتَقْوِيمِ عَادِلٍ، وَهِدَايَةِ حَائِرٍ.

وَأَسْأَلُ اللَّهَ التَّوْفِيقَ فِيمَا أَخُطُّهُ فِي الحَدِيثِ عَنِ الإِيمَانِ بِالقَدَرِ، وَالْإِقَالَةَ مِنَ الْخَطَأِ فِيمَا أَنْحُوهُ وَأَقْصِدُهُ[1].

فاعلم رحمك الله تعالى أن الإيمان بالقضاء والقدر ركن من أركان الإيمان، وهو الركن الخامس منها على حسب ترتيب المنظومة، وقد ذكرنا سابقًا أربعة أركان، وهذا هو الركن الخامس.

ومعنى الإيمان بالقدر هو أن تؤمن بأن ما شاء الله تعالى كان وما لم يشأ لم يكن، وأن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك،

---

(١) «الاعتقاد» لابن أبي يعلى (ص: ٣١).

وأن كل شيء كان ويكون وسيكون فالله تعالى عالم به العلم المطلق، وهو الذي شاءه بمشيئته العامة، وهو الذي وحده خالق كل شيء، ولا يكون من شيء إلا وقد كتبه الله تعالى في اللوح المحفوظ، فما تسقط من ورقة إلا وهو يعلمها، ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين، وما يكون في هذا الكون من موت ولا حياة، ولا وجود ولا عدم، ولا غنى ولا فقر، ولا صحة ولا سقم، ولا نصر ولا هزيمة، ولا ربح ولا خسارة، ولا غيرها من الأمور؛ إلا والله تعالى عالم به، لا يعزب عن علمه مثقال ذرة، وأن كل شيء فقد أحصاه الله تعالى في إمام مبين، أي: كتاب حافظ.

والإيمان بالقدر فرض من فرائض الإيمان، وركن من أركانه، ودعامة عظيمة من دعائمه، فلا يصح إيمان العبد ما لم يؤمن بالقدر.

قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩] وقال تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨].

والنصوص في إثبات مراتب القدر كثيرة، سيأتي طرف منها إن شاء الله تعالى في الكلام على مراتب القدر، وفي حديث جبريل الطويل، يقول النبي ﷺ في بيان معنى الإيمان وأركانه: «**أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه ورسله، وتؤمن باليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره**»(١).

فكل شيء لا يكون إلا والله تعالى قضاه وقَدَّره، فالهداية بقدر الله تعالى، والإضلال بقدره، والغنى بقدره، والفقر بقدره، والصحة بقدره، والمرض بقدره، والسعادة بقدره، والشقاء بقدره، والعز بقدره، والذل

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» في كتاب الإيمان، بَابُ معرفة الْإِيمَانِ، وَالْإِسْلَامِ، والقَدَرِ وَعَلَامَةِ السَّاعَةِ (٨).

بقدره، والموت بقدره، والحياة بقدره، وما تخرج من نبتة في أطراف الأرض إلا بقدره، وما تموت من نبتة إلا بقدره، يؤتي المُلك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ويُعز من يشاء، ويُذل من يشاء، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه جل وعلا، فهذا هو معنى الإيمان بالقدر والله أعلم.

واعلم رحمك الله تعالى أنه لا يتم الإيمان الكامل بالقدر إلا إن آمنت بأربع مراتب، وقد قررها أهل العلم رحمهم الله تعالى أكمل تقرير، بما لا مزيد عليه، وهي كما يلي:

المرتبة الأولى: مرتبة العلم.

المرتبة الثانية: مرتبة الكتابة.

المرتبة الثالثة: المشيئة.

المرتبة الرابعة: الخلق.

فهذه المراتب الأربع هي مراتب القدر ولا يتم الإيمان بالقدر إلا بالإيمان بها، والله أعلم.

واعلم رحمك الله تعالى أن فعل العبد يُنسب إلى العبد نسبة تحصيل واكتساب، ويُنسب إلى الله تعالى نسبة خلق وإيجاد، فالعبد لم يخلق شيئًا؛ لأن الخالق هو الله تعالى وحده لا شريك، ولكنه اكتسب هذا الفعل وقام به، فأفعال العباد كلها من الطاعات والمعاصي داخلة في خلق الله تعالى وقضائه وقدره، فقد علم الله تعالى ما سيخلقه في عباده وعلم ما هم فاعلون، وكتب ذلك في اللوح المحفوظ، وخلقهم الله كما شاء، ومضى فيهم قدره، فهم يعملون على وَفق ما سبق به العلم والقدر والكتابة.

فأفعال العباد خلقًا وإيجادًا وتقديرًا من الله تعالى، وهي من العباد كسبًا وفعلًا، فالله تعالى هو الخالق لأفعالهم وهم الفاعلون لها حقيقة، وعلى

ذلك اتفق أهل السنة والجماعة.

واعلم رحمك الله تعالى أن أهل السنة رحمهم الله تعالى يُقرون ويجعلون للعبد قدرة واختيارًا ومشيئة، فهو مخير، ولكن هذه القدرة وهذا الاختيار وهذه المشيئة مربوطة بما سبق به العلم وسبقت به الكتابة والمشيئة من الله تعالى، فهو على هذا مُسَيَّر.

فأهل السنة رحمهم الله تعالى يقولون: العبد مُسَيَّر ومخير، فهو مسير باعتبار سبق العلم والكتابة فإنه لا يمكن أن يسير على خلاف ما سبق به العلم وخط به قلم اللوح المحفوظ، فهو بهذا الاعتبار مُسَيَّر، ولكنه مخير أيضًا باعتبار أنه يختار فعله الاختياري بنفسه، ولا أحد يُلزمه بكثير من أفعاله.

واعلم رحمك الله تعالى أن أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى يقسمون إرادة الله تعالى إلى قسمين: إلى إرادة كونية وهي المرادفة للمشيئة، وإلى إرادة شرعية دينية وهي المرادفة للمحبة، فليست الإرادة عندهم شيئًا واحدًا؛ ولذلك لم يقعوا في الضلال الذي وقع فيه أهل البدع من الجبرية والقدرية، والحمد لله على هذه الهداية والتوفيق، والله أعلم.

هذه المسائل وغيرها قمت بجمعها في هذا البحث الذي أسأل الله أن ينفع به ويهدي وأن يجعله لنا زادًا يوم القدوم عليه.

وقد قسمت البحث على طرائق أهل العلم كما سترى بأذن الله تعالى.

والله أسأل حسن القصد والثواب، وأعوذ به سبحانه من سوء السريرة وعدم قبول الأعمال.

فيا أيها الأخ الكريم، إن الذي تراه أمامك هو ما كتبته يداي المذنبتان انتخبته لك من بين أطايب كلام أهل العلم أضعه بين يديك لتشهد على صاحبه بالإحسان أو التقصير.

ولقد تقرر في القواعد أن عمل البشر مناطه النقص؛ لأنهم ناقصون في ذواتهم وصفاتهم، والمعصوم من عصمه الله تعالى، ويبعد جدًّا ألاَّ نجد عيبًا أو خللًا، فإن تجد عيبًا فسُدّ الخللا فجَلّ من لا عيب فيه وعلا، وانظر فيه بعين المحب المشفق الناصح المستفيد المفيد، لا بعين الناقد الذي همه إخراج الخطأ والبحث عن الزلة.

والله أعلم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.





الباب الأول اعتقاد أهل السنة في القدر(١)

وتحته ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الإيمانِ بالقدرِ وأدلتُه.

وتحته خمسة مباحث:

المبحث الأول: تعريف القضاء والقدر والعلاقة بينهما.

المبحث الثاني: منزلة القضاء والقدر في عقيدة المؤمن.

المبحث الثالث: أدلة الإيمان بالقضاء والقدر.

المبحث الرابع: فَهْم السلف للقدر، وأقوالهم في ذلك.

المبحث الخامس: مجمل الاعتقاد الحق في القدر، والواجب على العبد في هذا الباب.

المطلب الثاني: ما يتضمنه الإيمان بالقدر.

وتحته ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مراتب القدر أو أركانه، وخلق أفعال العباد.

المبحث الثاني: أقسام التقدير.

المبحث الثالث: الإرادة الربانية.

المطلب الثالث: ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر.



(١) قد حذوت في أسماء المباحث والأبواب والفصول والمسائل حذو ترتيب كتاب «الإيمان بالقضاء والقدر» مع اختلاف في الترتيب.



المبحث الأول
تعريف القضاء والقدر، والعلاقة بينهما

وبه عدة فصول:

الفصل الأول: تعريف القضاء.

الفصل الثاني: تعريف القدر.

الفصل الثالث: العلاقة بينهما.

الفصل الرابع: معني الإيمان بالقدر.

الفصل الخامس: حكم الإيمان بالقدر.





الفصل الأول: تعريف القضاء

تعريف القضاء لغة: القضاء في اللغة مصدر الفعل قضى يقضي قضاءً.

قال الله تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ١٢] أي: أحكم خلقهن. ثم قال أبو ذؤيب الهذلي:

وعليهما مسرودتان قضاهما داود أو نَسَجُ السوابغِ تُبَّعُ[١]

قال ابن فارس: «القاف والضاد والحرف المعتلّ أصلٌ صحيح يدلّ على إحكام أمر وإتقانه وإنفاذه لجهته»[٢].

والقضاء: هو الحكم، والصنع، والحتم، والبيان. وأصله القطع والفصل، وقضاء الشيء، وإحكامه، وإمضاؤه، والفراغ منه؛ فيكون بمعنى الخلق[٣].

وقال ابن الأثير: «القضاء في اللغة على وجوه، مرجعها انقطاع الشيء وتمامه»[٤]. ويأتي أيضًا بمعنى القدر.

وقد ورد لفظ القضاء في القرآن كثيرًا، فمن المعاني التي ورد بها:

١- معنى الأمر[٥] ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ الآية [الإسراء: ٢٣].

---

(١) انظر: «البلاغة العربية» (ص٤٨٠، ٤٨١).

(٢) «مقاييس اللغة» (٥/ ٩٩).

(٣) انظر: «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص٤٤١، ٤٤٢)، وانظر: «المفردات لغريب القرآن» للراغب الأصفهاني (ص٤٢٣)، وانظر: «لسان العرب» لابن منظور (١٥/ ١٨٦)، و«القاموس» للفيروز آبادي (ص١٧٠٨).

(٤) «النهاية في غريب الحديث» (٤/ ٧٨).

(٥) انظر: «لسان العرب» (١٥/ ١٨٦) مادة: قضى.

قال قتادة: «أي: أمر ربك ألاّ تعبدوا إلاّ إيّاه، فهذا قضاء الله العاجل»[(١)].

٢- معنى الإنهاء[(٢)] ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَيۡهِ ذَٰلِكَ ٱلۡأَمۡرَ﴾ [الحجر: ٦٦] أي: تقدمنا وأنهينا[(٣)] قال الجوهري: «أي: أنهيناه وأبلغناه»[(٤)].

٣- معنى الفراغ[(٥)] ومنه قوله تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾ [فصلت: ١٢].

قال الطبري: «فرغ من خلقهن سبع سموات في يومين»[(٦)].

٤،٥،٦- ويأتي أيضًا بمعنى الأداء[(٧)] والإعلام[(٨)] والموت[(٩)] وغيرها[(١٠)].

❊ ❊ ❊

---

(١) «تفسير الطبري» (١٧/ ٤١٣).

(٢) انظر: «الصحاح» للجوهري (٦/ ٢٤٦٣)، و«لسان العرب» (١٥/ ١٨٧).

(٣) انظر: «تفسير ابن كثير» (٢/ ٥٧٥).

(٤) «الصحاح» (٦/ ٢٤٦٤).

(٥) المصدر السابق.

(٦) «تفسير الطبري» (٢١/ ٤٤٠).

(٧) انظر: «الصحاح» (٦/ ٢٤٦٤).

(٨) «لسان العرب» (١٥/ ١٨٧).

(٩) «الصحاح» (٦/ ٢٤٦٣)، و«لسان العرب» (١٥/ ١٨٧).

(١٠) «الإيمان بالقضاء والقدر» بتصرف يسير (ص: ١٨).

الفصل الثاني: تعريف القدر

القدر في اللغة: مصدر الفعل قَدِرَ يقْدَرُ قدَرًا، وقد تسكن دالُه[1].

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ **في مادة (قدر):** القاف، والدال، والراء، أصل صحيح يدل على مبلغ الشيء وكنهه، ونهايته؛ فالقدْر مبلغ كل شيء، يقال: قَدْرُه كذا: أي مبلغه، وكذلك القدَرُ، وقدَرْت الشيء أقدِره وأقدُره من التقدير[2].

والقدَر محركة: القضاء، والحكم، وهو ما يقدِّره الله عَزَّ وَجَلَّ من القضاء، ويحكم به من الأمور.

والتقدير: التروية، والتفكير في تسوية أمر، والقَدَرُ كالقَدْر وجميعها: أقدار[3].

والفرق بين القدر والتقدير - كما يقول أبو هلال العسكري - أن التقدير يُستعمل في أفعال العباد، ولا يُستعمل القدر إلا في أفعال الله عَزَّ وَجَلَّ[4].

وقد يطلق على الحكم والقضاء والطاقة.

ويأتي على معانٍ:

١- الطاقة[5].

---

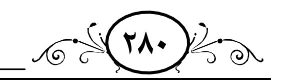
(١) «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٤/ ٢٢).

(٢) «معجم مقاييس اللغة» (٥/ ٦٢)، وانظر: «ياقوتة الصراط» (ص٥٧٦)، و«النهاية» (٤/ ٢٣).

(٣) انظر: «لسان العرب» (٥/ ٧٢)، و«القاموس المحيط» (ص٥٩١).

(٤) «الفروق في اللغة» لأبي هلال العسكري (ص٣٢٨).

(٥) «التكملة والذيل والصلة» للصغاني (٣/ ١٥٩-١٦٠).



٢- التضييق، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ﴾ [الطلاق: ٧]، قال الراغب الأصفهاني: «أي: ضُيِّق عليه، وقَدَّرْتُ عليه الشيء: ضيقته، كأنما جعلته بقدر(١).

ويأتي لمعانٍ أُخر.

القضاء والقدر شرعًا:

قال الشيخ محمد خليل الهرّاس: «والمراد به في لسان الشرع: أن الله ﷻ علم مقادير الأشياء وأزمانها أزلًا، ثم أوجدها بقدرته ومشيئته على وَفق ما علمه منها، وأنه كتبها في اللوح قبل إحداثها»(٢).

وقيل: «هو تقدير الله تعالى الأشياء في القدم، وعلمُه سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده، وعلى صفات مخصوصة، وكتابتُه سبحانه لذلك، ومشيئته له، ووقوعها على حسب ما قدّرها، وخلقُه لها»(٣).

العلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي:

يتبين مما سبق أن بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي لكل من القضاء والقدر ترابطًا قويًّا، فمعاني القضاء في اللغة ترجع إلى إحكام الأمر وإتقانه وإنفاذه، ومن معانيه: الأمر والحكم والإعلام، كما أن معاني القدر ترجع إلى التقدير والقدرة، والله ﷻ قدّر مقادير الخلق، فعلمها وكتبها وشاءها وخلقها، وهي مقضيّة ومقدّرة فتقع حَسَب أقدارها كما أمر الله تعالى أن تقع، وهذا كله لا يخرج عن المعاني اللغوية للكلمتين(٤).

---

(١) «مفردات القرآن» (ص ٦٥٩).

(٢) «شرح العقيدة الواسطية» (ص ٦٥).

(٣) «القضاء والقدر» للمحمود (ص ٣٩-٤٠).

(٤) «القضاء والقدر» للدكتور المحمود (ص ٣٩).

الفصل الثالث: العلاقة بينهما

انقسم العلماء في ذلك إلى فريقين:

الفريق الأول: قالوا: إنه لا فرق بين القضاء والقدر، فكل واحد منهما في معنى الآخر، فإذا أُطلق التعريف على أحدهما شمل الآخر؛ ولذلك إذا أطلق القضاء وحده فُسّر بالقدر، وكذلك القدر، فلا فرق بينهما في اللغة، كما أنه لا دليل على التفريق بينهما في الشرع[١].

الفريق الثاني: قالوا بالفرق بينهما، لكنهم اختلفوا في التمييز بينهما على أقوال:

القول الأول: قول أبي حامد الغزالي أن هناك بالنسبة لتدبير الله وخلقه ثلاثة أمور:

١- الحكم: وهو التدبير الأول الكلّي والأمر الأزلي.

٢- القضاء: وهو الوضع الكلي للأسباب الكلية الدائمة.

٣- القدر: وهو توجيه الأسباب الكلية بحركاتها المقدرة المحسوبة إلى مسبباتها المعدودة المحدودة بقدر معلوم لا يزيد ولا ينقص»[٢].

القول الثاني: ما نقله الحافظ ابن حجر عن بعض العلماء أنهم قالوا: القضاء هو الحكم الكلّي الإجمالي في الأزل، والقدر: جزئيات ذلك الحكم وتفاصيله[٣].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) «الدين الخالص» لصِديق حسن خان (٣/ ١٥٤).

(٣) «فتح الباري» (١١/ ٤٨٦).

القول الثالث: ما نقله الراغب الأصفهاني: أن القدر بمنزلة المعِدّ للكيل، والقضاء بمنزلة الكيل، وهذا كما قال أبو عبيدة لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما أراد الفرار من الطاعون بالشام: أتفرّ من القضاء؟ قال: أفرّ من قضاء الله إلى قدر الله. تنبيهًا على أن القدر ما لم يكن قضاءً فمرجو أن يدفعه الله، فإذا قُضي فلا مدفع له[١].

القول الرابع: قول الأشعرية: إن القضاء إرادة الله الأزلية المتعلقة بالأشياء على وَفق ما توجد عليه وجودها الحادث، كإرادته تعالى الأزلية بخلق الإنسان في الأرض. والقدر هو إيجاد الله الأشياء على مقاديرها المحدّدة بالقضاء في ذواتها وصفاتها وأفعالها وأطوالها وأزمنتها وأمكنتها وأسبابها، كإيجاد الله الإنسان فعلًا على وجه الأرض طبق ما سبق في قضائه سبحانه[٢].

القول الخامس: قول الماتريدية: إن القضاء راجع إلى التكوين؛ كخلق الله الإنسان على ما هو عليه طبق الإرادة الأزلية. والقدر هو التقدير، وهو جعل الشيء بالإرادة على مقدار محدد قبل وجوده، ثم يكون وجوده في الواقع بالقضاء على وَفق التقدير؛ كإرادته تعالى في الأزل إيجاد الإنسان على وجه مخصوص وصورة مخصوصة محددة المقادير[٣].

---

(١) «مفردات القرآن» (ص ٦٧٥-٦٧٦). وانظر: «إرشاد الساري» للقسطلاني (٩/ ٣٤٣).

(٢) «العقيدة الإسلامية وأسسها» لعبد الرحمن حبنكة (ص٦٢٦) باختصار.

(٣) المصدر السابق. وانظر: «الماتريدية دراسةً وتقويمًا» لأحمد الحربي (ص ٤٣٥- ٤٣٧).

خلاصة الأقوال:

١- الذين فرّقوا بينهما ليس لهم دليل واضح من الكتاب والسنة يفصل في القضية.

٢- عند إطلاق أحدهما يشمل الآخر، وهذا يوحي بأنه لا فرق بينهما في الشرع؛ ولذا فالراجح أنه لا فرق بينهما.

٣- لا فائدة من هذا الخلاف؛ لأنه قد وقع الاتفاق على أن أحدهما يطلق على الآخر، وعند ذكرهما معًا فلا مشاحة من تعريف أحدهما بما يدل عليه الآخر. والله أعلم[١].

الفصل الرابع: معنى الإيمان بالقدر

اعلم رحمك الله تعالى أن الإيمان بالقضاء والقدر ركن من أركان الإيمان، ومعنى الإيمان بالقدر هو أن تؤمن بأن ما شاء الله تعالى كان وما لم يشأ لم يكن، وأن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، وأن كل شيء كان ويكون وسيكون فالله تعالى عالم به العلم المطلق، وهو الذي شاءه بمشيئته العامة، وهو الذي وحده خالق كل شيء، ولا يكون من شيء إلا وقد كتبه الله تعالى في اللوح المحفوظ، فما تسقط من ورقة إلا وهو يعلمها، ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين، وما يكون في هذا الكون من موت ولا حياة، ولا وجود ولا عدم، ولا غنى ولا فقر، ولا صحة ولا سقم، ولا نصر أو هزيمة، ولا ربح ولا خسارة، ولا غيرها من الأمور - إلا والله تعالى عالم به، لا يعزب عن علمه مثقال ذرة،

---

(١) «القضاء والقدر» للمحمود (ص ٤٤).

وأن كل شيء فقد أحصاه الله تعالى في إمام مبين، أي: كتاب حافظ[١].

فمعنى الإيمان بالقدر: أن يؤمن الإنسان بأن الله يعلم ما يكون وما كان وما سيكون، وأن ما شاء الله كان، وما لم يشأه لا يكون، وأن الله كتب مقادير الخلائق؛ فلا يقع شيء إلا بعلم الله، وكتابته، ومشيئته وخلقه. ويؤمن بأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه. ويؤمن - مع ذلك - بأن الله قد أمر بطاعته، ونهى عن معصيته، فيفعل الطاعة رجاء ثواب الله، ويترك المعصية خوفًا من عقابه؛ فإذا أحسن حمد الله، وإذا أساء استغفر الله، وإذا أتت الأقدار على وفق ما يريد حمد الله، وإن أتت على خلاف ما يريد تعزى بقدر الله.

والإيمان بالقدر على هذا النحو يثمر سكون القلب، وطُمأنينة النفس، وراحة البال، وترك التحسر على ما فات، ويورث الإنسان الشجاعة والإقدام وطرد اليأس وقوة الاحتمال.

ولهذا يجد المؤمنون بالقضاء والقدر راحة وطُمأنينة لا يجدها غيرهم ممن لا يؤمنون بقضاء الله وقدره...[٢].

❊ ❊ ❊

(١) «نونية السعيدان» مخطوط.

(٢) «تعريف غير المسلمين بالإسلام» (ص: ٤٩).

الفصل الخامس: حكم الإيمان بالقدر

الإيمان بالقدر فرض من فرائض الإيمان، وركن من أركانه، ودعامة عظيمة من دعائمه، فلا يصح إيمان العبد ما لم يؤمن بالقدر؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩]. ولقوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨].

وفي حديث جبريل الطويل، يقول النبي ﷺ في بيان معنى الإيمان وأركانه: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، وتؤمن باليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره**»(١). والنصوص في إثبات مراتب القدر كثيرة، سيأتي طرف منها إن شاء الله بشيء من التفصيل(٢).

المبحث الثاني: منزلة القضاء والقدر في عقيدة المؤمن

لا شك أن القضاء والقدر أحد أركان الإيمان الستة، التي بَيَّنها رسول الله ﷺ لجبريل حين سأله عن الإيمان؛ قال ﷺ: «**أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه ورسله، وتؤمن باليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره**»(٣).

ولذلك يُعَد الإيمان به جزءًا من عقيدة المؤمن، ولا يصح إيمانه إلا بالإيمان بالقضاء والقدر.

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» في كتاب الإيمان، بَابُ معرفة الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ، والقَدَرِ وَعَلَامَةِ السَّاعَةِ (٨).

(٢) «نونية السعيدان» مخطوط بتصرف.

(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه» في كتاب الإيمان، بَابُ معرفة الْإِيمَانِ، وَالْإِسْلَامِ، والقَدَرِ وَعَلَامَةِ السَّاعَةِ (٨).

وقال العلماء الافاضل: إن مبحث القضاء والقدر داخل في باب توحيد الربوبية؛ لأن القضاء والقدر فعل الله تعالى، وإذا كان فعلًا لله فهو صفة من صفاته[١]، ولذلك هو متعلق بتوحيد الربوبية، فالعلم والكتابة والإرادة والمشيئة والخلق من فعل الرب ﷻ، وما كان فعلًا لله فهو صفة من صفاته، وباب الأسماء والصفات يدخل في باب توحيد الربوبية؛ لذا مَن لم يأتِ بالإيمان بالقضاء والقدر فإنه لا يصح توحيده أبدًا، ولا يُعَد موحدًا؛ لأنه أخل بجزء من أجزاء التوحيد، وهو الإيمان بربوبية الله تعالى المتضمن الإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته وأفعاله.

وقد تنازع الناس في القدر من زمن بعيد، حتى في عهد النبي ﷺ كان الناس يتنازعون ويتمارون فيه، وإلى يومنا هذا الناس يتنازعون فيه، ولكن الحق فيه ولله الحمد واضح بَيِّن، لا يحتاج إلى نزاع ومراء، فالإيمان بالقدر أن تؤمن بأن الله ﷻ قد قَدَّر كل شيء كما قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]، وهذا التقدير الذي قدره الله ﷻ تابع لحكمته، وما تقتضيه تلك الحكمة من غايات حميدة وعواقب نافعة للعباد في معاشهم ومعادهم. اهـ[٢].

ومن هنا كان اعتصام المؤمن بعقيدة الإيمان بالقضاء والقدر يعصمه من أمور كثيرة، على رأسها أمران:

أحدهما: عصمته في باب توحيد الربوبية الذي هو أساس وعمدة توحيد

---

(١) أي: الفعلية؛ لأن صفات الله تعالى صفات ذاتية وصفات فعلية.

(٢) «مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين» (المتوفى: ١٤٢١هـ)، جمع وترتيب فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، الناشر دار الوطن - دار الثريا.

الألوهية.

والثاني: عصمته في مسيرته في الحياة، بألا يقع عنده تعارض بين القضاء والقدر، والأمر والشرع[١].

قال ابن عمر رضي الله عنهما: (والذى يحلف به عبد الله بن عمر، لو أن لأحدهم مِثْل أُحد ذهبًا فأنفقه ما قَبِل الله منه حتى يؤمن بالقدر)[٢].

وكذلك قال عبادة بن الصامت رضي الله عنه **في مرض موته وهو يوصي ولده:** (يا بني، إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطاك لم يكن ليصيبك).

فالإيمان لا يتحقق إلا بالإيمان بالقضاء والقدر والتصديق به وأن الله تبارك وتعالى له الربوبية التامة، وأن ربوبيته مقتضية لأن يكون هو المدبر، الخالق، الرازق، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن[٣].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: (كل شيء بقدر حتى وَضْعُك يدك على خدك)[٤].

---

(١) «تيسير لمعة الاعتقاد» للدكتور عبد الرحمن بن صالح المحمود. نسخة إلكترونية - (ص١٩٩)، جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن صالح المحمود.

(٢) صحيح مسلم / كتاب الإيمان - باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة الساعة، الحديث (١٠٢).

(٣) «تيسير لمعة الاعتقاد» للدكتور عبد الرحمن بن صالح المحمود. نسخة إلكترونية - (ص١٩٩)، جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن صالح المحمود.

(٤) «خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل» للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، المتوفى: (٢٥٦هـ)، تحقيق فهد بن سليمان الفهيد.

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: (القدر قدرة الله)[١].

فالواجب على الإنسان في هذا الباب أن يؤمن بقضاء الله وقدره، وأن يؤمن بشرع الله وأمره ونهيه، وعليه تصديق الخبر وتنفيذ الأمر.

ولا يلزمه أن يعلم تفاصيل الحديث عن الإيمان بالقضاء والقدر، بل يكفي الإيمان المجمل[٢].

المبحث الثالث: أدلة الإيمان بالقضاء والقدر

دل على هذا الركن العظيم من أركان الإيمان: الكتابُ، والسُّنَّةُ، والإجماعُ، والفطرةُ، والعقلُ، والحسُّ.

الفصل الأول: الأدلة من القرآن الكريم

وبه عدة مسائل:

المسألة الأولى: الآيات التي استدل بها طائفة من أهل العلم على القدر مرتبة على ترتيب سور المصحف الشريف[٣]:

١- قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦].

فَهَذِهِ الْآيَةُ فِي أَقْوَامٍ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ الشَّقَاوَةِ فِي سَابِقِ عِلْمِ اللَّهِ، ثُمَّ

---

(١) «منهاج السنة النبوية» لابن تيمية (٣/ ٢٥٤)، و«شفاء العليل» لابن القيم (ص٥٣)، و«مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» (٨/ ٣٠٨)، وهي من قول عمر بن الخطاب قبل الإمام أحمد كما ذكره ابن بطة في «الإبانة» برقم (١٥٦٢).

(٢) موقع الألوكة بالشبكة العنكبوتية.

(٣) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» للالكائي (٣/ ٥٣٤) بتصرف ليس باليسير.

ذَكَرَ سَبَبَ تَرْكِهِمُ الْإِيمَانَ فَقَالَ: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ﴾ طَبَعَ اللَّهُ ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ فَلَا تَعِي خَيْرًا وَلَا تَفْهَمُهُ. وَحَقِيقَةُ الْخَتْمِ الِاسْتِيثَاقُ مِنَ الشَّيْءِ كَيْ لَا يَدْخُلَهُ مَا خَرَجَ مِنْهُ وَلَا يَخْرُجَ عَنْهُ مَا فِيهِ. وَمِنْهُ الْخَتْمُ عَلَى الْبَابِ.

قَالَ أَهْلُ السُّنَّةِ: أَيْ: حَكَمَ عَلَى قُلُوبِهِمْ بِالْكُفْرِ؛ لِمَا سَبَقَ مِنْ عِلْمِهِ الْأَزَلِيِّ فِيهِمْ(١) أَيْ: إِنَّ مَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ الشَّقَاوَةَ فَلَا مُسْعِدَ لَهُ، وَمَنْ أَضَلَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ، فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ وَبَلِّغْهُمُ الرِّسَالَةَ، فَمَنِ اسْتَجَابَ لَكَ فَلَهُ الْحَظُّ الْأَوْفَرُ، وَمَنْ تَوَلَّى فَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا يُهِمَّنَّكَ ذَلِكَ ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾ [الرَّعْدِ: ٤٠] ﴿إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [هُودٍ: ١٢](٢).

وَقد اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي تَأْوِيلِ هَذِهِ الْآيَةِ: فَقِيلَ: هِيَ عَامَّةٌ وَمَعْنَاهَا الْخُصُوصُ فِيمَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ، وَسَبَقَ فِي عِلْمِ اللَّهِ أَنَّهُ يَمُوتُ عَلَى كُفْرِهِ. أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُعْلِمَ أَنَّ فِي النَّاسِ مَنْ هَذِهِ حَالُهُ دُونَ أَنْ يُعَيِّنَ أَحَدًا. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالْكَلْبِيُّ: نَزَلَتْ فِي رُؤَسَاءِ الْيَهُودِ، مِنْهُمْ حُيَيُّ بْنُ أَخْطَبَ وَكَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ وَنُظَرَاؤُهُمَا. وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ: نَزَلَتْ فِيمَنْ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ مِنْ قَادَةِ الْأَحْزَابِ. وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ؛ فَإِنَّ مَنْ عَيَّنَ أَحَدًا فَإِنَّمَا مَثَّلَ بِمَنْ كَشَفَ الْغَيْبَ عَنْهُ بِمَوْتِهِ عَلَى الْكُفْرِ، وَذَلِكَ دَاخِلٌ فِي ضِمْنِ الْآيَةِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ مَوْضِعُهُ رَفْعٌ خَبَرُ ﴿إِنَّ﴾ أَيْ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا يُؤْمِنُونَ. وَقِيلَ: خَبَرُ ﴿إِنَّ﴾ ﴿سَوَآءٌ﴾ وَمَا بَعْدَهُ يَقُومُ مَقَامَ الصِّلَةِ، قَالَهُ ابْنُ كَيْسَانَ.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ: ﴿سَوَآءٌ﴾ رُفِعَ بِالِابْتِدَاءِ، ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾

---

(١) «تفسير البغوي» ط/ طيبة (١/ ٦٤).

(٢) «تفسير ابن كثير» ط/ العلمية (١/ ٨٣).

الْخَبَرُ، وَالْجُمْلَةُ خَبَرُ ﴿إِنَّ﴾. قَالَ النَّحَّاسُ: أَيْ: إِنَّهُمْ تَبَالَهُوا فَلَمْ تُغْنِ فِيهِمُ النِّذَارَةُ شَيْئًا(١).

وقد جاء عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٦﴾، قال: كان رسول الله ﷺ يحرِصُ أن يؤمن جميعُ الناس ويُتَابعوه على الهدى، فأخبره الله جل ثناؤه أنه لا يؤمنُ إلا من سبق له من الله السعادةُ في الذّكْر الأول، ولا يضل إلا من سبق له من الله الشقاءُ في الذكر الأول(٢).

٢- قَوْلُهُ: ﴿صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ﴾ [البقرة: ١٨].

وهذا خبر من الله جلّ ثناؤه عن المنافقين أنهم باشترائهم الضلالة بالهدى لم يكونوا للهدى والحقّ مهتدين، بل هم صُمٌّ عنهما فلا يسمعونهما لغلبة خِذلان الله عليهم، بُكمٌ عن القيل بهما فلا ينطقون بهما - والبُكم: الخُرْسُ، وهو جِماعُ أبكم - عُمْيٌ عن أن يبصرُوهما فيعقلوهما؛ لأن الله قد طبع على قلوبهم بنفاقهم فلا يهتدون(٣).

٣- قوله: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

وقد اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك:

فقال بعضهم: يعني بقوله: ﴿أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾، مما اطلع عليه من إبليس، وإضماره المعصيةَ لله وإخفائه الكبر، مما اطلع عليه تبارك وتعالى منه وخفي على ملائكته(٤).

---

(١) «تفسير القرطبي» (١/ ١٨٤).

(٢) «تفسير الطبري = جامع البيان» ت شاكر (١/ ٢٥٢).

(٣) «تفسير الطبري = جامع البيان» ت شاكر (١/ ٣٣٠).

(٤) «تفسير الطبري = جامع البيان» ت شاكر (١/ ٤٧٦).

وقد أخبر عبد الرزاق، عن معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه، والثوري، عن علي بن بَذِيمة، عن مجاهد في قوله: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾، قال: علم من إبليس المعصية وخَلَقه لها[(١)].

وقيل: أي: إني أعلم من المصلحة الراجحة في خلق هذا الصنف على المفاسد التي ذكرتموها ما لا تعلمون أنتم؛ فإني سأجعل فيهم الأنبياء، وأرسل فيهم الرسل، ويوجد فيهم الصِّديقون والشهداء، والصالحون والعُباد، والزهاد والأولياء، والأبرار والمقربون، والعلماء العاملون والخاشعون، والمحبون له تبارك وتعالى المتبعون رسله، صلوات الله وسلامه عليهم[(٢)].

٤- قَوْلُهُ: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ﴾ [المائدة: ٤١].

وهذا تسلية من الله تعالى ذكره نبيَّه محمدًا ﷺ من حزنه على مسارعة الذين قصَّ قصتهم من اليهود والمنافقين في هذه الآية. يقول له تعالى ذكره: لا يحزنك تسرُّعهم إلى جحود نبوَّتك؛ فإني قد حَتَمْتُ عليهم أنهم لا يتوبون من ضلالتهم، ولا يرجعون عن كفرهم؛ للسابق من غضبي عليهم، وغير نافعهم حزنك على ما ترى من تسرُّعهم إلى ما جعلتُه سببًا لهلاكهم واستحقاقِهم وعيدي.

ومعنى «الفتنة» في هذا الموضع: الضلالة عن قصد السبيل.

---

(١) «تفسير الطبري = جامع البيان» ت شاكر (١/ ٤٧٩)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (٨٩١، ٩٣٨)، و«الإبانة» لابن بطة بسند آخر عن الثوري عن رجل لم يُسَمَّ (٢/ ٥٥-١٠٣-١٠٤-٢٨٤).

(٢) «تفسير القرآن العظيم» [مقارنة تفسير] (١/ ٢١٦).

فالمعنى: ومَن يرد الله، يا محمد مَرْجعه بضلالته عن سبيل الهدى، فلن تملك له من الله استنقاذًا مما أراد الله به من الحيرة والضلالة، فلا تشعر نفسك الحزنَ على ما فاتك من اهتدائه للحق[1].

٥- قوله: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: ٢٩].

لأهل العلم بالتأويل فيها ثلاثة أقوال:

أحدها: كما بدأكم سعداء وأشقياء كذلك تُبعثون. روى هذا المعنى علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، والقرظي، والسدي، ومقاتل، والفراء.

والثاني: كما خُلقتم بقدرته كذلك يعيدكم. روى هذا المعنى العوفي عن ابن عباس، وبه قال الحسن وابن زيد والزجاج، وقال: هذا الكلام متصل بقوله: ﴿فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ﴾ [الأعراف: ٢٥].

والثالث: كما بدأكم لا تملكون شيئًا كذلك تعودون. ذكره الماوردي[2].

٦- فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ [الأعراف: ٣٠].

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ [الأعراف: ٢٩] قال: إن الله تعالى بدأ خلق ابن آدم مؤمنًا وكافرًا، كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢] ثم يعيدهم يوم القيامة كما بدأهم مؤمنًا وكافرًا.

قلت: ويتأيد هذا القول بحديث ابن مسعود في «صحيح البخاري»: **«فوالذي لا إله غيره، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا**

(١) «تفسير الطبري = جامع البيان» ت شاكر (١٠/ ٣١٦) بتصرف يسير.

(٢) «زاد المسير» مقارنة التفسير (٢/ ٤٦٩، بترقيم الشاملة آليًّا).

باع - أو: **ذراع - فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا باع** - أو: **ذراع - فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة**»[1][2].

وقال أيضًا: إنه تعالى خلقهم ليكون منهم مؤمن وكافر في ثاني الحال، وإن كان قد فطر الخلق كلهم على معرفته وتوحيده والعلم بأنه لا إله غيره، كما أخذ عليهم بذلك الميثاق، وجعله في غرائزهم وفِطرهم، ومع هذا قدر أن منهم شقيًّا ومنهم سعيدًا: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢] وفي الحديث: «**كل الناس يغدو، فبائع نفسه فمُعْتِقُهَا أو مُوبِقها**»[3].

وقدر الله نافذ في بريته، فإنه هو الذي قدر فهدى و﴿ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠] وفي «الصحيحين»: «**فأما مَن كان منكم من أهل السعادة فسيُيَسَّر لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاوة فسيُيَسَّر لعمل أهل الشقاوة**»؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَـٰلَةُ﴾ [الأعراف: ٣٠] ثم علل ذلك فقال: ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ٣٠][4].

٧- ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ [الأعراف: ٣٧].

في معناه سبعة أقوال:

أحدها: ما قُدّر لهم من خير وشر. رواه مجاهد عن ابن عباس.

---

(١) «صحيح البخاري» برقم (٣٢٠٨).

(٢) «تفسير القرآن العظيم» [مقارنة تفسير] (٣/ ٤٠٤).

(٣) قطعة من حديث رواه مسلم في «صحيحه» برقم (٢٢٣) من حديث أبي مالك الأشعري.

(٤) «تفسير القرآن العظيم» [مقارنة تفسير] (٣/ ٤٠٥).

والثاني: نصيبهم من الأعمال، فيُجزَون عليها. رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

والثالث: ما كُتِبَ عليهم من الضلالة والهدى. قاله الحسن. وقال مجاهد، وابن جبير: من السعادة والشقاوة.

والرابع: ما كُتب لهم من الأرزاق والأعمار والأعمال. قاله الربيع، والقرظي، وابن زيد.

والخامس: ما كُتب لهم من العذاب. قاله عكرمة، وأبو صالح، والسدي.

والسادس: ما أخبر الله تعالى في الكتب كلِّها: أنه مَن افترى على الله كذبًا، اسودَّ وجهه. قاله مقاتل.

والسابع: ما أخبر في الكتاب من جزائهم، نحو قوله: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾﴾ [الليل: ١٤] قاله الزجاج.

وفي الكتاب خمسة أقوال:

أحدها: أنه اللوح المحفوظ.

والثاني: كُتُبُ الله كلُّها.

والثالث: القرآن.

والرابع: كتاب أعمالهم.

والخامس: القضاء[١].

٨- فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

من وجوه التأويل في الْآيَةِ: أَنَّ اللَّهَ أَخْرَجَ جَمِيعَ ذُرِّيَّةِ آدَمَ مِنْ ظُهُورِ الْآبَاءِ فِي

(١) «زاد المسير» [مقارنة التفسير] (٢/ ٤٧٥، بترقيم الشاملة آليًّا).

صُورَةِ الذَّرِّ، وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِلِسَانِ الْمَقَالِ: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى. ثُمَّ أَرْسَلَ بَعْدَ ذَلِكَ الرُّسُلَ مُذَكِّرَةً بِذَلِكَ الْمِيثَاقِ الَّذِي نَسِيَهُ الْكُلُّ وَلَمْ يُولَدْ أَحَدٌ مِنْهُمْ وَهُوَ ذَاكِرٌ لَهُ وَإِخْبَارُ الرُّسُلِ بِهِ يَحْصُلُ بِهِ الْيَقِينُ بِوُجُودِهِ.

قَالَ مُقَيِّدُهُ عَفَا اللَّهُ عَنْهُ: هَذَا الْوَجْهُ الْأَخِيرُ يَدُلُّ لَهُ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ.

أَمَّا وَجْهُ دَلَالَةِ الْقُرْآنِ عَلَيْهِ، فَهُوَ أَنَّ مُقْتَضَى الْقَوْلِ الْأَوَّلِ أَنَّ مَا أَقَامَ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الْبَرَاهِينِ الْقَطْعِيَّةِ كَخَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِمَا مِنْ غَرَائِبِ صُنْعِ اللَّهِ الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّهُ الرَّبُّ الْمَعْبُودُ وَحْدَهُ، وَمَا رَكَّزَ فِيهِمْ مِنَ الْفِطْرَةِ الَّتِي فَطَرَهُمْ عَلَيْهَا - تَقُومُ عَلَيْهِمْ بِهِ الْحُجَّةُ وَلَوْ لَمْ يَأْتِهِمْ نَذِيرٌ.

وَالْآيَاتُ الْقُرْآنِيَّةُ مُصَرِّحَةٌ - بِكَثْرَةٍ - بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُعَذِّبُ أَحَدًا حَتَّى يُقِيمَ عَلَيْهِ الْحُجَّةَ بِإِنْذَارِ الرُّسُلِ، وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى عَدَمِ الاكْتِفَاءِ بِمَا نُصِبَ مِنَ الأَدِلَّةِ، وَمَا رُكِّزَ مِنَ الْفِطْرَةِ.

فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، فَإِنَّهُ قَالَ فِيهَا: حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا. وَلَمْ يَقُلْ: حَتَّى نَخْلُقَ عُقُولًا، وَنَنْصُبَ أَدِلَّةً، وَنُرَكِّزَ فِطْرَةً.

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾ [النساء: ١٦٥]، فَصَرَّحَ بِأَنَّ الَّذِي تَقُومُ بِهِ الْحُجَّةُ عَلَى النَّاسِ وَيَنْقَطِعُ بِهِ عُذْرُهُمْ هُوَ إِنْذَارُ الرُّسُلِ لَا نَصْبُ الْأَدِلَّةِ وَالْخَلْقِ عَلَى الْفِطْرَةِ.

وَهَذِهِ الْحُجَّةُ الَّتِي بُعِثَ الرُّسُلُ لِقَطْعِهَا بَيَّنَهَا فِي «طَهَ» بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَـٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَـٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾﴾ [طه: ١٣٤]، وَأَشَارَ لَهَا فِي «الْقَصَصِ» بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَـٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [القصص: ٤٧].

وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ تَعَالَى صَرَّحَ بِأَنَّ جَمِيعَ أَهْلِ النَّارِ قُطِعَ عُذْرُهُمْ فِي الدُّنْيَا

بِإِنْذَارِ الرُّسُلِ، وَلَمْ يَكْتَفِ فِي ذَلِكَ بِنَصْبِ الْأَدِلَّةِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ﴾ [الملك: ٨، ٩]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الزمر: ٧١]، وَمَعْلُومٌ أَنَّ لَفْظَةَ: ﴿كُلَّمَآ﴾ فِي قَوْلِهِ: ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ﴾ صِيغَةُ عُمُومٍ، وَأَنَّ لَفْظَةَ: ﴿ٱلَّذِينَ﴾ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ صِيغَةُ عُمُومٍ أَيْضًا؛ لِأَنَّ الْمَوْصُولَ يَعُمُّ كُلَّ مَا تَشْمَلُهُ صِلَتُهُ.

وَأَمَّا السُّنَّةُ: فَإِنَّهُ قَدْ دَلَّتْ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ أَخْرَجَ ذُرِّيَّةَ آدَمَ فِي صُورَةِ الذَّرِّ فَأَخَذَ عَلَيْهِمُ الْمِيثَاقَ كَمَا ذَكَرَ هُنَا(١).

٩- وَفِي قَوْلِهِ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

هذا الكلام من الله جلّ ثناؤه يدل على نهيه المؤمنين برسوله يومئذٍ عن طاعة بعض المشركين الذين جادلوهم في أكل الميتة، بما ذكرنا عنهم من جدالهم إياهم به، وأمره إياهم بطاعة مؤمن منهم كان كافرًا، فهداه جلّ ثناؤه لرشده، ووفقه للإيمان. فقال لهم: أطاعة من كان ميتًا، يقول: من كان كافرًا؟ فجعله جل ثناؤه لانصرافه عن طاعته، وجهله بتوحيده وشرائع دينه، وتركه الأخذ بنصيبه من العمل لله بما يؤديه إلى نجاته، بمنزلة «الميت» الذي لا ينفع نفسه بنافعة، ولا يدفع عنها من مكروه نازلة = (فأحييناه)، يقول: فهديناه للإسلام، فأنعشناه، فصار يعرف مضارّ نفسه ومنافعها، ويعمل في خلاصها من سَخَط الله وعقابه في معاده.

---

(١) «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» (٢/ ٤٣).

فجعل إبصاره الحق تعالى ذكره بعد عَمَاه عنه ومعرفته بوحدانيته وشرائع دينه بعد جهله بذلك - حياة وضياء يستضيء به فيمشي على قصد السبيل، ومنهج الطريق في الناس =﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾، لا يدري كيف يتوجه، وأي طريق يأخذ، لشدة ظلمة الليل وإضلاله الطريق. فكذلك هذا الكافر الضال في ظلمات الكفر، لا يبصر رشدًا ولا يعرف حقًّا، = يعني في ظلمات الكفر. يقول: أفَطَاعة هذا الذي هديناه للحق وبصَّرناه الرشاد - كطاعة من مثله مثل من هو في الظلمات متردّد، لا يعرف المخرج منها، في دعاء هذا إلى تحريم ما حرم الله، وتحليل ما أحل، وتحليل هذا ما حرم الله، وتحريمه ما أحلّ؟[1].

١٠- قوله تعالى: ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾ [الأنفال: ٦٨، ٦٩].

اختلف المفسرون في هذا الكتاب الذي سبق ما هو - على أقوال:

الأوّل: ما سبق في علم الله من أنه سيُحلّ لهذه الأمة الغنائم بعد أن كانت محرّمة على سائر الأمم.

والثاني: أنه مغفرة الله لأهل بدر ما تقدم من ذنوبهم وما تأخر، كما في الحديث الصحيح: «**إن الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**».

القول الثالث هو: أنه لا يعذبهم ورسول الله ﷺ فيهم، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: ٣٣].

القول الرابع: أنه لا يعذب أحدًا بذنب فعله جاهلًا لكونه ذنبًا.

---

(١) «تفسير الطبري = جامع البيان» ت شاكر (١٢/ ٨٨).

القول الخامس: أنه ما قضاه الله من محو الصغائر باجتناب الكبائر.

القول السادس: أنه لا يعذب أحدًا إلا بعد تأكيد الحجة وتقديم النهي، ولم يتقدّم نهي عن ذلك.

وذهب ابن جرير الطبري إلى أن هذه المعاني كلها داخلة تحت اللفظ، وأنه يعمها.

﴿لَمَسَّكُمْ﴾ أي: لحلّ بكم ﴿فِيمَآ أَخَذْتُمْ﴾ أي: لأجل ما أخذتم من الفداء ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ والفاء في ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾ لترتيب ما بعدها على سبب محذوف، أي: قد أبحت لكم الغنائم، فكلوا مما غنمتم. ويجوز أن تكون عاطفة على مقدّر محذوف أي: اتركوا الفداء فكلوا مما غنمتم من غيره[(١)].

١١- ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩].

معنى ذلك: «ولا يزال الناس مختلفين في أديانهم وأهوائهم على أديان ومِلل وأهواء شتى، إلا من رحم ربك، فآمَن بالله وصَدَّق رسله، فإنهم لا يختلفون في توحيد الله، وتصديق رسله، وما جاءهم من عند الله»[(٢)].

فعَنْ مَنْصُورِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: قُلْتُ لِلْحَسَنِ: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ قَالَ: النَّاسُ مُخْتَلِفُونَ عَلَى أَدْيَانٍ شَتَّى إِلَّا مِنْ رَحِمَ رَبُّكَ غَيْرَ مُخْتَلِفٍ. قُلْتُ: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ قَالَ: خَلَقَ هَؤُلَاءِ لِجَنَّتِهِ وَهَؤُلَاءِ لِلنَّارِ، وَخَلَقَ هَؤُلَاءِ لِرَحْمَتِهِ وَهَؤُلَاءِ لِعَذَابِهِ[(٣)].

---

(١) «فتح القدير» [مقارنة تفسير] (٣/ ٢٠٥، بترقيم الشاملة آليًّا).

(٢) «تفسير الطبري = جامع البيان» ت شاكر (١٥/ ٥٣٤).

(٣) رواه أبو داود موجزًا بسند آخر (ح ٤٦١٥)، ورواه عبد الله بن أحمد في «السنة» (٩٥٠)، وابن جرير الطبري في «جامع البيان» ت شاكر (١٥/ ٥٣٢)، والآجري في «الشريعة» (٤٥٩). =

١٢- فِي قَوْلِهِ: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ [الرعد: ١١]. أَنَّ الْمُعَقِّبَاتِ الْمَوَاكِبُ بَيْنَ أَيْدِي الْأُمَرَاءِ، عَلَى مَعْنَى أَنَّ ذَلِكَ لَا يَدْفَعُ عَنْهُ الْقَضَاءَ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ﴾ مِنَ النِّعْمَةِ وَالْعَافِيَةِ ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ. وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ لَا يَسْلُبُ قَوْمًا نِعْمَةً أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْهِمْ حَتَّى يُغَيِّرُوا الَّذِي بِأَنْفُسِهِمْ مِنَ الْخَيْرِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، أَوْ يُغَيِّرُوا الْفِطْرَةَ الَّتِي فَطَرَهُمُ اللَّهُ عَلَيْهَا. قِيلَ: وَلَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّهُ لَا يُنْزِلُ بِأَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ عُقُوبَةً حَتَّى يَتَقَدَّمَ لَهُ ذَنْبٌ، بَلْ قَدْ تَنْزِلُ الْمَصَائِبُ بِذُنُوبِ الْغَيْرِ كَمَا فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ سَائِلٌ فَقَالَ: أَنَهْلَكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ**».

﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا﴾ أَيْ: هَلَاكًا وَعَذَابًا ﴿فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ﴾ أَيْ: فَلَا رَدَّ لَهُ. وَقِيلَ: الْمَعْنَى: إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا أَعْمَى قُلُوبَهُمْ حَتَّى يَخْتَارُوا مَا فِيهِ الْبَلَاءُ ﴿وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ يَلِي أَمْرَهُمْ وَيَلْتَجِئُونَ إِلَيْهِ، فَيَدْفَعُ عَنْهُمْ مَا يَنْزِلُ بِهِمْ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ مِنَ الْعِقَابِ، أَوْ مِنْ نَاصِرٍ يَنْصُرُهُمْ وَيَمْنَعُهُمْ مِنْ

= **وهنا تنبيه مهم:** وهو براءة الحسن من القدرية إذ إن منهم صنفًا لو سئلوا: مَن إمامكم؟ قالوا: الحسن.

قال الآجري في «الشريعة» (٢/ ٨٧٩): (اعْلَمُوا رَحِمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ أَنَّ مِنَ الْقَدَرِيَّةِ صِنْفًا إِذَا قِيلَ لِبَعْضِهِمْ: مَنْ إِمَامُكُمْ فِي مَذْهَبِكُمْ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: الْحَسَنُ. وَكَذَبُوا عَلَى الْحَسَنِ، قَدْ أَجَلَّ اللَّهُ الْكَرِيمُ الْحَسَنَ عَنْ مَذْهَبِ الْقَدَرِيَّةِ...).

وقال في موضع آخر (٢/ ٨٨٦): (قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: بَطَلَتْ دَعْوَى الْقَدَرِيَّةِ عَلَى الْحَسَنِ، إِذْ زَعَمُوا أَنَّهُ إِمَامُهُمْ، يُمَوِّهُونَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبُونَ عَلَى الْحَسَنِ، لَقَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا وَخَسِرُوا خُسْرَانًا مُبِينًا).

وأورد اللالكائي آثارًا توضح براءته أيضًا مثل (٩٦٧-١٠٠٦-١٢٥٥)، وغيرها الكثير، وكذا أورد ابن بطة في «الإبانة» والموضع ليس للاستقصاء، والبحث فقط للتنويه.

عَذَابِ اللَّهِ. وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ لَا رَادَّ لِعَذَابِ اللَّهِ وَلَا نَاقِضَ لِحُكْمِهِ[1].

١٣- وَفِي قَوْلِهِ: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾ [الرعد: ٣٩].

ورد عن الحسن ومجاهد أن الله تعالى ذكره توعَّد المشركين الذين سألوا رسولَ الله ﷺ الآياتِ بالعقوبة، وتهدَّدهم بها، وقال لهم: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد: ٣٨]، يعلمهم بذلك أن لقضائه فيهم أجلًا مُثْبَتًا في كتاب، هم مؤخَّرون إلى وقت مجيء ذلك الأجل. ثم قال لهم: فإذا جاء ذلك الأجل، يجيء الله بما شَاء ممن قد دَنا أجله وانقطع رزقه، أو حان هلاكه أو اتضاعه من رفعة أو هلاك مالٍ، فيقضي ذلك في خلقه، فذلك مَحْوُه، ويُثبت ما شاء ممن بقي أجله ورزقه وأكله، فيتركه على ما هو عليه فلا يمحوه.

وبهذا المعنى جاء الأثر عن رسول الله ﷺ[2].

وورد عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ ﷻ: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾ قَالَ: الشَّقَاءُ وَالسَّعَادَةُ وَالْمَوْتُ[3].

١٤- قَوْلُهُ: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ [الحجر: ٣٩].

الإغواء إيقاع الغي في القلب. أي: فبما أوقعت في قلبي من الغي والعناد

---

(١) «فتح القدير» للشوكاني (٣/ ٨٤).

(٢) «تفسير الطبري» [مقارنة تفسير] (١٦/ ٤٨٨).

(٣) رواه عبد الله ابن الامام أحمد في «السنة» (١١٨-١٦٠)، والطبري بعدة أسانيد (١٣/ ١٦٥)، وهذا الأثر ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٤ : ٦٥)، ونسبه إلى عبد الرزاق، والفريابي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «الشعب» مطولًا، وذكر الخبر عن الثوري، ووكيع، وهشيم، عن ابن أبي ليلى.

والاستكبار. وهذا لأن كفر إبليس ليس كفر جهل بل هو كفر عناد واستكبار. وقد تقدم في البقرة. قيل: معنى الكلام القسم، أي: فبإغوائك إياي لأقعدن لهم على صراطك أو في صراطك. فحذف. دليل هذا القول قوله في (ص): ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢] فكأن إبليس أعظم قدر إغواء الله إياه لِما فيه من التسليط على العباد فأقسم به إعظامًا لقدره عنده. وقيل: الباء بمعنى اللام، كأنه قال: فلإغوائك إياي. وقيل: هي بمعنى (مع) والمعنى: فمع إغوائك إياي. وقيل: هو استفهام، كأنه سأل بأي شيء أغواه؟ وكان ينبغي على هذا أن يكون: فبم أغويتني؟ وقيل: المعنى: فبما أهلكتني بلعنك إياي. والإغواء: الإهلاك، قال الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩] أي: هلاكًا. وقيل: فبما أضللتني. والإغواء: الإضلال والإبعاد، قاله ابن عباس. وقيل: خيبتني من رحمتك. ومنه قول الشاعر:

ومن يغو لا يعدم على الغي لائما

أي: من يخب. وقال ابن الأعرابي: يقال: غوى الرجل يغوي غيًّا، إذا فسد عليه أمره أو فسد هو في نفسه، وهو أحد معاني قوله تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢٤] أي: فسد عيشه في الجنة. ويقال: غوي الفصيل؛ إذا لم يدر لبن أمه.

ومذهب أهل السنة أن الله تعالى أضله وخلق فيه الكفر؛ ولذلك نسب الإغواء في هذا إلى الله تعالى وهو الحقيقة، فلا شيء في الوجود إلا وهو مخلوق له صادر عن إرادته تعالى.

وخالف الإمامية والقدرية وغيرهما شيخهم إبليس الذي طاوعوه في كل ما زينه لهم، ولم يطاوعوه في هذه المسألة، ويقولون: أخطأ إبليس وهو أهل للخطأ حيث نسب الغواية إلى ربه، تعالى الله عن ذلك، فيقال لهم: وإبليس وإن كان أهلًا للخطأ فما تصنعون في نبي مكرم معصوم وهو

نوح عليه السلام حيث قال لقومه: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [هود: ٣٤] وقد رُوي أن طاوسًا جاءه رجل في المسجد الحرام وكان مهتمًا بالقدر وكان من الفقهاء الكبار، فجلس إليه فقال له طاوس: تقوم أو تقام؟ فقيل لطاوس: تقول هذا لرجل فقيه؟! فقال: إبليس أفقه منه، يقول إبليس: رب بما أغويتني. ويقول هذا: أنا أغوي نفسي[(١)].

قال البغوي: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ أَضْلَلْتَنِي. وَقِيلَ: خَيَّبْتَنِي مِنْ رَحْمَتِكَ[(٢)].

بينما قال ابن عطية الأندلسي: وقوله: ﴿بِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ قال أبو عبيدة وغيره: أقسم بالإغواء.

قال القاضي أبو محمد: كأنه جعله بمنزلة قول: ربي بقدرتك عليّ وقضائك. ويحتمل أن تكون باء سبب، كأنه قال: ربي والله لأغوينهم بسبب إغوائك لي ومن أجله وكفاء له. ويحتمل أن يكون المعنى تجلدًا منه ومبالغة في الجد، أي: بحالي هذه وبعدي عن الخير والله لأفعلن ولأغوين[(٣)].

وقريب من هذا قول ابن كثير: يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ إِبْلِيسَ وَتَمَرُّدِهِ وَعُتُوِّهِ أَنَّهُ قَالَ لِلرَّبِّ: ﴿بِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: أَقْسَمَ بِإِغْوَاءِ اللَّهِ لَهُ.

قُلْتُ: وَيُحْتَمَلُ أَنَّهُ بِسَبَبِ مَا أَغْوَيْتَنِي وَأَضْلَلْتَنِي[(٤)].

بينما قال الطاهر بن عاشور: الْبَاءُ فِي ﴿بِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ لِلسَّبَبِيَّةِ، وَ(مَا) مَوْصُولَةٌ، أَيْ: بِسَبَبِ إِغْوَائِكَ إِيَّايَ، أَيْ: بِسَبَبِ أَنْ خَلَقْتَنِي غَاوِيًا فَسَأُغْوِي

---

(١) «تفسير القرطبي» (٧/ ١٥٥).

(٢) «تفسير البغوي» – طيبة (٤/ ٣٨١).

(٣) «المحرر الوجيز» [مقارنة تفسير] (٤/ ١٣٠، بترقيم الشاملة آليًّا).

(٤) «تفسير ابن كثير» ت سلامة (٤/ ٥٣٥).

النَّاسَ(١).

١٥- قَوْلُهُ: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ [الإسراء: ١٣].

فِي قَوْلِهِ جَلَّ وَعَلَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ﴾ [الإسراء: ١٣] وَجْهَانِ مَعْرُوفَانِ مِنَ التَّفْسِيرِ:

الْأَوَّلُ: أَنَّ الْمُرَادَ بِالطَّائِرِ: الْعَمَلُ، مِنْ قَوْلِهِمْ: (طَارَ لَهُ سَهْمٌ) إِذَا خَرَجَ لَهُ، أَيْ: أَلْزَمْنَاهُ مَا طَارَ لَهُ مِنْ عَمَلِهِ.

الثَّانِي: أَنَّ الْمُرَادَ بِالطَّائِرِ مَا سَبَقَ لَهُ فِي عِلْمِ اللَّهِ مِنْ شَقَاوَةٍ أَوْ سَعَادَةٍ.

وَالْقَوْلَانِ مُتَلَازِمَانِ؛ لِأَنَّ مَا يَطِيرُ لَهُ مِنَ الْعَمَلِ هُوَ سَبَبُ مَا يَئُولُ إِلَيْهِ مِنَ الشَّقَاوَةِ أَوِ السَّعَادَةِ(٢).

وقال ابن قتيبة: والمعنى فيما أرى والله أعلم: أن لكل امرئ حظًّا من الخير والشر قد قضاه الله عليه، فهو لازم عنقه، والعرب تقول لكل ما لزم الإنسان: قد لزم عنقه، وهذا لك عليَّ وفي عنقي حتى أخرج منه. وإنما قيل للحظ من الخير والشر: «طائر» لقول العرب: جرى له الطائر بكذا من الخير، وجرى له الطائر بكذا من الشر. على طريق الفأل والطِيَّرة، فخاطبهم الله بما يستعملون، وأعلمهم أن ذلك الأمر الذي يجعلونه بالطّائر هو الذي يُلزمه أعناقهم(٣).

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: عَمَلُهُ وَمَا قُدِّرَ عَلَيْهِ فَهُوَ مُلَازِمُهُ أَيْنَمَا كَانَ(٤).

---

(١) «التحرير والتنوير» (١٤/ ٤٩).

(٢) «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» (٣/ ٦٠).

(٣) «زاد المسير» [مقارنة التفسير] (٤/ ١٥٠، بترقيم الشاملة آليًّا).

(٤) «تفسير البغوي» - إحياء التراث (٣/ ١٢٤).

١٦- قَوْلُهُ: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩].

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وقل يا محمد لهؤلاء الذين أغفلنا قلوبهم عن ذكرنا، واتبعوا أهواءهم: الحقّ أيها الناس من عند ربكم، وإليه التوفيق والخِذلان، وبيده الهدى والضلال، يهدي من يشاء منكم للرشاد فيؤمن، ويُضلّ من يشاء عن الهدى فيكفر، ليس إليّ من ذلك شيء، ولست بطارد لهواكم من كان للحقّ متبعًا، وبالله وبما أُنزل عليّ مؤمنًا، فإن شئتم فآمنوا، وإن شئتم فاكفروا، فإنكم إن كفرتم فقد أعد لكم ربكم على كفركم به نارًا أحاط بكم سرادقها، وإن آمنتم به وعملتم بطاعته فإن لكم ما وصف الله لأهل طاعته(١).

١٧- قَوْلُهُ: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥].

الْمَعْنَى: وَنَخْتَبِرُكُمْ بِمَا يَجِبُ فِيهِ الصَّبْرُ مِنَ الْبَلَايَا، وَمِمَّا يَجِبُ فِيهِ الشُّكْرُ مِنَ النِّعَمِ، وَإِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُجَازِيكُمْ عَلَى حَسَبِ مَا يُوجَدُ مِنْكُمْ مِنَ الصَّبْرِ أَوِ الشُّكْرِ. وَقَوْلِهِ: «فِتْنَةً» مَصْدَرٌ مُؤَكِّدٌ لِـ«وَنَبْلُوكُمْ» مِنْ غَيْرِ لَفْظِهِ.

وَمَا ذَكَرَهُ - جَلَّ وَعَلَا مِنْ أَنَّهُ يَبْتَلِي خَلْقَهُ - أَيْ: يَخْتَبِرُهُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ - قَدْ بَيَّنَهُ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨] وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٢- ٤٥] وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ

---

(١) «تفسير الطبري» [مقارنة تفسير] (١٨/ ٩).

لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٤، ٩٥] إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ﴾ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ «بَلَا يَبْلُو» تُسْتَعْمَلُ فِي الِاخْتِبَارِ بِالنِّعَمِ وَبِالْمَصَائِبِ وَالْبَلَايَا.

وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: أَكْثَرُ مَا يُسْتَعْمَلُ فِي الشَّرِّ «بَلَا يَبْلُو»، وَفِي الْخَيْرِ «أَبْلَى يُبْلِي». وَقَدْ جَمَعَ اللُّغَتَيْنِ فِي الْخَيْرِ قَوْلُ زُهَيْرِ بْنِ أَبِي سُلْمَى:

جَزَى اللَّهُ بِالْإِحْسَانِ مَا فَعَلَا بِكُمْ ... وَأَبْلَاهُمَا خَيْرَ الْبَلَاءِ الَّذِي يَبْلُو

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما فِي قَوْلِهِ: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ﴾ قَالَ: أَيْ: نَبْتَلِيكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً: بِالشِّدَّةِ وَالرَّخَاءِ، وَالصِّحَّةِ وَالسُّقْمِ، وَالْغِنَى وَالْفَقْرِ، وَالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَالطَّاعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ، وَالْهُدَى وَالضَّلَالِ[1].

١٨- قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠].

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ﴾ أي: مَا يَجْرِي فِي الْعَالَمِ فَهُوَ مَكْتُوبٌ عِنْدَ اللَّهِ فِي أُمِّ الْكِتَابِ. ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ أَيْ: إِنَّ الْفَصْلَ بَيْنَ الْمُخْتَلِفِينَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ. وَقِيلَ: الْمَعْنَى: إِنَّ كِتَابَ الْقَلَمِ الَّذِي أَمَرَهُ أَنْ يَكْتُبَ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ - عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ[2].

١٩- قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢].

فقوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وخلق الذي نَزَّل على محمد الفرقان كل شيء، فالأشياء كلها خلقه ومِلكه، وعلى المماليك طاعة

(١) «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» (٤/ ١٤٧).
(٢) «تفسير القرطبي» (١٢/ ٩٥).

مالكهم، وخدمة سيدهم دون غيره. يقول: وأنا خالقكم ومالككم، فأخلِصوا لي العبادة دون غيري. وقوله: ﴿فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا﴾ يقول: فسَوّى كل ما خلق وهيأه لما يصلح له، فلا خلل فيه ولا تفاوت(١).

فيكون تأويل: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا﴾ أي: كل شيء مما سِواه مخلوق مربوب، وهو خالق كل شيء وربه ومليكه وإلهه، وكل شيء تحت قهره [وتسخيره] وتدبيره وتقديره(٢).

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلْقِ كُلِّهِمْ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**»(٣).

٢٠- وَفِي قَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكۡنَٰهُ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٢٠٠﴾ [الشعراء: ٢٠٠].

﴿كَذَٰلِكَ سَلَكۡنَٰهُ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَالْحَسَنُ، وَمُجَاهِدٌ: أَدْخَلْنَا الشِّرْكَ وَالتَّكْذِيبَ ﴿فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾(٤) وقال القرطبي: ويعني بقوله: سلكنا: أدخلنا، والهاء في قوله: ﴿سَلَكۡنَٰهُ﴾ كناية من ذكر قوله: ﴿مَّا كَانُواْ بِهِۦ مُؤۡمِنِينَ﴾، كأنه قال: كذلك أدخلنا في قلوب المجرمين ترك الإيمان بهذا القرآن(٥).

(١) «تفسير الطبري» [مقارنة تفسير] (١٩/ ٢٣٦).
(٢) «تفسير القرآن العظيم» [مقارنة تفسير] (٦/ ٩٣).
(٣) «صحيح مسلم» برقم (٢٦٥٣).
(٤) «تفسير البغوي» - طيبة (٦/ ١٢٩).
(٥) «تفسير القرطبي» (١٢/ ٩٥).



وقد قَالَ حُمَيْدٌ: قَرَأْتُ الْقُرْآنَ كُلَّهُ عَلَى الْحَسَنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَمُوتَ بِسَنَةٍ، وَكَانَ يُفَسِّرِ الْقُرْآنَ عَلَى الْإِثْبَاتِ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكۡنَٰهُ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ۝٢٠٠﴾ [الشعراء: ٢٠٠] قَالَ: الشِّرْكُ[١].

٢١- ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا﴾ [الأحزاب: ٧].

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ أُولِي الْعَزْمِ الْخَمْسَةِ وَبَقِيَّةِ الْأَنْبِيَاءِ أَنَّهُ أَخَذَ عَلَيْهِمُ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ فِي إِقَامَةِ دِينِ اللَّهِ، وَإِبْلَاغِ رِسَالَتِهِ وَالتَّعَاوُنِ وَالتَّنَاصُرِ وَالِاتِّفَاقِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٨١﴾ [آل عِمْرَانَ: ٨١] فَهَذَا الْعَهْدُ وَالْمِيثَاقُ أُخِذَ عَلَيْهِمْ بَعْدَ إِرْسَالِهِمْ، وَكَذَلِكَ هَذَا.

وَنَصَّ مِنْ بَيْنِهِمْ عَلَى هَؤُلَاءِ الْخَمْسَةِ، وَهُمْ أُولُو الْعَزْمِ، وَهُوَ مِنْ بَابِ عَطْفِ الْخَاصِّ عَلَى الْعَامِّ، وَقَدْ صَرَّح بِذِكْرِهِمْ أَيْضًا فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَفِي قَوْلِهِ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ [الشُّورَى: ١٣]، فَذَكَرَ الطَّرَفَيْنِ وَالْوَسَطَ، الْفَاتِحَ وَالْخَاتَمَ، وَمَنْ بَيْنَهُمَا عَلَى هَذَا التَّرْتِيبِ. فَهَذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الَّتِي أَخَذَ عَلَيْهِمُ الْمِيثَاقَ بِهَا، كَمَا قَالَ: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ﴾، فَبَدَأَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِالْخَاتَمِ لِشَرَفِهِ - صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ - ثُمَّ رَتَّبَهُمْ بِحَسَبِ وَجُودِهِمْ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ

---

(١) رواه أبو داود برقم (٤٦٩١)، والبيهقي في «القضاء والقدر» (٥٠٩) من طريق الثوري عن حميد الطويل عن الحسن. ورواه ابن جرير الطبري من طريق آخر عن حماد بن سلمة عن حميد (١٩/ ١١٥)، وابن بطة في «الإبانة» (٢/ ٤٣).

عَلَيْهِمْ[(١)].

ويبين ذلك ابن الجوزي فيقول: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا﴾ المعنى: واذكر إذ أخذنا ﴿مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ﴾ أي: عهدهم. وفيه قولان: أحدهما: أخذُ ميثاق النبيِّن أن يصدِّق بعضُهم بعضًا، قاله قتادة. والثاني: أن يعبدوا الله تعالى ويدعوا إلى عبادته، ويصدِّق بعضهم بعضًا، وأن ينصحوا لقومهم، قاله مقاتل.

وهذا الميثاق أُخِذ منهم حين أُخرجوا من ظهر آدم كالذَّرِّ. قال أُبيُّ بن كعب: لمَّا أخذ ميثاق الخَلْق خصَّ النبيِّن بميثاق آخر.

فإن قيل: لِمَ خصَّ الأنبياءَ الخمسة بالذِّكْر دون غيرهم من الأنبياء؟

فالجواب: أنه نبَّه بذلك على فضلهم؛ لأنهم أصحاب الكتب والشرائع، وقدَّم نبيَّنا ﷺ بيانًا لفضله عليهم[(٢)].

٢٢- قَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾ [يس: ٩].

يقول تعالى ذكره: وجعلنا من بين أيدي هؤلاء المشركين سدًّا، وهو الحاجز بين الشيئين؛ إذا فُتح كان من فعل بني آدم، وإذا كان من فعل الله كان بالضم. وبالضم قرأ ذلك قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين. وقرأه بعض المكيين وعامة قراء الكوفيين بفتح السين (سَدًّا) في الحرفين كليهما. والضم أعجب القراءتين إليّ في ذلك وإن كانت الأخرى جائزة صحيحة.

وعنى بقوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾ أنه زين لهم

(١) «تفسير ابن كثير» ت سلامة (٦/ ٣٨٢).

(٢) «زاد المسير في علم التفسير» (٣/ ٤٤٩).

سوء أعمالهم فهم يَعْمَهُونَ، ولا يبصرون رشدًا، ولا يتنبهون حقًّا[١].

٢٣- وَفِي قَوْلِهِ: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢].

وقوله: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ أي: جميع الكائنات مكتوب في كتاب مسطور مضبوط في لوح محفوظ، والإمام المبين هاهنا هو أم الكتاب. قاله مجاهد، وقتادة، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وكذا في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْۖ﴾ [الإسراء: ٧١] أي: بكتاب أعمالهم الشاهد عليهم بما عملوه من خير و شر. كما قال تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ [الزمر: ٦٩]، وقال تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩][٢].

٢٤- قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات: ٩٦].

يُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ «مَا» مَصْدَرِيَّةً، فَيَكُونُ تَقْدِيرُ الْكَلَامِ: وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَعَمَلَكُمْ. وَيُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ بِمَعْنَى «الَّذِي» تَقْدِيرُهُ: وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَالَّذِي تَعْمَلُونَهُ. وَكِلَا الْقَوْلَيْنِ مُتَلَازِمٌ، وَالأَوَّلُ أَظْهَرُ[٣].

٢٥- قَوْلُهُ: ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ [الصافات: ١٦٢].

﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ أَيْ عَلَى اللَّهِ ﴿بِفَٰتِنِينَ﴾ بِمُضِلِّينَ. النَّحَّاسُ. أَهْلُ التَّفْسِيرِ مُجْمِعُونَ فِيمَا عَلِمْتُ عَلَى أَنَّ الْمَعْنَى: مَا أَنْتُمْ بِمُضِلِّينَ أَحَدًا إِلَّا مَنْ قَدَّرَ اللَّهُ ﷻ عَلَيْهِ أَنْ يَضِلَّ: وَقَالَ الشَّاعِرُ:

فَرَدَّ بِنِعْمَتِهِ كَيْدَهُ وعليه وَكَانَ لَنَا فَاتِنَا

---

(١) «تفسير الطبري = جامع البيان» ت شاكر (٢٠/ ٤٩٤).

(٢) «تفسير القرآن العظيم» [مقارنة تفسير] (٦/ ٥٦٨).

(٣) «تفسير ابن كثير» ت سلامة (٧/ ٢٦).

أَيْ: مُضِلًّا.

فِي هَذِهِ الْآيَةِ رَدٌّ عَلَى الْقَدَرِيَّةِ. قَالَ عَمْرُو بْنُ ذَرٍّ: قَدِمْنَا عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَذُكِرَ عِنْدَهُ الْقَدَرُ، فَقَالَ عُمَرُ: لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَلَّا يُعْصَى مَا خَلَقَ إِبْلِيسَ وَهُوَ رَأْسُ الْخَطِيئَةِ، وَإِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِلْمًا فِي كِتَابِ اللَّهِ ﷻ، عَرَفَهُ مَنْ عَرَفَهُ، وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ. ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ إِلَّا مَنْ كَتَبَ اللَّهُ ﷻ عَلَيْهِ أَنْ يَصْلَى الْجَحِيمَ. وَقَالَ: فَصَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ بَيْنَ النَّاسِ، وَفِيهَا مِنَ الْمَعَانِي أَنَّ الشَّيَاطِينَ لَا يَصِلُونَ إِلَى إِضْلَالِ أَحَدٍ إِلَّا مَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَنَّهُ لَا يَهْتَدِي، وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ أَنَّهُ يَهْتَدِي لَحَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ، وَعَلَى هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ [الإسراء: ٦٤] أَيْ: لَسْتَ تَصِلُ مِنْهُمْ إِلَى شَيْءٍ إِلَّا إِلَى مَا فِي عِلْمِي.

وَقَالَ لَبِيَدُ بْنُ رَبِيعَةَ فِي تَثْبِيتِ الْقَدَرِ فَأَحْسَنَ:

إِنَّ تقوى ربنا خير نفل　　وبإذن اللَّهِ رَيْثِي وَعَجَلْ
أَحْمَدُ اللَّهَ فَلَا نِدَّ له　　وبيديه الْخَيْرُ مَا شَاءَ فَعَلْ
مَنْ هَدَاهُ سُبُلَ الخير اهتدى　　وناعم الْبَالِ وَمَنْ شَاءَ أَضَلْ

قَالَ الْفَرَّاءُ: أَهْلُ الْحِجَازِ يَقُولُونَ: فَتَنْتُ الرَّجُلَ. وَأَهْلُ نَجْدٍ يَقُولُونَ: أَفْتَنْتُهُ(١).

وقد ورد عن وُهَيْب بْن خَالِدٍ قَالَ: ثنا خَالِدٌ قَالَ: قُلْتُ لِلْحَسَنِ: أَلِهَذِهِ خُلِقَ آدَمُ - يَعْنِي لِلسَّمَاءِ أَوْ لِلْأَرْضِ -؟ فَقَالَ: لَا، بَلْ لِلْأَرْضِ، قَالَ: قُلْتُ: أَرَأَيْتَ لَوِ اعْتَصَمَ مِنَ الْخَطِيئَةِ فَلَمْ يَعْمَلْهَا أَكَانَ تُرِكَ فِي الْجَنَّةِ؟ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ كَانَ لَهُ بُدٌّ مِنْ أَنْ يَعْمَلَهَا. قَالَ: قُلْتُ: يَا أَبَا سَعِيدٍ، قَوْلُهُ ﷻ: ﴿مَآ أَنتُمْ

(١) «تفسير القرطبي» (١٥/ ١٣٥).

عَلَيۡهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ [الصافات: ١٦٢] قَالَ: مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِمُضِلِّينَ إِلَّا مِنْ قُدِّرَ لَهُ أَنْ يَصْلَى الْجَحِيمَ(١).

٢٦- فِي قَوْلِهِ: ﴿أَوۡ تَقُولَ لَوۡ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي﴾ [الزمر: ٥٧].

و﴿لَوۡ﴾ في هذا الموضع للتمني، أي: ليت أن الله هداني فأكون متقيًا له، فأَسْلَم من العقاب وأستحق الثواب. وليست ﴿لَوۡ﴾ هنا شرطية؛ لأنها لو كانت شرطية، لكانوا محتجين بالقضاء والقدر على ضلالهم، وهو حجة باطلة، ويوم القيامة تضمحل كل حجة باطلة(٢).

﴿لَوۡ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي﴾ أَيْ: أَرْشَدَنِي إِلَى دِينِهِ(٣).

لو أن الله هداني للحق، فوفقني للرشاد، لكنت ممن اتقاه بطاعته واتباع رضاه(٤).

٢٧- فِي قَوْلِهِ: ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ﴾ [الجاثية: ٢٣].

﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ﴾ يَحْتَمِلُ قَوْلَيْنِ:

أحدها: وَأَضَلَّهُ اللَّهُ لِعِلْمِهِ أَنَّهُ يَسْتَحِقُّ ذَلِكَ.

وَالْآخَرُ: وَأَضَلَّهُ اللَّهُ بَعْدَ بُلُوغِ الْعِلْمِ إِلَيْهِ، وَقِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ.

وَالثَّانِي يَسْتَلْزِمُ الْأَوَّلَ، وَلَا يَنْعَكِسُ(٥).

أي: وخذله عن محجة الطريق وسبيل الرشاد في سابق علمه على علم منه

(١) رواه أبو داود (٤٦١٤)، وعبد الله ابن الامام أحمد في «مختصر السنة» (١٢٧)، والآجري في «الشريعة» (١٥٨-٢١٧-٢١٨)، وابن بطة في «الإبانة» (٢/ ١٠٣).
(٢) «تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن» (ص: ٧٢٨).
(٣) «تفسير القرطبي» (١٥/ ٢٧٢).
(٤) «تفسير الطبري = جامع البيان» ت شاكر (٢١/ ٣١٥).
(٥) «تفسير ابن كثير» ت سلامة (٧/ ٢٦٨).

بأنه لا يهتدي ولو جاءته كل آية[١].

﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٍ﴾ مِنْهُ بِعَاقِبَةِ أَمْرِهِ. وَقِيلَ: عَلَى مَا سَبَقَ فِي عِلْمِهِ أَنَّهُ ضَالٌّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُ[٢].

وقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ عِلۡمٍ﴾ قال ابن عباس: المعنى: على علم من الله تعالى سابق. وقالت فرقة: أي: على علم من هذا الضال بأن الحق هو الذي يترك ويعرض عنه، فتكون الآية على هذا من آيات العناد من نحو قوله: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ﴾ [النمل: ١٤][٣].

٢٨- قَوْلُهُ: ﴿أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤].

﴿أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾ أَيْ: بَلْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا، فَهِيَ مُطْبَقَة لَا يَخْلُصُ إِلَيْهَا شَيْءٌ مِنْ مَعَانِيهِ[٤].

﴿أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾ «أَمْ» بمعنى «بَلْ»، وذِكْر الأقفال استعارة، والمراد أن القَلْب يكون كالبيت المُقفَل لا يَصِلُ إليه الهُدى. قال مجاهد: الرّان أيسرُ من الطَّبْع، والطَّبْع أيسرُ من الإقفال، والإقفال أشَدُّ ذلك كلّه.

وقال خالد بن معدان: ما من آدميٍّ إلاّ وله أربعُ أعيُنٍ: عَيْنان في رأسه لدُنياه وما يُصْلِحه من معيشته، وعَيْنان في قَلْبه لِدِينه وما وَعَد اللهُ من الغَيْب، فإذا أراد اللهُ بعبد خيرًا أبصرتْ عيناه اللتان في قلبه، وإذا أراد به غير ذلك طمس عليهما، فذلك قوله: ﴿أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾[٥].

---

(١) «تفسير الطبري = جامع البيان» ت شاكر (٢٢/ ٧٦).
(٢) «تفسير البغوي» - طيبة (٧/ ٢٤٥).
(٣) «تفسير ابن كثير» ت سلامة (٧/ ٣٢٠).
(٤) «تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» (٥/ ٨٦).
(٥) «زاد المسير في علم التفسير» (٤/ ١٢٠).

٢٩- قَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦].

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **اختلف العلماء في معنى قوله:** ﴿لِيَعْبُدُونِ﴾:

فقال بعضهم: المعنى: ما خلقتهم إلا ليعبدني السعداء منهم ويعصيني الأشقياء. فالحكمة المقصودة من إيجاد الخلق التي هي عبادة الله حاصلة بفعل السعداء منهم كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٩]، وهذا القول نقله ابن جرير عن زيد بن أسلم وسفيان.

وغاية ما يلزم على هذا القول أنه أطلق فيها المجموع وأراد بعضهم.

وأمثال ذلك كثيرة في القرآن، ومن أوضحها قراءة حمزة والكسائي: «فإن قتلوكم فاقتلوهم»، من القتل لا من القتال، وقد بينا هذا في مواضع متعددة، وذكرنا أن من شواهده العربية قول الشاعر:

فسيف بني عبس وقد ضربوا به نبا من يدي ورقاء عن رأس خالد

فتراه نسب الضرب لبني عبس مع تصريحه أن الضارب الذي نبا بيده السيف عن رأس خالد - يعني ابن جعفر الكلابي - هو ورقاء، يعني ابن زهير العبسي.

وقد قدمنا في «الحجرات» أن من ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ﴾ [الحجرات: ١٤٧]، بدليل قوله: ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾ إلى قوله: ﴿سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ٩٩].

وقال بعض العلماء: معنى قوله: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾: أي: «إلا ليقروا لي بالعبودية طوعًا أو كرهًا» لأن المؤمن يطيع باختياره والكافر مذعن منقاد

لقضاء ربه جبرًا عليه، وهذا القول رواه ابن جرير عن ابن عباس واختاره، ويدل له قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [الرعد: ١٥]، والسجود والعبادة كلاهما خضوع وتذلل لله - جل وعلا - وقد دلت الآية على أن بعضهم يفعل ذلك طوعًا وبعضهم يفعله كرهًا.

وعن مجاهد أنه قال: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾: أي: إلا ليعرفوني. واستدل بعضهم لهذا القول بقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]، ونحو ذلك من الآيات وهو كثير في القرآن، وقد أوضحنا كثرته فيه في سورة بني إسرائيل في الكلام على قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

وقال بعض أهل العلم - وهو مروي عن مجاهد أيضًا -: معنى قوله: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾: أي: إلا لآمرهم بعبادتي فيعبدني من وفقته منهم لعبادتي دون غيره. وعلى هذا القول فإرادة عبادتهم المدلول عليها باللام في قوله: ﴿لِيَعْبُدُونِ﴾ - إرادة دينية شرعية وهي الملازمة للأمر، وهي عامة لجميع من أمرتهم الرسل بطاعة الله، لا إرادة كونية قدرية؛ لأنها لو كانت كذلك لعبده جميع الإنس والجن. والواقع خلاف ذلك بدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ إلى آخر السورة.

قال مقيده عفا الله عنه وغفر له: التحقيق - إن شاء الله - في معنى هذه الآية الكريمة ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، أي: إلا لآمرهم بعبادتي وأبتليهم، أي أختبرهم بالتكاليف، ثم أجازيهم على أعمالهم، إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشر.

وإنما قلنا: إن هذا هو التحقيق في معنى الآية لأنه تدل عليه آيات محكمات من كتاب الله، فقد صرح تعالى في آيات من كتابه أنه خلقهم ليبتليهم أيهم أحسن عملًا، وأنه خلقهم ليجزيهم بأعمالهم.

قال تعالى في أول سورة هود: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧]، ثم بَيَّن الحكمة في ذلك فقال: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [هود: ٧].

وقال تعالى في أول سورة الملك: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ﴾ [الملك: ٢].

وقال تعالى في أول سورة الكهف: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾﴾ [الكهف: ٧].

فتصريحه - جل وعلا - في هذه الآيات المذكورة بأن حكمة خلقه للخلق هي ابتلاؤهم أيهم أحسن عملًا - يفسر قوله: ﴿لِيَعْبُدُونِ﴾. وخير ما يفسر به القرآن - القرآن.

ومعلوم أن نتيجة العمل المقصود منه لا تتم إلا بجزاء المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته؛ ولذا صرح تعالى بأن حكمة خلقهم أولًا وبعثهم ثانيًا، هي جزاء المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، وذلك في قوله تعالى في أول يونس: ﴿إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾ [يونس: ٤]، وقوله في النجم: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾﴾ [النجم: ٣١].

وقد أنكر تعالى على الإنسان حسبانه وظنه أنه يُترك سُدى، أي: مهملًا، لم يؤمر ولم يُنْهَ، وبَيَّن أنه ما نقله من طور إلى طور حتى أوجده إلا ليبعثه بعد الموت، أي ويجازيه على عمله، قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [القيامة: ٣٦-٤٠].



والبراهين على البعث دالة على الجزاء، وقد نزه تعالى نفسه عن هذا الظن الذي ظنه الكفار به تعالى، وهو أنه لا يبعث الخلق ولا يجازيهم منكرًا ذلك عليهم في قوله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٥ - ١١٦].

وقد قدمنا الآيات الموضحة لهذا في أول سورة الأحقاف في الكلام على قوله تعالى: ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى﴾ [الأحقاف: ٣].

تنبيه: اعلم أن الآيات الدالة على حكمة خلق الله للسماوات والأرض وأهلهما وما بينهما - قد يظن غير المتأمل أن بينهما اختلافًا، والواقع خلاف ذلك؛ لأن كلام الله لا يخالف بعضه بعضًا.

وإيضاح ذلك أن الله تبارك وتعالى ذكر في بعض الآيات أن حكمة خلقه للسماوات والأرض هي إعلام خلقه بأنه قادر على كل شيء، وأنه محيط بكل شيء علمًا، وذلك في قوله تعالى في آخر الطلاق: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢].

وذكر في مواضع كثيرة من كتابه أنه خلق الخلق ليبين للناس كونه هو المعبود وحده، كقوله تعالى: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، ثم أقام البرهان على أنه إله واحد بقوله بعده: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ إلى قوله: ﴿لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤]، ولما قال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١]، بَيَّن أن خلقهم برهان على أنه المعبود وحده بقوله بعده: ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ الآية [البقرة: ٢١].

والاستدلال على أن المعبود واحد بكونه هو الخالق - كثير جدًّا في القرآن، وقد أوضحنا الآيات الدالة عليه في أول سورة الفرقان في الكلام على قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ۝ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا﴾ الآية [الفرقان: ٢ - ٣]، وفي سورة الرعد في الكلام على قوله تعالى: ﴿أَمْ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ الآية [الرعد: ١٦]، وفي غير ذلك من المواضع.

وذكر في بعض الآيات أنه خلق السماوات والأرض ليبتلي الناس، وذلك في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧].

وذكر في بعض الآيات أنه خلقهم ليجزيهم بأعمالهم، وذلك في قوله: ﴿إِنَّهُۥ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ﴾ الآية [يونس: ٤].

وذكر في آية الذاريات هذه أنه ما خلق الجن والإنس إلا ليعبدوه.

فقد يظن غير العالم أن بين هذه الآيات اختلافًا مع أنها لا اختلاف بينها؛ لأن الحكم المذكور فيها كلها راجع إلى شيء واحد، وهو معرفة الله وطاعته ومعرفة وعده ووعيده(١).

وقال البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝﴾، قَالَ الْكَلْبِيُّ وَالضَّحَّاكُ وَسُفْيَانُ: هَذَا خَاصٌّ لِأَهْلِ طَاعَتِهِ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ، يَدُلُّ عَلَيْهِ قِرَاءَةُ ابْنِ عَبَّاسٍ: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ -مِنَ الْمُؤْمِنِينَ- إِلَّا لِيَعْبُدُونِ»، ثُمَّ قَالَ فِي أُخْرَى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ [الْأَعْرَافِ: ٧٩].

(١) «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» (٧/ ٤٤٤).

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: وَمَا خَلَقْتُ السُّعَدَاءَ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِلَّا لِعِبَادَتِي وَالْأَشْقِيَاءَ مِنْهُمْ إِلَّا لِمَعْصِيَتِي. وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، قَالَ: هُوَ عَلَى مَا جُبِلُوا عَلَيْهِ مِنَ الشَّقَاوَةِ وَالسَّعَادَةِ.

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أَيْ: إِلَّا لِآمُرَهُمْ أَنْ يَعْبُدُونِي وَأَدْعُوَهُمْ إِلَى عِبَادَتِي. يُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ﴾ [التَّوْبَةِ: ٣١].

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: إِلَّا لِيَعْرِفُونِي. وَهَذَا أَحْسَنُ لِأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَخْلُقْهُمْ لَمْ يُعْرَفْ وُجُودُهُ وَتَوْحِيدُهُ، دَلِيلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ﴾ [الزُّخْرُفِ: ٨٧].

وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: إِلَّا لِيَخْضَعُوا إِلَيَّ وَيَتَذَلَّلُوا. وَمَعْنَى الْعِبَادَةِ فِي اللُّغَةِ: التَّذَلُّلُ وَالِانْقِيَادُ، فَكُلُّ مَخْلُوقٍ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ خَاضِعٌ لِقَضَاءِ اللَّهِ، مُتَذَلِّلٌ لِمَشِيئَتِهِ لَا يَمْلِكُ أَحَدٌ لِنَفْسِهِ خُرُوجًا عَمَّا خُلِقَ عَلَيْهِ.

وَقِيلَ: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾: إِلَّا لِيُوَحِّدُونِي، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيُوَحِّدُهُ فِي الشِّدَّةِ وَالرَّخَاءِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُوَحِّدُهُ فِي الشِّدَّةِ وَالْبَلَاءِ دُونَ النِّعْمَةِ وَالرَّخَاءِ. بَيَانُهُ قَوْلُهُ ﷻ: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [الْعَنْكَبُوتِ: ٦٥][(١)].

وقال شيخ المفسرين ابن جرير: ما خلقت الجنّ والإنس إلا لعبادتنا والتذلل لأمرنا.

فإن قال قائل: فكيف كفروا وقد خلقهم للتذلل لأمره؟!

قيل: إنهم قد تذللوا لقضائه الذي قضاه عليهم؛ لأن قضاءه جارٍ عليهم، لا يقدرون من الامتناع منه إذا نزل بهم، وإنما خالفه مَن كفر به في العمل بما

(١) «تفسير البغوي» - طيبة (٧/ ٣٨٠).

أمره به، فأما التذلل لقضائه فإنه غير ممتنع منه[(١)].

٣٠- فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ﴾ [القمر: ٤٣].

﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ﴾ خَاطَبَ الْعَرَبَ. وَقِيلَ: أَرَادَ كُفَّارَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ. وَقِيلَ: اسْتِفْهَامٌ، وَهُوَ اسْتِفْهَامُ إِنْكَارٍ وَمَعْنَاهُ النَّفْيُ، أَيْ: لَيْسَ كُفَّارُكُمْ خَيْرًا مِنْ كُفَّارِ مَنْ تَقَدَّمَ مِنَ الْأُمَمِ الَّذِينَ أُهْلِكُوا بِكُفْرِهِمْ. ﴿أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِي ٱلزُّبُرِ﴾ أَيْ: فِي الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِالسَّلَامَةِ مِنَ الْعُقُوبَةِ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَمْ لَكُمْ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ بَرَاءَةٌ مِنَ الْعَذَابِ[(٢)].

٣١- ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩﴾ [القمر: ٤٩].

الَّذِي عَلَيْهِ أَهْلُ السُّنَّةِ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدَّرَ الْأَشْيَاءَ، أَيْ: عَلِمَ مَقَادِيرَهَا وَأَحْوَالَهَا وَأَزْمَانَهَا قَبْلَ إِيجَادِهَا، ثُمَّ أَوْجَدَ مِنْهَا مَا سَبَقَ فِي عِلْمِهِ أَنَّهُ يُوجِدُهُ عَلَى نَحْوِ مَا سَبَقَ فِي عِلْمِهِ، فَلَا يَحْدُثُ حَدَثٌ فِي الْعَالَمِ الْعُلْوِيِّ وَالسُّفْلِيِّ إِلَّا وَهُوَ صَادِرٌ عَنْ عِلْمِهِ تَعَالَى وَقُدْرَتِهِ وَإِرَادَتِهِ دُونَ خَلْقِهِ، وَأَنَّ الْخَلْقَ لَيْسَ لَهُمْ فِيهَا إِلَّا نَوْعُ اكْتِسَابٍ وَمُحَاوَلَةٌ وَنِسْبَةٌ وَإِضَافَةٌ، وَأَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ إِنَّمَا حَصَلَ لَهُمْ بِتَيْسِيرِ اللَّهِ تَعَالَى وَبِقُدْرَتِهِ وَتَوْفِيقِهِ وَإِلْهَامِهِ، سُبْحَانَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَلَا خَالِقَ غَيْرُهُ، كَمَا نَصَّ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ، لَا كَمَا قَالَتِ الْقَدَرِيَّةُ وَغَيْرُهُمْ مِنْ أَنَّ الْأَعْمَالَ إِلَيْنَا وَالْآجَالَ بِيَدِ غَيْرِنَا[(٣)].

يقول تعالى ذكره: إنا خلقنا كل شيء بمقدار قدرناه وقضيناه. وفي هذا بيان أن الله جلّ ثناؤه، توعد هؤلاء المجرمين على تكذيبهم في القدر مع

---

(١) «تفسير الطبري = جامع البيان» ت شاكر (٢٢/ ٤٤٥).

(٢) «تفسير القرطبي» (١٧/ ١٤٥).

(٣) «تفسير القرطبي» (١٧/ ١٤٨).

كفرهم به(١).

مَا خَلَقْنَاهُ فَمَقْدُورٌ وَمَكْتُوبٌ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، قَالَ الْحَسَنُ: قَدَّرَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ قَدَرَهُ الَّذِي يَنْبَغِي لَهُ(٢).

وهذا شامل للمخلوقات والعوالم العلوية والسفلية، أن الله تعالى وحده خلقها لا خالق لها سواه، ولا مشارك له في خلقها.

وخلقها بقضاء سبق به علمه، وجرى به قلمه، بوقتها ومقدارها، وجميع ما اشتملت عليه من الأوصاف، وذلك على الله يسير(٣).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: جَاءَ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُخَاصِمُونَهُ فِي الْقَدَرِ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٧- ٤٩](٤).

٣٢- قَوْلُهُ: ﴿وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾ [القلم: ٤٣].

يَعْنِي: يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَا يَكُونُ فِيهِ مِنَ الْأَهْوَالِ وَالزَّلَازِلِ وَالْبَلَاءِ وَالِامْتِحَانِ وَالْأُمُورِ الْعِظَامِ. وَقَدْ قَالَ الْبُخَارِيُّ هاهنا: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: **«يَكشِفُ رَبّنا عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ، وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ فِي الدُّنْيَا رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَيَذْهَبُ لِيَسْجُدَ فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا»**(٥).

---

(١) «تفسير الطبري = جامع البيان» ت شاكر (٢٢/ ٦٠٤).

(٢) «تفسير البغوي» - طيبة (٧/ ٤٣٥).

(٣) «تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن» (ص: ٨٢٨).

(٤) أخرجه مسلم (١٩) كتاب القدر والترمذي في «صحيحه» (٢١٥٧)، وابن ماجه (٨٣)، وأحمد (٣/ ٤٤٤-٤٧٦)، وابن جرير في «التفسير» (٢٧/ ١١١).

(٥) «صحيح البخاري» برقم (٤٩١٩).

وَهَذَا الْحَدِيثُ مُخَرَّجٌ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» وَفِي غَيْرِهِمَا مِنْ طُرُقٍ وَلَهُ أَلْفَاظٌ، وَهُوَ حَدِيثٌ طَوِيلٌ مَشْهُورٌ.

وَقَالَ ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ قَالَ: شِدَّةُ الْأَمْرِ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هِيَ أَوَّلُ سَاعَةٍ تَكُونُ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وَقَالَ ابن جُرَيح، عَنْ مُجَاهِدٍ: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ قَالَ: شِدَّةُ الْأَمْرِ وَجِدُّهُ.

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلُهُ: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ هُوَ الْأَمْرُ الشَّدِيدُ الْمُفْظِعُ مِنَ الْهَوْلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَقَالَ الْعَوْفِيُّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلُهُ: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ يَقُولُ: حِينَ يُكْشَفُ الْأَمْرُ وَتَبْدُو الْأَعْمَالُ. وَكَشْفُهُ دُخُولُ الْآخِرَةِ، وَكَشْفُ الْأَمْرِ عَنْهُ. وَكَذَا رَوَى الضَّحَّاكُ وَغَيْرُهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ[(١)].

٣٣- قَوْلُهُ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [التكوير: ٢٩].

أَيْ: لَيْسَتِ الْمَشِيئَةُ مَوْكُولَةً إِلَيْكُمْ فَمَنْ شَاءَ اهْتَدَى وَمَنْ شَاءَ ضَلَّ، بَلْ ذَلِكَ كُلُّهُ تَابِعٌ لِمَشِيئَةِ اللَّهِ ﷻ رَبِّ الْعَالَمِينَ[(٢)].

فمشيئته نافذة، لا يمكن أن تعارَض أو تمانَع. وفي هذه الآية وأمثالها رد على فرقتي القدرية النفاة والقدرية المجبرة، كما تقدم مثلها[(٣)].

وهنا تنبيهان أشار إليهما العلامة الشنقيطي:

تنبيه: إذا كان الكثيرون يستدلون في قضية القضاء والقدر بهذه الآية، فإنه

(١) «تفسير ابن كثير» ت سلامة (٨/ ١٩٨) بتصرف قليل.

(٢) «تفسير ابن كثير» ت سلامة (٨/ ٣٤٠).

(٣) «تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن» (ص: ٩١٤).

ينبغي ألا تغفل أهميتها في جانب الضراعة إلى الله دائمًا، بطلب التفضل من الله تعالى علينا بالمشيئة بالاستقامة فضلًا من عنده، كما أمرنا في الصلاة في كل ركعة منها أن نطلب هذا الطلب: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾.

تنبيه آخر: لقد أُجملت الاستقامة هنا، وهي منبه عليها في سورة «الفاتحة»: إلى صراط الذين أنعم الله عليهم، كما هو معلوم. والعلم عند الله تعالى[١].

٣٤- وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧﴾ [المطففين: ٧].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧﴾ قَالَ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْعَرَبِيَّةِ: «كَلَّا» رَدْعٌ وَتَنْبِيهٌ، أَيْ: لَيْسَ الْأَمْرُ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ تَطْفِيفِ الْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ، أَوْ تَكْذِيبٍ بِالْآخِرَةِ، فَلْيَرْتَدِعُوا عَنْ ذَلِكَ. فَهِيَ كَلِمَةُ رَدْعٍ وَزَجْرٍ، ثُمَّ اسْتَأْنَفَ فَقَالَ: إِنَّ كِتابَ الفُجَّارِ. وَقَالَ الْحَسَنُ: «كَلَّا» بِمَعْنَى حَقًّا. وَرَوَى نَاسٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ كَلَّا قَالَ: أَلَا تُصَدِّقُونَ. فَعَلَى هَذَا: الْوَقْفُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ. وَفِي تَفْسِيرِ مُقَاتِلٍ: إِنَّ أَعْمَالَ الْفُجَّارِ.

وَرَوَى نَاسٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: إِنَّ أَرْوَاحَ الْفُجَّارِ وَأَعْمَالَهُمْ لَفِي سِجِّينٍ. وَرَوَى ابْنُ أَبِي نجيح عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: سِجِّينٌ صَخْرَةٌ تَحْتَ الْأَرْضِ السَّابِعَةِ، تُقْلَبُ فَيُجْعَلُ كِتَابُ الْفُجَّارِ تَحْتَهَا. وَنَحْوَهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةَ وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَمُقَاتِلٍ وَكَعْبٍ، قَالَ كَعْبٌ: تَحْتَهَا أَرْوَاحُ الْكُفَّارِ تَحْتَ خَدِّ إِبْلِيسَ.

وَعَنْ كَعْبٍ أَيْضًا قَالَ: سِجِّينٌ صَخْرَةٌ سَوْدَاءُ تَحْتَ الْأَرْضِ السَّابِعَةِ، مَكْتُوبٌ فِيهَا اسْمُ كُلِّ شَيْطَانٍ، تُلْقَى أَنْفُسُ الْكُفَّارِ عِنْدَهَا. وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: سِجِّينٌ تَحْتَ خَدِّ إِبْلِيسَ.

---

(١) «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» (٨/ ٤٤٨).

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ سَلَّامٍ: حَجَرٌ أَسْوَدُ تَحْتَ الْأَرْضِ، يُكْتَبُ فِيهِ أَرْوَاحُ الْكُفَّارِ. وَقَالَ عَطَاءٌ الْخُرَاسَانِيُّ: هِيَ الْأَرْضُ السَّابِعَةُ السُّفْلَى، وَفِيهَا إِبْلِيسُ وَذُرِّيَّتُهُ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: إِنَّ الْكَافِرَ يَحْضُرُهُ الْمَوْتُ، وَتَحْضُرُهُ رُسُلُ اللَّهِ، فَلَا يَسْتَطِيعُونَ لِبُغْضِ اللَّهِ لَهُ وَبُغْضِهِمْ إِيَّاهُ، أَنْ يُؤَخِّرُوه وَلَا يُعَجِّلُوه حَتَّى تَجِيءَ سَاعَتُهُ، فَإِذَا جَاءَتْ سَاعَتُهُ قَبَضُوا نَفْسَهُ، وَرَفَعُوهُ إِلَى مَلَائِكَةِ الْعَذَابِ، فَأَرَوْهُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يُرُوهُ مِنَ الشَّرِّ، ثُمَّ هَبَطُوا بِهِ إِلَى الْأَرْضِ السَّابِعَةِ، وَهِيَ سِجِّينٌ، وَهِيَ آخِرُ سُلْطَانِ إِبْلِيسَ، فَأَثْبَتُوا فِيهَا كِتَابَهُ.

وَعَنْ كَعْبِ الْأَحْبَارِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ قَالَ: إِنَّ رُوحَ الْفَاجِرِ إِذَا قُبِضَتْ يُصْعَدُ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ فَتَأْبَى السَّمَاءُ أَنْ تَقْبَلَهَا، ثُمَّ يُهْبَطُ بِهَا إِلَى الْأَرْضِ فَتَأْبَى الْأَرْضُ أَنْ تَقْبَلَهَا، فَتَدْخُلُ فِي سَبْعِ أَرَضِينَ، حَتَّى يُنْتَهَى بِهَا إِلَى سِجِّينٍ، وَهُوَ خَدُّ إِبْلِيسَ. فَيُخْرَجُ لَهَا مِنْ سِجِّينٍ مِنْ تَحْتِ خَدِّ إِبْلِيسَ رَقٌّ، فَيُرْقَمُ فَيُوضَعُ تَحْتَ خَدِّ إِبْلِيسَ. وَقَالَ الْحَسَنُ: سِجِّينٌ فِي الْأَرْضِ السَّابِعَةِ. وَقِيلَ: هُوَ ضَرْبُ مَثَلٍ وَإِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَرُدُّ أَعْمَالَهُمُ الَّتِي ظَنُّوا أَنَّهَا تَنْفَعُهُمْ. قَالَ مُجَاهِدٌ: الْمَعْنَى: عَمَلُهُمْ تَحْتَ الْأَرْضِ السَّابِعَةِ لَا يَصْعَدُ مِنْهَا شيء. وَقَالَ: سِجِّينٌ صَخْرَةٌ فِي الْأَرْضِ السَّابِعَةِ. وَقَالَ فِي الْفَلَقِ: (إِنَّهُ جُبٌّ مُغَطًّى). وَقَالَ أَنَسٌ: هِيَ دَرَكَةٌ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى. وَقَالَ أَنَسٌ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «سِجِّينٌ أَسْفَلَ الْأَرْضِ السَّابِعَةِ». وَقَالَ عِكْرِمَةُ: سِجِّينٌ: خَسَارٌ وَضَلَالٌ، كَقَوْلِهِمْ لِمَنْ سَقَطَ قَدْرُهُ: قَدْ زَلِقَ بِالْحَضِيضِ. وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ وَالْأَخْفَشُ وَالزَّجَّاجُ: لَفِي سِجِّينٍ: لَفِي حَبْسٍ وَضِيقٍ شَدِيدٍ، فِعِّيلٌ مِنَ السَّجْنِ، كَمَا يَقُولُ: فِسِّيقٌ وَشِرِّيبٌ، قَالَ ابْنُ مُقْبِلٍ:

وَرُفْقَةٌ يَضْرِبُونَ الْبَيْضَ ضَاحِيَةً ... ضَرْبًا تَوَاصَتْ بِهِ الْأَبْطَالُ سِجِّينا

وَالْمَعْنَى: كِتَابُهُمْ فِي حَبْسٍ، جُعِلَ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى خَسَاسَةِ مَنْزِلَتِهِمْ، أَوْ لِأَنَّهُ يَحِلُّ مِنَ الْإِعْرَاضِ عَنْهُ وَالْإِبْعَادِ لَهُ مَحَلَّ الزَّجْرِ وَالْهَوَانِ. وَقِيلَ: أَصْلُهُ سِجِّيلٌ، فَأُبْدِلَتِ اللَّامُ نُونًا. وَقَدْ تَقَدَّمَ ذَلِكَ. وَقَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ: سِجِّينٌ فِي الْأَرْضِ السَّافِلَةِ، وَسِجِّيلٌ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا. الْقُشَيْرِيُّ: سِجِّينٌ: مَوْضِعٌ فِي السَّافِلِينَ، يُدْفَنُ فِيهِ كِتَابُ هَؤُلَاءِ، فَلَا يَظْهَرُ بَلْ يَكُونُ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ كَالْمَسْجُونِ. وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى خُبْثِ أَعْمَالِهِمْ وَتَحْقِيرِ اللَّهِ إِيَّاهَا؛ وَلِهَذَا قَالَ فِي كِتَابِ الْأَبْرَارِ: يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ[(١)].

أَيْ: إِنَّ مَصِيرَهُمْ وَمَأْوَاهُمْ لَفِي سِجِّينٍ - فِعِيلٍ مِنَ السَّجن، وَهُوَ الضِّيقُ - كَمَا يُقَالُ: فِسِّيقٌ وَشِرِّيبٌ وَخِمِّيرٌ وَسِكِّيرٌ[(٢)].

٣٥- ﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣﴾ [الأعلى: ٣].

﴿فَهَدَىٰ﴾ الخبر عن هدايته خلقه، ولم يخصص من ذلك معنى دون معنى، وقد هداهم لسبيل الخير والشر، وهدى الذكور لمأتى الإناث، فالخبر على عمومه حتى يأتي خبر تقوم به الحجة دالّ على خصوصه. واجتمعت قرّاء الأمصار على تشديد الدال من «قَدَّر»، غير الكسائي فإنه خفَّفها[(٣)].

٣٦- في تَفْسِيرِ قَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾ [البلد: ١٠].

والصواب في ذلك عندنا قول من قال: عُنِي بذلك طريق الخير والشرّ؛ وذلك أنه لا قول في ذلك نعلمه غير القولين اللذين ذكرنا، والثديان وإن كانا سبيلي اللبن، فإن الله تعالى ذكره إذ عدّد على العبد نِعَمه بقوله: ﴿إِنَّا

---

(١) «تفسير ابن كثير» ت سلامة (٨/ ٣٤٩).

(٢) «تفسير القرطبي» (١٩/ ٢٥٧) بتصرف قليل.

(٣) «تفسير الطبري = جامع البيان» ت شاكر (٢٤/ ٣٦٩).

خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ [الإنسان: ٢، ٣] إنما عدّد عليه هدايته إياه إلى سبيل الخير من نعمه، فكذلك قوله: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾[١].

عْنِي الطَّرِيقَيْنِ: طَرِيقَ الْخَيْرِ وَطَرِيقَ الشَّرِّ. أَيْ: بَيَّنَّاهُمَا لَهُ بِمَا أَرْسَلْنَاهُ مِنَ الرُّسُلِ. وَالنَّجْدُ. الطَّرِيقُ فِي ارْتِفَاعٍ. وَهَذَا قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ مَسْعُودٍ وَغَيْرِهِمَا[٢].

٣٧- قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾﴾ [الشمس: ٨].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فبَيَّن لها ما ينبغي لها أن تأتي أو تذر من خير أو شرّ، أو طاعة أو معصية[٣].

﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي رِوَايَةِ عَلِيِّ بْنِ أبي طلحة: بَيَّنَ لَهَا الْخَيْرَ وَالشَّرَّ. وَقَالَ فِي رِوَايَةِ عَطِيَّةَ: عَلَّمَهَا الطَّاعَةَ وَالْمَعْصِيَةَ. وَرَوَى الْكَلْبِيُّ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْهُ: عَرَّفَهَا مَا تَأْتِي مِنَ الْخَيْرِ وَمَا تَتَّقِي مِنَ الشَّرِّ.

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: أَلْزَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا. قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: جَعَلَ فِيهَا ذَلِكَ، يَعْنِي بِتَوْفِيقِهِ إِيَّاهَا لِلتَّقْوَى، وَخِذْلَانِهِ إِيَّاهَا لِلْفُجُورِ. وَاخْتَارَ الزَّجَّاجُ هَذَا، وَحَمَلَ الْإِلْهَامَ عَلَى التَّوْفِيقِ وَالْخِذْلَانِ، وَهَذَا يُبَيِّنُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ فِي الْمُؤْمِنِ التَّقْوَى وَفِي الْكَافِرِ الْفُجُورَ[٤].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) «تفسير القرطبي» (٢٠/ ٦٥).

(٣) «تفسير الطبري = جامع البيان» ت شاكر (٢٤/ ٤٥٤).

(٤) «تفسير البغوي» - طيبة (٨/ ٤٣٨).

المسألة الثانية: آيات تدل على أن الله تعالى يختم على قلوب من أراد من عباده، فهم لا يهتدون إلى الحق ولا يسمعونه ولا يبصرونه وأنه طبع على قلوبهم[1].

وهنا تنبيه: سأكتفي بذكر الآيات دون التفسير لها لما ذكرته في المسألة الأولى وذلك خشية التَّكرار والإطالة.

١- قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٧﴾ [البقرة: ٦، ٧].

٢- قال تعالى: ﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٥٥].

٣- قال تعالى: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٤١].

٤- قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا ۚ﴾ [الأنعام: ٢٥].

٥- قال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

٦- قال تعالى: ﴿رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٩٣].

٧- قال تعالى: ﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ٨٧].

---

(١) «الإبانة الكبرى» لابن بطة (٣/ ٢٥٣) بتصرف يسير.

٨- قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾ [النحل: ١٠٨].

٩- قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾﴾ [الإسراء: ٤٥، ٤٦].

١٠- قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾﴾ [الكهف: ٥٧].

١١- قال تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾﴾ [الشعراء: ١٩٨- ٢٠١].

١٢- قال تعالى: ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾ [يس: ٧- ١٠].

١٣- قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الجاثية: ٢٣].

١٤- قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٦].

١٥- قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾﴾ [المنافقون: ٣].

فهذا ونحوه من القرآن مما يستدل به العقلاء من عباد الله المؤمنين على

أن الله ﷻ خلق خلقًا من عباده أراد بهم الشقاء، فكتب ذلك عليهم في أُم الكتاب عنده، فختم على قلوبهم، فحال بينهم وبين الحق أن يقبلوه، وغشى أبصارهم عنه فلم يبصروه، وجعل في آذانهم الوقر فلم يسمعوه، وجعل قلوبهم ضيقة حرجة وجعل عليها أكنة ومنعها الطهارة فصارت رجسة لأنه خلقهم للنار، فحال بينهم وبين قَبول ما ينجيهم منها[1] تدبر قوله تعالى

١٦- ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

١٧- وقال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٩].

المسألة الثالثة: آيات تدل على أن الله تعالى يُضل من يشاء ويهدي من يشاء، وأنه لا يهتدي بالمرسلين والكتب والآيات والبراهين إلا مَن سبق في علم الله أنه يهديه[2].

وهنا تنبيه: سأكتفي بذكر الآيات دون التفسير لها لما ذكرته في المسألة الأولى وذلك خشية التَّكرار والإطالة.

١- قال الله ﷻ: ﴿۞ فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا۟ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾﴾ [النساء: ٨٨].

٢- وفيها أيضًا: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾﴾ [النساء: ١٤٣].

(١) «الإبانة الكبرى» لابن بطة (٣/ ٢٥٦).

(٢) «الإبانة الكبرى» لابن بطة (٣/ ٢٥٩) بتصرف يسير.

٣- وقال تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكۡمٌ فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُۖ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٣٩﴾ [الأنعام: ٣٩].

٤- وفيها: ﴿قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٩].

٥- وفيها: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَنَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ١١٠﴾ [الأنعام: ١١٠].

٦- وفيها: ﴿۞ وَلَوۡ أَنَّنَا نَزَّلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَحَشَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ كُلَّ شَيۡءٖ قُبُلٗا مَّا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَجۡهَلُونَ ١١١﴾ [الأنعام: ١١١].

٧- وفيها: ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكَ إِعۡرَاضُهُمۡ فَإِنِ ٱسۡتَطَعۡتَ أَن تَبۡتَغِيَ نَفَقٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ سُلَّمٗا فِي ٱلسَّمَآءِ فَتَأۡتِيَهُم بِـَٔايَةٖۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمۡ عَلَى ٱلۡهُدَىٰۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٣٥﴾ [الأنعام: ٣٥].

٨- وقال في سورة الأعراف: ﴿مَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥۚ وَيَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ١٨٦﴾ [الأعراف: ١٨٦].

٩- وقال في سورة الرعد: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ ٢٧﴾ [الرعد: ٢٧].

١٠- وقال فيها: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧]. قال: أنت المنذر والله الهادي[(١)].

١١- وقال فيها: ﴿أَفَلَمۡ يَاْيۡـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۗ﴾ [الرعد: ٣١].

١٢- وقال فيها: ﴿بَلۡ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكۡرُهُمۡ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَن يُضۡلِلِ

(١) «الإبانة الكبرى» لابن بطة (٣/ ٢٦٠).

ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الرعد: ٣٣].

١٣- وقال في سورة إبراهيم: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ﴾ [إبراهيم: ٤].

١٤- وقال في سورة النحل: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾﴾ [النحل: ٩].

١٥- وقال فيها: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [النحل: ٣٦، ٣٧].

١٦- وقال في سورة بني إسرائيل: ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ﴾ [الإسراء: ٩٧].

١٧- وقال في الكهف: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧].

١٨- وقال في الحج: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ [الحج: ١٦].

١٩- وقال في سورة النور: ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ﴾ [النور: ٣٥].

٢٠- ثم قال: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

٢١- وفيها أيضًا: ﴿لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾﴾ [النور: ٤٦].

٢٢- وقال في القصص: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص: ٥٦].

٢٣- وقال في الروم: ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن

يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الروم: ٢٩].

٢٤- وقال في سجدة لقمان: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾ [السجدة: ١٣].

٢٥- وقال في سورة الملائكة: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾﴾ [فاطر: ٨].

٢٦- وقال في الزمر: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣].

٢٧- وقال لنبيه عليه الصلاة والسلام في هذه السورة: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾﴾ [الزمر: ٣٦، ٣٧].

٢٨- وقال في حم المؤمن: ﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾ [غافر: ٣٣].

٢٩- وقال في سورة المدثر: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ﴾ [المدثر: ٣١].

فَفِي كُلِّ هَذِهِ الْآيَاتِ يُعْلِمُ اللَّهُ ﷻ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُ هُوَ الْهَادِي الْمُضِلُّ، وَأَنَّ الرُّسُلَ لَا يَهْتَدِي بِهَا إِلَّا مَنْ هَدَاهُ اللَّهُ، وَلَا يَأْبَى الْهِدَايَةَ إِلَّا مَنْ أَضَلَّهُ اللَّهُ، وَلَوْ كَانَ مَنِ اهْتَدَى بِالرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ مُهْتَدِيًا بِغَيْرِ هِدَايَتِهِ لَكَانَ كُلُّ مَنْ جَاءَهُمُ الْمُرْسَلُونَ مُهْتَدِينَ لِأَنَّ الرُّسُلَ بُعِثُوا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ وَنَصِيحَةً لِمَنْ أَطَاعَهُمْ مِنَ الْخَلِيقَةِ أَجْمَعِينَ، فَلَوْ كَانَتِ الْهِدَايَةُ إِلَيْهِمْ لَمَا ضَلَّ أَحَدٌ جَاءُوهُ[1].

---

(١) «الإبانة الكبرى» لابن بطة (٣/ ٢٦٤).



المسألة الرابعة: آيات تدل على أن الله تعالى أرسل المرسلين إلى الناس يدعونهم إلى عبادة رب العالمين، ثم أرسل الشياطين على الكافرين تحرضهم على تكذيب المرسلين، ومَن أنكر ذلك فهو من الفِرق الهالكة(١).

وهنا تنبيه: سأكتفي بذكر الآيات دون التفسير لها لما ذكرته في المسألة الأولى وذلك خشية التَّكرار والإطالة.

وَفَرْضٌ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَنْ يُؤْمِنُوا وَيُصَدِّقُوا بِأَنَّ عِلْمَ اللَّهِ ﷻ قَدْ سَبَقَ وَنَفَذَ فِي خَلْقِهِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ، كَيْفَ يَخْلُقُهُمْ، وَمَاذَا هُمْ عَامِلُونَ، وَإِلَى مَاذَا هُمْ صَائِرُونَ، فَكَتَبَ ذَلِكَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ وَهُوَ أُمُّ الْكِتَابِ، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ قَوْلُهُ ﷻ(٢):

١- قوله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج: ٧٠].

يَقُولُ: أَحْصَى مَا هُوَ كَائِنٌ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ، فَخَلَقَهُمْ عَلَى ذَلِكَ الْعِلْمِ السَّابِقِ فِيهِمْ، ثُمَّ أَرْسَلَ بَعْدَ الْعِلْمِ بِهِمْ وَالْكِتَابِ الرُّسُلَ إِلَى بَنِي آدَمَ يَدْعُونَهُمْ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ، وَيَنْهُونَهُمْ عَنِ الشِّرْكِ بِاللَّهِ وَمَعْصِيَتِهِ، يَدُلُّكَ عَلَى تَصْدِيقِ ذَلِكَ قَوْلُهُ ﷻ لِنَبِيِّهِ ﷺ(٣):

٢- ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

فَالرُّسُلُ فِي الظَّاهِرِ تَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ وَتَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَتِهِ وَطَاعَتِهِ، ثُمَّ أَرْسَلَ

---

(١) «الإبانة الكبرى» لابن بطة (٣/ ٢٦٧) بتصرف يسير.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ يَدْعُونَهُمْ إِلَى الشِّرْكِ وَالْمُقَامِ عَلَى الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي. كُلُّ ذَلِكَ لِيُتِمَّ مَا عَلِمَ، وَلَا يَكُونُ إِلَّا مَا أَمَرَ، فَسُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ هَذَا هَكَذَا وَحَجَبَ قُلُوبَ الْخَلْقِ وَمَنَعَهُمْ عَلَى مُرَادِهِ فِي ذَلِكَ وَجَعَلَهُ سِرَّهُ الْمَخْزُونَ وَعِلْمَهُ الْمَكْتُومَ، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى(١):

٣- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ [مريم: ٨٣].

٤- وقال تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْۚ﴾ [البقرة: ١٠٢].

أَمَا تَرَى كَيْفَ أَعْلَمَنَا أَنَّ السِّحْرَ كُفْرٌ، وَأَنَّهُ أَنْزَلَهُ عَلَى هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَجَعَلَهُمَا فِتْنَةً لِيَكْفُرَ مَنْ كَتَبَهُ كَافِرًا بِفِتْنَتِهِمَا، وَأَنَّ السِّحْرَ الَّذِي يُعَلِّمَانِهِ النَّاسَ كُفْرٌ، وَأَنَّهُ لَا يَضُرُّ أَحَدًا إِلَّا مَنْ قَدْ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ يَضُرَّهُ السِّحْرُ، وَذَلِكَ عَدْلٌ مِنْهُ سُبْحَانَهُ(٢).

٥- وقال ﷻ: ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾﴾ [الصافات: ١٦٢، ١٦٣].

٦- وقال تعالى: ﴿۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِۖ إِنَّهُمْ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [فصلت: ٢٥].

---

(١) «الإبانة الكبرى» لابن بطة (٣/ ٢٦٨).

(٢) «الإبانة الكبرى» لابن بطة (٣/ ٢٦٩).

٧- وقال ﷻ: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ۝٣٦ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الزخرف: ٣٦، ٣٧].

فَقَدْ أَخْبَرَنَا اللَّهُ ﷻ فِي كِتَابِهِ وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ أَنَّهُ يُرْسِلُ الشَّيَاطِينَ فِتْنَةً لِلْكَافِرِينَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ وَمَنْ سَبَقَتْ عَلَيْهِ الشِّقْوَةُ حَتَّى يَؤُزُّوهُمْ أَزًّا، وَيُحَرِّضُوهُمْ عَلَى الْكُفْرِ تَحْرِيضًا، وَيُزَيِّنُوا لَهُمْ سُوءَ أَعْمَالِهِمْ، وَكَذَلِكَ أَخْبَرَنَا أَنَّهُ هُوَ تَعَالَى فَتَنَ قَوْمَ مُوسَى حَتَّى عَبَدُوا الْعِجْلَ وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ(١).

٨- وقال ﷻ: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ۝٨٥﴾ [طه: ٨٥].

٩- وقال ﷻ: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥].

١٠- وقال ﷻ: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨].

١١- وقال ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [غافر: ٣٧].

فَهَذَا كَلَامُ اللَّهِ ﷻ وَإِخْبَارُهُ عَنْ فِعْلِهِ فِي خَلْقِهِ، يُعْلِمُهُمْ أَنَّ الْمَفْتُونَ مَنْ فَتَنَهُ، وَالْهَادِيَ مَنْ هَدَاهُ، وَالضَّالَّ مَنْ أَضَلَّهُ وَحَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْهُدَى، وَأَنَّ الشَّيَاطِينَ هُوَ خَلَقَهَا وَسَلَّطَهَا، وَالسِّحْرَ هُوَ أَنْزَلَهُ عَلَى السَّحَرَةِ، وَأَنَّهُ لَا يَضُرُّ أَحَدًا إِلَّا بِإِذْنِهِ، فَتَعِسَ عَبْدٌ وَانْتَكَسَ سَمِعَ هَذَا الْكَلَامَ الْفَصِيحَ الَّذِي جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ الصَّادِقُ ﷺ مِنْ كِتَابِ رَبِّهِ النَّاطِقِ فَيَتَصَامَمُ عَنْهُ وَيَتَغَافَلُ، وَيَتَمَحَّلُ لِآرَائِهِ وَأَهْوَائِهِ الْمَقَايِيسَ بِالْكَلَامِ الْمُزَخْرَفِ وَالْقَوْلِ الْمُحَرَّفِ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَحُبِّ الْأَتْبَاعِ وَالْأَشْيَاعِ(٢) فنظر قوله سبحانه: ﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل: ٢٥].

---

(١) «الإبانة الكبرى» لابن بطة (٣/ ٢٧٠).

(٢) «الإبانة الكبرى» لابن بطة (٣/ ٢٧١).

قال وكيع: حدثنا سفيان، عن أشعث، عن الحسن: ﴿مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ بِفَٰتِنِينَ ١٦٢﴾ قال: بمضلين ﴿إِلَّا مَنۡ هُوَ صَالِ ٱلۡجَحِيمِ ١٦٣﴾ إلا مَن قَدَّر له أن يَصْلَى الجحيم[1].

المسألة الخامسة: آيات تدل علي أن مشيئة الخلق تبع لمشيئته تعالى وأن الخلق لا يشاءون إلا ما شاء الله ﷻ[2]:

وهنا تنبيه: سأكتفي بذكر الآيات دون التفسير لها لما ذكرته في المسألة الأولى وذلك خشية التَّكرار والإطالة.

١- قال الله ﷻ: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣].

٢- وقال: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

٣- وقال تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمۡ عَلَى ٱلۡهُدَىٰۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٥].

٤- وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمّٞ وَبُكۡمٞ فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الأنعام: ٣٩].

٥- وقال ﷻ: ﴿ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٦ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكُواْۗ وَمَا جَعَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ ١٠٧﴾ [الأنعام: ١٠٦، ١٠٧].

٦- وقال ﷻ: ﴿۞وَلَوۡ أَنَّنَا نَزَّلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَحَشَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ كُلَّ شَيۡءٖ قُبُلٗا مَّا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَجۡهَلُونَ﴾ [الأنعام: ١١١].

---

(١) أخرجه أبو داود في «سننه» (كتاب السنة، باب لزوم السنة ٤-٢٠٤)، و«الإبانة الكبرى» لابن بطة (٣/ ٢٧٢).

(٢) «الإبانة الكبرى» لابن بطة (٣/ ٢٧٣).

٧- وقال ﷻ: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [هود: ١١٨، ١١٩].

وعن منصور بن عبد الرحمن، قال: قلت للحسن: قوله ﷻ: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩]. قال: من رحم ربك غير مختلف. قلت: ولذلك خلقهم؟ قال: نعم، خلق هؤلاء للجنة وهؤلاء للنار، وخلق هؤلاء لرحمته وخلق هؤلاء لعذابه(١).

وعن الربيع بن أنس، عن أبي العالية: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: ٢٩]. قال: عادوا إلى علمه فيهم، ألم تسمع إلى قول الله ﷻ: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ [الأعراف: ٣٠](٢).

وعن أنس بن عياض، قال: قال أبو حازم في قوله تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾﴾ [الشمس: ٨]. قال: الفاجرة ألهمها الفجور، والتقية ألهمها التقوى(٣).

وعن الضحاك بن مزاحم في قول الله ﷻ: ﴿يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ [الأنفال: ٢٤]. قال: يَحُول بين الكافر وبين طاعته، وبين المؤمن وبين معصيته(٤).

فَالْقَدَرِيَّةُ الْمَخْذُولَةُ يَسْمَعُونَ هَذَا وَأَضْعَافَهُ، وَيَتْلُونَهُ وَيُتْلَى عَلَيْهِمْ، فَتَأْبَى

---

(١) أخرجه الفريابي في «القدر»، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (٨٥٤)، وابن أبي حاتم (١٢١٤٣)، و«الإبانة الكبرى» لابن بطة (٣/ ٢٧٤).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٣٩١)، والطبري (٨-١٥٦).

(٣) أخرجه الفريابي في «القدر»، وعبد الله بن أحمد في «السنة».

(٤) أخرجه عبد الرزاق في «التفسير» (٩٧٥)، والطبري (١٤٥٧٣).

قُلُوبُهُمْ قَبُولَهُ، وَيَرُدُّونَهُ كُلَّهُ وَيَجْحَدُونَهُ بَغْيًا وَعُلُوًّا وَأَنَفَةً مِنَ الْحَقِّ، وَتَكَبُّرًا عَلَى اللَّهِ ﷻ وَعَلَى كِتَابِهِ وَعَلَى رَسُولِهِ ﷺ وَعَلَى سُنَّتِهِ، وَلِلشِّقْوَةِ الْمَكْتُوبَةِ عَلَيْهِمْ، فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ إِلَّا مَا وَافَقَ أَهْوَاءَهُمْ، وَلَا يُصَدِّقُونَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَلَا مِنْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ إِلَّا مَا اسْتَحْسَنَتْهُ آرَاؤُهُمْ، فَهُمْ كَمَا قَالَ اللَّهُ ﷻ(١): ﴿۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾﴾ [الأنعام: ١١١].

هم كما قال ﷻ: ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١].

وَهَكَذَا الْقَدَرِيُّ الْخَبِيثُ الَّذِي قَدْ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِ الشَّيَاطِينَ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ، تَزْجُرُهُ بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى فَلَا يَنْزَجِرُ، وَسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ فَلَا يَذَّكَّرُ. وَبِقَوْلِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ فَلَا يَنْحَسِرُ، وَتَضْرِبُ لَهُ الْأَمْثَالَ فَلَا يَعْتَبِرُ، مُصِرٌّ عَلَى مَذْهَبِهِ الْخَبِيثِ النَّجِسِ الَّذِي خَالَفَ فِيهِ رَبَّ الْعَالَمِينَ وَالْمَلَائِكَةَ الْمُقَرَّبِينَ وَالْأَنْبِيَاءَ وَالْمُرْسَلِينَ وَالصَّحَابَةَ وَالتَّابِعِينَ وَجَمِيعَ فُقَهَاءِ الْمُسْلِمِينَ، وَضَارَعَ فِيهِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالصَّابِئِينَ، فَلَمْ يَجِدْ أَنِيسًا فِي طَرِيقَتِهِ وَلَا مُصَاحِبًا عَلَى مَذْهَبِهِ غَيْرَهُمْ.

أَعَاذَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْ مَذَاهِبِ الْقَدَرِيَّةِ وَالْأَهْوَاءِ الرَّدِيئَةِ وَالْبِدَعِ الْمُهْلِكَةِ الْمُرْدِيَةِ، وَجَعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ لِلْحَقِّ مُصَدِّقِينَ، وَعَنِ الْبَاطِلِ حَائِدِينَ، وَثَبَّتَنَا وَإِيَّاكُمْ عَلَى الدِّينِ الَّذِي رَضِيَهُ لِنَفْسِهِ وَاخْتَصَّ بِهِ مَنْ أَحَبَّهُ مِنْ عِبَادِهِ، الَّذِينَ عَلِمُوا أَنَّ قُلُوبَهُمْ بِيَدِهِ، وَهِمَمَهُمْ وَحَرَكَاتِهِمْ فِي قَبْضَتِهِ، فَلَا يَهُمُّونَ وَلَا يَتَنَفَّسُونَ إِلَّا بِمَشِيئَتِهِ، فَهُمْ فُقَرَاءُ إِلَيْهِ فِي سَلَامَةِ مَا خَوَّلَهُمْ مِنْ نِعَمِهِ، يَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً كَمَا أَمَرَهُمْ بِهِ مِنْ مَسْأَلَتِهِ(٢). قال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ

---

(١) «الإبانة الكبرى» لابن بطة (٣/ ٢٨٢).

(٢) «الإبانة الكبرى» لابن بطة (٣/ ٢٨٣).

إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ [آل عمران: ٨].

وعن النبي ﷺ كان يقول: «**يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**» ثم قرأ قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ [آل عمران: ٨](١).

وعَنْ أَبِي سُفْيَانَ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: «**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**». قَالَ: فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ، آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ، فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟ قَالَ: فَقَالَ: «**نَعَمْ، إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ** ﷻ **يُقَلِّبُهَا**»(٢).

---

(١) **حسن بشواهده:** أخرجه أحمد (٦-٢٩٤، ٣١٥)، و«مسند إسحاق بن راهويه» (ج٤/ ص١١٢ ح٦٥)، و«سنن الترمذي» (ج٥/ ص٥٣٨ ح٣٥٢٢).

(٢) **حسن:** أخرجه أحمد (٦-٢٩٤، ٣١٥)، وفيه كلام ينزله عن رتبة الصحيح. وأخرجه الضياء في «المختارة» (٢٢٢٣) من طريق عبد الله بن أحمد، عن أبيه، بهذا الإسناد. وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٠/ ٢٠٩ و١١/ ٣٦)، والترمذي (٢١٤٠)، وأبو يعلى (٣٦٨٧، ٣٦٨٨)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٢٢٥)، والطبري في «تفسيره» (٣/ ١٨٨)، والحاكم في «مستدركه» (١/ ٥٢٦)، والبغوي (٨٨)، والضياء (٢٢٢٢، ٢٢٢٤) من طريق أبي معاوية محمد بن خازم، به. وأخرجه البخاري في «الأدب» (٦٨٣) من طريق أبي الأحوص سلام بن سليم، عن الأعمش، عن أبي سفيان ويزيد الرقاشي، عن أنس. وأخرجه ابن ماجه (٣٨٣٤) من طريق عبد الله بن نمير، والطبراني في «الدعاء» (١٢٦١) من طريق سليمان بن طرخان، والآجري في «الشريعة» (ص٣١٧) من طريق إبراهيم بن عيينة، ثلاثتهم عن الأعمش، عن يزيد الرقاشي وحده عن أنس. ويزيد ضعيف لكن تابعه أبو سفيان كما سلف.

وأخرجه مختصرًا الطبراني في «الكبير» (٧٥٩) من طريق إسماعيل بن عمرو البجلي، عن قيس بن الربيع، عن الأعمش، عن ثابت، عن أنس، وهذا إسناد ضعيف. =

فَاعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ أَنَّ هَذِهِ طَرِيقَةُ الْأَنْبِيَاءِ عليهم السلام وَبِذَلِك تَعَبَّدَهُمُ اللَّهُ، وَأَخْبَرَ بِهِ عَنْهُمْ فِي كِتَابِهِ أَنَّ الْمَشِيئَةَ لِلَّهِ عز وجل وَحْدَهُ، لَيْسَ أَحَدٌ يَشَاءُ لِنَفْسِهِ شَيْئًا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ وَنَفْعٍ وَضَرٍّ وَطَاعَةٍ وَمَعْصِيَةٍ إِلَّا أَنْ يَشَاءَهَا اللَّهُ، وَبِالتَّبَرِّي إِلَيْهِ مِنْ مَشِيئَتِهِمْ وَمِنْ حَوْلِهِمْ وَقُوَّتِهِمْ وَمِنِ اسْتِطَاعَتِهِمْ، بِذَلِك أَخْبَرَ عَنْ نُوحٍ عليه السلام حِينَ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ[1]: ﴿يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [هود: ٣٢].



فقال نوح عليه السلام مجيبا لهم: ﴿إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [هود: ٣٣، ٣٤].

= إسماعيل بن عمرو ضعيف، وقيس بن الربيع تكلم في أحاديثه أيضًا.
وأخرجه أبو يعلى (٢٣١٧)، والطبري في «تفسيره» (٣/ ١٨٨)، والحاكم (٢/ ٢٨٨-٢٨٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٥٦) من طريق سفيان الثوري، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر بن عبد الله.
قال الترمذي بعد روايته الحديث من طريق أنس: حديث حسن. وهكذا روى غير واحد عن الأعمش عن أبي سفيان عن أنس، وروى بعضُهم عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر عن النبي ﷺ، وحديثُ أبي سفيان عن أنس أصح.
وسيأتي من طريق أبي سفيان (١٣٦٩٦).
وفي الباب عن عبد الله بن عمرو بن العاص سلف برقم (٦٥٦٩)، وسلفت عنده أحاديث الباب، ونزيد عليها هنا حديث عاصم بن كليب، عن أبيه، عن جده، عند الترمذي (٣٥٨٧).
قال السندي: «فهل تخاف علينا؟» كأنهم رأوا أن دعاءه لتعليم الأمة خوفًا.
وأخرجه الآجري في «الشريعة» (ص٣١٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٢٢)، والضياء (٢٢٢٥) من طريق فضيل بن عياض، عن الأعمش، به.

(١) «الإبانة الكبرى» لابن بطة (٣/ ٢٨٧).

فَلَوْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا تَزْعُمُ الْقَدَرِيَّةُ كَانَتِ الْحُجَّةُ قَدْ ظَهَرَتْ عَلَى نُوحٍ مِنْ قَوْمِهِ، وَلَقَالُوا لَهُ: إِنْ كَانَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَنَا فَلِمَ أَرْسَلَكَ إِلَيْنَا، وَلِمَ تَدْعُونَا إِلَى خِلَافِ مُرَادِ اللَّهُ لَنَا؟

وَلَوْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا تَزْعُمُ هَذِهِ الطَّائِفَةُ بِقَدَرِ اللَّهِ وَمَشِيئَتِهِ فِي خَلْقِهِ، وَتَزْعُمُ أَنَّهُ يَكُونُ مَا يُرِيدُهُ الْعَبْدُ الضَّعِيفُ الذَّلِيلُ لِنَفْسِهِ، وَلَا يَكُونُ مَا يُرِيدُهُ الرَّبُّ الْقَوِيُّ الْجَلِيلُ لِعِبَادِهِ، فَلِمَ حَكَى اللَّهُ ﷻ مَا قَالَهُ نُوحٌ لِقَوْمِهِ مُثْنِيًا عَلَيْهِ وَرَاضِيًا بِذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ؟

وَقَالَ شُعَيْبٌ ﵇[1]: ﴿قَدِ ٱفۡتَرَيۡنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنۡ عُدۡنَا فِي مِلَّتِكُم بَعۡدَ إِذۡ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنۡهَاۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَاۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ﴾ [الأعراف: ٨٩].

ثم قال شعيب في موضع آخر: ﴿وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

وقال إبراهيم ﵇ في محاجته لقومه: ﴿أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٨٠﴾ [الأنعام: ٨٠].

وقال أيضًا فيما حكاه عن إبراهيم وشدة خوفه وإشفاقه على نفسه وولده أن يُبلى بعبادة الأصنام: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

وقال فيما أخبر عن يوسف ﵇ ولجئه إلى ربه، وخوفه الفتنة على نفسه إن لم يكن هو المتولي لعصمته: ﴿رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا

(١) «الإبانة الكبرى» لابن بطة (٣/ ٢٨٧).

تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣].

قال الله ﷻ: ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٤﴾ [يوسف: ٣٤]. ثم أخبرنا تعالى أن العصمة في البداية وإلهامه إياه الدعوة كانت بالعناية من مولاه الكريم به، فقال: ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٢٤﴾ [يوسف: ٢٤].

وقال ﷻ فيما أخبر عن موسى حين دعا على فرعون وقومه بأن لا يؤمنوا وعن استجابته له وإعطائه ما سأل: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيۡتَ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمۡوَٰلًا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَۖ رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ٨٨﴾ [يونس: ٨٨].

قال الله تعالى: ﴿قَدۡ أُجِيبَت دَّعۡوَتُكُمَا﴾ [يونس: ٨٩].

وقال فيما أعلمه لنوح بكفر قومه وتكذيبهم له: ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ [هود: ٣٦]. وقال تعالى فيما أخبر عن أهل النار واعترافهم بأن الهداية من الله ﷻ: ﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعًا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا مِنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ قَالُواْ لَوۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيۡنَٰكُمۡۖ﴾ [إبراهيم: ٢١].

فَاعْتَرَفُوا أَهْلُ النَّارِ بِأَنَّ اللَّهَ ﷻ مَنَعَهُمُ الْهِدَايَةَ، وَأَنَّهُ لَوْ هَدَاهُمُ اهْتَدَوْا.

فَاسْمَعُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ إِلَى كِتَابِ رَبِّكُمْ، وَانْظُرُوا، هَلْ تَجِدُونَ فِيهِ مَطْمَعًا لِمَا تَدَّعِيهِ الْقَدَرِيَّةُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْيِ الْقُدْرَةِ وَالْمَشِيئَةِ وَالْإِرَادَةِ عَنْهُ وَإِضَافَةِ الْقُدْرَةِ وَالْمَشِيئَةِ إِلَى أَنْفُسِهِمْ، وَتَفَهَّمُوا قَوْلَ الْأَنْبِيَاءِ لِقَوْمِهِمْ وَكَلَامَ أَهْلِ النَّارِ وَاعْتِذَارَ بَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ بِمَنْعِ اللَّهِ الْهِدَايَةَ لَهُمْ، وَاللَّهُ ﷻ يَحْكِي ذَلِكَ كُلَّهُ عَنْهُمْ غَيْرَ مُكَذِّبٍ لَهُمْ وَلَا رَادٍّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ.

وَاعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ أَنَّ اللَّهَ ﷻ أَرْسَلَ رُسُلَهُ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَحُجَّةً عَلَى الْعَالَمِينَ، فَمَنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ الْإِيمَانَ آمَنَ، وَمَنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْفُرَ كَفَرَ، فَلَمْ يُجِبِ الرُّسُلَ إِلَى دَعْوَتِهِمْ وَلَمْ يُصَدِّقْهُمْ بِرِسَالَتِهِمْ إِلَّا مَنْ كَانَ فِي سَابِقِ عِلْمِ اللَّهِ أَنَّهُ مَرْحُومٌ مُؤْمِنٌ، وَلَمْ يُكَذِّبْهُمْ وَيَرُدَّ مَا جَاءُوا بِهِ إِلَّا مَنْ قَدْ سَبَقَ فِي عِلْمِ اللَّهِ أَنَّهُ شَقِيٌّ كَافِرٌ، وَعَلَى ذَلِكَ جَمِيعُ أَحْوَالِ الْعِبَادِ صَغِيرِهَا وَكَبِيرِهَا، كُلُّهَا مُثْبَتَةٌ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ وَالرَّقِّ الْمَنْشُورِ قَبْلَ خَلْقِ الْخَلْقِ، فَالْأَنْبِيَاءُ لَيْسَ يَهْتَدِي بِدَعْوَتِهِمْ وَلَا يُؤْمِنُ بِرِسَالَتِهِمْ إِلَّا مَنْ كَانَ فِي سَابِقِ عِلْمِ اللَّهِ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ بِهِمْ.

وَلَقَدْ حَرَصَ الْأَنْبِيَاءُ وَأَحَبُّوا الْهِدَايَةَ وَالْإِيمَانَ لِقَوْمٍ مِنْ أَهَالِيهِمْ وَآبَائِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ وَذَوِي أَرْحَامِهِمْ، فَمَا اهْتَدَى مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ الْهِدَايَةَ وَالْإِيمَانَ، وَلَقَدْ عُوتِبُوا فِي ذَلِكَ بِأَشَدِّ الْعَتْبِ، وَحَسْبُكَ بِقَوْلِ نُوحٍ ﵇[(١)]: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِى مِنۡ أَهۡلِى وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ﴾ [هود: ٤٥]. وبجواب الله ﷻ: ﴿فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦].

ثم أخبرنا بجملة دعوة المسلمين، وبماذا كانت الإجابة من قومهم أجمعين، فقال ﷻ في سورة النحل: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِى ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل: ٣٦].

ثم عَزَّى نبيه ﷺ في حرصه على هداية قومه بقوله: ﴿إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِى مَن يُضِلُّۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [النحل: ٣٧].

فمَن خذله الله بالمعصية، فمَن ذا الذي نصره بالطاعة؟ ثم قال لنبيه ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِى مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِى مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ [القصص:

(١) «الإبانة الكبرى» لابن بطة (٣/ ٢٩١).

٥٦]. وقال له أيضا: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ١٨٨﴾ [الأعراف: ١٨٨]. وقال ﷻ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُۚ﴾ [إبراهيم: ٤].

فَكُلُّ هَذَا يَدُلُّ الْعُقَلَاءَ، وَيُؤْمِنُ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ وَالْعُلَمَاءِ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ إِنَّمَا بُعِثُوا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ حُجَّةً عَلَى الْعَالَمِينَ، وَأَنَّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ لَهُ الْإِيمَانَ آمَنَ، وَمَنْ لَمْ يَشَأْ لَهُ الْإِيمَانَ لَمْ يُؤْمِنْ، وَأَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ مَفْرُوغٌ مِنْهُ، قَدْ عَلِمَ رَبُّنَا ﷻ الْمُؤْمِنَ مِنَ الْكَافِرِ، وَالْمُطِيعَ مِنَ الْعَاصِي، وَالشَّقِيَّ مِنَ السَّعِيدِ، وَكَتَبَ لِقَوْمٍ الْإِيمَانَ بَعْدَ الْكُفْرِ فَآمَنُوا، وَلِقَوْمٍ الْكُفْرَ بَعْدَ الْإِيمَانِ فَكَفَرُوا، وَالطَّاعَةَ بِالتَّوْبَةِ بَعْدَ الْمَعْصِيَةِ فَتَابُوا، وَعَلَى آخَرِينَ الشِّقْوَةَ فَكَفَرُوا فَمَاتُوا عَلَى كُفْرِهِمْ، وَكُلُّ ذَلِكَ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ(١).

فعن أبي نضرة، عن جابر، أو أبي سعيد أو بعض أصحاب النبي ﷺ قال: هذه الآية تقضي على القرآن كله ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧](٢).

فَاعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ أَنَّ مَنْ كَانَ عَلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَشَرِيعَةِ الْمُصْطَفَى ﷺ وَمَنْ كَانَ دِينُهُ دِينَ الْإِسْلَامِ وَمُحَمَّدٌ نَبِيَّهُ، وَالْقُرْآنُ إِمَامَهُ وَحُجَّتَهُ، وَسُنَّةُ الْمُصْطَفَى ﷺ نُورَهُ وَبَصِيرَتَهُ، وَالصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ أَئِمَّتَهُ وَقَادَتَهُ، وَهَذَا مَذْهَبَهُ وَطَرِيقَتَهُ، وَقَدْ ذَكَرْنَا الْحُجَّةَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ﷻ، فَفِيهِ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَغَيْظٌ لِلْجَاحِدِينَ.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «التفسير» (١٢١٣)، والطبري في «تفسيره» (١٧٠٠٣)، و«الإبانة الكبرى» لابن بطة (٣/ ٢٩٣).

(٢) «الإبانة الكبرى» لابن بطة (٣/ ٢٩٢).

وَنَحْنُ الْآنَ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ نَذْكُرُ الْحُجَّةَ مِنْ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا يُعِينُ اللَّهُ عَلَى ذِكْرِهِ، فَإِنَّ الْحُجَّةَ إِذَا كَانَتْ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﷻ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَلَمْ تَبْقَ لِمُخَالِفٍ عَلَيْهِمَا حُجَّةٌ إِلَّا بِالْبَهْتِ وَالْإِصْرَارِ عَلَى الْجُحُودِ وَالْإِلْحَادِ، وَإِيثَارِ الْهَوَى، وَاتِّبَاعِ أَهْلِ الزَّيْغِ وَالْعَمَى، وَسَنُتْبِعُ السُّنَّةَ أَيْضًا بِمَا رُوِيَ فِي ذَلِكَ عَنِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَمَا قَالَتْهُ فُقَهَاءُ الْمُسْلِمِينَ؛ لِيَكُونَ زِيَادَةً فِي بَصِيرَةٍ لِلْمُسْتَبْصِرِينَ، فَلَقَدْ ضَلَّ عَبْدٌ خَالَفَ طَرِيقَ الْمُصْطَفَى فَلَمْ يَرْضَ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ وَإِجْمَاعِ أَهْلِ دِينِهِ، فَقَدْ كُتِبَ عَلَيْهِ الشَّقَاءُ، وَلِأَجْلِ ذَلِكَ أَخْرَجَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ أُمَّتِهِ وَسَمَّاهُمْ يَهُودًا وَمَجُوسًا، وَقَالَ: «**إِنْ مَرِضُوا فَلَا تَعُودُوهُمْ، وَإِنْ مَاتُوا فَلَا تَشْهَدُوهُمْ**»، وَسَنَذْكُرُ ذَلِكَ فِي أَبْوَابِهِ وَمَوَاضِعِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ[(١)].

المسألة السادسة: القصص القرآني والإيمان بالقدر.

كان جميع الأنبياء والرسل ومَن تبعهم معتقدين بعقيدة التوحيد الخالصة الصحيحة، كما أوحى إليهم ربهم تبارك وتعالى، والإيمان بصفات الله تعالى، ومنها العلم والقدرة والإرادة والخلق، كلها داخلة في التوحيد الذي هو أساس دين الإسلام، وتحدث القرآن الكريم عن الأنبياء وغيرهم، وبيَّن قولهم بالقدر، وبأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لا يكون[(٢)].

١- في قصة نوح عليه الصلاة والسلام: قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَـٰنُوحُ قَدْ جَـٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [هود: ٣٢- ٣٤].

(١) «الإبانة الكبرى» لابن بطة (٣/ ٢٩٤).

(٢) «القضاء والقدر» لعبد الرحمن المحمود (ص١٢٦).

فهم قالوا لنوح عليه السلام مستعجلين: ﴿يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا﴾ أي: حاججتنا فأكثرت من ذلك، ونحن لا نتبعك، فأتنا بما تعدنا من العذاب. فأجابهم نوح مبينًا أن الأمر كله بيد الله تبارك وتعالى، فهو الذي يأتيكم بالعذاب إن شاء، ثم بَيَّن نوح أيضًا أن نصحه لا ينفع إذا كان الله يريد إغواءهم، فإرادة الله غالبة ومشيئته نافذة(١).

٢- وفي قصة إبراهيم عليه السلام مع ابنه إسماعيل عليه الصلاة والسلام لما أراد ذبحه بأمر الله، يقول: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الصافات: ١٠٢].

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ﴾ أي: بلغ أن ينصرف معه ويعينه(٢)، وفي هذا يكون في الغالب أحب ما يكون لوالديه، فرأى أبوه في المنام أن الله يأمره بذبحه، ورؤيا الأنبياء وحي، فقال الابن مستسلمًا: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾، فأخبر أنه مُوطِّن نفسه على الصبر، وقرن ذلك بمشيئة الله تعالى لأنه لا يكون شيء بدون مشيئة الله، وهذا هو الشاهد.

٣- وفي قصة يوسف عليه الصلاة والسلام: يقول الله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [يوسف: ١٠٠].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٢٥١، ٢٥٢)، و«تفسير السعدي» (٣/ ٤٢٢).

(٢) «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة (ص٢٧٣).

﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُۚ﴾ أي: إذا أراد أمرًا قَيَّض له أسبابًا ويَسَّره وقَدَّره، إنه هو العليم بمصالح عباده، الحكيم في أفعاله وأقواله، وقضائه وقدره، وما يختاره ويريده[1]، فيوسف عليه السلام كان مؤمنًا أن ما جرى ويجري له ولغيره إنما هو بقضاء الله وقدره[2].

٤- وموسى عليه الصلاة والسلام: ذكر الله عنه إيمانه بأن الهداية والإضلال بيد الله، وهما تحت مشيئته، فقال تعالى في معرض قصته: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَاۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰيَۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِي مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَاۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ١٥٥﴾ [الأعراف: ١٥٥].

فقوله: ﴿لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰيَۖ﴾: أي: لو شئت إهلاكنا لأهلكتنا بذنوبنا من قبل هذا الوقت، قال موسى اعترافًا بالذنب وتلهفًا على ما فرط من قومه، أو المعنى: لو شئت أهلكتهم وإياي من قبل خروجنا حتى يعاين بنو إسرائيل ذلك ولا يتهمونني، وهذا على أن ﴿لَوْ﴾ للتمني.

ثم قال: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِي مَن تَشَآءُۖ﴾: أي: ما هو إلا اختبارك وامتحانك تُضل بهما من تشاء وتهدي من تشاء، ولا هادي لمن أضللت، ولا مضل لمن هديت، فأنت وحدك لك الملك ولك الخلق والأمر[3].

فقول موسى هذا يدل على تصديقه وإيمانه بالقدر[4].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٣٣٦)، و«القضاء والقدر» لعبد الرحمن المحمود (ص١٢٧).

(٢) «القضاء والقدر» لعبد الرحمن المحمود (ص١٢٧).

(٣) «زاد المسير» لابن الجوزي (٣/ ٢٦٨، ٢٦٩).

(٤) «القضاء والقدر» للمحمود (ص١٢٨).

٥- وفي قصة موسى مع الشيخ الكبير حينما ورد ماء مدين: يقول تعالى عن الشيخ: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٢٧﴾ [القصص: ٢٧].

والشاهد قوله: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ أي: حسن الصحبة والوفاء، أو الصلاح العام، ويدخل فيه صلاح المعاملة من باب أولى، وقَيَّد ذلك بمشيئة الله تفويضًا للأمر إلى توفيق الله ومعونته[١].

٦- ويقول تعالى عن موسى عليه الصلاة والسلام والخضر بعد أن بَيَّن له أنه لا يستطيع الصبر معه، فأجابه موسى كما قال الله: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا ٦٩﴾ [الكهف: ٦٩]. سأصبر بمشيئة الله. ولكن هل الاستثناء شامل قوله: ﴿وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا﴾ أو لا؟ قولان للمفسرين، والأرجح شموله لهما[٢].

قال في «تفسير الجلالين»: ﴿قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا ٦٩﴾ أي: وغير عاصٍ ﴿لَكَ أَمۡرٗا﴾ تأمرني به، وقَيَّد بالمشيئة لأنه لم يكن على ثقة من نفسه فيما التزم، وهذه عادة الأنبياء والأولياء ألا يثقوا إلى أنفسهم طرفة عين[٣]. فتعليق الأمر بمشيئة الله تعالى دليل على إيمان موسى بأن أي شيء لا يكون إلا إذا أراده الله وشاءه.

وقصة موسى والخضر كلها في باب القدر، وقد وردت بتمامها في صحيح البخاري، وقال ﷺ: «**يرحم الله موسى، وددنا لو صبر حتى يقص علينا**

---

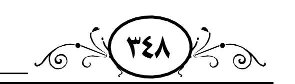
(١) «فتح القدير» للشوكاني (٤/ ١٦٩).

(٢) «تفسير القرطبي» (١١/ ١٧)، و«القضاء والقدر» للمحمود (ص١٢٩).

(٣) «تفسير الجلالين: حاشية الجمل «الفتوحات الإلهية» (٣/ ٣٧).

من أمرهما»[١].

٧- وبعد أن خسف الله بقارون وداره يقول تعالى عن قومه: ﴿وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْاْ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [القصص: ٨٢].

فقوله: ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾ لبعض عباده ويُضيّقه على بعضهم فله الأمر، يفعل ما يشاء [٢].

٨- ويقول تعالى عن زكريا ومريم: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [آل عمران: ٣٧].

فقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: الراجح أنه من كلام مريم، وهو يفيد التقرير بأن الله قد يرزق عباده بغير حساب، وأن ذلك مرتبط بمشيئته سبحانه[٣].

٩ ـ وفي قصة الرجل صاحب الجنتين يقول تعالى عن صاحبه أنه قال له وهو يحاوره: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾﴾ [الكهف: ٣٩] أي: هلا قلت عندما دخلتها: ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾، أي: الأمر بمشيئة الله، وما شاء الله كان، فترد أمر جنتك من الحسن والنضارة لخالقه سبحانه، ولا تفتخر به لأنه ليس من عملك وصنعك ﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ أي: وهلا قلت: ﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾، معترفًا بأنها وما فيها بمشيئة الله – تعالى – إن شاء أبقاها، وإن شاء أفناها، وأنك عاجز عنها وعن

---

(١) «البخاري، ك العلم، فتح الباري» (١/ ٣١٧).

(٢) «تفسير السعدي» (٦/ ٦١)، و«القضاء والقدر» (ص١٣٠).

(٣) «القضاء والقدر» د. عبد الرحمن المحمود (ص١٣١).

غيرها لولا معونة الله[١].

١٠- والجن يذكر تعالى أنهم قالوا: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ [الجن: ١٠]، فهم بعد أن مُنعوا من استراق السمع جزموا أن الله أراد أن يُحْدث في الأرض حادثًا كبيرًا من خير أو شر، فقالوا: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ﴾... الآية، فهم مؤمنون بأن الله له الإرادة المطلقة، وقد كانوا مؤدبين فقد أضافوا الخير إلى الله تعالى والشر حذفوا فاعله تأدبًا[٢][٣].

١١- وأما قَول الْأَنْبِيَاء عليهم السلام فقد قَالَ شُعَيْب: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

وَقَالَ إِبْرَاهِيم: ﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الأنعام: ٧٧].

وَقَالَ: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾ [الشعراء: ٧٨، ٧٩] أفرده بالهداية كَمَا أفرده بالخلق والرزق والشفاء وَالْإِمَاتَة والإحياء وَالْمَغْفِرَة يَوْم اللِّقَاء. والإمامية والقدرية فِي هَذِه الْآيَات يُؤمنُونَ بِبَعْضِهَا ويكفرون بِبَعْضِهَا[٤].

❊ ❊ ❊

(١) «فتح البيان في مقاصد القرآن» صِديق حسن خان (٥/ ٤٥٤).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢٦٧)، و«القضاء والقدر» د. عبد الرحمن المحمود (ص١٣١).

(٣) هذا المبحث من «الإيمان بالقدر» (ص: ١٦، بترقيم الشاملة آليًا).

(٤) «حز الغلاصم في إفحام المخاصم عند جريان النظر في أحكام القدر» (ص: ٢٤).

الفصل الثاني: الأدلة من السنة النبوية المطهرة

وبه عدة مسائل:

المسألة الأولى: إن الإيمان بالقدر يكاد يتواتر في أعلى درجات السنة أي: في «الصحيحين».

فقد كثر ذكر مسائل القدر في السنة عمومًا وفي الصحيحين خصوصًا، وإليك بيان ذلك:

أ- أن الانسان ميسر لما خُلق له:

١- وعن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رجل: يا رسول الله، أَعُلِمَ أهل الجنة من أهل النار؟ قال: «**نعم**»، قال: ففيم يعمل العاملون؟ قال: «**كلّ مُيَسَّر لما خُلق له**».

يقول ابن حجر في الفتح في بيان ذلك: قال: «كل ميسر لما خُلق له» وقد جاء هذا الكلام الأخير عن جماعة من الصحابة بهذا اللفظ يزيدون على العشرة سأشير إليها في آخر الباب الذي يلي الذي يليه، منها حديث أبي الدرداء عند أحمد بسند حسن بلفظ: «كل امرئ مهيأ لما خُلق له».

وفي الحديث إشارة إلى أن المآل محجوب عن المكلف، فعليه أن يجتهد في عمل ما أُمر به فإن عمله أمارة إلى ما يؤول إليه أمره غالبًا وإن كان بعضهم قد يُختم له بغير ذلك كما ثبت في حديث ابن مسعود وغيره، لكن لا اطلاع له على ذلك، فعليه أن يبذل جهده ويجاهد نفسه في عمل الطاعة لا يترك وكولًا إلى ما يؤول إليه أمره فيلام على ترك المأمور ويستحق العقوبة، وقد ترجم ابن حبان بحديث الباب: «ما يجب على المرء من التشمير في الطاعات وإن جرى قبلها ما يكره الله من المحظورات» ولمسلم من طريق

أبي الأسود عن عمران أنه قال له: أرأيت ما يعمل الناس اليوم أشيء قُضي عليهم ومضى فيهم من قدر قد سبق أو فيما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم؟ فقال: لا، بل شيء قضى عليهم ومضى فيهم، وتصديق ذلك في كتاب الله ﷻ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [الشمس: ٧، ٨].



وفيه قصة لأبي الأسود الدؤلي مع عمران وفيه قوله له: أيكون ذلك ظلمًا؟ فقال: لا كل شيء خَلْق الله ومِلْك يده فلا يُسأل عما يفعل. قال عياض: أورد عمران على أبي الأسود شبهة القدرية من تحكمهم على الله ودخولهم بآرائهم في حكمه، فلما أجابه بما دل على ثباته في الدين، قواه بذكر الآية وهي حد لأهل السنة.

وقوله: «كل شيء خَلْق الله وملكه» يشير إلى أن المالك الأعلى الخالق الآمر لا يُعترض عليه إذا تصرف في ملكه بما يشاء، وإنما يعترض على المخلوق المأمور(١).

ويقول في ذلك أيضًا أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: ٩٢٣هـ): (كلٌّ ميسّر) بتشديد السين المفتوحة (لما خُلق له) فعلى المكلف أن يدأب في الأعمال الصالحة فإن عمله أمارة إلى ما يؤول إليه أمره غالبًا ومطابقته للترجمة ظاهرة وسبق في القدر(٢).

وجاء في هذا المعنى أيضًا عدة روايات أخرى، مثل:

رواية «أيُعْرَفُ أهل الجنة من النار؟ قال: **«نعم»**، قال: فَلِمَ يعمل

---

(١) «فتح الباري مع هدي الساري» لابن حجر، ط/ المعرفة (١١/ ٤٩٣).

(٢) «شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري» (١٠/ ٤٦٩).

العاملون؟ قال: «**كلٌّ يعمل لما خُلِق له - أو: لما يُسِّر له -**»(١).

٢- ولمسلم من رواية أبي الأسود الدّيلي، قال: قال لي عمران بن حصين: أرأيتَ ما يعمل الناسُ اليوم ويكدحون فيه، أَشيءٌ قُضِيَ عليهم، ومَضَى عليهم من قَدَرِ قد سَبَق، أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نَبِيُّهُمْ وثَبَتتِ الحجَّةُ عليهم؟ فقلت: بل شيء قُضيَ عليهم ومضى عليهم. قال: أفلا يكون ظُلْمًا؟ قال: فَفَزِعتُ من ذلك فزعًا شديدًا، وقلت: كل شيء خَلْقُ الله ومِلْكُ يده، فلا يُسأل عَمَّا يفعل وهم يُسألون. فقال لي: يرحَمُكَ الله، إني لم أُرِدْ بما سألتُكَ إلا لأَحرِزَ عقلك، وإن رجلين من مُزَينة أتيا رسول الله ﷺ فقالا: يا رسولَ الله، أرأيتَ ما يَعمَلُ الناسُ اليوم، ويَكْدَحون فيه، أشيء قُضِيَ عليهم ومضى فيهم من قَدَرِ قد سَبَق، أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيُّهم، وثبتت الحُجَّةُ عليهم؟ فقال: «**لا، بل شيء قُضِيَ عليهم ومضى فيهم، وتصديق ذلك في كتاب الله:** ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾ [الشمس: ٧، ٨]»(٢).

٣- وعن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كنا في جَنَازَة في بَقيعِ الغَرْقَدِ، فأتانا رسولُ الله ﷺ فَقَعَد، وقَعَدنا حَوْلَهُ، ومَعَهُ مِخْصَرة، فنكَسَ، وَجَعَلَ يَنْكُتُ بمخصرته، ثم قال: «**ما منكم من أحد إلا وقد كُتِبَ مقعدُه من النار، ومقعدُه من الجنة**»، فقالوا: يا رسولَ الله أفلا نَتَّكِلُ على كتابنا؟ فقال: «**اعملوا، فَكلّ مُيَسَّر لما خُلقَ له، أَمَّا مَنْ كان من أهل السعادِة فسيصيرُ لعمل أهل**

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» في كتاب القدر، بَابٌ: جَفَّ القَلَمُ عَلَى عِلْمِ اللَّهِ (٦٥٩٦).

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» في كتاب القدر، بَابُ كَيْفِيَّةِ خَلْقِ الْآدَمِيِّ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَكِتَابَةِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقَاوَتِهِ وَسَعَادَتِهِ (٢٦٥٠).

السعادة، وأمَّا مَنْ كان من أهل الشقاء فسيصير لعمل أهل الشقاء» ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [الليل: ٥- ١٠](١).

وفي ذلك أيضًا يقول شيخ الاسلام ابن تيمية: إن الله سبحانه وإن كان قد تقدم علمه وكتابه وكلامه بما سيكون من السعادة والشقاوة، فمما قدره أن يكون ذلك بالأسباب التي قدرها، فالسعادة بالأعمال الصالحة والشقاوة بالفجور، وكذلك الشفاء الذي يقدره للمريض يقدره بالأدوية والرقى، وكذلك سائر ما يقدر من أمر الدنيا والآخرة.

فقول القائل: كيف تستجلب الأقسام بالحركات؟ جوابه أن الأقسام تناولت الحركات كما تناولت السعادات، والله تعالى قَدَّر أن يكون هذا بهذا، فإذا ترك العبد العمل ظانًّا أن السعادة تحصل له كان هذا الترك سببًا لكونه من أهل الشقاوة.

وهنا ضل فريقان: فريق كَذَّبوا بالقضاء والقدر وصَدَّقوا بالأمر والنهي وفريق آمنوا بالقضاء والقدر، لكن قَصَّروا في الأمر والنهي. وهؤلاء شر من

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» في كتاب الجنائز، بَابُ مَوْعِظَةِ الْمُحَدِّثِ عِنْدَ الْقَبْرِ، وَقُعُودِ أَصْحَابِهِ حَوْلَهُ (١٣٦٢)، كتاب التفسير، بَابُ قَوْلِهِ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾﴾ (٤٩٤٥)، بَابُ ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾﴾ (٤٩٤٦)، بَابُ قَوْلِهِ: ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ (٤٩٤٧)، بَابُ قَوْلِهِ: ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾﴾ (٤٩٤٨)، بَابُ ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾ (٤٩٤٩)، كتاب الأدب، بَابُ الرَّجُلِ يَنْكُتُ الشَّيْءَ بِيَدِهِ فِي الأَرْضِ (٦٢١٧)، كتاب القدر، بَابُ ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ (٦٦٠٥)، كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ (٧٥٥٢)، ومسلم في «صحيحه»، في كتاب القدر، بَابُ كَيْفِيَّةِ خَلْقِ الْآدَمِيِّ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَكِتَابَةِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقَاوَتِهِ وَسَعَادَتِهِ (٢٦٤٧).

الأولين فإن هؤلاء من جنس المشركين الذين قالوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨] وأولئك من جنس المجوس.



لكن إذا عنى بهذا الكلام أن العبد لا يتكل على عمله ولا يظن أنه ينجو بسعيه فهذا معنى صحيح، فالأسباب التي من العباد بل ومن غيرهم ليست موجبات لا لأمر الدنيا ولا لأمر الآخرة، بل قد يكون لا بد منها ومن أمور أخرى من فضل الله ورحمته خارجة عن قدرة العبد، وما ثم موجب إلا مشيئة الله فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن[1].

وفي موضع آخر يقول أيضًا شيخ الاسلام ابن تيمية: كل ميسر لما خُلق له وإن أهل السعادة ميسرون لعمل أهل السعادة وأهل الشقاوة ميسرون لعمل أهل الشقاوة، وهذا من أحسن ما يكون من البيان. وذلك أن الله ﷻ يعلم الأمور على ما هي عليه، وهو قد جعل للأشياء أسبابًا تكون بها فيعلم أنها تكون بتلك الأسباب، كما يعلم أن هذا يولد له بأن يطأ امرأة فيحبلها، فلو قال هذا: (إذا علم الله أنه يولد لي فلا حاجة إلى الوطء) كان أحمق؛ لأن الله علم أن سيكون بما يقدره من الوطء. وكذلك إذا علم أن هذا ينبت له الزرع بما يسقيه من الماء ويبذره من الحَب، فلو قال: (إذا علم الله أن سيكون فلا حاجة إلى البذر) كان جاهلًا ضالًّا؛ لأن الله علم أن سيكون بذلك. وكذلك إذا علم الله أن هذا يشبع بالأكل وهذا يروى بالشرب وهذا يموت بالقتل فلا بد من الأسباب التي علم الله أن هذه الأمور تكون بها[2].

وفي ذلك يقول بدر الدين العيني (المتوفى: ٨٥٥هـ) في «عمدة القاري شرح صحيح البخاري»: (كل ميسر لما خُلق لَهُ)، (وَهُوَ يسيرٌ على من يَسَّره الله

---

(١) «الاستقامة» (١/ ١٧٥).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٨/ ٦٨).

عَلَيْهِ).

فَإِن قيل: إِذا كَانَ الْقَضَاء الأزلي يَقْتَضِي ذَلِك، فَلمَ الْمَدْح والذم وَالثَّوَاب وَالْعِقَاب؟

أُجِيب: بِأَن الْمَدْح والذم بِاعْتِبَار الْمَحَلِّيَّة لَا بِاعْتِبَار الفاعلية، وَهَذَا هُوَ الْمُرَاد بالكسب الْمَشْهُور عَن الأشاعرة، وَذَلِكَ كَمَا يُمدح الشَّيْء ويُذم بحسنه وقبحه وسلامته وعاهته. وَأما الثَّوَاب وَالْعِقَاب فكسائر العاديات، فَكَمَا لَا يَصح عندنَا أَن يُقَال: لمَ خلق الله تَعَالَى الاحتراق عقيب مماسة النَّار وَلم يحصل ابْتِدَاء؟ فَكَذَا هَاهُنَا.

وَقَالَ الطَّيِّبِيّ: الْجَواب من الأسلوب الْحَكِيم مَنعهم ﷺ عَن الاتكال وَترك الْعَمَل، وَأَمرهمْ بِالْتِزَام مَا يجب على العَبْد من الْعُبُودِيَّة، وَإِيَّاكُم وَالتَّصَرُّف فِي الْأُمُور الإلهية فَلَا تجْعَلُوا الْعِبَادَة وَتركهَا سَببًا مُسْتقِلًّا لدُخُول الْجنَّة وَالنَّار، بل إِنَّهَا عَلَامَات فَقَط.

وَقَالَ الْخطابِيّ: لما أخبر ﷺ عَن سبق الْكتاب بالسعادة رام الْقَوْم أَن يتخذوه حجَّة فِي ترك الْعَمَل، فأعلمهم أَن هُنَا أَمريْن لَا يُبطل أَحدهمَا الآخر: بَاطِن هُوَ الْعلَّة الْمُوجبَة فِي حكم الربوبية، وَظَاهر هُوَ التَّتِمَّة اللَّازِمَة فِي حق الْعُبُودِيَّة، وَإِنَّمَا هُوَ أَمارَة مخيلة فِي مطالقة علم العواقب غير مفيدة حَقِيقَة، وبيَّن لَهُم أَن كلًّا ميسر لما خُلق لَهُ، وَأَن عمله فِي العاجل دَلِيل مصيره فِي الآجل؛ وَلذَلِك مَثَّل بقوله تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥﴾ [الليل: ٥]. الْآيَة، وَنَظِيره الرزق الْمَقْسُوم مَعَ الأَمر بِالْكَسْبِ، وَالْأَجَل الْمَضْرُوب مَعَ التعالج بالطب، فَإنَّك تَجِد الْبَاطِن مِنْهُمَا على مُوجبه، وَالظَّاهِر سَببًا مخيلًا، وَقد اصْطَلحُوا على أَن الظَّاهِر مِنْهُمَا لَا يُتْرك للباطن.

ذِكر مَا يُسْتَفَاد مِنْهُ: قَالَ ابْن بطال: هَذَا الحَدِيث أصل لأهل السّنة فِي أَن السَّعَادَة والشقاوة بِخلق الله تَعَالَى، بِخِلَاف قَول الْقَدَرِيَّة الَّذين يَقُولُونَ: إِن

الشَّرّ لَيْسَ بِخلق الله.

وَقَالَ النَّوَوِيّ: فِيهِ إِثْبَات للقدر، وَأَن جميع الْوَاقِعَات بِقَضَاء الله تَعَالَى وَقدره، لَا يُسأل عَمَّا يفعل، وَقيل: إِن سر الْقدر ينْكَشف لِلْخَلَائِقِ إِذا دخلُوا الْجنَّة، وَلَا ينْكَشف لَهُم قبل دُخُولهَا، وَفِيه رد على أهل الْجَبْر؛ لِأَن الْمُجْبَر لَا يَأْتِي الشَّيْء إِلاَّ وَهُوَ يكرههُ، والتيسير ضد الْجَبْر، أَلا ترى أَن النَّبِي ﷺ قَالَ: «**إِن الله تجَاوز عَن أمتِي مَا اسْتكْرهُوا عَلَيْهِ**». قَالَ: والتيسير هُوَ أَن يَأْتِي الْإِنْسَان الشَّيْء وَهُوَ يُحِبهُ.

وَاخْتلف: هل يعلم فِي الدُّنْيَا الشقي من السعيد؟

فَقَالَ قوم: نعم. محتجين بِهَذِهِ الْآيَة الْكَرِيمَة والْحَدِيث لِأَن كل عمل أَمارَة على جَزَائِهِ. وَقَالَ قوم: لَا، وَالْحق فِي ذَلِك أَنه يدْرك ظنًّا لَا جزمًا.

وَقَالَ الشَّيْخ تَقِيّ الدّين ابن تَيْمِية: من اشْتهر لَهُ لِسَان صدق فِي النَّاس من صالحي هَذِه الْأمة هَل يقطع لَهُ بِالْجنَّةِ؟ فِيهِ قَولَانِ لِلْعُلَمَاء رَحِمهم الله.

وَفِيه: جَوَاز الْقعُود عِنْد الْقُبُور والتحدث عِنْدهَا بِالْعلمِ والمواعظ.

وَفِيه: نكته ﷺ بِالْمِخْصَرَةِ فِي الأَرْض. أَصله تَحْرِيك الإصبع فِي التَّشَهُّد. قَالَه الْمُهلب. فَإِن قلت: مَا معنى النكت بِالْمِخْصَرَةِ؟ قلت: هُوَ إِشَارَة إِلَى إِحْضَار الْقلب للمعاني.

وَفِيه: نكس الرَّأْس عِنْد الْخُشُوع والتفكر فِي أَمر الْآخِرَة.

وَفِيه: إِظْهَار الخضوع والخشوع عِنْد الْجِنَازَة، وَكَانُوا إِذا حَضَرُوا جَنَازَة يلقى أحدهم حَبِيبه وَلَا يُقبل عَلَيْهِ إِلاَّ بِالسَّلَامِ حَتَّى يرى أَنه وَاجِد عَلَيْهِ، وَكَانُوا لَا يَضْحَكُونَ هُنَاكَ، وَرَأى بَعضهم رجلًا يضْحك فآلى أَن لَا يكلمهُ أبدًا، وَكَانَ يبْقى أثر ذَلِك عِنْدهم ثَلَاثَة أَيَّام لشدَّة مَا يحصل فِي قُلُوبهم من الْخَوْف والفزع.

وَفِيه: أَن النَّفس المخلوقة إِمَّا سعيدة وَإِمَّا شقية، وَلَا يُقَال: إِذا وَجَبت الشقاوة والسعادة بِالْقضَاءِ الأزلي وَالْقدر الإلهي فَلَا فَائِدَة فِي التَّكْلِيف، فَإِن هَذَا أعظم شُبَه النافين للقدر، وَقد أجابهم الشَّارِع بِمَا لَا يبْقى مَعَه إِشْكَال، وَوجه الِانْفِصَال أَن الرب تَعَالَى أَمرنَا بِالْعَمَلِ، فَلَا بُد من امتثاله، وغيب عَنَّا الْمَقَادِير لقِيَام حجَّته وزجره، وَنصب الْأَعْمَال عَلامَة على مَا سبق فِي مَشِيئَته، فسبيله التَّوَقُّف، فَمن عدل عَنهُ ضل لِأَن الْقدر سر من أسراره لَا يطلع عَلَيْهِ إلاَّ هُوَ، فَإِذا دخلُوا الْجنَّة كشف لَهُم[1].

٤- وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: جاء سُراقة بن مالك بن جَعشُم، فقال: يا رسول الله، بَيِّن لنا دينَنَا كأنَّا خُلقِنا الآن، فيم العمل اليوم، فيما جفَّتْ به الأقلام وجَرَت به المقادير، أم فيما نستقبل؟ قال: «**لا، بل جَفَّتْ به الأقلام. وجرت به المقادير**»، قال: ففيم العمل؟ قال: «**اعملوا، فكلٌّ مُيسَّر لما خُلق له**»[2].

ويوضح ذلك ما جاء في «العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير» قال: ولا شك أن الجاهل يقول هنا: **ما الحكمة عند الله وهو الرؤُوفُ الرَّحِيم الكريم أن يخلق قومًا ويجبلهم على الخبث، ويصرف إراداتهم إلى ما يستوجبون به العذاب الأليم مع أنه الرّحْمَن الرحيم؟!**

هذا سؤال إلحادي قد يقع في قلوب كثير من الملاحدة.

والجواب عن هذا: أن خالق السماوات والأرض الجبار جل وعلا غَنِيٌّ عن جميع الخلائق، غَنِيٌّ بذاته الغِنَى المطلق ﴿إِن تَكۡفُرُوٓاْ أَنتُمۡ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا

(١) «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (٨/ ١٨٨).

(٢) مسلم في «صحيحه»، في كتاب القدر، بَابُ كَيْفِيَّةِ خَلْقِ الْآدَمِيِّ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَكِتَابَةِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقَاوَتِهِ وَسَعَادَتِهِ (٢٦٤٨).

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٨] وإنما خلق الخلق ليُظهر فِيهِمْ بَعضَ أسرار عظمته وأسرار أسمائه وصفاته، فلو لم يخلق إلا المُطِيعينَ، ولم يكن - أبدًا - إلا الثواب كان ذلك إدلالًا عليه، وسببًا للجراءة على الجناب الكريم؛ لأن الذي لا يخاف يُدِل بمحبته وقد يقع في الجناب الأعظم بما لا يليق، ولما خلق قومًا أشقياء ظهر فيهم ما عنده من الإنصاف والحكمة البالغة، وظهر فيهم بعض أسرار أسمائه كالجبار والقهار، وظهر فيهم عظمته وقوته وشدة عقابه ونكاله؛ ليحصل الخوف من جانب، وخلق قومًا آخرين ووفقهم إلى الخير؛ ليُظهر فيهم بعض أسرار أسمائه وصفاته؛ من الرأفة، والرحمة، والحلم، والكرم، والجود؛ ليجمع بين المَحَبَّةِ والخوف(١).

٥- عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَمَعَهُ عُودٌ يَنْكُتُ به فِي الْأَرْضِ وَقَالَ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا قَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ أَوْ مِنَ الْجَنَّةِ**» فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَلَا نَتَّكِلُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**لَا، اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ**» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥﴾ الْآيَةَ(٢).

ب- أن الإنسان يُكتب عمله وهو في بطن أمه:

١- وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: حدَّثنا رسولُ الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «**إن خَلْق أَحدِكم يُجْمَعُ في بطنِ أُمِّهِ أربعين يومًا، ثم يكون عَلَقة مثل ذلك، ثم يكون مضْغَة مثل ذلك،ثم يَبعَثُ الله إليه مَلَكًا بأربع كلمات: بكَتْب رزقِهِ وأجلهِ وعملهِ وشَقي أو سعيد،ثم يَنْفُخُ فيه الروحَ، فوالذي لا إله غيره، إنَّ أحدَكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكونُ بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه**

(١) (٢/ ٤١٥).

(٢) أخرجه البخاري بَابُ ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨] برقم (٦٦٠٥)، وابن ماجه (٧٨).

الكتابُ فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدَكم لَيَعْمَل بعمل أهل النار حتى ما يكونُ بينَه وبينها إلا ذراع، فيسبقُ عليه الكتابُ فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها»[١].

وفي بيان ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: فبيّن ﷺ في هذا الحديث الصحيح أنه بعد أن يخلق الجسد وقبلَ نفخِ الروح يُكتَب رزقُ العبد وأجله وعملُه وشقيّ أم سعيد[٢].

وجاء في هذا المعني أيضًا عدة روايات أخرى، مثل:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**وَكَّلَ الله بالرَّحم ملكًا، فيقول: أي ربِّ نطفة؟ أي ربِّ علقة؟ أي ربِّ مُضّغَة؟ فإذا أراد أن يقضي خَلْقَها، قال: يا ربِّ، أذكَر أم أنثى؟ أشقيّ أم سعيد؟ فما الرزق؟ فما الأجل؟ فيُكتب ذلك في بطن أمه**»[٣].

وفي بيان ذلك يقول شيخ الإسلام أيضًا: وفي إثبات الربوبية بهذه الطريقة فوائد عظيمة يطول ذكرها هنا:

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» في كتاب بدء الخلق، بَابُ ذِكْرِ المَلاَئِكَةِ (٣٢٠٨)، كتاب أحاديث الأنبياء، بَابُ خَلْقِ آدَمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَذُرِّيَّتِهِ (٣٣٣٢)، كتاب القدر، باب القدر (٦٥٩٤)، كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾﴾ (٧٤٥٤)، ومسلم في «صحيحه» في كتاب القدر، بَابُ كَيْفِيَّةِ خَلْقِ الْآدَمِيِّ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَكِتَابَةِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقَاوَتِهِ وَسَعَادَتِهِ (٢٦٤٣).

(٢) «جامع المسائل لابن تيمية» لعزير شمس (٤/ ٣٠٧).

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» في كتاب الحيض، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ (٣١٨)، كتاب أحاديث الأنبياء، بَابُ خَلْقِ آدَمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَذُرِّيَّتِهِ (٣٣٣٣)، كتاب القدر، باب القدر (٦٥٩٥)، ومسلم في «صحيحه» في كتاب القدر، بَابُ كَيْفِيَّةِ خَلْقِ الْآدَمِيِّ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَكِتَابَةِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقَاوَتِهِ وَسَعَادَتِهِ (٢٦٤٦).

منها: أن ذلك تعريف للإنسان بحال نفسه ونوعه وجنسه، وذلك أقرب الأمور إليه، فهي دلالة له لازمة له ذاتية.

ومنها: أن ذلك يبين فقره وحاجته، وأنه مربوب مقهور مدبَّر.

ومنها: أن ذلك يثبت القدر، وأنه خالق الحيوان وأفعالهم[١].

٦- وعن عامر بن واثلة رَحِمَهُ اللهُ أنه سمع عبد الله بنَ مسعود يقول: «الشقيّ مَن شَقيَ في بَطن أمه، والسعيد مَنْ وُعِظَ بغيره. فأتى رجلًا من أصحاب رسولِ الله ﷺ يقال له: حذيفةُ بنُ أَسِيد الغفاري، فحدَّثهُ بذلك من قول ابن مسعود، فقال له: وكيف يشقى رجل بغير عمل؟ فقال له الرجل: أتَعْجَبُ من ذلك؟ فإنى سَمِعتُ رسولَ الله ﷺ يَقولُ: «**إذا مَرَّ بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة، بعَثَ الله إليها ملكًا فصوَّرَها، وخَلَقَ سمعها، وبصرَها، وجِلدَها، ولحمها، وعظامها، ثم قال: يا رب، أذكر أم أنثى؟ فيقضي ربُّك ما شاء، ويكتبُ الملَكُ، ثم يقول: يا رب، أجلُه؟ فيقول ربُّك ما شاء، ويكتب الملك، ثم يقول: يا رب رِزّقُه؟ فيقضي ربك ما شاء، ويكتب الملك، ثم يخرج الملَكُ بالصحيفة في يده فلا يزيد على ما أمر ولا ينقص**»[٢].

وهنا لفتتان طيبتان يوضحهما شيخ الإسلام ابن تيمية فيقول في الأولى: وليس إذا كان الله قد كتبه كافرًا يقتضي أنه حين الولادة كافر، بل يقتضي أنه لا بد أن يكفر، وذلك الكفر هو التغيير، كما أن البهيمة التي وُلدت جمعاء، وقد سبق في علمه أنها تجدع، كتب أنها مجدوعة بجدع يحدث لها بعد الولادة، لا يجب أن تكون عند الولادة مجدوعة[٣].

---

(١) «جامع المسائل لابن تيمية» عزير شمس (٦/ ٧٩).

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» في كتاب القدر، بَابُ كَيْفِيَّةِ خَلْقِ الْآدَمِيِّ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَكِتَابَةِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقَاوَتِهِ وَسَعَادَتِهِ (٢٦٤٦).

(٣) «درء تعارض العقل والنقل» (٨/ ٣٨٩).

الثانية: إذا خلق جسد الجنين قبل نفخ الروح فيه بعث إليه ملكًا؛ فيؤمر بأربع كلمات فيقال له: اكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد؛ ونحو ذلك، فهذا القدر قد كان ينكره غلاة القدرية قديمًا ومنكره اليوم قليل(١).

٧- قَالَ حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ قَالَ: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ (إِنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ) يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ مَلَكًا (يُبْعَثُ إِلَيْهِ مَلَكٌ) فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعٍ بِرِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ فَوَاللهِ إِنَّ أَحَدَكُمْ أَوِ الرَّجُلَ يَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا غَيْرُ بَاعٍ أَوْ ذِرَاعٍ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا غَيْرُ ذِرَاعٍ أَوْ ذِرَاعَيْنِ (أَوْ بَاعٍ) فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا**» وَقَالَ آدَمُ إِلَّا ذِرَاعٌ (بَاعٌ)(٢).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان وتوضيح ذلك: فيؤمر بأربع كلمات فيقال: اكتب رزقه وأجله وعمله وشقيًّا أو سعيدًا. ثم ينفخ فيه الروح. وهذا عامّ في كل نفس منفوسة قد علم الله سبحانه - بعلمه الذي هو صفة له - الشقي من عباده والسعيد وكتب سبحانه ذلك في اللوح المحفوظ. ويأمر الملك أن يكتب حال كل مولود ما بين خلق جسده ونفخ الروح فيه إلى كتب أخر يكتبها الله ليس هذا موضعها. ومن أنكر العلم القديم في ذلك فهو كافر.

(١) «مجموع الفتاوى» (٣/ ١٤٩).

(٢) أخرجه البخاري، باب ذكر الملائكة برقم (٣٢٠٨)، وبَابُ خَلْقِ آدَمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَذُرِّيَّتِهِ برقم (٣٣٣٢)، ومسلم بَابُ كَيْفِيَّةِ خَلْقِ الْآدَمِيِّ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَكِتَابَةِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقَاوَتِهِ وَسَعَادَتِهِ برقم (٢٦٤٣)، و«سنن أبي داود» (٤٧٠٨)، والترمذي (٢١٣٧)، وابن ماجه (٧٦).

وأما البهائم فجميعها يحشرها الله سبحانه كما دل عليه الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٍۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ٣٨﴾ [الأنعام: ٣٨] وقال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ٥﴾ [التكوير: ٥] وقال تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمۡعِهِمۡ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٞ ٢٩﴾ [الشورى: ٢٩] وحرف (إذا) إنما يكون لما يأتي لا محالة. والأحاديث في ذلك مشهورة. فإن الله ﷻ يوم القيامة يحشر البهائم ويقتص لبعضها من بعض ثم يقول لها: كوني ترابًا. فتصير ترابًا. فيقول الكافر حينئذٍ ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾ [النبأ: ٤٠] ومن قال: (إنها لا تحيا) فهو مخطئ في ذلك أقبح خطأ؛ بل هو ضال أو كافر. والله أعلم(١).

٨- عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ أَيُعْرَفُ أَهْلُ الْجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**» قَالَ: فَلِمَ يَعْمَلُ الْعَامِلُونَ؟ قَالَ: «**كُلٌّ يَعْمَلُ لِمَا خُلِقَ لَهُ - أَوْ: لِمَا يُسِّرَ لَهُ -**»(٢).

ج- أن القلم جف بما سيلقى العبد:

٩- وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «**جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا أَنْتَ لَاقٍ**» وَقَالَ ابْنُ

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٢٤٨).

(٣٣٣٢)، ومسلم بَابُ كَيْفِيَّةِ خَلْقِ الْآدَمِيِّ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَكِتَابَةِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقَاوَتِهِ وَسَعَادَتِهِ. برقم (٢٦٤٣)، وسنن أبي داود (٤٧٠٨)، والترمذي (٢١٣٧)، وابن ماجه (٧٦).

(٢) أخرجه البخاري بَابٌ: جَفَّ القَلَمُ عَلَى عِلْمِ اللَّهِ. برقم (٦٥٩٦) وبنحوه في مسلم بَابُ كَيْفِيَّةِ خَلْقِ الْآدَمِيِّ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَكِتَابَةِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقَاوَتِهِ وَسَعَادَتِهِ برقم (٢٦٤٧).

عَبَّاسٍ: [لَهَا سَابِقُونَ] سَبَقَتْ لَهُمُ السَّعَادَةُ(١).

وفي بيان ذلك يقول ابن حجر في «الفتح»: «جف القلم» أي: فرغت الكتابة. إشارة إلى أن الذي كُتب في اللوح المحفوظ لا يتغير حكمه، فهو كناية عن الفراغ من الكتابة لأن الصحيفة حال كتابتها تكون رطبة أو بعضها وكذلك القلم، فإذا انتهت الكتابة جفت الكتابة والقلم. وقال الطيبي: هو من إطلاق اللازم على الملزوم؛ لأن الفراغ من الكتابة يستلزم جفاف القلم عند مداده. قلت: وفيه إشارة إلى أن كتابة ذلك انقضت من أمد بعيد. وقال عياض: معنى جف القلم أي: لم يَكتب بعد ذلك شيئًا. وكتاب الله ولوحه وقلمه من غيبه ومن علمه الذي يلزمنا الإيمان به، ولا يلزمنا معرفة صفته، وإنما خوطبنا بما عهدنا فيما فرغنا من كتابته أن القلم يصير جافًّا للاستغناء عنه.

قوله: «على علم الله» أي: على حكمه لأن معلومه لا بد أن يقع، فعلمه بمعلوم يستلزم الحكم بوقوعه، وهذا لفظ حديث أخرجه أحمد وصححه ابن حبان من طريق عبد الله بن الديلمي عن عبد الله بن عمرو: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله ﷻ خلق خلقه في ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره، فمَن أصابه من نوره يومئذ اهتدى ومن أخطأه ضل، فلذلك أقول: جف القلم على علم الله**»، وأخرجه أحمد وابن حبان من طريق أخرى عن ابن الديلمي نحوه وفي آخره أن القائل «**فلذلك أقول**» هو عبد الله بن عمرو، ولفظه: «قلت لعبد الله بن عمرو: بلغني أنك تقول: إن القلم قد جف... فذكر الحديث وقال في آخره: فلذلك أقول: جف القلم بما هو كائن.

ويقال: إن عبد الله بن طاهر أمير خراسان للمأمون سأل الحسين بن

(١) أخرجه البخاري معلقًّا. بَابٌ: جَفَّ القَلَمُ عَلَى عِلْمِ اللَّهِ.

الفضل عن قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩] مع هذا الحديث، فأجاب: هي شئون يبديها لا شئون يبتديها. فقام إليه وقَبَّل رأسه.

قوله: «وقال أبو هريرة: قال لي النبي ﷺ: «**جف القلم بما أنت لاقٍ**» هو طرف من حديث ذكر أصله المصنف من طريق ابن شهاب عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قلت: يا رسول الله إني رجل شاب وإني أخاف على نفسي العنت ولا أجد ما أتزوج به النساء. فسكت عني... الحديث وفيه: «**يا أبا هريرة، جف القلم بما أنت لاقٍ فاختص على ذلك أو ذر**» أخرجه في أوائل النكاح فقال: قال أصبغ - يعني ابن الفرج -: أخبرني ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب، ووصله الإسماعيلي والجوزقي والفريابي في كتاب «القدر» كلهم من طريق أصبغ به وقالوا كلهم بعد قوله العنت: «فأذن لي أن أختصي» ووقع لفظ: «جف القلم» أيضًا في حديث جابر عند مسلم: «قال سراقة: يا رسول الله فيم العمل أفيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير...» الحديث، وفي آخر حديث ابن عباس الذي فيه: «**احفظ الله يحفظك**» ففي بعض طرقه: «**جفت الأقلام وطُويت الصحف**» وفي حديث عبد الله بن جعفر عند الطبراني في حديث: «**واعلم أن القلم قد جف بما هو كائن**» وفي حديث الحسن بن على عند الفريابي «**رُفع الكتاب وجف القلم**».

قوله: «وقال ابن عباس لها سابقون: سبقت لهم السعادة» وصله ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ٦١﴾ [المؤمنون: ٦١] قال: سبقت لهم السعادة. والمعنى أنهم سارعوا إلى الخيرات بما سبق لهم من السعادة بتقدير الله. ونُقل عن الحسن أن اللام في «لها» بمعنى الباء فقال: معناه: سابقون بها، فقال الطبراني: وتأولها بعضهم - أي: اللام - بأنها بمعنى «إلى» وبعضهم أن المعنى: وهم من أجلها. ونقل عبد الرحمن بن زيد أن الضمير

للخيرات، وأجاز غيره أن الضمير للسعادة، والذي يجمع بين تفسير ابن عباس وظاهر الآية أن السعادة سابقة وأن أهلها سبقوا إليها لا أنهم سبقوها[(١)].

د- الكلام عن أولاد المشركين:

١٠- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ أَوْلَادِ الْمُشْرِكِينَ فَقَالَ: «**اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ**»[(٢)].

يوضح ذلك ابن حجر في «الفتح» بقوله: قوله: «الله أعلم» قال ابن قتيبة: معنى قوله: «بما كانوا عاملين» أي: لو أبقاهم فلا تحكموا عليهم بشيء. وقال غيره: أي علم أنهم لا يعملون شيئًا ولا يرجعون فيعملون أو أخبر بعلم شيء لو وُجد كيف يكون مثل قوله: «ولو ردوا لعادوا» ولكن لم يُرِد أنهم يجازون بذلك في الآخرة لأن العبد لا يجازى بما لم يعمل[(٣)].

وجاء في هذا المعني أيضًا عدة روايات أخرى، منها:

١١- عن عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ ذَرَارِيِّ الْمُشْرِكِينَ فَقَالَ: «**اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ**»[(٤)].

١٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى**

---

(١) «فتح الباري مع هدي الساري» لابن حجر، ط/ المعرفة (١١/ ٤٩١).

(٢) أخرجه البخاري، بَابُ مَا قِيلَ فِي أَوْلَادِ الْمُشْرِكِينَ. برقم (١٣٨٣)، ومسلم، بَابُ مَعْنَى كُلِّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ وَحُكْمِ مَوْتِ أَطْفَالِ الْكُفَّارِ وَأَطْفَالِ الْمُسْلِمِينَ. برقم (٢٦٥٩)، وأبو داود (٤٧١١)، والنسائي (١٩٤٩).

(٣) «فتح الباري» لابن حجر (٣/ ٢٤٧).

(٤) أخرجه البخاري، بَابُ مَا قِيلَ فِي أَوْلَادِ الْمُشْرِكِينَ. برقم (١٣٨٤)، وبَاب: اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ، برقم (٦٥٩٨).

الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ كَمَا تُنْتِجُونَ الْبَهِيمَةَ هَلْ تَجِدُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ حَتَّى تَكُونُوا أَنْتُمْ تَجْدَعُونَهَا» قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ أَفَرَأَيْتَ مَنْ يَمُوتُ وَهُوَ صَغِيرٌ؟ قَالَ: **«اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ»**(١).

ويوضح ذلك كلام ابن قيم الجوزية حيث قال: فإن النبي لم يجب فيهم بالوقف، وإنما وكل علم ما كانوا يعملون لو عاشوا إلى الله ﷻ، والمعنى: الله أعلم بما كانوا يعملون لو عاشوا، فهو ﷻ يعلم القابل منهم للهدى العامل به لو عاش والقابل منهم للكفر المُؤْثر له لو عاش. لكن لا يدل هذا على أنه يجزيهم علمه فيهم بلا عمل يعملونه. وإنما يدل على أنه يعلم منهم ما هم عاملون بتقدير حياتهم.

وهذا الجواب خرج عن النبي على وجهين: أحدهما: جواب لهم إذا سألوه عنهم ما حكمهم فقال: «الله أعلم بما كانوا عاملين» وهو في هذا الوجه يتضمن أن الله ﷻ يعلم من يؤمن منهم ومن يكفر بتقدير الحياة، وأما المجازاة على العلم فلم يتضمنها جوابه(٢).

ز- أبواب أخرى متفرقة:

١٣- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«لَا تَسْأَلِ الْمَرْأَةُ طَلَاقَ أُخْتِهَا لِتَسْتَفْرِغَ صَحْفَتَهَا، وَلْتَنْكِحْ فَإِنَّ لَهَا مَا قُدِّرَ لَهَا»**(٣).

---

(١) أخرجه البخاري، بَابٌ: اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ. برقم (٦٥٩٩)، ومسلم، بَابُ مَعْنَى كُلِّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ وَحُكْمِ مَوْتِ أَطْفَالِ الْكُفَّارِ وَأَطْفَالِ الْمُسْلِمِين. برقم (٢٦٥٨)، وأبو داود (٤٧١٤)، والترمذي (٢١٣٨)

(٢) «طريق الهجرتين وباب السعادتين» ت عمر محمود (ص: ٥٧٢).

(٣) أخرجه البخاري، بَابُ ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨] برقم (٦٦٠٠)، وأبو داود (٢١٧٦).

يوضح ابن حجر العلة بقوله: إشارة إلى أنها وإن سألت ذلك وألحت فيه واشترطته فإنه لا يقع من ذلك إلا ما قَدَّره الله، فينبغي أن لا تتعرض هي لهذا المحذور الذي لا يقع منه شيء بمجرد إرادتها[١].

١٤- عَنْ أُسَامَةَ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ جَاءَهُ رَسُولُ إِحْدَى بَنَاتِهِ وَعِنْدَهُ سَعْدٌ وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ وَمُعَاذٌ - أَنَّ ابْنَهَا يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَبَعَثَ إِلَيْهَا: «**لِلهِ مَا أَخَذَ وَلِلهِ مَا أَعْطَى، كُلٌّ بِأَجَلٍ فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ**»[٢].

معني قوله ﷺ: (كل بِأَجل) من الْأَمر الْمُقدر[٣].

١٥- عن عَبْد اللهِ بْن مُحَيْرِيزٍ الجُمَحِيِّ أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ جاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا نُصِيبُ سَبْيًا وَنُحِبُّ الْمَالَ كَيْفَ تَرَى فِي الْعَزْلِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَوَإِنَّكُمْ لَتَفْعَلُونَ ذَلِكَ؟! لَا عَلَيْكُمْ أَنْ لَا تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ لَيْسَتْ نَسَمَةٌ كَتَبَ اللهُ أَنْ تَخْرُجَ إِلَّا هِيَ كَائِنَةٌ**»[٤].

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: معناه: ما عليكم ضرر في ترك العزل؛ لأن كل نفس قَدَّر الله خلقها لا بد أن يخلقها سواء عزلتم أم لا، فلا فائدة في عزلكم؛ فإنه إن كان الله قَدَّر خلقها سبقكم الماء فلا ينفع حرصكم في منع الخلق[٥].

١٦- عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: لَقَدْ خَطَبَنَا النَّبِيُّ ﷺ خُطْبَةً مَا تَرَكَ فِيهَا شَيْئًا إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلَّا ذَكَرَهُ، عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ، إِنْ كُنْتُ لَأَرَى

---

(١) «فتح الباري مع هدي الساري» لابن حجر، ط/ المعرفة (٩/ ٢٢٠).

(٢) أخرجه البخاري، بَابُ ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨] برقم (٦٦٠٢).

(٣) «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (٢٣/ ١٥٠).

(٤) أخرجه البخاري، بَابُ ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨] برقم (٦٦٠٢).

(٥) «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٥/ ٢٠٩١).

الشَّيْءَ قَدْ نَسِيتُ (نَسِيتُهُ) فَأَعْرِفُ مَا يَعْرِفُ الرَّجُلُ إِذَا غَابَ عَنْهُ فَرَآهُ فَعَرَفَهُ(١).

١٧- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: شَهِدْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ خَيْبَرَ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِرَجُلٍ مِمَّنْ مَعَهُ يَدَّعِي الْإِسْلَامَ: «**هَذَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ**» فَلَمَّا حَضَرَ الْقِتَالُ قَاتَلَ الرَّجُلُ مِنْ أَشَدِّ الْقِتَالِ وَكَثُرَتْ بِهِ الْجِرَاحُ فَأَثْبَتَتْهُ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ الَّذِي تَحَدَّثْتَ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ قَدْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللهِ مِنْ أَشَدِّ الْقِتَالِ فَكَثُرَتْ بِهِ الْجِرَاحُ!! فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَمَا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ**» فَكَادَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ يَرْتَابُ، فَبَيْنَمَا هُوَ عَلَى ذَلِكَ إِذْ وَجَدَ الرَّجُلُ أَلَمَ الْجِرَاحِ فَأَهْوَى بِيَدِهِ إِلَى كِنَانَتِهِ فَانْتَزَعَ مِنْهَا سَهْمًا فَانْتَحَرَ بِهَا، فَاشْتَدَّ رِجَالٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ صَدَّقَ اللهُ حَدِيثَكَ قَدِ انْتَحَرَ فُلَانٌ فَقَتَلَ نَفْسَهُ! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا بِلَالُ قُمْ فَأَذِّنْ: لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَإِنَّ اللهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ**»(٢).

١٨- عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَعْظَمِ الْمُسْلِمِينَ غَنَاءً عَنِ الْمُسْلِمِينَ فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَنَظَرَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى الرَّجُلِ (رَجُلٍ) مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا**» فَاتَّبَعَهُ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ حَتَّى جُرِحَ فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ فَجَعَلَ ذُبَابَةَ سَيْفِهِ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ حَتَّى خَرَجَ مِنْ بَيْنِ كَتِفَيْهِ. فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري، بَابُ بَيْعِ الرَّقِيقِ. برقم (٢٢٢٩)، و بَابُ ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨] برقم (٦٦٠٣).

(٢) أخرجه البخاري، بَابُ إِنَّ اللَّهَ يُؤَيِّدُ الدِّينَ بِالرَّجُلِ الفَاجِرِ. برقم (٣٠٦٢)، وبَابُ: العَمَلُ بِالخَوَاتِيمِ. برقم (٦٦٠٦).

مُسْرِعًا فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ! فَقَالَ: «**وَمَا ذَاكَ؟**» قَالَ: قُلْتَ لِفُلَانٍ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَلْيَنْظُرْ إِلَيْهِ» وَكَانَ مِنْ أَعْظَمِنَا غَنَاءً عَنِ الْمُسْلِمِينَ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ لَا يَمُوتُ عَلَى ذَلِكَ، فَلَمَّا جُرِحَ اسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ فَقَتَلَ نَفْسَهُ! فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ: «**إِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ وَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ**»(١).

قال المهلب: قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالخواتيم» هو حكم الله في عباده في الخير والشر، فيغفر الكفر وأعماله بكلمة الحق يقولها العبد قبل الموت قبل المعاينة لملائكة العذاب، وكذلك يحبط عمل المؤمن إذا خُتم له بالكفر(٢).

١٩- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَا اسْتُخْلِفَ خَلِيفَةٌ إِلَّا لَهُ بِطَانَتَانِ: بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْخَيْرِ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، وَبِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ. وَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللهُ**»(٣).

قوله: «والمعصوم من عصم الله» أي: مَن عصمه الله بأن حماه من الوقوع في الهلاك أو ما يجر إليه، يقال: عصمه الله من المكروه؛ وقاه

---

(١) أخرجه البخاري، بَابُ لاَ يَقُولُ: فُلاَنٌ شَهِيدٌ. برقم (٢٨٩٨) بَابٌ: العَمَلُ بِالخَوَاتِيمِ. برقم (٦٦٠٧)، ومسلم بَابُ غِلَظِ تَحْرِيمِ قَتْلِ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ، وَأَنَّ مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ عُذِّبَ بِهِ فِي النَّارِ، وَأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ. رقم (١٧٩- ١١٢)، وبَابُ كَيْفِيَّةِ خَلْقِ الْآدَمِيِّ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَكِتَابَةِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقَاوَتِهِ وَسَعَادَتِهِ. برقم (١٢- ١١٢).

(٢) «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (١٠/ ٣٠٦).

(٣) أخرجه البخاري بَابُ بِطَانَةِ الإِمَامِ وَأَهْلِ مَشُورَتِهِ (٧١٩٨) وبَابٌ: المَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللَّهُ برقم (٦٦١١) والنسائي (٤٢٠١، ٤٢٠٢، ٤٢٠٣)، والترمذي (٢٣٦٩).

وحفظه[(١)].

٢٠- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَشْبَهَ بِاللَّمَمِ مِمَّا قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزِّنَا أَدْرَكَ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ، فَزِنَا الْعَيْنِ النَّظَرُ وَزِنَا اللِّسَانِ الْمَنْطِقُ (النُّطْقُ) وَالنَّفْسُ تَمَنَّى وَتَشْتَهِي وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ أَوْ (وَ) يُكَذِّبُهُ**»[(٢)].

معنى الحديث: إن الله كتب في اللوح المحفوظ على كثير من بني آدم نصيبهم من الزنا أو مقدماته، كالنظرة واللمسة ونحوها. فالمراد بابن آدم الجنس لا كل فرد من بني آدم «أدرك ذلك لا محالة» أي: فمَن كُتب عليه شيء من ذلك فلا بد أن يصيبه ولا بد أن يفعله، ولكن ليس مجبرًا عليه بل باختياره[(٣)].

٢١- عَنْ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠] قَالَ: هِيَ رُؤْيَا عَيْنٍ أُرِيَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ قَالَ ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِي ٱلْقُرْءَانِۚ﴾ قَالَ هِيَ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ[(٤)].

٢٢- عَنْ طَاوُسٍ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى فَقَالَ لَهُ مُوسَى: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُونَا خَيَّبْتَنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الْجَنَّةِ. قَالَ لَهُ آدَمُ: يَا مُوسَى**

---

(١) «فتح الباري مع هدي الساري» لابن حجر، ط/ المعرفة (١١/ ٥٠١).

(٢) أخرجه البخاري، بَابُ زِنَا الجَوَارِحِ دُونَ الفَرْجِ (٦٢٤٣) بَابُ ﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [الأنبياء: ٩٥] برقم (٦٦١٢)، ومسلم، بَابُ قُدِّرَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظُّهُ مِنَ الزِّنَا وَغَيْرِهِ (٢٦٥٧)، وأبو داود (٢١٥٢).

(٣) «منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري» (٥/ ٢٦٠).

(٤) أخرجه البخاري بَابُ المِعْرَاجِ (٣٨٨٨)، وبَابُ ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠] برقم (٦٦١٣).

اصْطَفَاكَ اللهُ بِكَلَامِهِ وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ أَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قَدَّرَهُ اللهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟ فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى ثَلَاثًا»(١).

٢٣- كَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى الْمُغِيرَةِ: اكْتُبْ إِلَيَّ مَا (بِمَا) سَمِعْتَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ خَلْفَ الصَّلَاةِ. فَأَمْلَى عَلَيَّ الْمُغِيرَةُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ خَلْفَ الصَّلَاةِ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ**»(٢).

٢٤- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ وَدَرَكِ الشَّقَاءِ وَسُوءِ الْقَضَاءِ وَشَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ**»(٣).

٢٥- عَنْ سَالِمٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ: كَثِيرًا مِمَّا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَحْلِفُ: «**لَا وَمُقَلِّبِ الْقُلُوبِ**»(٤).

٢٦- عَنْ سَالِمٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِابْنِ صَيَّادٍ: «**خَبَأْتُ**

---

(١) أخرجه البخاري، بَابُ وَفَاةِ مُوسَى وَذِكْرِهِ بَعْدُ (٣٤٠٩) بَابُ تَحَاجَّ آدَمُ وَمُوسَى عِنْدَ اللَّهِ، برقم (٦٦١٤)، ومسلم، بَابُ حِجَاجِ آدَمَ وَمُوسَى عليهما السلام (٢٦٥٢)، وأبو داود (٤٧٠١، ٤٧٠٢)، والترمذي (٢١٣٤)، وابن ماجه (٨٠).

(٢) أخرجه البخاري (٦٦١٤) بَابُ الذِّكْرِ بَعْدَ الصَّلاَةِ (٨٤٤)، وبَابُ لاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَى اللَّهُ، برقم (٦٦١٥)، ومسلم، بَابُ اسْتِحْبَابِ الذِّكْرِ بَعْدَ الصَّلَاةِ وَبَيَانِ صِفَتِهِ (٥٩٣)، وأبو داود (١٥٠٥)، والنسائي (١٣٤١، ١٣٤٢)، والترمذي (٢٩٩)، وابن ماجه (٨٧٩).

(٣) أخرجه البخاري، بَابُ التَّعَوُّذِ مِنْ جَهْدِ البَلاَءِ (٦٣٤٧) بَابُ تَحَاجَّ آدَمُ وَمُوسَى عِنْدَ اللَّهِ. برقم (٦٦١٦)، ومسلم، بَابٌ فِي التَّعَوُّذِ مِنْ سُوءِ الْقَضَاءِ وَدَرَكِ الشَّقَاءِ وَغَيْرِهِ (٢٧٠٧).

(٤) أخرجه البخاري، بَابُ ﴿يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ [الأنفال: ٢٤] (٦٦١٧)، وأبو داود (٣٢٦٣)، والنسائي (٣٧٦١)، والترمذي (١٥٤٠).

لَكَ خَبِيئًا (خَبْئًا») قَالَ: الدُّخُّ. قَالَ: «**اخْسَأْ فَلَنْ تَعْدُوَ قَدْرَكَ**» قَالَ عُمَرُ: ائْذَنْ لِي فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ. قَالَ: «**دَعْهُ، إِنْ يَكُنْ هُوَ (إِنْ يَكُنْهُ) فَلَا تُطِيقُهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هُوَ (وَإِنْ لَمْ يَكُنْهُ) فَلَا خَيْرَ لَكَ فِي قَتْلِهِ**»[1].

٢٧- عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا سَأَلَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الطَّاعُونِ فَقَالَ: «**كَانَ عَذَابًا يَبْعَثُهُ اللهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ، فَجَعَلَهُ اللهُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ، مَا مِنْ عَبْدٍ يَكُونُ فِي بَلَدٍ (بَلْدَةٍ) يَكُونُ فِيهِ وَيَمْكُثُ فِيهِ لَا يَخْرُجُ مِنَ الْبَلَدِ (الْبَلْدَةِ) صَابِرًا مُحْتَسِبًا يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يُصِيبُهُ إِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَهُ – إِلَّا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ شَهِيدٍ**»[2].

٢٨- عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ الْخَنْدَقِ يَنْقُلُ مَعَنَا التُّرَابَ وَهُوَ يَقُولُ: «**وَاللهِ لَوْلَا اللهُ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا صُمْنَا وَلَا صَلَّيْنَا فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا وَثَبِّتِ الْأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا، وَالْمُشْرِكُونَ قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا**»[3].

٢٩- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ – قَالَ: – وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**»[4].

---

(١) أخرجه البخاري، بَابُ قَوْلِ الرَّجُلِ لِلرَّجُلِ: اخْسَأْ (٦١٧٣) بَابُ ﴿يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ [الأنفال: ٢٤] (٦٦١٨)، ومسلم، بَابُ ذِكْرِ ابْنِ صَيَّادٍ وَغَيْرِهِ. ٩٥ – (٢٩٣٠).

(٢) أخرجه البخاري، بَابُ حَدِيثِ الغَارِ (٣٤٧٤) بَابُ ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١]: قَضَى (٦٦١٩)، ومسلم، بَابُ ذِكْرِ ابْنِ صَيَّادٍ. ٩٥ – (٢٩٣٠).

(٣) أخرجه البخاري، بَابُ غَزْوَةِ الخَنْدَقِ وَهِيَ الأَحْزَابُ (٤١٠٤) بَابُ ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣] (٦٦٢٠)، ومسلم، بَابُ غَزْوَةِ خَيْبَرَ (١٢٣ – (١٨٠٢) بنحوه والنسائي (٣١٥٠).

(٤) أخرجه مسلم في «صحيحه» في كتاب القدر، بَابُ حِجَاجِ آدَمَ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ (٢٦٥٣).

٣٠- عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، يَقُولُ: إِنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ**» ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اللهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ**»(١).

٣١- عَنْ طَاوُسٍ، أَنَّهُ قَالَ: أَدْرَكْتُ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَقُولُونَ: كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ. قَالَ: وَسَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ، حَتَّى الْعَجْزِ وَالْكَيْسِ - أَوِ: الْكَيْسِ وَالْعَجْزِ -**»(٢).

٣٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: جَاءَ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ يُخَاصِمُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي الْقَدَرِ، فَنَزَلَتْ ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَـٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٨](٣).

٣٣- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**كُلُّ إِنْسَانٍ تَلِدُهُ أُمُّهُ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَأَبَوَاهُ بَعْدُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجِّسَانِهِ، فَإِنْ كَانَا مُسْلِمَيْنِ فَمُسْلِمٌ، كُلُّ إِنْسَانٍ تَلِدُهُ أُمُّهُ يَلْكُزُهُ الشَّيْطَانُ فِي حِضْنَيْهِ إِلَّا مَرْيَمَ وَابْنَهَا**»(٤).

---

(١) أخرجه مسلم، بَابُ تَصْرِيفِ اللهِ تَعَالَى الْقُلُوبَ كَيْفَ شَاءَ. ١٧ - (٢٦٥٤)، والترمذي (٣٥٢٢)، وابن ماجه (١٩٩).

(٢) أخرجه مسلم، بَابُ كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ. ١٨ - (٢٦٥٥).

(٣) أخرجه مسلم، بَابُ كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ. ١٩ - (٢٦٥٦)، والترمذي (٢١٥٧، ٣٢٩٠)، وابن ماجه (٨٣).

(٤) البخاري، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾﴾ [مريم: ١٦] (٣٤٣١)، وبَابُ ﴿وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦] (٤٥٤٨) ومسلم، بَابُ فَضَائِلِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ (١٤٧ - (٢٣٦٦)، وبَابُ مَعْنَى كُلِّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ وَحُكْمِ مَوْتِ أَطْفَالِ الْكُفَّارِ وَأَطْفَالِ الْمُسْلِمِينَ =

٣٤- عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ الْغُلَامَ الَّذِي قَتَلَهُ الْخَضِرُ طُبِعَ كَافِرًا، وَلَوْ عَاشَ لَأَرْهَقَ أَبَوَيْهِ طُغْيَانًا وَكُفْرًا**»(١).

فالمراد به كُتب وخُتم، وهذا من طبع الكتاب(٢).

٣٥- عَنْ عَائِشَةَ بِنْتِ طَلْحَةَ، عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَتْ: تُوُفِّيَ صَبِيٌّ، فَقُلْتُ: طُوبَى لَهُ عُصْفُورٌ مِنْ عَصَافِيرِ الْجَنَّةِ! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَوَ لَا تَدْرِينَ أَنَّ اللهَ خَلَقَ الْجَنَّةَ وَخَلَقَ النَّارَ، فَخَلَقَ لِهَذِهِ أَهْلًا وَلِهَذِهِ أَهْلًا**»(٣).

٣٦- عَنِ الْمَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ: اللهُمَّ أَمْتِعْنِي بِزَوْجِي رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَبِأَبِي أَبِي سُفْيَانَ، وَبِأَخِي مُعَاوِيَةَ! قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**قَدْ سَأَلْتِ اللهَ لِآجَالٍ مَضْرُوبَةٍ، وَأَيَّامٍ مَعْدُودَةٍ، وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ، لَنْ يُعَجِّلَ شَيْئًا قَبْلَ حِلِّهِ أَوْ يُؤَخِّرَ شَيْئًا عَنْ حِلِّهِ، وَلَوْ كُنْتِ سَأَلْتِ اللهَ أَنْ يُعِيذَكِ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ، أَوْ عَذَابٍ فِي الْقَبْرِ، كَانَ خَيْرًا وَأَفْضَلَ**» قَالَ: وَذُكِرَتْ عِنْدَهُ الْقِرَدَةُ، قَالَ مِسْعَرٌ: وَأُرَاهُ قَالَ: وَالْخَنَازِيرُ مِنْ مَسْخٍ، فَقَالَ: «**إِنَّ اللهَ لَمْ يَجْعَلْ لِمَسْخٍ نَسْلًا وَلَا عَقِبًا، وَقَدْ كَانَتِ الْقِرَدَةُ وَالْخَنَازِيرُ قَبْلَ ذَلِكَ**»(٤).

٣٧- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ**

= (٢٥) - (٢٦٥٨).

(١) مسلم، بَابُ مَعْنَى كُلِّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ وَحُكْمِ مَوْتِ أَطْفَالِ الْكُفَّارِ وَأَطْفَالِ الْمُسْلِمِينَ، برقم ٢٩ - (٢٦٦١)، وأبو داود (٤٧٠٥)، والترمذي (٣١٥٠).

(٢) «درء تعارض العقل والنقل» ط/ الكتب العلمية (٨/ ٤٢٧).

(٣) مسلم، بَابُ مَعْنَى كُلِّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ وَحُكْمِ مَوْتِ أَطْفَالِ الْكُفَّارِ وَأَطْفَالِ الْمُسْلِمِينَ. برقم ٣٠ - (٢٦٦٢)، و٣١ - (٢٦٦٢)، والنسائي (١٩٤٧)، وابن ماجه (٨٢).

(٤) مسلم، بَابُ بَيَانِ أَنَّ الْآجَالَ وَالْأَرْزَاقَ وَغَيْرَهَا لَا تَزِيدُ وَلَا تَنْقُصُ عَمَّا سَبَقَ بِهِ الْقَدَرُ. برقم ٣٣ - (٢٦٦٣).

إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ «لَوْ» تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»[١].

أي: تُلقي في القلب معارضة القدر وتشوش به تشويش الشيطان[٢].

فالواجب عند وقوع المقدور التسليم لأمر الله، وترك الاعتراض على الله، والإعراض عن الالتفات إلى ما فات. فيجوز النطق بـ«لو» عند السلامة من تلك الآفات. والله أعلم[٣].

ولذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية: أَمر النَّبِي ﷺ بحرص العَبْد على مَا يَنْفَعهُ والاستعانة بِاللَّه، وَنَهَاهُ عَن الْعَجز، وأنفع مَا للْعَبد طَاعَة الله وَرَسُوله وَهِي عبَادَة الله تَعَالَى. وَهَذَانِ الأصلان هما حَقِيقَة قَوْله تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة ٥] وَنَهَاهُ عَن الْعَجز وَهُوَ الإضاعة والتفريط والتواني. كَمَا قَالَ فِي الحَدِيث الآخر: «**الْكيس من دَان نَفسه وَعمل لما بعد الْمَوْت، وَالْعَاجِز من أتبع نَفسه هَواهَا وَتمنى على الله الْأَمَانِي**» رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ.

وَفِي سنَن أبي دَاوُد: أَن رجلَيْنِ تحاكما إِلَى النَّبِي ﷺ فَقضى على أَحدهمَا فَقَالَ الْمقْضِي عَلَيْهِ: حسبي الله وَنعم الْوَكِيل. فَقَالَ النَّبِي ﷺ: «**إِن الله يلوم على الْعَجز وَلَكِن عَلَيْك بالكيس، فَإِذا غلبك أَمر فَقل: حسبي الله وَنعم الْوَكِيل**» فالكَيْس ضد الْعَجز. وَفِي الحَدِيث: «**كل شَيْء بِقدر حَتَّى الْعَجز والكيس**» رَوَاهُ مُسلم.

---

(١) مسلم، بَابٌ فِي الْأَمْرِ بِالْقُوَّةِ وَتَرْكِ الْعَجْزِ وَالِاسْتِعَانَةِ بِاللهِ وَتَفْوِيضِ الْمَقَادِيرِ لِلَّهِ. برقم ٣٤ - (٢٦٦٤)، وابن ماجه (٧٩، ٤١٦٨).

(٢) «إكمال المعلم شرح صحيح مسلم» للقاضي عياض (٨/ ١٥٨).

(٣) «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» (١٥/ ٨٣).

وَلَيْسَ الْمُرَاد بِالْعَجزِ فِي كَلَام النَّبِي ﷺ مَا يضاد الْقُدْرَة؛ فَإِن مَن لَا قدرَة لَهُ بِحَال لَا يلام وَلَا يُؤمر بِمَا لَا يقدر عَلَيْهِ بِحَال. ثمَّ لما أمره بِالِاجْتِهَادِ والاستعانة بِاللَّه وَنَهَاهُ عَن الْعَجز، أَمَره إِذا غَلبه أَمر أَن ينظر إِلَى الْقدر، وَيَقُول: قدر الله وَمَا شَاءَ فعل، وَلَا يتحسر ويتلهف ويحزن. وَيَقُول: لَو أَنِّي فعلت كَذَا وَكَذَا لَكَانَ كَذَا وَكَذَا فَإِن (لَو) تفتح عمل الشَّيْطَان[1].

المسألة الثانية: فيما رُوي أن الله تعالى خلق خلقه كما شاء لما شاء، فمن شاء خلقه للجنة ومن شاء خلقه للنار، سبق بذلك علمه، ونفذ فيه حكمه، وجرى به قلمه، ومَن جحده فهو من الفِرق الهالكة:

١- فقد سئل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف: ١٧٢] قال عمر بن الخطاب: سمعت رسول الله ﷺ سئل عنها فقال رسول الله ﷺ: «**إن الله خلق آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ فمسح ظهره بيمينه، فاستخرج منه ذرية فقال: خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج ذرية فقال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون**»، فقام رجل فقال: يا رسول الله ففيمَ العمل؟ فقال رسول الله ﷺ: «**إن الله إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل أهل الجنة، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت وهو على عمل أهل النار فيُدخله به النار**»[2].

٢- وعن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا مع رسول الله ﷺ في جنازة، فلما انتهينا

---

(١) «جامع الرسائل لابن تيمية» رشاد سالم (٢/ ١٣٦).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (١-٤٤)، وأبو داود (٤٧٠٣)، والنسائي في «الكبرى» (١١١٩٠)، والترمذي (٣٠٧٥)، وقال الترمذي، وهذا حديث حسن.

إلى بقيع الغرقد، قعد رسول الله ﷺ وقعدنا حوله، فأخذ عودًا فنكت به في الأرض، ثم رفع رأسه فقال: «**ما منكم من نفس منفوسة إلا قد علم مكانها من الجنة والنار وشقية أو سعيدة**»، فقال رجل من القوم: يا رسول الله ﷺ، ألا ندع العمل ونعمل على كتاب ربنا، فمن كان من أهل الجنة صار إلى السعادة، ومن كان من أهل الشقوة صار إلى الشقوة؟ فقال رسول الله ﷺ: «**بل اعملوا فكلٌّ ميسر لما خُلق له، فمَن كان من أهل الشقوة يُسِّر لعملها، ومن كان من أهل السعادة يُسِّر لعملها**» ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ [الليل: ٥- ٧][(١)].

٣- وعن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كنا في جَنَازَة في بَقيعِ الغَرْقَدِ، فأتانا رسولُ الله ﷺ فقَعَد، وقَعَدنا حَوَلهُ، ومَعَهُ مِخْصَرة، فنكَسَ وَجَعَلَ يَنْكُتُ بمخصرته، ثم قال: «**ما منكم من أحد إلا وقد كُتِبَ مقعدُه من النار، ومقعدُه من الجنة**»، فقالوا: يا رسولَ الله أفلا نَتَّكِلُ على كتابنا؟ فقال: «**اعملوا، فَكلٌّ مُيَسَّر لما خُلقَ له، أمَّا مَنْ كان من أهل السعادةِ فسيصيرُ لعمل أهل السعادة، وأمَّا مَنْ كان من أهل الشقاء فسيصير لعمل أهل الشقاء**» ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ [الليل: ٥- ١٠][(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٣١).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» في كتاب الجنائز، بَابُ مَوْعِظَةِ المُحَدِّثِ عِنْدَ القَبْرِ، وَقُعُودِ أَصْحَابِهِ حَوْلَهُ (١٣٦٢)، كتاب التفسير، بَابُ قَوْلِهِ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥﴾ (٤٩٤٥)، بَابُ ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ (٤٩٤٦)، بَابُ قَوْلِهِ: ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨﴾ (٤٩٤٧)، بَابُ قَوْلِهِ: ﴿وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩﴾ (٤٩٤٨)، بَابُ ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ (٤٩٤٩)، كتاب الأدب، بَابُ الرَّجُلِ يَنْكُتُ الشَّيْءَ بِيَدِهِ فِي الأَرْضِ (٦٢١٧)، كتاب القدر، بَابُ ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ (٦٦٠٥)، كتاب التوحيد، بَابُ =

٤- وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: حدَّثنا رسولُ الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «**إن خَلْق أَحدِكم يُجْمَعُ في بطنِ أُمِّهِ أربعين يومًا، ثم يكون عَلَقة مثل ذلك، ثم يكون مضْغَة مثل ذلك، ثم يَبْعَثُ الله إليه مَلَكًا بأربع كلمات: بكَتْب رزقِهِ وأجلِهِ وعملِهِ وشَقي أو سعيد، ثم يَنْفُخُ فيه الروحَ، فوالذي لا إله غيره، إنَّ أحدَكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكونُ بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتابُ فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدَكم لَيَعْمَل بعمل أهل النار حتى ما يكونُ بينَه وبينها إلا ذراع، فيسبقُ عليه الكتابُ فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها**»(١).

٥- وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**وَكَّلَ الله بالرَّحم ملَكًا، فيقول: أي ربِّ نطفة؟ أي ربِّ علقة؟ أي ربِّ مُضْغَة؟ فإذا أراد أن يقضي خَلْقَها، قال: يا ربِّ، أذكَر أم أنثى؟ أشقيّ أم سعيد؟ فما الرزق؟ فما الأجل؟ فيُكتب ذلك في بطن أمه**»(٢).

= قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ (٧٥٥٢)، ومسلم في «صحيحه»، في كتاب القدر، بَابُ كَيْفِيَّةِ خَلْقِ الْآدَمِيِّ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَكِتَابَةِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقَاوَتِهِ وَسَعَادَتِهِ (٢٦٤٧)، وابن ماجه (٧٨).

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» في كتاب بدء الخلق، بَابُ ذِكْرِ المَلاَئِكَةِ (٣٢٠٨)، كتاب أحاديث الأنبياء، بَابُ خَلْقِ آدَمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَذُرِّيَّتِهِ (٣٣٣٢)، كتاب القدر، باب القدر (٦٥٩٤)، كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾﴾ (٧٤٥٤)، ومسلم في «صحيحه» في كتاب القدر، بَابُ كَيْفِيَّةِ خَلْقِ الْآدَمِيِّ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَكِتَابَةِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقَاوَتِهِ وَسَعَادَتِهِ (٢٦٤٣).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» في كتاب الحيض، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ (٣١٨)، كتاب أحاديث الأنبياء، بَابُ خَلْقِ آدَمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَذُرِّيَّتِهِ (٣٣٣٣)، كتاب القدر، باب القدر (٦٥٩٥)، ومسلم في «صحيحه» في كتاب القدر، بَابُ كَيْفِيَّةِ خَلْقِ الْآدَمِيِّ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَكِتَابَةِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقَاوَتِهِ وَسَعَادَتِهِ (٢٦٤٦).

٦- وعن عامر بن واثلة رَحِمَهُ اللَّهُ أنه سمع عبد الله بنَ مسعود يقول: «الشقيّ من شَقيَ في بَطن أمه، والسعيد مَنْ وُعِظَ بغيره. فأتى رجلًا من أصحاب رسولِ الله ﷺ يقال له: حذيفةُ بنُ أَسِيد الغِفاري، فحدَّثهُ بذلك من قول ابن مسعود، فقال له: وكيف يشقى رجل بغير عمل؟! فقال له الرجل: أتَعْجَبُ من ذلك؟ فإني سَمِعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**إذا مَرَّ بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة، بعَثَ الله إليها ملكًا فصوَّرَها، وخَلَقَ سمعها، وبصرَها، وجِلدَها، ولحمها، وعظامها، ثم قال: يا رب، أذكر أم أنثى؟ فيقضي ربُّك ما شاء، ويكتبُ الملَكُ، ثم يقول: يا رب، أجلُه؟ فيقول ربُّك ما شاء، ويكتب الملك، ثم يقول: يا رب رِزّقُه؟ فيقضي ربك ما شاء، ويكتب الملك، ثم يخرج الملَكُ بالصحيفة في يده، فلا يزيد على ما أمر ولا ينقص**»[(١)].

٧- قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ (إِنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ) يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ مَلَكًا (يُبْعَثُ إِلَيْهِ مَلَكٌ) فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعٍ: بِرِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، فَوَاللهِ إِنَّ أَحَدَكُمْ - أَوِ: الرَّجُلَ - يَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا غَيْرُ بَاعٍ - أَوْ: ذِرَاعٍ - فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا غَيْرُ ذِرَاعٍ أَوْ ذِرَاعَيْنِ (أَوْ بَاعٍ) فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا**» وَقَالَ آدَمُ: إِلَّا ذِرَاعٌ (بَاعٌ)[(٢)].

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» في كتاب القدر، بَابُ كَيْفِيَّةِ خَلْقِ الْآدَمِيِّ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَكِتَابَةِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقَاوَتِهِ وَسَعَادَتِهِ (٢٦٤٦).

(٢) أخرجه البخاري، باب ذكر الملائكة. برقم (٣٢٠٨)، وبَابُ خَلْقِ آدَمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَذُرِّيَّتِهِ. برقم (٣٣٣٢)، ومسلم، باب بَابُ كَيْفِيَّةِ خَلْقِ الْآدَمِيِّ فِي بَطْنِ أُمِّهِ =

٨- قال رسول الله ﷺ: «**إن الرجل ليعمل البرهة من عمره بعمل أهل الجنة، فإن كان قبل موته تحول فعمل بعمل أهل النار فمات فدخل النار. وإن الرجل ليعمل البرهة من عمره بعمل أهل النار فإذا كان قبل موته تحول فعمل بعمل أهل الجنة فمات فدخل الجنة**»(١).

٩- وعن عمران بن حصين، قال: قال رجل: يا رسول الله، أعلم الله أهل الجنة من أهل النار؟ قال: «**نعم**» قال: ففيمَ يعمل العاملون؟ قال: «**اعملوا فكلٌّ ميسر**» أو كما قال(٢).

١٠- عن ابن المسيب أن عمر بن الخطاب قال: يا نبي الله، أرأيت ما نعمل لأمر قد فرغ منه أم لأمر نستقبله استقبالًا؟ فقال: «**بل لأمر قد فُرغ منه**»، فقال: ففيمَ العمل؟ فقال النبي ﷺ: «**كلٌّ لا ينال إلا بالعمل**»، قال عمر: إذًا نجتهد(٣).

١١- وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال عمر: يا رسولَ الله أَرأَيت ما نعمل فيه، أمر مبتدع - أو: مبتدأ - أو فيما قد فُرِغَ منه؟ فقال: «**فيما قد فُرِغَ منه يا بن الخطاب، وكلٌّ مُيَسَّر، أمَّا مَنْ كان من أهل السعادة فإنه يعمل للسعادة، وأمَّا من كان من أهل الشقاء فإنه يعمل للشقاء**»(٤).

= وَكِتَابَةِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقَاوَتِهِ وَسَعَادَتِهِ. برقم (٢٦٤٣)، وأبو داود (٤٧٠٨)، والترمذي (٢١٣٧)، وابن ماجه (٧٦).

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٢٠-٢٢٣)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢١١): رجاله رجال الصحيح.

(٢) أخرجه البخاري (٧١١٢)، ومسلم (٢٦٤٩).

(٣) **صحيح لغيره:** أخرجه ابن وهب في «القدر» (٢٠)، والفريابي في «القدر» (٢٩).

(٤) **حسن لغيره:** أخرجه أحمد في «مسنده» (١٩٦)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (٨٥٥)، والترمذي في «سننه»، في أبواب القدر، باب ما جاء في الشقاء والسعادة =

١٢- وعن هشام بن حكيم أن رجلًا قال: يا رسول الله أبتدئت الأعمال أم قد قُضي القضاء؟ فقال رسول الله ﷺ: «**إن الله ﷻ أخذ ذرية آدم من ظهورهم، ثم أشهدهم على أنفسهم، ثم أفاض بهم في كفيه، ثم قال: هؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار. فأهل الجنة ييسرون لعمل أهل الجنة، وأهل النار ييسرون لعمل أهل النار**»[1].

المسألة الثالثة: ما رُوي في الإيمان بأن الله ﷻ أخذ ذرية آدم من ظهورهم فجعلهم فريقين فريقًا للجنة وفريقًا للسعير:

تنبيه: قد دلت أحاديث كثيرة على أن الله أخرج ذرية آدم في صورة الذر فأخذ عليهم الميثاق كما ذكر هنا، وبعضها صحيح، قال القرطبي في تفسير هذه الآية: قال أبو عمر - يعني ابن عبد البر -: لكن معنى هذا الحديث قد صح عن النبي ﷺ من وجوه ثابتة كثيرة من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وعبد الله بن مسعود، وعلي بن أبي طالب، وأبي هريرة رضي الله عنهم

= (٢١٣٥)، والطيالسي في «مسنده» (١١)، والبزار في «مسنده» (١٢١)، وأبو يعلى في «مسنده» (٥٥٧١)، والدارمي في «الرد على الجهمية» (٢٧٢)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٦٣)، والآجري في «الشريعة» (٣٢٦)، والبيهقي في «القضاء والقدر» (٣٨).

من طريق عبد الرحمن بن مهدي، عن شعبة، عن عاصم بن عبيد الله، عن سالم بن عبد الله، عن أبيه، عن عمر، به.

وإسناده ضعيف، ففيه: عاصم بن عبيد الله بن عاصم بن عمر بن الخطاب، والمدار عليه، فقد قال فيه البخاري وغيره: منكر الحديث،

وقد قال الترمذي رحمه الله: وهذا حديث حسن صحيح.

قلت: فلعله يحسن المتن بشواهده، والله أعلم.

(١) **صحيح:** أخرجه الفريابي (١٩)، وابن أبي عاصم (١٦٨)، والبيهقي في «القضاء والقدر» (٢٢٦، ٢٢٧).

أجمعين وغيرهم. اهـ[(١)].

١- قال النبي ﷺ: «**خلق الله ﷻ آدم حين خلقه، فضرب كتفه اليمنى فأخرج ذرية بيضاء كأنهم الذر، وضرب كتفه اليسرى فأخرج ذرية سوداء كأنهم الحُمَم، فقال للتي في يمينه: إلى الجنة ولا أبالي. وقال للتي في يساره: إلى النار ولا أبالي**»[(٢)].

٢- قال رسول الله ﷺ: «**خلق الله آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، منهم الأحمر والأسود والسهل والحزن وبين ذلك، والخبيث والطيب**»[(٣)].

٣- وعن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أُبي بن كعب، في قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] إلى قوله: ﴿أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٣] قال: جَمَعهم جميعًا فجعلهم أزواجًا، ثم صورهم ثم استنطقهم، فقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأعراف: ١٧٢]. لم نعلم بهذا، قالوا: نشهد أنك ربنا وإلهنا، لا رب لنا غيرك، ولا إله لنا غيرك. قال: فإني سأرسل إليكم رسلي، وأُنزل عليكم كتبي، فلا تُكَذِّبوا برسلي، وصَدِّقوا بوعدي، فإني سأنتقم ممن أشرك بي ولم يؤمن بي.

قال: فأخذ عهدهم وميثاقهم، ثم رفع أباهم آدم عليهم، فنظر إليهم،

---

(١) «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» (٢/ ٤٤).

(٢) **حسن:** أخرجه أحمد في «مسنده» (٦/ ٤٤١)، وقال الهيثمي: رواه أحمد والبزار والطبراني، ورجاله رجال الصحيح.

(٣) **صحيح:** أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ٤٠٠)، وأبو داود (٣٦٩٣)، والترمذي (٢٩٥٥).

فرأى فيهم الغني والفقير، وحسن الصورة ودون ذلك، فقال: رب لو شئت سويت بين عبادك. قال: إني أحببت أن أُشْكَر.

قال: والأنبياء فيهم يومئذٍ مثل السُّرُج. قال: وخُصوا بميثاق آخر للرسالة أن يبلغوها. قال: فهو قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾ [الأحزاب: ٧] قال: وهو قوله: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠] وهو قوله: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَـٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأعراف: ١٠٢].

قال: وذلك قوله: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَـٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ﴾ [المائدة: ٧] قال: فكان في علم الله يومئذ من يكذبه ومن يصدقه.

قال: وكان روح عيسى ابن مريم من تلك الأرواح التي أخذ الله عهدها وميثاقها في زمن آدم، فأرسله الله إلى مريم في صورة بشر، ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٧]، ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَـٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾﴾ [مريم: ٢٠] قال: فحملت الذي في بطنها، قال أُبي: فدخل مِن فيها[1].

٤- وعن ابن عباس قال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] قال: خلق الله آدم فأخذ ميثاقه أنه ربه، وكتب أجله ورزقه ومصيبته. ثم أخرج ولده من ظهره كهيئة الذر، فأخذ مواثيقهم أنه ربهم، وكتب آجالهم وأرزاقهم ومصيباتهم[2].

(١) **حسن**: أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٢٣-٣٢٤)، والطبري في «تفسيره» (٩/ ١١٥)، والآجري في «الشريعة» (٢٠٧).

(٢) «شرح كتاب الإبانة من أصول الديانة» (٤٨/ ١٤، بترقيم الشاملة آليًّا).

المسألة الرابعة: ما رُوي في الإيمان بأن الله ﷻ قَدَّر المقادير قبل أن يخلق السماوات والأرَضين، ومَن خالف ذلك فهو من الفِرق الهالكة:

١- عن عبد الله بن عمرو، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كتب الله مقادير الخلائق كلها قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة - قال: - وعرشه على الماء**»[(١)].

٢- قال رسول الله ﷺ: «**قَدَّر الله المقادير قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة**»[(٢)].

٣- قال رسول الله ﷺ: «**إن الله ﷻ خلق كل نفس، فكتب حياتها ورزقها ومصيباتها**»[(٣)].

٤- عن أبي الأسود الدؤلي، قال: قال لي عمران بن حصين: أرأيت ما يكدح الناس اليوم ويعملون فيه، أشيء قُضي عليهم ومضى من قدر قد سبق، أو فيما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم ﷺ فاتخذت عليهم به الحجة؟ قال: لا. قلت: بل شيء قد قُضي عليهم ومضى عليهم. قال: فهل يكون ذلك ظلمًا؟ قال: ففزعت من ذلك فزعًا شديدًا وقلت: إنه ليس شيء إلا وهو خلق الله ومِلك يده ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

فقال: سددك الله، إني والله ما سألتك إلا لأحرز عقلك، إن رجلًا من مزينة أتى النبي ﷺ فقال: أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه، أشيء

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» في كتاب القدر، بَابُ حِجَاجِ آدَمَ وَمُوسَى عليهما السلام (٢٦٥٣).

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» في كتاب القدر، بَابُ حِجَاجِ آدَمَ وَمُوسَى عليهما السلام (٢٦٥٣). وأحمد (٢-١٦٩)

(٣) **حسن**: أخرجه الترمذي (٣-٣٠٥)، وأحمد في «مسنده» (٤١٩٨).

قُضي عليهم ومضى عليهم أو فيما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم ﷺ فاتخذت به عليهم الحجة؟ فقال: «**لا، بل شيء قُضي عليهم ومضى عليهم**» قال: فلمَ نعمل إذًا؟ فقال: «**مَن كان خلقه لواحدة المنزلتين فهو مهيئه**».

قال محمد بن بهية: لعملها، وتصديق ذلك في كتاب الله ﷻ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾ [الشمس: ٧، ٨]»[١].

٥- عن أبي الدرداء، أنهم قالوا: يا رسول الله، أرأيت ما نعمل، أفي شيء قد فُرغ منه أم في شيء نأتنفه؟ فقال رسول الله ﷺ: «**بل في أمر قد فُرغ منه**»، فقالوا: فكيف بالعمل بعد القضاء؟ قال: «**كل امرئ مهيأ لما خُلق له**»[٢].

٦- أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ مرجعه من بدر فقال: أنعمل لأمر قد فُرغ منه أم لأمر نأتنفه؟ فقال: «**لأمر قد فُرغ منه**»، قال: ففيم العمل إذًا؟ فقال رسول الله ﷺ: «**كلٌّ ميسر لما كُتب له وعليه**»[٣].

٧- عن هشام بن حكيم، أن رجلًا أتى النبي ﷺ فقال: أتُبتدأ الأعمال أم قد قُضي القضاء؟ فقال رسول الله ﷺ: «**إن الله خلق ذرية آدم من ظهورهم، ثم أشهدهم على أنفسهم، ثم أفاض بهم في كفيه فقال: هؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار، فأهل الجنة ميسرون لعمل أهل الجنة، وأهل النار ميسرون لعمل أهل النار**»[٤].

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» في كتاب القدر، بَابُ كَيْفِيَّةِ خَلْقِ الْآدَمِيِّ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَكِتَابَةِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقَاوَتِهِ وَسَعَادَتِهِ (٢٦٥٠). وأحمد في «مسنده» (٤-٤٣٨).

(٢) **صحيح لغيره:** أخرجه أحمد في «مسنده» (٦-٤٤١)، والحاكم (٢-٥٠٢).

(٣) **صحيح:** أخرجه الترمذي في «سننه» (٣-٣٠١)، وقال: حديث حسن صحيح.

(٤) صححه الشيخ الألباني، أخرجه الفريابي في «القدر» (٢٤)، والطبري (٩-١١٧)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٦٨).

٨- عن جابر بن عبد الله، أنه قال: يا رسول الله، أنعمل لأمر قد فُرغ منه أو لأمر نأتنفه؟ فقال: «**بل لأمر قد فُرغ منه**»، فقال سراقة بن مالك: يا رسول الله، ففيم العمل إذًا؟ فقال رسول الله ﷺ: «**كل امرئ ميسر لعمله**»[١].

٩- عن جابر بن عبد الله أيضًا، أن رجلًا قال: يا رسول الله فيم العمل، أفي شيء قد سبق أم شيء نستأنفه؟ قال: «**بل في شيء قد سبق**» قال: ففيم العمل؟ قال: «**اعملوا فكلٌّ ميسر لما خُلق له**»[٢].

١٠- عن بشير بن كعب العدوي، قال: سأل غلامان شابان رسول الله ﷺ فقالا: أنعمل فيما جفت فيه الأقلام وجرت فيه المقادير، أم شيء يؤتنف؟ فقال: «**بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير**» فقالا: ففيمَ العمل إذًا؟ فقال: «**كل عامل ميسر لعمله الذي هو عامل**» قالا: فالآن يجب أن نعمل[٣].

المسألة الخامسة: ما رُوي في الإيمان بأن الله ﷻ خلق القلم فقال له: اكتب. فكتب ما هو كائن، فمَن خالفه فهو من الفِرق الهالكة:

١- عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أول ما خلق الله تعالى القلم، فجرى بما هو كائن إلى قيام القيامة**»[٤].

٢- عن عبادة بن الصامت، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أول**

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٤٨)، وأخرجه أحمد في «مسنده» (٣-٣٣٥).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٤٨)، وأخرجه أحمد في «مسنده» (٣-٣٣٥).

(٣) **صحيح**: أخرجه الفريابي في «القدر» (٨٣)، وقال الحافظ: إسناده صحيح «الفتح» (١١/ ٤٩٧).

(٤) **صحيح**: أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ٣)، وصححه الألباني في «تخريج السنة» (١-٥٠).

ما خلق الله ﷻ القلم ثم قال: اكتب. فجرى في تلك الساعة ما هو كائن إلى يوم القيامة»[(١)].

٣- عن الوليد بن عبادة، عن أبيه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن أول ما خلق الله القلم، فقال: اكتب، فقال: يا رب، وما أكتب؟ قال: اكتب القدر، ما كان وما هو كائن إلى الأبد»**[(٢)].

٤- قال رسول الله ﷺ: **«أول شيء خلقه الله ﷻ القلم، فأخذه بيمينه - وكلتا يديه يمين - فكتب الدنيا وما يكون فيها من عمل معمول، بر أو فجور، رطب أو يابس، فأمضاه عنده في الذكر»**، ثم قال: اقرءوا إن شئتم: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٢٩﴾ [الجاثية: ٢٩] فهل تكون النسخة إلا من شيء قد فُرغ منه؟[(٣)].

٥- عن مجاهد، قال: قلت لابن عباس: إن ناسًا يُكَذِّبون بالقدر. قال: إنهم يُكَذِّبون بكتاب الله، لآخذن بشَعر أحدهم فلأنصونه!! ثم قال: إن الله ﷻ كان على عرشه قبل أن يخلق شيئًا، فكان أول ما خلق القلم، فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة، فإنما يجري الناس على أمر قد فُرغ منه[(٤)].

٦- عن ابن عباس، في قوله ﷻ: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٩] قال: ألستم قومًا عربًا؟ هل تكون نسخة إلا من كتاب؟[(٥)].

---

(١) **صحيح:** أخرجه أحمد (٥-٣١٧)، وابن الجعد (١-٤٩٤) (٣٤٤٤).

(٢) **صحيح:** أخرجه الترمذي (٣٣١٩)، والطيالسي (٥٧٧)، والطبراني في «الشاميين» (٥٩).

(٣) **رجاله ثقات:** أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١٠٦)، والآجري (٣٧٧)، وقال الشيخ الألباني: إسناده حسن ورجاله ثقات.

(٤) **صحيح:** أخرجه الآجري (٣٨٩)، واللالكائي (٦٦٠)، و«الإبانة» (١٣٧٠).

(٥) أخرجه الحاكم (٢/٤٩٣)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي =

المسألة السادسة: ما رُوي في الإيمان بأن الله ﷻ كتب على آدم المعصية قبل أن يخلقه، فمَن رد ذلك فهو من الفِرق الهالكة:

١- عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**تحاج آدم وموسى فقال موسى: أنت الذي أغويت الناس وأخرجتهم من الجنة إلى الأرض؟ فقال له آدم: أنت الذي أعطاك الله علم كل شيء واصطفاك على الناس برسالته؟ قال: نعم. قال: أفتلومني على أمر قد كُتب عليّ قبل أن أفعله - أو قال: قبل أن أُخلق؟ - قال: فحج آدم موسى**».

حدثنا الصفار، قال: حدثنا الرمادي، ح وحدثنا أحمد بن القاسم، قال: حدثنا الدبري، قالا: حدثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن أيوب، عن ابن سيرين، عن أبي هريرة، نحوه[1].

٢- عن أبي هريرة أيضًا، عن النبي ﷺ قال: «**التقى آدم وموسى فقال موسى لآدم: أنت الذي أشقيت الناس وأخرجتهم من الجنة؟**» قال: «**فقال آدم لموسى: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته واصطفاك لنفسه، وأنزل عليك التوراة؟ قال: نعم، قال: فهل وجدته كتب عليّ قبل أن يخلقني؟ قال: نعم**».

قال رسول الله ﷺ: «**فحج آدم موسى، فحج آدم موسى، فحج آدم موسى**» ثلاث مرات[2].

٣- قال رسول الله ﷺ: «**تحاج آدم وموسى عليهما السلام، فقال آدم لموسى: أنت يا موسى الذي بعثك الله برسالته واصطفاك على خلقه ثم صنعت الذي صنعت - يعني بالنفس الذي قتل -؟ فقال موسى: أنت آدم أبو الناس الذي خلقك الله بيده،**

= واللالكائي (٩٩٤).

(١) أخرجه مسلم (٢٦٥٢).

(٢) أخرجه البخاري (٤٧٣٦)، ومسلم (٢٦٥٢).

وأسجد لك ملائكته، وأسكنك جنته، فلولا ما صنعتَ دخلَتْ ذريتك الجنة؟ قال آدم لموسى: أتلومني على أمر قد قُدر عليّ قبل أن أُخلق؟» فقال رسول الله ﷺ: «**فحج آدم موسى**»[١].

المسألة السابعة: ما رُوي في الإيمان بأن السعيد والشقي مَن سعد أو شقي في بطن أمه، ومَن رد ذلك فهو من الفِرق الهالكة:

١- قال رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «**إن خلق أحدكم يُجمع في بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ﷻ إليه الملك بأربع كلمات: رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد**»، قال: «**فوالذي نفس محمد بيده، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ثم يدركه ما سبق له في الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها. وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ثم يدركه ما سبق له في الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها**»[٢].

٢- عن عبد الله بن مسعود، قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق. قال أبو داود: قلت لأحمد: حديث: «**يجمع في بطن أمه؟**» قال: نعم. قال أحمد: قص حسين نحو حديث الأعمش[٣].

٣- وعن حذيفة بن أَسيد الغِفاري، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا استقرت النطفة في الرحم، بعث الله إليها ملكًا موكلًا بالأرحام، فيقول: يا رب، ما أكتب؟ أذكر أو أنثى؟**» قال: «**فيقضي الرب ويكتب الملك، ثم يقول: رب أشقي أم سعيد؟**» قال: «**فيقضي الرب ويكتب الملك، ثم يكتب مصائبه ورزقه وأجله**» ثم قال

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٥٢).

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣).

(٣) أخرجه البخاري (٣٠٣٦)، ومسلم (٢٦٤٣).

رسول الله ﷺ: «**هؤلاء خمس يكن في الرحم، لا يزاد فيهن ولا ينقص منهن**»[١].

٤- وعن أبي الزبير، أن عامر بن واثلة حدثه أنه سمع عبد الله بن مسعود يقول: الشقي مَن شقي في بطن أمه، والسعيد مَن وُعظ بغيره.

فأتى رجل من أصحاب النبي ﷺ يقال له حذيفة بن أَسيد الغِفاري، فحدثته بذلك من قول ابن مسعود فقلت: كيف شقي بغير عمل؟! فقال: تعجب من ذلك؟ إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا مر بالنطفة اثنتان وأربعون ليلة بعث الله ﷻ إليها ملكًا فصَوَّرها، وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها، فقال: يا رب، أذكر أم أنثى؟ فيقضي الرب ما شاء ويكتب الملك ثم يقول: يا رب أجله؟ فيقضي ربك ما شاء، ثم يقول: يا رب رزقه؟ فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك، ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده، فلا يزيد على أمره ولا ينقص**»[٢].

٥- قال رسول الله ﷺ: «**يدخل الملك على النطفة بعدما استقرت في الرحم أربعين أو خمسًا وأربعين، فيقول: يا رب، أذكر أو أنثى؟ فيقول الله ﷻ فيكتب، ثم يقول: يا رب أشقي أو سعيد؟ فيقول الله فيكتب، ثم يكتب مصيبته وأثره ورزقه وعمله، ثم تطوى الصحف، فلا يزاد على ما فيها ولا ينقص**»[٣].

٦- قال رسول الله ﷺ: «**إن الله ﷻ وَكَّل بالرحم ملكًا، فيقول: يا رب نطفة، يا رب علقة، يا رب مضغة. فإذا أراد الله خلقه قال: أي رب ذكر أم أنثى؟ أشقي أم سعيد؟ فما الرزق؟ فما الأجل؟ فيكتب ذلك في بطن أمه**»[٤].

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٣٨) وأحمد (٤/ ٦-٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٤٥)، وابن حبان (٦١٧٧).

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٤٤)، وأحمد (٤/ ٦).

(٤) أخرجه البخاري (٣١٨)، ومسلم (٢٦٤٦).

٧- وعن عبد الله بن عمرو قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله خلق خلقه في ظلمة وألقى عليهم من نوره، فمن أصابه ذلك النور اهتدى، ومن أخطأه ضل؛ فلذلك أقول: جف القلم على علم الله ﷻ**»[(١)].

٨- وعن عبد الله بن مسعود، قال: إن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، فاتبعوا ولا تبتدعوا، فإن الشقي مَن شقي في بطن أمه، والسعيد مَن وُعظ بغيره[(٢)].

المسألة الثامنة: ما رُوي في الإيمان بأن الله ﷻ إذا قضى من النطفة خلقًا كان وإن عزل صاحبها، ومَن رد ذلك فهو من الفِرق الهالكة:

١- عن أبي سعد الخير الأنصاري، قال: سأل رجل من أشجع رسول الله ﷺ عن العزل، فقال: «**ما يقدر الله ﷻ في الرحم فسيكون**»[(٣)].

٢- عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا عليكم ألا تفعلوا ذاكم، إنما هو القدر**» يعني العزل[(٤)].

٣- عن جابر بن عبد الله، قال: أتى النبي ﷺ رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله، لي جارية أفأعزل عنها؟ قال: «**سيأتيها ما قُدِّر لها**» قال: فذهب ثم جاء فقال: يا رسول الله، ألم تر إلى الجارية التي سألتك عنها، فإنها قد حبلت! قال: فقال رسول الله ﷺ: «**ما قَدَّر الله لنفس أن تخرج إلا وهي**

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (٢/ ١٧٦)، والفريابي في «القدر» (٦٨)، وصححه الشيخ الألباني في «الصحيحة» (١٠٧٦).

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٤٧)، و(٦٨٤٩).

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ٤٥٠)، والنسائي (٨/ ١٠٨)، وصححه الشيخ الألباني في «الصحيحة» (١٠٣٢).

(٤) أخرجه مسلم (١٣٣٨)، وأحمد (٣/ ٢٢).

كائنة»[١].

فجميع ما قد ذُكر لك ينبغي على المسلمين معرفته والإيمان به، والإذعان لله ﷻ والإقرار له بالعلم والقدرة وأنه ليس شيء كان ولا هو كائن إلا وقد علمه الله ﷻ قبل كونه ثم كان بمشيئة الله وقدرته.

فمَن زعم أن الله ﷻ شاء لعباده الذين جحدوه وكفروا به وعصوه - الخير والإيمان به والطاعة له، وأن العباد شاءوا لأنفسهم الشر والكفر والمعصية، فعملوا على مشيئتهم في أنفسهم واختيارهم لها خلافًا لمشيئته فيهم فكان ما شاءوا ولم يكن ما شاء الله؛ فقد زعم أن مشيئة العباد أغلب من مشيئة الله وأنهم أقدر على ما يريدون منه على ما يريد، فأي افتراء على الله يكون أكثر من هذا؟!

ومَن زعم أن أحدًا من الخلق صائر إلى غير ما خُلق له وعلمه الله منه، فقد نفى قدرة الله ﷻ عن خلقه، وجعل الخلق يَقْدرون لأنفسهم على ما لا يقدر الله عليه منهم، وهذا إلحاد وتعطيل وإفك على الله ﷻ وكذب وبهتان.

ومَن زعم أن الزنا ليس بقدر، قيل له: أرأيت هذه المرأة التي حملت من الزنا وجاءت بولدها، هل شاء الله أن يُخلق هذا الولد؟ وهل مضى هذا في سابق علم الله؟ وهل كان في الذرية التي أخذها ﷻ من ظهر آدم؟ فإن قال: لا، فقد زعم أن مع الله خالقًا غيره وإلهًا آخر، وهذا قول يضارع الشرك، بل هو الشرك الصارح، تعالى الله عما تقول الملحدة القدرية علوًّا كبيرًا.

ومَن زعم أن السرقة وشرب الخمر وأكل مال الحرام ليس بقضاء وقدر

(١) أخرجه مسلم (١٤٣٩).

من الله، فقد زعم أن هذا الإنسان قادر على أن يأكل رزق غيره، وأن ما أخذه وأكله وملكه وتصرف فيه من أحوال الدنيا وأموالها كان إليه وبقدرته، يأخذ منها ما يشاء، ويدع ما يشاء، ويعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، إن شاء أغنى نفسه أغناها، وإن شاء أن يفقرها أفقرها، وإن أحب أن يكون ملكًا كان، وإن أحب غير ذلك كان. وهذا قول يضارع قول المجوسية، بل ما كانت تقوله الجاهلية، لكنه أكل رزقه وقضى الله له أن يأكله من الوجه الذي أكله.

ومَن زعم أن قتل النفس ليس بقدر، فقد زعم أن المقتول مات بغير أجله، وأن الله ﷻ كتب للمقتول أجلًا علمه وأحصاه وشاءه وأراده، وأن قاتله شاء أن يفني عمره ويقطع أجله قبل بلوغ مدته وإحصاء عدته، فكان ما أراده القاتل، وبطل ما أحصاه الله وكتبه وعلمه. فأي كفر يكون أوضح وأقبح وأنجس وأرجس من هذا؟!

بل ذلك كله بقضاء الله وقدره، وكل ذلك بمشيئته في خلقه وتدبيره فيهم، قد وسعه علمه وأحصاه وجرى في سابق علمه ومسطور كتابه، وهو العدل الحق يفعل ما يشاء ويُحكم ما يريد ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣] ولا يقال لما فعله وقدره وقضاه. كيف ولا لِمَ؟!

فمَن جحد أن الله ﷻ قد علم أفعال العباد وكل ما هم عاملون، فقد ألحد وكفر، ومن أقر بالعلم لزمه الإقرار بالقدر والمشيئة على الصغر منه والقما، فالله الضار النافع، المضل الهادي، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه، ولا منازع له في أمره، ولا شريك له في ملكه، ولا غالب له في سلطانه، خلافًا للقدرية الملحدة(١).

(١) «الإبانة» (٢/ ٩/ ٤٣ - ٤٥).

المسالة التاسعة: ما رُوي في التصديق بأن الإيمان لا يصح لأحد، ولا يكون العبد مؤمنًا حتى يؤمن بالقدر خيره وشره، وأن المكذب بذلك إن مات عليه دخل النار والمخالف لذلك من الفِرق الهالكة:

١- عن يحيى بن يعمر، قال: كان أول من تكلم في القدر معبد الجهني، فخرجت أنا وحميد بن عبد الرحمن نريد مكة، فقلت: لو لقينا أحدًا من أصحاب النبي ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء القوم. فلقينا عبد الله بن عمر، فاكتنفته أنا وصاحبي، أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله، فعلمت أنه سيكل المسألة إليّ، فقلت: يا أبا عبد الرحمن، إنه قد ظهر قِبلنا ناس يتقفرون هذا العلم ويطلبونه، ويزعمون أن لا قدر، إنما الأمر أُنُف[(١)] قال: فإذا ألقيت أولئك فأخبِرهم أني منهم بريء وأنهم مني براء، والذي نفسي بيده لو أن لأحدهم مثل أُحد ذهبًا فأنفقه في سبيل الله، ما قَبِل منه شيئًا حتى يؤمن بالقدر خيره وشره. ثم قال: حدثنا عمر بن الخطاب قال: بينا نحن عند رسول الله ﷺ، إذ أقبل رجل شديد بياض الثياب... وذكر حديث الإيمان بطوله إلى قوله: «**فما الإيمان؟**» قال: «**أن تؤمن بالله وحده وملائكته وكتبه ورسله وبالبعث بعد الموت، والجنة والنار، والقدر خيره وشره. قال: صدقت**» وذكر تمام الحديث بطوله، أنا اختصرته[(٢)].

٢- قال رسول الله ﷺ: «**لن يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر كله خيره وشره**»[(٣)].

---

(١) أُنُف: أي: مُسْتأنَفٌ اسْتئنافًا من غير أن يكون سبق به سابق قضاء وتقدير، وإنما هو مقصور على اختيارك ودخولك فيه.

(٢) **صحيح:** أخرجه مسلم (١/ ٢٨) وأحمد (١/ ٢٨)، وأبو داود (٥٤٩٦).

(٣) **صحيح:** أخرجه أحمد (٦٧٠٣)، والفريابي في «القدر» (١٧١).

المسألة العاشرة: ما رُوي في الإيمان بأن الشيطان مخلوق مسلط على بني آدم يجري منهم مجرى الدم إلا من عصمه الله منه، ومَن أنكر ذلك فهو من الفِرق الهالكة:

١- قال رسول الله ﷺ: «**إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم**»[١].

٢- عن صفية بنت حيي قالت: كان رسول الله ﷺ معتكفًا فأتيته أزوره، فحدثته ثم قمت فانقلبت فقام ليقلبني - وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد - فمر برجلين من الأنصار فلما رأيا النبي ﷺ أسرعا، فقال النبي ﷺ: «**على رسلكما، إنها صفية بنت حيي**» قالا: سبحان الله يا رسول الله! قال: «**إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شرًّا**» أو قال: «**شيئًا**»[٢].

٣- عن أنس قال: بينما النبي ﷺ مع امرأة من نسائه، إذ مر رجل فقال: يا فلان، هذه زوجتي فلانة. فقال: يا رسول الله من كنت أظن به فإني لم أكن أظن بك. قال: «**إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم**»[٣].

٤- قال رسول الله ﷺ: «**ما من أحد إلا وُكِّل به قرينه من الجن**»، قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: «**وأنا، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم، فليس يأمرني إلا بخير**»[٤].

فهذه الأحاديث كلها موافقة لما نطق به التنزيل من تسليط الله إبليس وجنوده على بني آدم، وما قد ذكرناه من قبل.

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٧٤)، وأحمد (٣/ ١٥٦)، وأبو داود (٤٧١٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٨١)، ومسلم (٢١٧٥).

(٣) أخرجه مسلم (٢١٧٤)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٢٨٨).

(٤) أخرجه مسلم (٢٨١٤)، وأحمد (١/ ٣٨٥).

المسألة الحادية عشرة: ما رُوي في الإيمان بأن كل مولود يولد على الفطرة وذراري المشركين:

١- قال رسول الله ﷺ: «**كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه، كما تناتج الإبل من كل بهيمة جمعاء، هل تحس من جدعاء؟**» قالوا: يا رسول الله، أرأيت من يموت وهو صغير؟ قال: «**الله أعلم بما كانوا عاملين**»(١).

٢- عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه، والبهيمة تنتج البهيمة، هل تكون فيها جدعاء؟**»(٢).

وما أكثر مَن عشيت بصيرته عن فهم هذا الحديث فتاه قلبه وتحير عقله، فضَل وأضل به خلقًا كثيرًا!!

وذلك أنه يتأول الخبر على ما يحتمله عقله من ظاهره، فيظن أن معنى قول النبي ﷺ: «**إن كل مولود يولد على الفطرة**»، أراد بذلك أن كل مولود يولد مسلمًا مؤمنًا، وإنما أبواه يهودانه وينصرانه. فمَن قال ذلك أو توهمه فقد أعظم على الله ﷻ وعلى رسوله الفرية، ورَدّ القرآن والسنة وخالف ما عليه المؤمنون من الأمة، وزعم أن اليهود والنصارى يُضلون من هداه الله ﷻ من أولادهم ويشقون من أسعده، ويجعلون من أهل النار مَن خلقه الله للجنة، ويزعم أن مشيئة اليهود والنصارى والمجوس في أولادهم كانت أغلب، وإرادتهم أظهر وأقدر من مشيئة الله وإرادته وقوته في أولادهم، حتى كان ما أرادته اليهود والنصارى والمجوس، ولم يكن ما أراده الله،

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٥٨)، ومالك (١٦٥)، وأحمد (٢/ ٢٤٤).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٥٩) (٤٧٧٥)، و مسلم (٢٦٥٨)، وأحمد (٢/ ٣٩٣).

تعالى عما تقوله القدرية المفترية على الله علوًّا كبيرًا.

فأما هذا الحديث، فإن بيان وجهه في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ وعند العلماء والعقلاء بيان لا يختل على من وهب الله له فهمه وفتح أبصار قلبه، وذلك قول الله ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ﴾ [الأعراف: ١٧٢] ثم جاءت الأحاديث بتفسير ذلك أن الله ﷻ أخذهم من صلب آدم كهيئة الذر، فأخذ عليهم العهد والميثاق بأنه ربهم، فأقروا له بذلك أجمعون، ثم ردهم في صلب آدم، ثم قال ﷻ: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الروم: ٣٠].

فكانت البداية التي ابتدأ الله ﷻ الخلق بها ودعاهم إليها، وذلك أن بداية خلقهم الإقرار له بأنه ربهم وهي الفطرة، والفطرة هاهنا ابتداء الخلق، ولم يَعْنِ بالفطرة الإسلام وشرائعه وسننه وفرائضه، ألا تراه يقول: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الروم: ٣٠].

ومما يزيدك في بيان ذلك ووضوحه قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر: ١] يعني أنه بدأ خلقها.

فقوله ﷺ: «**كل مولود يولد على الفطرة**» يعني: على تلك البداية التي ابتدأ الله ﷻ خلقه بها وأخذ مواثيقهم عليها من الإقرار له بالربوبية، ثم يعرب عنه لسانه بما يلقنه أبواه من الشرائع والأديان، فيعرب بها ويُنسب إليها، ثم هو من بعد إعراب لسانه واعتقاده لدين آبائه راجع إلى علم الله ﷻ فيه وما سبق له في أم الكتاب عنده: إن كان ممن سبق له الرحمة لم تضره أبوته ولا ما دعاه إليه وعلمه أبواه من دين اليهودية والنصرانية والمجوسية، فما أكثر من ولدته اليهود والنصارى والمجوس ونشأ فيهم ومعهم وعلى أديانهم وأقوالهم وأفعالهم، ثم راجع بدايته وما سبق له من الله ومن عنايته بهدايته، فحسن إسلامه، وظهر إيمانه، وشرح الله صدره بالإسلام، وطَهَّر قلبه

بالإيمان فعاد بعد الذي كان عليه من طاعته لأبويه عاصيًا، ومحبته لهما بغضًا، وسلمه لهما وذبه عنهما لهما حربًا وعليهما عذابًا صبًّا.

ولو كان الأمر على ما تأولته الزائغون أن كل مولود يولد على الفطرة عنى دين الإسلام وشرائعه، لكان من سبيل المولود من اليهود والنصارى إذا مات أبواه وهو طفل ألا يرثهما، وكذلك إن مات لم يرثاه؛ لما عليه الأمة مجمعون أنه لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم.

وقد كان من سبيل الطفل من أولاد أهل الكتاب إذا مات في صغره أن يتولاه المسلمون ويُصلوا عليه، ولا يُدفن إلا معهم وفي مقابرهم.

فإن كان الحكم في معنى هذا الحديث كما تأولته القدرية وليس هو كذلك والحمد لله - فقد ضلت الأمة وخالفت الكتاب والسنة حين خلت بين اليهود والنصارى وبين الأطفال من المسلمين، يأخذون مواريثهم ويلون غسلهم والصلاة عليهم والدفن لهم، لكن المسلمون مجمعون وعلى إجماعهم مصيبون.

والحمد لله أن من مات من أطفال اليهود والنصارى والمجوس ورثه أبواه وورث هو أبويه، ووليا غسله ودفنه، وأن أطفالهم منهم ومعهم وعلى أديانهم.

وإنما قوله ﷺ: «**كل مولود يولد على الفطرة**» إنما أراد أنهم يولدون على تلك البداية التي كانت في صلب آدم عليه السلام من الإقرار لله بالمعرفة، ثم أعربت عنهم ألسنتهم ونُسبوا إلى آبائهم، فمنهم من جحد بعد إقراره الأول من الزنادقة الذين لا يعترفون بالله ولا يقرون به وغيرهم ممن لم يبلغه الإسلام في أقطار الأرض الذين لا يدينون دينًا وسائر الملل، فمقرون بتلك الفطرة التي كانت في البداية، فإنك لست تلقى أحدًا من أهل الملل وإن

كان كافرًا إلا وهو مقر بأن الله ربه وخالقه ورازقه، وهو في ذلك كافر حين خالف شريعة الإسلام(١).

٣- وعن الحجاج بن منهال، قال: سمعت حماد بن سلمة يفسر حديث النبي ﷺ: «**كل مولود يولد على الفطرة...**» فقال: هذا عندنا حيث أخذ الله عليهم العهد في أصلاب آبائهم قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢](٢).

واعلم رحمك الله أن أخبار المصطفى ﷺ التي أجمع أهل العلم بها على صحتها - لا تتضاد، وأقواله وكلامه ﷺ لا تتناقض ولا تتناسخ، وربما صحت الأخبار عنه ﷺ بالاختلاف والتناسخ، فكان ذلك في التحليل والتحريم والتخفيف والتشديد للأمر يحدث، والسبب يعرض وللعذر يحضر. فأما الأخبار الواردة التي تجري مجرى الخبر عن الله ﷻ والإعلام عنه، فمَعاذ الله أن تتضاد هذه الأخبار أو تتناقض هذه الأقوال، وإنما أُتِي من أُتِي فيها وافتُتن من افتُتن بها من اشتباه لفظها، وضيق الأعطان وسوء الأفهام، وضعف النحايز عن معرفتها، وإلا فكيف يجوز لمتأول أن يتأول أن كل مولود على الفطرة؟ وأريد بذلك أن كل مولود على دين الإسلام وشريعة الإيمان، وصريح قول النبي ﷺ وفصيح إعرابه الذي لا يحتمل التأويل ولا يتولد فيه التعطيل - أتى بغير ما تأولته أصحاب هذه المقالة، وهو قول النبي ﷺ: «**الوائدة والموءودة في النار**»، والوائدة هي القاتلة لابنتها، والموءودة هي الصبية الطفلة التي قتلها أبواها، فلو كانت الموءودة مسلمة لما كانت في النار وبالحري أن تكون في الجنة لا محالة على ما تتأوله القدرية لأنها طفلة

(١) «الإبانة الكبرى» لابن بطة (٤/ ٧٤).

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٧٦٦)، واللالكائي (٧٩٩).

مسلمة ومقتولة مظلومة، وبقوله أيضًا حين سئل عن أطفال المشركين فقال: «**مع آبائهم في النار**» ثم سئل عنهم ثانية فقال: «**الله أعلم بما كانوا عاملين**»، ويجوز أن يكون قوله ﷺ: «**الله أعلم بما كانوا عاملين**» أن السؤال الثاني خرج مخرج الاستفهام لما صاروا في النار فقال: «**الله أعلم بما كانوا عاملين**»[(١)].

٤- وعن ابن عباس، قال: سئل النبي ﷺ عن ذراري المشركين فقال: «**الله أعلم بما كانوا عاملين**»[(٢)].

فجميع الذي ذكرناه من القرآن ورويناه من السنة والآثار وما لم نذكره ولم نروه - يدل العقلاءَ المؤمنين الذين سبقت لهم من الله العناية والهداية أن الأشياء كلها بقضاء الله وقدره ومشيئته سابق ذكرها في علمه، وأنه لا مضل لمن هداه الله ﷻ ولا هادي لمن أضله، ولا مانع لمن أعطاه ولا معطي لمن منعه، وكذلك خُطَب النبي ﷺ وكلامه، وخُطَب الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين، وكذلك في كلامهم ومحاورتهم[(٣)].

٥- وعن جابر بن عبد الله، قال: كان رسول الله ﷺ يقول إذا خطب: «**نحمد الله ونثني عليه بما هو أهله**» ثم يقول: «**من يَهْدِ الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، أحسن الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار**»[(٤)].

٦- وعن البراء، قال: رأيت رسول الله يوم الخندق ينقل التراب حتى وارى التراب شعر صدره، وكان رجلًا كثير الشعر، وهو يرتجز رجز عبد الله

---

(١) «الإبانة الكبرى» لابن بطة (٤/ ٧٥).

(٢) أخرجه البخاري (١٣١٧)، ومسلم (٢٦٦٠).

(٣) «الإبانة الكبرى» لابن بطة (٤/ ٨٤).

(٤) أخرجه مسلم (٨٦٧)، والنسائي (٣/ ١٨٨)، وأحمد (٣/ ٣٧١).

ابن رواحة يقول:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا

وذكر الحديث[١].

٧- وعن ابن عباس، أن النبي ﷺ كان يقول في دعائه: «**رب أعني ولا تعن عليّ، وانصرني ولا تنصر عليّ، وامكر لي ولا تمكر عليّ، واهدني ويَسِّر الهدى لي، ولا تنصر عليّ من بغى عليّ، اجعلني لك شاكرًا، لك ذاكرًا، لك راهبًا، لك مطيعًا، لك مجيبًا، إليك أواهًا منيبًا، رب تقبل توبتي، واغسل حوبتي، وأجب دعوتي، واهدِ قلبي، وثبت حجتي، وسدد لساني، واسلل سخيمة قلبي**»[٢].

فهذا دعاء النبي ﷺ، فهل بقي لمن يزعم أن المشيئة والاستطاعة بيديه - حجة يحتج بها إلا بالبهت، والجحد للتنزيل، وإخبار الرسول بالشقاء والخِذلان اللذين كتبهما الله عليه.

ونحمد الله على ما وفقنا له من معرفة الحق وهدانا إليه[٣].

المسألة الثانية عشرة: ما رُوي في المكذبين بالقدر:

١- عن محمد بن أيوب المكي، قال: سمعت عبد الله بن عباس يقول وذُكر عنده القدر: هذا أول شرك هذه الأمة، ألا وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كأني بنسائهم يطفن حول ذي الخلصة تصطك ألياتهن مشركات أو**

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٨٢)، ومسلم (١٨٠٣)

(٢) **صحيح:** أخرجه أحمد (١/ ٢٢٧)، وأبو داود (١٥١٠)، والترمذي (٣٥٥١)، وقال: حسن صحيح.

(٣) «الإبانة الكبرى» لابن بطة (٤/ ٩٠).

ألياهن، والذي نفسي بيده لا ينتهي سوء رأيهم حتى يخرجوا الله من أن يقدر الخير كما أخرجوه من أن يقدر الشر»(١).

٢- قال رسول الله ﷺ: «**لا يدخل الجنة عاق، ولا مدمن خمر، ولا مكذب بالقدر**»(٢).

المسألة الثالثة عشرة: وصايا نبوية لتدريب النفس على الرضا بالقضاء والقدر:

كان الرسول ﷺ مربيًا ومزكيًا لنفوس أصحابه، وهي المهمة التي شَرَّفه الله سبحانه بها، وتتجلى هذه التزكية بأوضح صورها من خلال هذه الوصايا الثلاث التي تُعد بحق نماذج العلاج النبوي لأمراض النفوس وتدريبها عمليًّا على التسليم لقضاء الله وقدره والرضا به.

الوصية الأولى:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍ خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدّر الله وما شاء فعل، فإن (لو) تفتح عمل الشيطان**»(٣).

وفي هذا الحديث النبوي يبين الرسول ﷺ أن من أراد نيل محبة الله ورضوانه فعليه أن يبادر إلى تقوية إيمانه ومجاهدة نفسه، وطلب القوة في

---

(١) **صحيح بدون (ولا مكذب بالقدر):** أخرجه أحمد (٦/ ٤٤١)، وابن أبي عاصم (١/ ١٤٢).

(٢) **صحيح:** أخرجه أحمد (٢/ ٢٧١)، وابن أبي عاصم (١/ ٣٨-٣٩)، واللالكائي (٢/ ٦٠٤-٦٠٥).

(٣) مسلم، كتاب «القدر» رقم (٢٦٦٤).

العلم والجسم. . . وغير ذلك من عناصر القوة النافعة التي تتضافر جميعها لتكوين شخصية المسلم الذي يحبه الله سبحانه، ولكي يحظى المسلم بذلك فلا بد له من الأخذ بالوصايا النبوية الواردة في هذا الحديث، وهي أن يحرص على ما ينفعه ويطلب العون من الله سبحانه ولا يعجز، وأن يُسَلِّم أمره لله فيما قدّر له فلا يسخط ولا يشتكي من المصائب ولا يدع للشيطان مدخلًا يقوله: «لو أني فعلت كذا وكذا» فكلمة «لو» تجلب الحسرة والأسى، وتزيد اللوعة وتورث القلق والاضطراب، ولن يستطيع إعادة ما فات ولا إحياء من مات مهما تحسر، وإنما سيجلب لنفسه الكآبة ولجسمه الأمراض والآلام ويتعرض لغضب الله باعتراضه على قدره.

فالعلاج العملي أن يقول: «قدّر الله وما شاء فعل»، مُعِلنًا استسلامه لأمر الله ورضاه بقضائه وأن يعود لسانه على هذا القول كلما ناله شيء يكرهه[(١)].

الوصية الثانية: دعاء الاستخارة:

عن جابر بن عبد الله ﵄ قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كالسورة من القرآن، يقول: «**إذا هَمَّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب. اللهم إن كنتَ تعلم أن هذا الأمر خيرٌ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري – أو قال: عاجل أمري وآجله – فاقدره لي، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شرٌّ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري – أو قال: عاجل أمري وآجله – فاصرفه عني واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان، ثم أرضني به. ويسمي حاجته**»[(٢)].

(١) «منهج الإسلام في تزكية النفس» (١/ ١٦٠).

(٢) البخاري، ك الدعوات باب دعاء الاستخارة (٧/ ١٦٢).

وهذه الوصية النبوية تُعَد تدريبًا عمليًّا على توطين النفس ورضاها بالقضاء والقدر وتسليمها لما يقدر الله، اعتقادًا بأن ذلك هو الأصلح والأنفع للعبد، فإذا هَمَّ المسلم بأمر من الأمور المباحة من سفر أو زواج أو تجارة أو غير ذلك؛ فعليه أن يبادر إلى العمل بهذه الوصية النبوية، فيدعو بدعاء الاستخارة متذللًا أمام ربه، متواضعًا بين يديه، مستسلمًا لأمره، راضيًا بحكمه، داعيًا أن يختار الله له ما فيه الخير في دينه ومعاشه وعاقبة أمره، وأن يصرف عنه هذا الأمر إن كان فيه شر، ثم يعزم على هذا الأمر، فإن انشرح صدره له، ويَسَّر الله طريقه، فهو الخير الذي اختاره الله، وإن جاء الأمر على عكس ذلك، فعليه أن يفرح لأن الله صرف عنه شرًّا واختار له ما يصلحه، ولو لم يدرك الحكمة فلتطمئن نفسه ولا يبقى متعلقًا بهذا الأمر، أو قلقًا من أجله.

وبهذه الوصية النبوية يدرب المسلم نفسه عمليًّا على الرضا بقضاء الله والتسليم لأمره، ويجاهد نفسه على مخالفة هواها ويربيها على الالتزام بأمر الله؛ لأن في ذلك صلاح دنياه وآخرته[١].

روى الأعمش عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: إن العبد ليهم بالأمر من التجارة والإمارة حتى يتيسر له، نظر إليه الله من فوق سبع سماوات فيقول للملائكة: اصرفوه عنه فإني إن يسرته له أدخلته النار. قال: فيصرفه الله عنه. قال: فيقول: من أين دُهيت؟ وما هو إلا فضل الله سبحانه.

ولذلك كان الرسول ﷺ يهتم كثيرًا بدعاء الاستخارة ليعلمه لأصحابه، كما يعلمهم السورة من القرآن، وهذا دليل على غاية الاهتمام به، والحرص عليه[٢].

---

(١) «منهج الإسلام في تزكية النفس» (١/ ١٦١).

(٢) المصدر نفسه (١/ ١٦١).

الوصية الثالثة: قال رسول الله ﷺ: «**انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر أن تزدروا نعمة الله عليكم**»(١). وفي رواية أخرى: «**إذا نظر أحدكم إلى مَن فُضل عليه في المال والخَلْق، فلينظر إلى من هو أسفل منه ممن فُضل عليه**»(٢).

هذا الحديث دواء لداء الحسد والتشكي من الأقدار، فالنفس التي تتطلع إلى الآخرين لن ترضى بحالٍ من الأحوال، كلما بلغت درجة من الغنى والجاه تعودتها فملتها وتطلعت إلى المزيد، فهي دائمًا في تلهف إلى كثرة المال وتعلق به وسخط وحسرة وازدراء للنعم وجحود للمنعم، وهذا مصداق قول الرسول ﷺ: «**لو أن لابن آدم واديًا من ذهب أحب أن يكون له واديان، ولن يملأ فاه إلا التراب، ويتوب الله على من تاب**»(٣).

فإذا اتبع المسلم هذه الوصية النبوية فإنه سيعرف قدر النعمة ويرضى بما قسم الله له وينال القناعة ويحظى بالسعادة ولو كان مبتلى بالفقر أو المرض أو المصائب المختلفة؛ لأنه إن كان فقيرًا لا يملك وفرة من المال فلينظر إلى من ابتُلي بالفقر المدقع والجوع الشديد. وإن كان مريضًا يشكو من بعض الآلام فلينظر إلى من ابتُلي بعاهة أو مرض مزمن خطير. وهكذا يبقى دائمًا مقدرًا للنعمة راضيًا بما قسم الله له شاكرًا صابرًا.

ولو أخذ المسلمون اليوم بهذه الوصية النبوية لسعدت أحوالهم، واستقامت أوضاعهم، وعرفوا الثمرة الحقيقية للإيمان بالقضاء والقدر، وسارعوا إلى التنافس في التقوى والعمل الصالح والتقرب إلى الله عوضًا

(١) مسلم، ك الزهد. رقم (٢٩٦٣).
(٢) البخاري، ك الرقاق (٧/ ١٨٧).
(٣) رواه البخاري، ك الرقاق (٧/ ١٧٥).

عن التنافس على حطام الدنيا الزائل[(١)(٢)].

والخلاصة: أن كل شيء لا يكون إلا والله تعالى قضاه وقدره، فالهداية بقدر الله تعالى والإضلال بقدره، والغنى بقدره والفقر بقدره، والصحة بقدره والمرض بقدره، والسعادة بقدره والشقاء بقدره، والعز بقدره والذل بقدره، والموت بقدره، والحياة بقدره وما تخرج من نبتة في أطراف الأرض إلا بقدره، وما تموت من نبتة إلا بقدره، يؤتي المُلك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ويُعز من يشاء ويُذل من يشاء، لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه جل وعلا. فهذا هو معنى الإيمان بالقدر والله أعلم[(٣)].



(١) «منهج الإسلام في تزكية النفس» (١/ ١٦٣).

(٢) من كتاب «الإيمان بالقدر» لعلي محمد.

(٣) «نونية السعيدان» مخطوط.

الفصل الثالث: الإجماع

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)]: وقد تظاهرت الأدلة القطعيات من الكتاب، والسنة، وإجماع الصحابة، وأهل الحَل والعقد من السلف والخلف - على إثبات قدر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى[(٢)].

وقال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ[(٣)]: ومذهب السلف قاطبة أن الأمور كلها بتقدير الله تعالى[(٤)(٥)].

---

(١) النووي: هو الشيخ الإمام يحيى بن شرف بن حسن بن حسين بن حزام الحازمي، العالم محيي الدين أبو زكريا النووي ثم الدمشقي الشافعي، شيخ المذهب وكبير الفقهاء في زمانه، وُلد سنة (٦٣١هـ)، وتوفي سنة (٦٧٦هـ). كان لا يضيع شيئًا من أوقاته، وكان يقرأ في كل يوم اثني عشر درسًا على المشايخ، ثم اعتنى بالتصنيف، فجمع شيئًا كثيرًا، منها ما أكمله ومنها ما لم يكمله: فمما أكمله شرح مسلم، والروضة، والمنهاج، ورياض الصالحين، والأذكار، وتهذيب الأسماء واللغات. ومما لم يتمه «المهذب» الذي سماه المجموع، وصل فيه إلى باب الربا، فأبدع وأجاد وأحسن الانتقاد - كما يقول ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ -. كان صوامًا زاهدًا أمارًا بالمعروف نهَّاءً عن المنكر. انظر: «البداية والنهاية» لابن كثير (١٣/ ٢٩٤).

(٢) «شرح صحيح مسلم» للنووي (١/ ١٥٥).

(٣) هو الحافظ العلامة أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، توفي سنة (٨٢٥هـ)، له المصنفات البارعة، أشهرها فتح الباري شرح صحيح البخاري، ولسان الميزان، والتقريب، وغيرها. انظر: شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي (٧/ ٢٧١)، و«البدر الطالع» للشوكاني (١/ ٧٨).

(٤) «فتح الباري» (١١/ ٢٨٧) وانظر: «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» للالكائي (٣/ ٥٣٤- ٥٣٨) حيث نقل الإجماع على ذلك عن جمع غفير من السلف، و«مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٨/ ٤٤٩، ٤٥٢، ٤٥٩).

(٥) «الإيمان بالقضاء والقدر» (ص: ٢٥).

وقال في «تذكرة المؤتسي»: (وأجمع أئمة السلف من أهل الإسلام على الإيمان بالقدر خيره وشره، حلوه ومره، قليله وكثيره بقضاء الله وقدره، لا يكون شيء إلا بإرادته، ولا يجري خير وشر إلا بمشيئته، خلق من شاء للسعادة واستعمله بها فضلًا، وخلق من أراد للشقاء واستعمله به عدلًا، فهو سر استأثر به، وعِلمٌ حجبه عن خلقه، ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣] قال الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾ [السجدة: ١٣]، وقال ﷻ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩])[1].

الفصل الرابع: دليل الفطرة

الإيمان بالقدر معلوم بالفطرة قديمًا وحديثًا، ولم ينكره إلا الشواذ من المشركين من الأمم، ولم يقع الخطأ في نفي القدر وإنكاره، وإنما وقع في فهمه على الوجه الصحيح؛ ولهذا قال سبحانه عن المشركين: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨].

فهم أثبتوا المشيئة لله، لكنهم احتجوا بها على الشرك، ثم بيَّن سبحانه أن هذا هو شأنُ من كان قبلهم، فقال: ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

وكانت العرب في الجاهلية تعرف القدر ولا تنكره، ولم يكن هناك من يرى أن الأمر مستأنف، وهذا ما نجده مبثوثًا في أشعارهم كما مر في

(١) «تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي» (١/ ٢٣٦).

المقدمة، وكما في قول عنترة:

يا عبلُ أين من المنية مهربي ... إن كان ربي في السماء قضاها

ولم يقل أحد منهم بنفيه إطلاقًا، كما صرح بذلك أحد كبار علماء العربية، وهو أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب بقوله: لا أعلم عربيًّا قدريًّا. قيل له: يقع في قلوب العرب القول بالقدر؟ قال: معاذ الله، ما في العرب إلا مثبت القدر خيره وشره أهل الجاهلية والإسلام، وكلامهم كثير بيِّن. ثم أنشد:

تجري المقادير على غرز الإبر ... ما تنفذ الإبرة إلا بقدر(١)

الفصل الخامس: دليل العقل

أما دلالة العقل فهي أن العقل الصحيح يقطع بأن الله هو خالق هذا الكون، ومدبره، ومالكه، ولا يمكن أن يوجد على هذا النظام البديع، والتناسق المتآلف، والارتباط الملتحم بين الأسباب والمسببات هكذا صدفة؛ إذ الموجود صدفة ليس له نظام في أصل وجوده، فكيف يكون منتظمًا حال بقائه وتطوره؟

فإذا تقرر عقلًا أن الله هو الخالق لزم ألا يقع شيء في مُلكه إلا ما قد شاءه وقَدَّره.

ومما تقدم فإن من لم يؤمن بالقدر لا تُقبل أعماله، فلا ينتفع لا بصلاة ولا بصيام ولا بصدقة ولا غير ذلك، قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَـٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥].

---

(١) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» للالكائي (٣/ ٥٣٨).

فإيمان العبد ودينه لا يمكن أن ينتظم إلا إذا آمن بأقدار الله جل وعلا، وأنَّ كلَّ شيء بقدر، وأن يؤمن بالقدر كلِّه حلوه ومره، وأنَّ ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

فلا إيمان لمن لم يؤمن بالقدر، ومَن كَذَّب بالقدر فلا إيمان له ولا توحيد، كما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّه قال: (الإيمان بالقدر نظام التوحيد، فمَن آمن وكَذَّب بالقدر فهو نقض للتوحيد)[١]، ومما يوضح هذا قول الإمام أحمد: (القدر قدرة الله)[٢] فأي توحيد عند من ينكر قدرة الله؟![٣].

الفصل السادس: دلالة الحس

فنحن نشاهد ونسمع ونقرأ أن الناس تستقيم أمورهم بالإيمان بالقضاء والقدر، وسيمر شيء من ذلك عند الحديث عن ثمرات الإيمان بالقدر، فالمؤمنون به على الوجه الصحيح هم أسعد الناس، وأصبرهم، وأشجعهم، وأكرمهم، وأكملهم، وأعقلهم.

ولو لم يكن الإيمان بالقدر حقًّا لما حصل لهم ذلك.

---

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة» برقم (٩٢٥)، واللالكائي في «شرح الاعتقاد» برقم (١٢٢٤)، والفريابي في «القدر» (ص١٥٩- ١٦٠)، والآجري في «الشريعة» (ص٢١٥).

(٢) «منهاج السنة النبوية» لابن تيمية (٣/ ٢٥٤)، و«شفاء العليل» لابن القيم (ص٥٣)، و«مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» (٨/ ٣٠٨)، وهي من قول عمر بن الخطاب قبل الإمام أحمد؛ كما ذكره ابن بطة في «الإبانة» برقم (١٥٦٢).

(٣) «تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي» (١/ ٢٣٦).

ثم إن القدر «هو نظام التوحيد»[١] كما قال ابن عباس رضي الله عنهما والتوحيد هو نظام الحياة، فلا تستقيم حياة الناس استقامة حقيقية إلا بالتوحيد، والتوحيد لا يستقيم إلا بالإيمان بالقضاء والقدر.

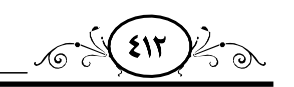
ثم إن فيما أخبرنا الله ورسوله من أمور الغيب المستقبلية التي وقعت كما جاء في الخبر - دليلًا حسيًّا واضحًا على أن الإيمان بالقدر حق وصدق[٢][٣].

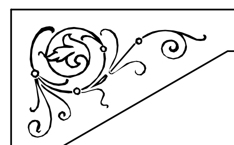


(١) أخرجه الفريابي في كتاب «القدر» (ص١٥٩، ١٦٠)، وانظر: «مجموع الفتاوى» (٣/ ١١٣).

(٢) انظر: «الشيخ عبدالرحمن بن سعدي وجهوده في العقيدة» د. عبد الرزاق البدر (ص٧٢، ٧٣).

(٣) «الإيمان بالقضاء والقدر» (ص: ٢٩).





المبحث الرابع
فَهْم السلف للقدر، وأقوالهم في ذلك

وبه عدة فصول:

الفصل الأول: ما رُوي في ذلك عن الصحابة رحمهم الله، ومذهبهم في القدر

وبه عدة مسائل:

المسألة الأولى: ما ورد عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

١- عن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، عن أبيه، قال: سمعت أبي يذكر أنه سمع أبا بكر الصديق وهو يقول: قلت: يا رسول الله، أنعمل على أمر قد فُرِغ منه أو على أمر مؤتنف؟ فقال: «**بل على أمر قد فُرِغ منه**» قلت: ففيم العمل يا رسول الله؟ قال: «**كلٌّ ميسر لما خُلق له**»(١).

المسألة الثانية: ما ورد عن الفارق عمر أمير المؤمنين رضي الله عنه.

١- عن زيد بن أسلم مولى عمر بن الخطاب، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

---

(١) **حسن لغيره:** أخرجه أحمد (١/ ٥) والبزار (٢٨)، والبيهقي في «القضاء والقدر» (٢٨)، و«الإبانة» لابن بطة (١٥٤٧).

قال: «القدر قدرة الله ﷻ، فمَن كَذَّب بالقدر فقد جحد قدرة الله ﷻ»[١].

٢- عن ثابت، أن رجلًا أتى عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فقال: يا أمير المؤمنين أعطني، فوالله لئن أعطيتني لا أحمدك، ولئن منعتني لا أذمك. قال: لِمَ؟ قال: لأن الله ﷻ هو الذي يعطي وهو الذي يمنع. قال: أدخِلوه.

٣- أن عمر سمع غلامًا وهو يقول: اللهم إنك تَحُول بين المرء وقلبه، فَحُلْ بيني وبين الخطايا، فلا أعمل بشيء منها. فقال عمر: رحمك الله!! ودعا له بخير[٢].

المسألة الثالثة: ما ورد عن الإمام علي أمير المؤمنين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

١- عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، أنه غشي على عبد الرحمن في وجعه غشية ظنوا أنه قد فاض منها حتى قمنا من عنده وجللوه ثوبًا، وخرجَتْ أم كلثوم بنت عقبة امرأة عبد الرحمن إلى المسجد تستعين بما أُمرت من الصبر والصلاة، فلبثوا ساعة وعبد الرحمن بن عوف في غشيته، ثم أفاق عبد الرحمن فكان أول ما تكلم به أن كَبَّر وكَبَّر أهل البيت ومن بينهم، فقال لهم عبد الرحمن: أغشي عليّ آنفًا؟ فقالوا: نعم. قال: صدقتم، فإنه انطلق بي في غشيتي رجلان في أحدهما شدة وغلظة، وقالا: انطلِقْ نحاكمك إلى العزيز الأمين. قال: فانطلقا بي حتى لقيا رجلًا، فقال: أين تذهبان بهذا؟ قالا: نحاكمه إلى العزيز الأمين. قال: فارجعا فإنه ممن كتب الله لهم السعادة والمغفرة وهم في بطون أمهاتهم، إنه يتمتع به بنوه

---

(١) أخرجه الآجري في «الشريعة» (٤٨٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٩/ ٢٨٧)، و«الإبانة» لابن بطة (١٥٤٨).

(٢) أخرجه أحمد في «الزهد» (٦٠٢)، و«الإبانة» لابن بطة (١٥٥٠).

إلى ما شاء الله. قال: فعاش بعد ذلك شهرًا ثم مات[١].

٢- عن سعيد المقبري، عن أبيه، عن عبد الله بن سلام، أنه قال: خلق الله ﷻ الأرض يوم الأحد والإثنين، وقَدَّر فيها أقواتها، وجعل فيها رواسي من فوقها في يوم الثلاثاء والأربعاء، ثم استوى إلى السماء وهي دخان فخلقها يوم الخميس والجمعة، وأوحى في كل سماء أمرها.

وخلق آدم في آخر ساعة من يوم الجمعة ثم تركه أربعين ينظر إليه ويقول: تبارك الله أحسن الخالقين!! ثم نفخ فيه من روحه، فلما دخل في بعضه الروح ذهب ليجلس، قال الله ﷻ: خلق الإنسان من عجل. فلما تبالغ فيه الروح عطس فقال الله له: قل الحمد لله. فقال: الحمد لله. فقال الله له: رحمك ربك. ثم قال: اذهب إلى أهل ذاك المجلس من الملائكة، فسَلِّم عليهم. ففعل فقال: هذه تحيتك وتحية ذريتك.

ثم مسح ظهره بيديه فأخرج فيهما من هو خالق من ذريته إلى أن تقوم الساعة، ثم قبض يديه ثم قال: اختر يا آدم. قال: اخترت يمينك يا رب. وكلتا يديك يمين، فبسطها، وإذا فيها ذريته من أهل الجنة، فقال: ما هؤلاء يا رب؟ قال: هو ما قضيتُ أن أخلق من ذريتك من أهل الجنة إلى أن تقوم الساعة. فإذا فيهم من له وبيص[٢] قال: ما هؤلاء يا رب؟ قال: هم الأنبياء. قال: فمَن هذا الذي له فضل وبيص؟ قال: هذا ابنك داود. قال: فكم جعلتَ عمره؟ قال: ستين. قال: فكم عمري؟ قال: ألف سنة. قال: فزده يا رب من عمري أربعين سنة. قال: إن شئت. قال: قد شئتُ. قال: إذًا يُكتب

(١) أخرجه الفريابي في «القدر» (٤٣٥)، والحاكم (٢/ ٢٩٦)، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. والآجري في «الشريعة» (٤٤٢).

(٢) الوبيص: البريق واللمعان.

ثم يختم ثم لا يبدل.

ثم رأى في آخر كف الرحمن آخر له فضل وبيص قال: فمن هذا يا رب؟ قال: هذا محمد، هو آخرهم وأولهم، أُدخله الجنة.

فلما أتاه ملك الموت ليقبض نفسه قال: إنه بقي من عمري أربعون سنة. قال: أولم تكن وهبتها لابنك داود؟ قال: لا. قال: فنسي آدم فنسيت ذريته، وعصى آدم فعصت ذريته، وجحد آدم فجحدت ذريته، فذلك أول يوم أُمِرَ بالشهداء[(١)].

٣- عن عبد الله بن عبد الرحمن، قال: قال رجل لعبد الله بن عمر: إن ناسًا من أهل العراق يُكذِّبون القدر ويزعمون أن الله ﷻ لا يُقَدِّر الشر. قال: فبَلِّغهم أن عبد الله بن عمر منهم بريء، وأنهم منه براء، والله لو أن لأحدهم مثل أُحد ذهبًا ثم أنفقه في سبيل الله؛ ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر خيره وشره[(٢)].

المسألة الرابعة: ما ورد عن عباس رضي الله عنه.

١- عن يحيى بن سعيد عن أبي الزبير قال: كنا نطوف مع طاوس فمررنا بمعبد الجهني. قال: فقيل لطاوس: هذا معبد الذي يقول في القدر. قال: فقال له طاوس: أنت الكاذب على الله ﷻ بما لا تعلم؟ قال: فقال: يكذب عليّ. قال: فدخلنا على ابن عباس فقال له طاوس: يا أبا عباس، الذين

(١) أخرجه الآجري في «الشريعة» (٤٧٣)، والحاكم (١/ ٦٤)، وقال: صحيح على شرط مسلم وله شواهد صحيحة.

(٢) أخرجه اللالكائي (٢/ ٦٥٠)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (١٢٣)، و«الإبانة» لابن بطة (١٥٨٩).

يقولون في القدر. قال: أروني بعضهم. قال: صانع ماذا؟ قال: «أُدخل يدي في رأسه ثم أدق عنقه»[١].

٢- عن مجاهد، قال: ذُكر القدرية عند ابن عباس فقال: «لو رأيت أحدًا منهم عضضت أنفه»[٢].

٣- عن ابن طاوس، عن أبيه، أن رجلًا قال لابن عباس: إن ناسًا يقولون: إن الشر ليس بقدر. فقال ابن عباس: «فبيننا وبين أهل القدر هذه الآية ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨] إلى قوله: ﴿قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ١٤٩﴾ [الأنعام: ١٤٩]»[٣].

٤- عن ابن عباس، قال: «العجز والكيس بقدر»[٤].

٥- عن ابن عباس، في قول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤] قال: يحول بين المؤمن وبين المعاصي، وبين الكافر وبين الإيمان[٥].

---

(١) **صحيح الإسناد:** أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة» (٩١١)، والآجري (٥٩١)، و«الإبانة» لابن بطة (١٦٠١).

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة» (٩٢٤)، واللالكائي (١١٦٣)، و«الإبانة» لابن بطة (١٦٠٢).

(٣) أخرجه عبد الرزاق (٢٠٠٧٣)، والبخاري في «خلق أفعال العباد» (١/ ٤٧)، والحاكم (٢/ ٣٤٧)، وصححه.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (١١/ ١١٨)، و«الإبانة» لابن بطة (١٦٠٤).

(٥) أخرجه عبد الرزاق في «التفسير» (٩٧٢) ، والحاكم (٢/ ٣٥٨)، وصححه وابن أبي حاتم (٩٧٠٠).

حدثنا أبو الفضل شعيب بن محمد الكفي قال: حدثنا أحمد بن أبي العوام، قال: حدثنا أبي قال، : حدثنا شجاع بن الوليد، عن أبي سلمة عمرو ابن الجون قال: «إن الحذر لا يغني عن القدر»(١).

٦- عن عبد الله بن عباس قال: «كل شيء بقدر حتى وضعك يدك على خدك»(٢).

المسألة الخامسة: ما ورد عن عبد الله بن عمرو وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

١- أن أبا بكر بن المنكدر بلغه أن عبد الله بن عمرو كان يقول: إن أول ما يكفأ الدين كما يكفأ الإناء قول الناس في القدر(٣).

٢- عن طاوس، قال: أدركت ناسًا من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: كل شيء بقدر حتى العجز والكيس. قال: حدثني عبد الله بن عمر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**كل شيء بقدر**»(٤).

٣- عن طاوس اليماني، قال: أدركت ناسًا من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: كل شيء بقدر. وسمعت عبد الله بن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ: «**كل شيء بقدر حتى العجز والكيس**»(٥).

❊ ❊ ❊

---

(١) أخرجه الفريابي في «القدر» (٢٦٩)، والآجري في «الشريعة» (٤٩٠).
(٢) أخرجه الفريابي في «القدر» (٢٠٦)، والآجري (٤٨٥)، والخلال (٩١٦).
(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٥٩٢٩)، والبيهقي في «القضاء والقدر» (٣٨٣).
(٤) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٤٥)، ومالك في «الموطأ» (٢/ ٨٩٩).
(٥) تم تخريجه في الأثر السابق.

الفصل الثاني: ما رُوي في الإيمان بالقدر والتصديق به عن جماعة من التابعين

وبه عدة مسائل:

المسألة الأولى: تمهيد.

اعلموا رحمكم الله أن القدرية أنكروا قضاء الله وقدره، وجحدوا علمه ومشيئته، وليس لهم فيما ابتدعوه ولا في عظيم ما اقترفوه كتاب يؤمنونه ولا نبي يتبعونه ولا عالم يقتدون به، وإنما يأتون فيما يفترون بأقوال عن أهوائهم مخترعة وفي أنفسهم مبتدعة، فحجتهم داحضة وعليهم غضب ولهم عذاب شديد، يُشَبهون الله بخلقه، ويضربون لله الأمثال، ويقيسون أحكامه بأحكامهم، ومشيئته بمشيئتهم.

وربما قيل لبعضهم: مَن إمامك فيما تنتحله من هذا المذهب الرجس النجس؟ فيدعي أن إمامه في ذلك الحسن بن أبي الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ. فيضيف إلى قبيح كفره وزندقته أن يرمي إمامًا من أئمة المسلمين وسيدًا من ساداتهم وعالمًا من علمائهم - بالكفر، ويفتري عليه البهتان ويرميه بالإثم والعدوان ليحسن بذلك بدعته عند من قد خصمه وأخزاه، وأنا أذكر من كلام الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ في القدر، ورده على القدرية ما يسخن الله به عيونهم، ويظهر للسامعين قبيح كذبهم إن شاء الله تعالى وبه التوفيق[١].

المسألة الثانية: ما ورد عن الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ.

١- كان الحسن يقول: لأن أسقط من السماء إلى الأرض أحب لي من أن

(١) «الإبانة» (٢/ ١٠/ ١٧٩).

أقول: «إن الأمر في يدي أصنع به ما شئت»[١].

٢- قال رجل للحسن: يا أبا سعيد، مَن خَلَق الشيطان؟ فقال: سبحان الله، ومن خالق غير الله؟ الله خلق الشيطان، والله خلق الخير، والله خلق الشر؟! فقال الشيخ: قاتلهم الله، كيف يكذبون على هذا الشيخ. وسياق هذا الحديث لمحمد بن بكر، والمَتُّوثيُّ عن أبي داود[٢].

٣- عن خالد الحذاء، قال: قدم علينا رجل من أهل الكوفة، فكان مجانبًا للحسن لما كان بلغه عنه في القدر حتى لقيه فسأله الرجل أو سئل عن هذه الآية: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩] قال: «لا يختلف أهل رحمة الله ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٩] قال: «خلق أهل الجنة للجنة، وأهل النار للنار» فكان الرجل بعد ذلك يذب عن الحسن[٣].

٤- قال الحسن، يقول: «إنه مَن يكفر بالقدر فقد كفر بالإسلام»[٤].

المسألة الثالثة: تبرئة الإمام الحسن البصري رحمه الله من تهمة القول بالقدر.

من أين أتت التهمة؟!

الحسن البصري رحمه الله إمام من أئمة الهدى والدين أجمعت الأمة على فضله وإمامته وعلمه وصلابة دينه وسلامته عقيدة وعبادة وسلوكًا، وهو من كبار التابعين، تُوفي سنة (١١٠) هجرية.

كان آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر شديدًا على أهل الفجور

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦١٧)، وقال الشيخ الألباني. صحيح مقطوع.

(٢) **صحيح:** أخرجه أبو داود (٤٦١٨)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (٨٤٦).

(٣) أخرجه الآجري (٤٩٩).

(٤) **إسناده صحيح:** أخرجه الفريابي (٢٩٥)، والآجري (٥٠٣).

والمعاصي؛ ومن هنا جاءت تهمته بالقدر من قوم وأناس حمل عليهم وشدد في الإنكار حتى يُقلعوا عن العصيان. وكان هذا ثقيلًا عليهم لهذا وجدوا في قلوبهم غيظًا وحقدًا وبغضًا لهذا الجبل الناصح المصلح، فاتهموه بهذه الفرية الكبيرة زورًا وبهتانًا.

فحقد هؤلاء مع غرض القدرية الذين أرادوا أن يجعلوا من إمامة الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ ومنزلته عند الناس سُلَّمًا لترويج بدعتهم.

من هذين الطريقين راجت هذه التهمة الفاجرة عليه رَحِمَهُ اللَّهُ.

قال أيوب رَحِمَهُ اللَّهُ: كذب على الحسن ضربان: قومٌ القدر رأيهم لينفقوه في الناس بالحسن، وقوم في صدورهم بغض للحسن(١).

ومما يؤيد أن أهل المعاصي الذين أنكر عليهم الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ هم الذين أشاعوا عليه هذه التهمة تنفيسًا عن حقدهم وغيظهم عليه لأنه أقلق مضاجعهم ونقص فرحهم وقطع لذتهم بالحرام والباطل بمواعظه التي كانت تنزل عليهم كالصواعق المحرقة فأفسدت ما هم فيه، وأحلت مكان البهجة والسرور بالشهوات، غم وهم وشرور وضيق في نفوسهم أين ما حلوا، ولهذا اتهم بالقدر ولم يكن من القدرية - قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: ولهذا اتهم بمذهب القدر غير واحد ولم يكونوا قدرية، بل كانوا لا يقبلون الاحتجاج على المعاصي بالقدر، كما قيل للإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: كان ابن أبي ذئب قدريًّا؟ فقال: الناس كل من شدد عليهم المعاصي قالوا: هذا قدري!!

وقد قيل: إنه بهذا السبب نُسب إلى الحسن القدر؛ لكونه كان شديد

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٥٧٩-٥٨٠).

الإنكار للمعاصي ناهيًا عنها[١].

الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ يؤمن بالقدر ويثبته.

قال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ عنه كما في «السير» بعد أن ذكر أقوالًا للحسن تدل على إثباته للقدر قال: وقد مر إثبات الحسن للأقدار من غير وجه عنه[٢].

الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ يرد على القدرية ويحذر من معبد الجهني.

فها هو رَحِمَهُ اللَّهُ ينهى عن مجالسة رأس الفتنة ومثيرها (معبد الجهني). ويحذر الناس من سماع مقالاته فضلًا عن انتحالها. فكيف يُحذر غيره من شر وضلال وهو يأخذ به وينتحله؟! فهذا لا يليق بعالم رباني مثل الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ.

لهذا جاء في السنة لعبد الله ابن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ بروايته قال: (حدثني أبي، نا مرحوم بن عبد العزيز العطار قال: سمعت أبي وعمي يقولان: سمعنا الحسن وهو ينهى عن مجالسة معبد الجهني يقول: لا تجالسوه فإنه ضال مضل[٣].

خلاصة الكلام: أن الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ لم يقل بالقدر بل اتهم به وهو باطل. وهذا ما أقسم عليه عالمان جِهبذان معاصران وعارفان حال الحسن عن بينة، وهما الأوزاعي وأيوب رحمهما الله تعالى.

فهذا أيوب رَحِمَهُ اللَّهُ يقول ويقسم على قوله: (أدركت الحسن والله ما يقوله - أي القدر -)[٤].

---

(١) «منهاج السنة» (٣/ ٢٤، ٢٥).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٥٨٢، ٥٨٣).

(٣) «السنة» لعبد الله ابن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ (٢/ ٣٩١).

(٤) أخرجه اللالكائي رَحِمَهُ اللَّهُ بسنده عن أيوب رَحِمَهُ اللَّهُ في «شرح السنة» (١/ ١٣٣).

وقال الأوزاعي رَحِمَهُ اللَّهُ: (لم يبلغنا أن أحدًا من التابعين تكلم في القدر إلا الحسن ومكحول، فكشفنا عن ذلك فإذا هو باطل)[١].

و قول الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ في القدر موافق لقول أهل السنة دونما شك أو ريب، ولكن ربما سقطت منه كلمة استغلها أهل الأهواء، إلا أنه استدرك نفسه وعاد عن كلمته إلى قول أهل السنة.

فهذا أيوب السختياني رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: (كذب على الحسن ضربان من الناس: قومٌ القدر رأيهم وهم يريدون أن ينفقوا بذلك رأيهم. وقوم له في قلبهم شنآن وبغض يقولون: أليس من قوله كذا؟ أليس من قوله كذا؟)[٢]!!

ولأجل ذلك تجد أن الإمام الآجرّي رَحِمَهُ اللَّهُ يعقد فصلًا في كتاب الشريعة[٣] يدفع به هذه الفرية عن الحسن البصري ويُظهر زورها و بطلانها وعوارها، فينقل عنه بالأسانيد الصحيحة ما يوافق أهل السنة في مسألة القضاء والقدر.

وقبل أن ننقل شيئًا من أقوال الحسن في هذه المسألة نود أن نوضح الذي بسببه وقع هذا اللبس:

[فروى قتادة عن الحسن قال: «الخير بقدر و الشر ليس بقدر»، وقال أيوب: فناظرته في هذه الكلمة فقال: لا أعود.

قال الشيخ شمس الدين: (هذه هي الكلمة التي قالها الحسن ثم أفاق على

(١) كما في «ميزان الاعتدال».
(٢) «سنن أبي داود» (٤٦٢٢).
(٣) في صفحة (١٧٥).

نفسه ورجع عنها)[١].

فإذن من الكذب نسبة هذه المقولة إلى الحسن وقد عاد عنها وإليك طرفًا من أقواله[٢]:

قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: «خَلَق أهل الجنة للجنة وأهل النار للنار».

وقال: «مَن كفر بالقدر فقد كفر بالإسلام» ثم قال: «إن الله تعالى خلق خلقًا فخلقهم بقدر، وقسم الآجال بقدر، وقسم أرزاقهم بقدر، والبلاء والعافية بقدر».

وعنه في قوله تعالى: ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ١٦٢، ١٦٣] قال: «الشياطين لا يفتنون بضلالتهم إلا من قد أوجب الله له أن يَصْلَى الجحيم».

وسئل عن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ أخُلق للأرض أم للسماء؟! فقال: «للأرض خُلق. فقيل له: لو اعتصم فلم يأكل من الشجرة؟! فقال الحسن: «إنه لم يكن له بد من أن يأكل منها؛ لأنه للأرض خُلق».

وقال: «مَن كَذَّب بالقدر فقد كَذَّب بالحق - مرتين - إن الله قَدَّر خلقًا وقدر أجلًا، وقدر بلاء، وقدر مصيبة، وقدر معافاة، فمَن كَذَّب بالقدر فقد كَذَّب بالقرآن».

فقال الإمام الآجرّي بعد هذه الآثار - وغيرها - عن الحسن: (بطلت دعوى القدرية على الحسن، إذ زعموا أنه إمامهم، يموهون على الناس، ويكذبون

---

(١) من «تهذيب التهذيب»، قسم ترجمة الحسن البصري.

(٢) من كتاب «الشريعة» للآجري (١٧٥- ١٧٧)، وانظر كذلك «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» للالكائي (١٠٠٤- ١٠١٠)، وفيه قول الحسن: (الشقي من شقي في بطن أمه)!

على الحسن، لقد ضلوا ضلالًا بعيدًا، وخسروا خسرانًا مبينًا).

إذًا الإمام الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ بريء من هذه التهمة وهي القول بالقدر[١].

المسألة الثالثة: ما ورد عن مطرف بن عبد الله بن الشِّخِّير رَحِمَهُ اللَّهُ.

١- عن مطرف، قال: «نظرت في بدء الأمر ممن هو فإذا هو من الله، ونظرت على من تمامه فإذا تمامه على الله، ونظرت ما مِلاكه فإذا ملاكه الدعاء»[٢].

٢- وعن مطرف بن عبد الله بن الشخير، أنه كان يقول: «لو كان الخير في كف أحدنا ما استطاع أن يفرغه في قلبه حتى يكون الله هو الذي يفرغه في قلبه»[٣].



(١) من الشبكة العنكبوتية موقع الإمام الآجرّي.

(٢) **إسناده صحيح:** أخرجه ابن أبي شيبة (٣٥١٣٥)، واللالكائي (١٢٧٥).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٥١٣٣)، والبيهقي في «القضاء والقدر» (٤٥٦).

الفصل الثالث: ما رُوي في كراهية السلف وأئمتنا رحمة الله عليهم الكلام في القدر، ونهيهم عن خصومة أهله ومواضعتهم القول أشد النهي، متبعين في ذلك السنة وآثار المصطفى ﷺ

وبه عدة مسائل:

المسألة الأولى: تمهيد.

فقد ورد عن الحبيب صلى الله عليه ما يفيد ذلك في أكثر من موضع كما جاء ذلك عن أبي ذر وابن عباس:

أما عن أبي ذر، فقال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه وهم يتذاكرون شيئًا من القدر، فخرج مغضبًا كأنما فُقئ في وجهه حَبّ الرمان فقال: «**أبهذا أُمرتم؟ أوما نُهيتم عن هذا؟ إنما هلكت الأمم قبلكم في هذا، إذا ذُكر القدر فأمسكوا، وإذا ذُكر أصحابي فأمسكوا، وإذا ذُكرت النجوم فأمسكوا**»[١].

وعن ابن عباس، قال: خرج النبي ﷺ يومًا فسمع ناسًا يتذاكرون القدر فقال: «**إنكم قد أخذتم في شعبتين بعيدتي الغور، فيهما هلك أهل الكتاب...**»[٢] وذكر الحديث.

المسألة الثانية: ما ورد عن ابن سيرين.

١- حدثنا عبد الملك بن عبد الله بن محمد بن سيرين، قال: سألت ابن

---

(١) **صحيح بشواهده:** قال الحافظ ابن حجر: أخرجه الطبراني بسند حسن من حديث ابن مسعود كما في فتح الباري (١١-٤٧٧)، وصححه الشيخ الألباني في «الصحيحة» المجلد الأول (ص ٤٣).

(٢) صححه الشيخ الألباني وصححه الترمذي.

عون عن القدر فقال: سألت جدك محمد بن سيرين عن القدر، فقال: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنفال: ٢٣][١].

المسألة الثالثة: ما ورد عن سعيد بن جبير.

١- عن سعيد، ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: ٢٩] قال: «كما كتب عليكم تكونون ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَـٰلَةُ﴾ [الأعراف: ٣٠][٢].

٢- عن سعيد بن جبير، في قوله: ﴿يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ [الأنفال: ٢٤] قال: «يحول بين المؤمن والكفر، وبين الكافر والإيمان»[٣].

المسألة الرابعة: ما ورد عن مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

١- عن مجاهد، ﴿إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠] قال: «عَلِم من إبليس المعصية»[٤].

٢- عن مجاهد، ﴿إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠] قال: «عَلِم من إبليس المعصية وخلقه لها»[٥].

٣- عن مجاهد، في قول الله ﷻ: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢] قال: «في أم الكتاب»[٦].

---

(١) أخرجه أحمد في «الزهد» (٣٠٦)، وهناد في «الزهد» (٥٠٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٢٦٤).

(٢) أخرجه ابن الجعد (٢١٧٣)، واللالكائي (٩٨٢).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «التفسير» (٩٧٤)، والطبري (١٤٥٧١)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (٨٨٠، ٨٨٨).

(٤) أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة» (٨٩١).

(٥) أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة» (٢/ ٤٠٩).

(٦) أخرجه اللالكائي (٩٧٣).

٤- عن مجاهد، أنه قال في قوله ﷻ: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٩]، قال: وما يدريكم أنكم تؤمنون ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ﴾ [الأنعام: ١١٠] نَحُول بينهم وبين الإيمان لو جاءتهم تلك الآية، فلا يؤمنون كما حُلْتُ بينهم وبينه أول مرة(١).

المسألة الخامسة: ما ورد عن محمد بن كعب القرظي رحمه الله.

١- عن ابن وهب، قال: «قال رجل لمحمد بن كعب القرظي: ما أبعد التوبة! قال: فتبسم. قال: بل ما أحسن التوبة وأجملها! فقال الرجل: أرأيت إن قمتُ من عندك فأتيت المنبر فعاهدت الله عنده أن لا آتي الله بمعصية أبدًا؟ قال: فمَن أعظم ذنبًا منك - أو أعظم جرمًا منك - إذا تأليت على الله أن لا ينفذ فيك أمره؟

ثم قال محمد بن كعب القرظي: قال رسول الله ﷺ ذات يوم وهو على المنبر، بيده اليمنى كتاب: «**هذا كتاب بأسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وأنسابهم، مجمل عليهم، لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم**» قال: ثم قبض يده اليمنى ومد اليسرى، وقال: «**هذا كتاب الله بأسماء أهل النار وأسماء آبائهم وأنسابهم، مجمل عليهم، لا يزاد فيهم ولا ينتقص منهم. وليعمل أهل السعادة بعمل أهل الشقاء حتى يقال: كأنهم هم هم، بل هم هم. ثم يستنفذهم الله ﷻ قبل الموت ولو بفواق ناقة حتى يسلك بهم طريق أهل السعادة. وليعمل أهل النار بعمل أهل السعادة حتى يقال: كأنهم هم، بل هم هم، ثم ليسلك بهم ولو بفواق ناقة طريق أهل الشقاوة، والشقي من شقي بقضاء الله، والسعيد من سعد بقضاء الله، والأعمال بالخواتيم**»(٢).

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٧٧٩٩)، والطبري (١٣٧٥٣).

(٢) **حسن:** أخرجه أحمد (٢/ ١٦٧)، والترمذي (٣/ ٣٠٤-٣٠٥)، وقال: حسن =

المسألة السادسة: ما ورد عن وهب بن منبه رَحِمَهُ اللَّهُ.

١- عن يزيد الخراساني، قال: «بينا أنا ومكحول، إذ قال: يا وهب بن منبه أي شيء بلغني عنك في القدر؟ قال: عني؟ قال: نعم. فقال: والذي كَرَّم محمدًا ﷺ بالنبوة، لقد اقترأت من الله ﷻ اثنين وسبعين كتابًا، منه ما يسر ومنه ما يعلن، ما منه كتاب إلا وجدت فيه: من أضاف إلى نفسه شيئًا من قدر الله فهو كافر بالله. فقال مكحول: الله أكبر[(١)].

المسألة السابعة: ما ورد عن طاوس اليماني رَحِمَهُ اللَّهُ.

١- عن ابن طاوس، عن أبيه، قال: «اجتنِبوا الكلام في القدر؛ فإن المتكلمين فيه يقولون بغير علم»[(٢)].

٢- وعن ابن طاوس، عن أبيه، قالا: «لقي عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ إبليس، فقال: أما علمت أنه لا يصيبك إلا ما قدر لك؟ فقال إبليس: فارق بذروة هذا الجبل، فترد منه، فانظر أتعيش أم لا. قال ابن طاوس، عن أبيه، فقال: أما علمت أن الله ﷻ قال: لا يجربني عبدي فإني أفعل ما شئت. قال: وقال الزهري: قال: إن العبد لا يبتلي ربه، ولكن الله يبتلي عبده»[(٣)].

٣- عن معمر، قال: «كنت عند ابن طاوس في غدير له، إذ أتاه رجل يقال له صالح، يتكلم في القدر، فتكلم بشيء منه، فأدخل ابن طاوس أصبعيه في أذنيه وقال لابنه: «أدخل أصبعيك في أذنيك واشدد حتى لا تسمع من قوله

= صحيح غريب.

(١) أخرجه الفريابي في «القدر» (٣٥٧)، والبيهقي في «القضاء والقدر» (١٣٠).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «التفسير» (٢٠٠٧٥).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «التفسير» (١٣٤٦)، واللالكائي (١١٠٢).

شيئًا، فإن القلب ضعيف»[١].

المسألة الثامنة: ما ورد عن مكحول رَحِمَهُ اللَّهُ.

١- حدثنا عمر بن محمد الشعثي، عن أبيه، قال: «سمعت مكحولًا يقول لغيلان: «ويحك يا غيلان، بلغني أنه يكون في هذه الأمة رجل يقال له غيلان هو أضر عليها من الشيطان»[٢].

المسألة التاسعة: ما ورد عن عكرمة وعطاء وقتادة وجماعة من التابعين رحمهم الله.

١- عن قتادة، في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨] قال: «حكيم في أمره، خبير بخلقه»[٣].

٢- عن سعيد بن أبي عروبة أن رجلًا جاء إلى قتادة، فقال: «يا أبا الخطاب ما تقول في القدر؟ فقال: «رأيُ العرب أعجب إليك أم رأي العجم؟ قال: رأي العرب. قال: إن العرب لم تزل في جاهليتها وإسلامها تُثبت القدر. ثم أنشده بيتًا من شِعر[٤].

٣- حدثنا زياد بن يحيى الحساني، قال: «ما فشت القدرية بالبصرة حتى فشا مَن أسلم من النصارى».

٤- عن موسى بن أبي كثير قال: «القدر»، وقال ابن السرح: «الكلام في القدر أبو جاد الزندقة» قال أبو داود: «وليس في الأرض دين أقل من

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٢٠٠٩٩).

(٢) أخرجه أبو داود في القدر.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «التفسير» (٢٣٠٧)، والطبري (٢٠/٣٤٦).

(٤) أخرجه البيهقي في «القضاء والقدر» (٤٨٨).

الزندقة»[١].

٥- عن وائل بن داود، عن إبراهيم: «إن» آفة كل دين القدر، وإن آفة كل دين كان قبلكم القدر[٢].

٦- عن إبراهيم: «﴿مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ بِفَٰتِنِينَ ١٦٢﴾ [الصافات: ١٦٢]، قال: بمضلين، ﴿إِلَّا مَنۡ هُوَ صَالِ ٱلۡجَحِيمِ ١٦٣﴾ [الصافات: ١٦٣]، قال: إلا مَن قُدر له أن يَصْلَى الجحيم»[٣].

٧- حدثنا يزيد، قال: كان سليمان التيمي «يغلو في القول على القدرية، وكان يتكلم، وأما أيوب ويونس وابن عون فإنهم كانوا لا يتكلمون في شيء من الكلام».

المسألة العاشرة: ذِكر الأئمة المضلين الذين أحدثوا الكلام في القدر، وأول من ابتدعه وأنشأه ودعا إليه.

١- عن ابن عون قال: «أدركت الناس وما يتكلمون إلا في علي وعثمان ﵄، حتى نشأ هاهنا هُنَيٌّ حَقِيرٌ يقال له: سيسويه البَقَّال، فكان أول من تكلم في القدر. قال حماد: فما ظنكم برجل يقول له ابن عون: «هني حقير»[٤].

٢- سمعت الأوزاعي يقول: «أول من نطق في القدر رجل من أهل العراق يقال له: سوسن، كان نصرانيًّا فأسلم، ثم تنصر، فأخذ عنه معبد الجهني وأخذ غيلان عن معبد»[٥].

(١) أخرجه الفريابي في «القدر» (٢٣٨)، والبيهقي في «القضاء والقدر» (٤٨٤).
(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة» (٨٩٥)، والآجري (٥٣٢).
(٣) أخرجه الآجري (٥٣٠).
(٤) أخرجه الفريابي في «القدر» (٤٠٨)، واللالكائي (١١٣٦).
(٥) أخرجه الفريابي في «القدر» (٣٤٨)، واللالكائي (١٣٩٨).

٣- عن يونس بن عبيد، قال: «أدركت البصرة وما بها قدري إلا سيسويه، ومعبد الجهني، وآخَر ملعون في بني عوانة»[١].

٤- حدثنا ابن عون، قال: «أدركت البصرة وما بها أحد يقول هذا القول إلا رجلان ما لهما ثالث: معبد الجهني، وسيسويه». قال ابن عون: «وكان محقورًا ذليلًا، وهذه القدرية والمعتزلة كَذَبوا على الحسن ونحلوه ما لم يكن من قوله، قد قاعدنا الحسن وسمعنا مقالته، ولو علمنا أن أمرهم يصير إلى هذا لواثبناهم عند الحسن رَحِمَهُ اللهُ، وليكونن لأمرهم هذا غب، وإني لأظن عامة من أهل البصرة إنما يُصرف عنهم النصر لما فيهم من القدرية»[٢].

٥- حدثنا مطر، قال: «لقيني عمرو بن عبيد فقال: إني وإياك لعلى أمر واحد. قال: وكذب والله، إنما عنى على الأرض. قال مطر: والله ما أُصدقه في شيء»[٣].

٦- عن أبي حفص عمرو بن علي قال: سمعت معاذ بن معاذ، وذكر قصة عمرو بن عبيد: إن كانت تبت يدا أبي لهب في اللوح المحفوظ، فما على أبي لهب من لوم. قال أبو حفص: فذكرته لوكيع بن الجراح، فقال: مَن قال بهذا يستتاب، فإن تاب وإلا ضُربت عنقه[٤].

❊ ❊ ❊

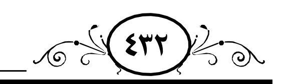
---

(١) أخرجه اللالكائي (١١٣٧).

(٢) أخرجه الفريابي في «القدر» (٣٤٧).

(٣) أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة» (٨٦٧).

(٤) أخرجه الفريابي في «القدر» (٢٩٠)، واللالكائي (١٣٦٩).



المبحث الخامس: مجمل الاعتقاد الحق في القدر، والواجب على العبد في هذا الباب

▣ وبه عدة فصول:

الفصل الأول: مجمل الاعتقاد الحق في القدر

وضَّح ذلك الإمام الصابوني رَحِمَهُ اللَّهُ **فقال:** (ويَشهدون - يعني أهل السنة - أنَّ الله تعالى يهدي من يشاء لدينه، ويُضل من يشاء عنه، لا حجة لمن أضله عليه ولا عذر لديه، قال الله ﷻ: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [الأنعام: ١٤٩]، وقال: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾ [السجدة: ١٣].

سبحانه خَلَق الخلق بلا حاجة إليهم، فجعلهم فريقين: فريقًا للنعيم فضلًا، وفريقًا للجحيم عدلًا، وجعل منهم غويًّا ورشيدًّا، وشقيًا وسعيدًا، وقريبًا من رحمته وبعيدًا، ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء: ٢٣].

وقال أيضًا: يشهد أهل السنة ويعتقدون أنَّ الخيرَ والشرَّ والنفعَ والضرَّ بقضاء الله وقدره، لا مَرَدَّ لها، ولا محيص ولا محيد عنها، لا يصيب المرءَ إلا ما كتبه ربه، ولو جهد الخلق أن ينفعوا المرء بما لم يقضه لم يَقْدروا.

وقال: ومذهب أهل السنة والجماعة أن الله ﷻ مريد لجميع أعمال العباد خيرها وشرها، ولم يؤمن أحدٌ إلا بمشيئة الله، ولو شاء لجعل الناس أمةً واحدةً، ولو شاء ألا يُعصى ما خلق إبليس؛ فكُفْر الكافرين وإيمان المؤمنين

بقضائه ﷻ وقَدَرِه وإرادته ومشيئته، أراد كلَّ ذلك وشاءه وقضاه، ويرضى الإيمان والطاعة، ويسخط الكفر والمعصية، قال الله ﷻ: ﴿إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡۗ﴾ [الزمر: ٧][1].

ويؤكد ذلك الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (مذهب أهل السنة والجماعة في هذا الباب وغيره ما دل عليه الكتاب والسنة، وكان عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، وهو أن الله خالق كل شيء وربه ومليكه، وقد دخل في ذلك جميع الأعيان القائمة بأنفسها وصفاتها القائمة بها، من أفعال العباد وغير أفعال العباد، وأنه سبحانه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن فلا يكون في الوجود شيء إلا بمشيئته وقدرته، لا يمتنع عليه شيء شاءه، بل هو قادر على كل شيء، ولا يشاء شيئًا إلا وهو قادر عليه، وأنه سبحانه يعلم ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، وقد دخل في ذلك أفعال العباد وغيرها.

وقد قَدَّر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم؛ قَدَّر آجالهم، وأرزاقهم، وأعمالهم، وكتب ذلك، وكتب ما يصيرون إليه من سعادة وشقاوة، فهم يؤمنون بخلقه لكل شيء، وقدرته على كل شيء، ومشيئته لكل ما كان، وعلمه بالأشياء قبل أن تكون، وتقديره لها، وكتابته إياها قبل أن تكون.

إلى أن قال: وسلف الأمة وأئمتها متفقون - أيضًا - على أن العباد مأمورون بما أمرهم الله به، منهيون عما نهاهم عنه، ومتفقون على الإيمان بوعده ووعيده الذي نطق به الكتاب والسنة، ومتفقون على أنه لا حجة لأحد على الله في واجبٍ تركه، ولا محرم فعله، بل لله الحجة البالغة على عباده.

---

(١) انظر: «عقيدة السلف وأصحاب الحديث» للصابوني (ص٢٨٠).

وقال: ومما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها - مع إيمانهم بالقضاء والقدر، وأن الله خالق كل شيء، وأنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه يُضل من يشاء، ويهدي من يشاء - أن العباد لهم مشيئة وقدرة، يفعلون بمشيئتهم وقدرتهم ما أقدرهم الله عليه، مع قولهم: إن العباد لا يشاؤون إلا أن يشاء الله، كما قال الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذۡكِرَةٞ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذۡكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ﴾ [المدثر: ٥٤ - ٥٦][(١)].

الفصل الثاني: النقول الواردة عن السلف في مجمل الاعتقاد الحق في القدر

١- **يقول الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ في عقيدته التي نقلها ابن الجوزي:** (ونؤمن بالقضاء والقدر خيره وشره، حلوه ومره من الله).

ويقول أيضًا: (أجمع سبعون رجلًا من التابعين، وأئمة المسلمين، وأئمة السلف، وفقهاء الأمصار - على أن السنة التي تُوفي عليها رسول الله ﷺ: أولها الرضا بقضاء الله، والتسليم لأمر الله، والصبر تحت حكمه، والأخذ بما أمر الله به، والنهي عما نهى عنه، وإخلاص العمل لله، والإيمان بالقدر خيره وشره، وترك المراء والجدال والخصومات في الدين[(٢)].

وفي مسائل الإمام أحمد: (أخبرنا أبو بكر قال: حدثنا أبو داود قال: سمعت أحمد قال له رجل: تلجئني القدرية إلى أن أقول: الزنا بقدر، والسرقة

---

(١) انظر: «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» (٨/ ٤٤٩- ٤٥٠).

(٢) «مناقب الإمام أحمد» لابن الجوزي (ص: ٢٢٨)، وانظر: «المدرسة السلفية» لمحمد عبد الستار نصار (٢/ ٥٢٥).

بقدر. قال: الخير والشر من الله[١].

٢- **ويقول شيخ المالكية في المغرب ابن أبي زيد القيرواني:** (والإيمان بالقدر خيره وشره حلوه ومره، وكل ذلك قد قدره الله ربنا، ومقادير الأمور بيده، ومصدرها عن قضائه، عَلِم كل شيء قبل كونه، فجرى على قدره، لا يكون من عباده قول ولا عمل إلا وقد قضاه وسبق علمه به ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: ١٤]، يُضل من يشاء فيخذله بعدله، ويهدي من يشاء فيوفقه بفضله، فكلٌّ ميسر بتيسيره إلى ما سبق من عمله وقدره من شقي أو سعيد، تعالى أن يكون في مُلكه ما لا يريد، أو يكون لأحد عنه غنى، خالقًا لكل شيء، ألا هو رب العباد، ورب أعمالهم، والمقدر لحركاتهم وآجالهم[٢].

٣- **ويقول الإمام ابن قتيبة** رَحِمَهُ اللَّهُ: (وعدل القول في القدر أن تعلم أن الله عدل لا يجور، كيف خلق، وكيف قدر، وكيف أعطى، وكيف منع، وأنه لا يخرج من قدرته شيء، ولا يكون في ملكوته من السماوات والأرض إلا ما أراد، وأنه لا دَين لأحد عليه، ولا حق لأحد قِبله، فإن أعطى فبفضل، وإن منع فبعدل، وإن العباد يستطيعون ويعملون، ويُجْزَون بما يكسبون، وإن لله لطيفة يبتدئ بها من أراد، ويتفضل بها على من أحب، يوقعها في القلوب فيعود بها إلى طاعته، ويمنعها من حقت عليه كلمته. فهذه جملة ما ينتهي إليه علم ابن آدم من قدر الله ﷻ، وما سوى ذلك مخزون عنه[٣].

٤- **عقيدة الإمام أبي بكر محمد بن الحسين الآجُرِّي في القدر، قال** رَحِمَهُ اللَّهُ:

(١) انظر: «السنة» للخلال (٣/ ٥٤٣).

(٢) «مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني» (ص: ٦ - ٧).

(٣) «الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمُشبِّهة» (ص: ٢٢).

مذهبنا في القدر أن نقول: إن الله ﷻ خلق الجنة وخلق النار، ولكل واحدة منهما أهل، وأقسم بعزته أنه يملأ جهنم من الجِنَّة والناس أجمعين. ثم خلق آدم عليه السلام، واستخرج من ظهره كل ذرية هو خالقها إلى يوم القيامة. ثم جعلهم فريقين: فريق في الجنة وفريق في السعير.

وخلق إبليس، وأَمَره بالسجود لآدم عليه السلام، وقد علم أنه لا يسجد للمقدور الذي قد جرى عليه من الشقوة التي سبقت في العلم من الله ﷻ، لا معارض لله الكريم في حكمه، يفعل في خلقه ما يريد، عدلًا من ربنا قضاؤه وقدره.

وخلق آدم وحواء عليهما السلام، للأرض خلقهما، وأسكنهما الجنة، وأَمَرهما أن يأكلا منها رغدًا ما شاءا، ونهاهما عن شجرة واحدة أن لا يقرباها، وقد جرى مقدوره أنهما سيعصيانه بأكلهما من الشجرة. فهو تبارك وتعالى في الظاهر ينهاهما، وفي الباطن من علمه قد قدر عليهما أنهما يأكلان منها، ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء: ٢٣]. لم يكن لهما بُدٌّ من أكلهما؛ سببًا للمعصية، وسببًا لخروجهما من الجنة، إذ كانا للأرض خُلقا، وأنه سيغفر لهما بعد المعصية.

كل ذلك سابق في علمه، لا يجوز أن يكون شيء يحدث في جميع خلقه إلا وقد جرى مقدوره به، وأحاط به علمًا قبل كونه أنه سيكون.

خلق الخلق كما شاء لما شاء، فجعلهم شقيًّا وسعيدًا قبل أن يُخرجهم إلى الدنيا، وهم في بطون أمهاتهم، وكتب آجالهم، وكتب أرزاقهم، وكتب أعمالهم، ثم أخرجهم إلى الدنيا، وكل إنسان يسعى فيما كُتِبَ له وعليه.

ثم بعث رسله، وأنزل عليهم وحيه، وأَمَرهم بالبلاغ لخلقه، فبَلَّغوا رسالات ربهم ونصحوا قومهم، فمَن جرى في مقدور الله ﷻ أن يؤمن

آمن، ومَن جرى في مقدوره أن يكفر كفر، قال الله ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٢﴾ [التغابن: ٢].

أحب من أراد من عباده فشرح صدره للإيمان والإسلام، ومقت آخرين فختم على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم فلن يهتدوا أبدًا، يُضل من يشاء ويهدي من يشاء ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ۝٢٣﴾ [الأنبياء: ٢٣].

الخلق كلهم له، يفعل في خلقه ما يريد، غير ظالم لهم، جل ذكره عن أن يُنسب ربنا إلى الظلم، إنما يظلم من يأخذ ما ليس له بمِلك، وأما ربنا ﷻ فله ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرَّى وله الدنيا والآخرة، جل ذكره وتقدست أسماؤه.

أحب الطاعة من عباده وأمر بها، فجرت ممن أطاعه بتوفيقه لهم، ونهى عن المعاصي وأراد كونها من غير محبته منه لها ولا للأمر بها، تعالى الله ﷻ أن يأمر بالفحشاء، أو يحبها، وجل ربنا وعز أن يجري في ملكه ما لم يُرِد أن يجري، أو شيء لم يحط به علمه قبل كونه، قد علم ما الخلق عاملون قبل أن يخلقهم وبعد أن يخلقهم، وقبل أن يعملوا قضاء وقدرًا. قد جرى القلم بأمره ﷻ في اللوح المحفوظ بما يكون، من بِرّ أو فجور.

يثني على من عمل بطاعته من عبيده، ويضيف العمل إلى العباد، ويعدهم عليه الجزاء العظيم، لولا توفيقه لهم ما عملوا ما استوجبوا به منه الجزاء ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢١﴾ [الحديد: ٢١] وكذا ذم قومًا عملوا بمعصيته، وتوعدهم على العمل بها، وأضاف العمل إليهم بما عملوا، وذلك بمقدور جرى عليهم. يُضل من يشاء، ويهدي من يشاء.

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ اللهُ: هذا مذهبنا في القدر[١].

٥- **ويقول الطحاوي** رَحِمَهُ اللهُ **في القدر:** خلق الخلق بعلمه، وقَدَّر لهم أقدارًا وضرب لهم آجالًا، ولم يَخْفَ عليه شيء قبل أن يخلقهم، وعلم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم، وأَمَرهم بطاعته، ونهاهم عن معصيته.

وكل شيء يجري بتقديره ومشيئته، ومشيئته تنفذ، لا مشيئة للعباد إلا ما شاء الله لهم، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن. يهدي من يشاء ويعصم ويعافي فضلًا، ويضل من يشاء ويخذل ويبتلي عدلًا. وكلهم متقلبون في مشيئته بين فضله وعدله. وهو متعالٍ عن الأضداد والأنداد، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، ولا غالب لأمره. آمنا بذلك كله، وأيقنا أن كلًّا من عنده[٢].

الفصل الثالث: الواجب على العبد في هذا الباب

إن الواجب على العبد في باب القدر أن يؤمن بقضاء الله وقدره، وأنه لا يقع شيء إلا وقد علمه الله وكتبه وشاءه.

ويؤمن - مع ذلك - بشرع الله وأمره ونهيه؛ فعلى الإنسان تصديق الخبر وطاعة الأمر؛ فإذا وُفق للطاعة حمد الله واستمر عليها، وإذا فعل المعصية تاب إلى الله، واستغفر ونزع عنها[٣]:

الواجب على العبد في هذا الباب:

---

(١) «الشريعة» للأجري (ص١٤٤).

(٢) «شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز (١/١٢٥).

(٣) «شرح التائية في القدر» للحمد (ص: ١٦٢).

أن يُؤمن بقضاء الله وقدره، وأن يُؤمن بشرع الله، وأمره ونهيه، فعليه تصديق الخبر وطاعة الأمر.

فإذا أحسن حَمِدَ الله، وإذا أساء استغفر الله، وعلم أن ذلك كله بقضاء الله وقدره؛ فإن آدم عليه السلام لما أذنب تاب فاجتباه ربه وهداه، وإبليس أصرَّ واحتج فلعنه الله وأقصاه، فمَن تاب كان آدميًّا، ومَن أصرَّ واحتج بالقدر صار إبليسيًّا، فالسعداء يتبعون أباهم، والأشقياء يتبعون عدوهم إبليس.

وبالمراعاة الصحيحة لقدر الله وشرعه يصير الإنسان عابدًا - حقيقة - فيكون مع الذين أنعم الله عليهم من أنبياء، وصِديقين، وشهداء، وصالحين، وكفى بهذه الصحبة غبطة وسعادة.

وبالجملة فعليه أن يؤمن بمراتب القدر الأربع السابقة، وأنه لا يقع شيء إلا وقد علمه الله، وكتبه، وشاءه، وخلقه.

ويؤمن - أيضًا - بأن الله أمر بطاعته، ونهى عن معصيته، فيفعل الطاعة، ويترك المعصية، فإذا وفقه الله لفعل الطاعة وترك المعصية فليحمد الله وليستمر على ذلك، وإن خُذِل ووُكل إلى نفسه فَفَعَل المعصية وترك الطاعة فعليه أن يستغفر ويتوب.

ثم إن على العبد - أيضًا - أن يسعى في مصالحه الدنيوية، ويسلك الطرق الصحيحة الموصلة إليها، فيضرب في الأرض، ويمشي في مناكبها، فإن أتت الأمور على ما يريد حمد الله، وإن أتت على خلاف ما يريد تعزى بقدر الله، وعلم أن ذلك كله واقع بقدر الله عز وجل وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

وإذا علم العبد من حيث الجملة أن لله فيما خلق وما أمر به حكمة عظيمة، كفاه هذا، ثم كلما ازداد علمًا وإيمانًا ظهر له من حكمة الله ورحمته

ما يبهر عقله ويبين له تصديق ما أخبر الله به في كتابه.

ولا يلزم كل أحد أن يعلم تفاصيل الحديث عن الإيمان بالقدر، بل يكفي هذا الإيمان المجمل، فأهل السنة والجماعة - كما هو مقرر عندهم - لا يوجبون على العاجز ما يجب على القادر(١).

فالإيمان بالقدر أحد أركان الإيمان، لن يتم إيمان العبد حتى يحقق الإيمان بالقضاء والقدر.

وللإيمان بالقضاء والقدر أركان لا يتم إلا بها:

١- **الركن الأول:** أن تؤمن بأن الله بكل شيء عليم وعلى كل شيء شهيد، فما من شيء حادث في السماء والأرض وما من شيء يحدث فيهما مستقبلاً إلا وعند الله علمه لا يخفى عليه شيء من دقيقه وجليله: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩].

٢- **الركن الثاني:** أن تؤمن بأن الله كتب في اللوح المحفوظ مقادير كل شيء إلى أن تقوم الساعة، فكل شيء يحدث في الأرض أو في السماوات فهو مكتوب في اللوح المحفوظ قبل أن تُخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة.

وقد أشار الله تعالى إلى هذين الركنين بقوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج: ٧٠] وفي الحديث: «**إن أول ما خلق الله القلم قال له: اكتب. قال: وماذا أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن. فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة**». وفي ليلة

(١) «الإيمان بالقضاء والقدر» (ص: ٤١).

القدر يكتب ما يجري في تلك السنة ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾﴾ وإذا تم للجنين في بطن أمه أربعة أشهر بعث الله إليه المَلك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد.

٣- **الركن الثالث من أركان الإيمان بالقضاء والقدر:** أن تؤمن بمشيئة الله العامة وقدرته الكاملة وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فكل ما حدث في السماوات والأرض من أفعال الله أو من أعمال الخلق فإنه بمشيئة الله لا يحدث شيء كبير ولا صغير ولا عظيم ولا حقير إلا بمشيئة الله وقدره وتحت سمعه وبصره، هو الذي علم به كتبه وقدره ويَسَّر أسبابه، فمن عمل صالحًا فبمشيئة الله ومن عمل سيئة فبمشيئة الله: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٣٩] وكل شيء يعمله الإنسان ويُحدثه فإنه بمشيئة الله، حتى إصلاح طعامه وشرابه وبيعه وشراؤه وأخذه وعطاؤه ونومه ويقظته وجميع حركاته وسكناته - كلها بمشيئة الله تعالى. وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «**كل شيء بقدر حتى العجز والكيس**».

٤- **الركن الرابع من أركان الإيمان بالقدر:** أن تؤمن بأن الله خالق كل شيء ومليكه ومقدره ومسخره لما خُلق له، وأن الله خالق الأسباب والمسببات، وهو الذي ربط النتائج بأسبابها وجعلها نتيجة لها وعَلَّم عباده تلك الأسباب ليتوصلوا بها إلى نتائجها لتكون عبرة لهم ودليلًا على نعمة الله عليهم بما يَسَّره لهم من الأسباب التي يتمكنون بها من إدراك مطلوبهم على حسب ما تقتضيه حكمته ورحمته.

وقد أشار الله تعالى إلى هذا بقوله: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ﴾ إلى قوله: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [الواقعة: ٥٨-٧٦] فالأعمال التي يحدثها العبد ويقوم بها ناتجة عن أمرين: أحدهما: عزم الإنسان عليها ولولا عزمه لما فعل. والثاني: قدرته على العمل بما عَلَّمه الله تعالى من أسبابه وبما أعطاه من

القوة عليه، ولولا قدرة الإنسان على العمل ولولا علمه بأسباب إيجاده وعزمه عليه لما وقع منه الفعل. ولا شك أن الذي عَلّم الإنسان وأوجد فيه العزم والقدرة هو الله تعالى، فالإنسان وعزمه وقدرته وفعله كله في ملك الله وتحت مشيئة الله وقدرته: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾﴾ [فاطر: ٤٤][(١)].

٥- ومما يدخل في الإيمان بالقدر التقادير التي كتبها الله في اللوح المحفوظ وتقدير الميثاق والتقدير العمري والسنوي واليومي والتكليفي

٦- وأن الإرادة علي قسمين:

أ- إرادة كونية قدرية لابد من وقوعها وقد لا توافق المحبوب.

ب- وإرادة شرعية يحبها الله وقد لا تقع.

٧- وأن الهداية قسمان:

أ- هداية الدلالة وهي عامة لكل إنسان.

ب- وهداية التوفيق وهي خاصة بالمؤمن.

وأن الضلال والهداية والخذلان والطبع والتوفيق لهم جانبان: جانب من الله وآخر من العبد.

٨- وجوب الإيمان بأن القدر من الغيب، والغيب اختص الله بعلمه فلا يعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل.

٩- الإيمان بأن الله تعالي خلق وقَدَّر الشرور والمعاصي والمال الحرام وأنها موجودة بحكمته.

---

(١) «مجموع فتاوى ورسائل العثيمين» (٦/ ٢٢٤).

١٠- وأن القدر الذي هو فعل الله لا شر فيه، وإنما الشر يُنسب للمقدور المخلوق، فالشر في المفعولات المقدورات لا في أفعال الله وقدره.

١١- ومما يدخل في القدر الوجب تصديقه أن القدر قسمان:

أ- مثبت مطلق لا يتغير، وهو ما في اللوح المحفوظ.

ب- وقدر معلق، وهو ما في صحف الملائكة.

١٢- وأن كل ما يفعله الله ويقدره ويخلقه فهو حاصل بحكمته، فأفعاله معللة بحكمته.

١٣- وأن الله ﷻ منزه عن الظلم وإن كان قادرًا عليه والظلم وضع الشيء في غير موضعه، وأن الله لا يكلف عباده إلا ما يطيقون.

١٤- أن القدر يشمل الأسباب والمسببات، فالله خالق للسبب والمسبب، خلق النار وإحراقها وأن الأسباب لها تأثير حقيقي في مسبباتها بقدرة الله وعلمه وما أودعه الله بها من قدرة وخصائص وتأثير.

١٥- أن الله تعالى لا نوجب عليه شيئًا بعقولنا إلا ما كتبه على نفسه فضلًا منه.

١٦- وأن العقل يعرف حسن الشيء وقبحه في كثير من الأفعال، ولكن العقاب والثواب بالشرع لا بالعقل، فالعقل تابع للشرع وليس مستقلًّا في الحكم.

١٧- وأن الاستطاعة على قسمين:

أ- شرعية قبل الفعل ومعه، بمعني الصحة والسلامة.

ب- وقدرية وتكون مع الفعل، وهي بمعنى التوفيق والإعانة.

١٨- وأنه ليس كل ما أراده الله فقد أحبه، مثل إرادة الله وجود الكفر.

١٩- وأنه ليس كل ما أمر الله به فقد أراده، مثل أمر الله إبراهيم بذبح

إبنه.

٢٠- وأنه يجب على العبد أن يرضى بالقدر ويصبر على ما قدره الله من مصائب، ولا يرضى بالمعاصي وإن كانت من قدر الله.

٢١- وأن القدر يُحتج به في المصائب لا في الذنوب والمعاصي.

٢٢- وأن لا نعارض القدر بالعقل فهو من الغيب والسر الذي يحير العقول مما يوجب الإيمان والتسليم لا الاعتراض والخوض بالباطل فيه(١).

إذًا فالواجب على العبد أن يأخذ بالمُحْكَم وأن يَرُدَّ المتشابه إلى المحكم؛ فقد أمر الله بذلك، وقد خرج النبي مَرَّةً على الصحابة وهم يتنازعون في القَدَرْ، كلٌّ يَنْزِعُ إلى قوله بآية، فكأنما فُقِئَ في وجهه حَبُّ الرُّمَان، يعني احْمَرَّ وجهه، وهذا لأجل أنَّ الواجب على العباد أن يُسَلِّمُوا للمحكمات والأصول العامة وأن يَرُدُوا المتشابه إلى المُحْكَمْ، على ما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم.

وبالتالي فإنَّ كل تفسيرٍ لآيات القَدَر لم يكن معروفًا في زمن الصحابة رضوان الله عليهم - فإنَّهُ باطلٌ وضلال؛ لأنه من الأخذ بالمتشابه وترك المحكم(٢).

فعلى العبد أن يكون عبدًا لله جل وعلا ممتثلًا لأمره؛ فإن وقع في شيء لا يرضاه من مصيبة أو ما أشبه ذلك، فعليه أن يسلم لقضاء الله الذي قضى، ويؤمن بذلك، ويعلم أنه مكتوب عليه وأنه لا يمكن تغييره؛ ولهذا ثبت في الصحيحين أن موسى عليه السلام قال لربه: (يا رب! أرني آدم الذي أخرجنا ونفسه من الجنة. فأراه الله جل وعلا آدم، فقال له موسى: أنت آدم أبو البشر

---

(١) «توفيق رب البرية في حل المسائل القدرية» للغامدي (١٥-١٧).

(٢) «إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل» (٣٨/ ٢٥).

الذي خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وأسكنك جنته، لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة؟)[1]، وفي رواية: (لماذا خيبتنا ونفسك أخرجتنا من الجنة؟) فقال له آدم عليه السلام: (أنت موسى الذي كلمك الله بلا واسطة، وكتب لك التوراة بيده، واصطفاك على الناس بكلامه، فقبل كم وجدت في التوراة مكتوبًا قبل أن أُخلق: (فعصى آدم ربه فغوى)، فقال موسى: وجدت أن هذا كُتب قبل أن تُخلق بأربعين سنة) يعني: هذا مكتوب في التوراة وليس هو في اللوح المحفوظ قبل أن تخلق بأربعين سنة. فقال: (أتلومني على شيء كُتب عليّ قبل أن أُخلق؟! فحج آدم موسى) قالها ثلاثًا، يعني: غلبه في الحجة.

ومعنى ذلك أن موسى عليه السلام لام آدم على المصيبة التي وقعت له وهو ليس بذنب؛ لأن الذنب قد علم موسى أنه تاب منه وتاب الله عليه، والتائب من الذنب لا يجوز أن يلام عليه، والإنسان إذا وقع في ذنب وتاب منه فلا يجوز أن تأتي إليه وتقول: أنت وقعت في كذا وكذا. فهذا حرام، وموسى أعلم بالله وأتقى من أن يلوم آدم على ذنب قد أخبر الله جل وعلا أنه تاب عليه؛ لأن التائب من الذنب كمن لا ذنب عليه، ولكن اللوم على المصيبة والأثر الذي هو الخروج من الجنة؛ ولهذا قال: (أخرجتنا ونفسك من الجنة)، والخروج مصيبة، ولو كنا في الجنة ما حصل ما يحصل الآن، أعني كون أكثر الناس كفارًا، وكون أشياء كثيرة تحدث، فأخبر أن هذا الشيء مكتوب لا يمكن تغييره ولابد منه؛ ولهذا غلبه في الحجة.

فالشيء الذي يقع للإنسان أمر مقدر عليه يجب أن يسلم ويرضى؛ فإنه لا حيلة له فيه، فما أمامه إلا أن يقول: (قدر الله وما شاء فعل). أما إذا كان له فيه حيلة مثل المعصية فيجب أن يتوب ويستغفر ويقلع عن الذنب. أما إذا

---

(١) سبق تخريجه.

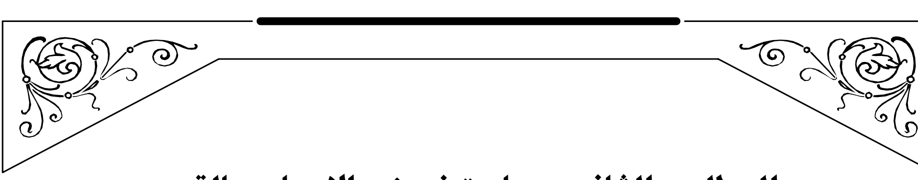
وقع في ذنب يمكن استدراكه ويقول: (هذا قدر الله) ويستمر عليه فهذا لا يجوز، وعليه أن يستدرك ما يستطيع، أما أن يتعذر بالقدر فلا؛ ولهذا يقول العلماء: (الاحتجاج بالقدر على المصائب لا على المعائب) والمعائب هي الذنوب، ويجب على العبد أن يتوب ويستغفر.

والمصيبة التي تقع يجوز أن يقول فيها: (الحمد لله، هذا قدر الله، وأنا راضٍ بقدر الله) فيتسلى بذلك، كما قال آدم عليه السلام: (أتلومني على شيء كُتب عليّ قبل أن أُخلق؟!).

فإن وقع الشيء الذي لا تريده وحصل خلاف ما تريد فلا تقل: (لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا. ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل؛ فإن لو تفتح عمل الشيطان) يعني: قولك: (لو) لا يأتي بخير، وإنما يفتح عمل الشيطان من الأسى والتأسف والحزن والاعتراض على القدر، وعمل الشيطان كله شر يقود الإنسان إلى ما هو شر؛ ولهذا يرسل الرسول ﷺ للنافع وينهى عما فيه افتتاح عمل للشيطان، وهو أنه إذا وقع في مصيبة فإن كانت المصيبة يمكن استدراكها وتمكن الحيلة فيها والإقلاع عنها إذا كانت ذنبًا بالاستغفار، فهذا واجب العبد أن يستغفر ويتوب ويقلع عن الذنب. أما إذا كانت مصيبة في ماله أو في نفسه بمرض أو في ولده أو في قريبه أو ما أشبه ذلك، فله أن يقول: هذا قدر الله، وأنا راضٍ بقدر الله، والحمد لله رب العالمين. وهذا هو شأن العبد المؤمن[1].



(١) «شرح كتاب التوحيد» للغنيمان (١٢٢/ ٧، بترقيم الشاملة آليًّا).



المطلب الثاني: ما يتضمنه الإيمان بالقدر

وتحته ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مراتب القدر أو أركانه[(١)] وخلق أفعال العباد

وبه عدة فصول:

الفصل الأول: مراتب القدر أو أركانه

مراتب القضاء والقدر التي من لم يؤمن بها لم يؤمن بالقضاء والقدر - أربع

---

(١) انظر تفاصيل الحديث عن هذه المراتب في «العقيدة الواسطية» مع شرحها، «الروضة الندية» للشيخ زيد بن فياض (ص٣٥٣)، و«التنبيهات اللطيفة على ما احتوت عليه العقيدة الواسطية من المباحث المنيفة» للشيخ ابن سعدي، مع تعليقات سماحة الشيخ ابن باز (٧٥-٨٠).

وانظر: «شفاء العليل» (٦١-١١٦)، و«معارج القبول» للشيخ حافظ الحكمي (٢/ ٢٢٥- ٢٣٨)، و«أعلام السنة المنشورة» للحكمي أيضًا (ص١٢٦- ١٢٩)، و«رسائل في العقيدة» للشيخ ابن عثيمين (ص٣٧)، و«تقريب التدمرية» لابن عثيمين (ص١٠٨، ١٠٩)، و«القضاء والقدر» د. عمر الأشقر (ص٢٩- ٣٦)، و«شرح العقيدة الواسطية» للشيخ صالح الفوزان (ص١٥٠- ١٥٦)، و«خلاصة معتقد أهل السنة» للشيخ عبد الله بن سليمان المشعلي (ص٢٩، ٣٠).

مراتب:

المرتبة الأولى: علم الرب سبحانه بالأشياء قبل كونها.

المرتبة الثانية: كتابته لها قبل كونها.

المرتبة الثالثة: مشيئته لها.

الرابعة: خلقه لها(١).

إذًا اعلم رحمك الله تعالى أنه لا يتم الإيمان الكامل بالقدر إلا إن آمنت بأربع مراتب، وقد قررها أهل العلم رحمهم الله تعالى أكمل تقرير، بما لا مزيد عليه، وهي كما يلي:

المرتبة الأولى: الْإِيمَانُ بِعِلْمِ اللَّهِ ﷻ الْمُحِيطِ بِكُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ وَالْمَعْدُومَاتِ وَالْمُمْكِنَاتِ وَالْمُسْتَحِيلَاتِ، فَعَلِمَ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ وَمَا لَمْ يَكُنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ يَكُونُ، وَأَنَّهُ عَلِمَ مَا الْخَلْقُ عَامِلُونَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ وَعَلِمَ أَرْزَاقَهُمْ وَآجَالَهُمْ وَأَحْوَالَهُمْ وَأَعْمَالَهُمْ فِي جَمِيعِ حَرَكَاتِهِمْ وَسَكَنَاتِهِمْ وَشَقَاوَتِهِمْ وَسَعَادَتِهِمْ وَمَنْ هُوَ مِنْهُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَمَنْ هُوَ مِنْهُمْ مَنْ أَهْلِ النَّارِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَخْلُقَهُمْ وَمِنْ قَبْلِ أَنْ يَخْلُقَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، عَلِمَ دِقَّ ذَلِكَ وَجَلِيلَهُ وَكَثِيرَهُ وَقَلِيلَهُ وَظَاهِرَهُ وَبَاطِنَهُ وَسِرَّهُ وَعَلَانِيَتَهُ وَمَبْدَأَهُ وَمُنْتَهَاهُ.

كُلُّ ذَلِكَ بِعِلْمِهِ الَّذِي هُوَ صِفَتُهُ وَمُقْتَضَى اسْمِهِ الْعَلِيمِ الْخَبِيرِ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ عَلَّامِ الْغُيُوبِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [الحَشر: ٢٢] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمَۢا﴾ [الطَّلَاق: ١٢] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدَۢا﴾ [الجِنّ: ٢٨].

---

(١) «شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل» (١٢/ ١).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ﴾ [سَبَإ: ٣] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱهۡتَدَىٰ﴾، ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ﴾، ﴿هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النَّجم: ٣٠].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣] ﴿أَوَ لَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [العَنْكبُوت: ١٠] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٠﴾ [البَقَرَة: ٣٠] الْآيَاتِ. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البَقَرَة: ٢١٦].

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: بَاب: اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ أَوْلَادِ الْمُشْرِكِينَ فَقَالَ: «**اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ**»(١).

وَعَنْ عَطَاء بْن يَزِيدَ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ ذَرَارِيِّ الْمُشْرِكِينَ فَقَالَ: «**اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ**»(٢).

---

(١) البخاري (١١/ ٤٩٣) في القدر، باب الله أعلم بما كانوا عاملين. وفي الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين. ومسلم (٤/ ٢٠٤٩/ ح٢٦٦٠) في القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة.

(٢) البخاري (١١/ ٤٩٣) في القدر، باب الله أعلم بما كانوا عاملين. وفي الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين. ومسلم (٤/ ٢٠٤٩/ ح٢٦٥٩) في القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة.

وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوَ يُنَصِّرَانِهِ كَمَا تُنْتِجُونَ الْبَهِيمَةَ هَلْ تَجِدُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ؟ حَتَّى تَكُونُوا أَنْتُمْ تَجْدَعُونَهَا**». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَرَأَيْتَ مَنْ يَمُوتُ وَهُوَ صَغِيرٌ؟ قَالَ: «**اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ**»(١)(٢).

المرتبة الثانية: مرتبة الكتابة، ومعناها: الإيمان الجازم بأن الله تعالى قد كتب في اللوح المحفوظ كل ما هو كائن إلى يوم القيامة. وقد أجمع الصحابة والتابعون ومَن بعدهم من أهل السنة على أن كل كائن إلى يوم القيامة فهو مكتوب.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج: ٧٠] وقال تعالى: ﴿وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [فاطر: ١١] وقال تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١]

وروى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كتب الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة**»(٣).

---

(١) البخاري (٣/ ٢١٨) في الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه؟ وباب ما قيل في أولاد المشركين. ومسلم (٤/ ٢٠٤٧-٢٠٤٨/ ح٢٦٥٨) في القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة.

(٢) «معارج القبول بشرح سلم الوصول» بتصرف يسير (٣/ ٩٢٠).

(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه» في كتاب القدر، بَابُ حِجَاجِ آدَمَ وَمُوسَى عليهما السلام (٢٦٥٣).

وقال - عليه الصلاة والسلام -: «**ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة أو النار إلا وقد كتبت شقية أو سعيدة**»(١). والله أعلم(٢).

وَالْإِيمَانُ بِكِتَابَةِ الْمَقَادِيرِ يَدْخُلُ فِيهِ خَمْسَةُ تَقَادِيرَ(٣) وسيأتي ذلك بالتفصيل إن شاء الله.

المرتبة الثالثة: المشيئة، ومعناها: الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وأنه لا يكون من حركة ولا سكون ولا هداية ولا إضلال إلا بمشيئته.

وهذه المرتبة قد دل عليها إجماع الرسل من أولهم إلى آخرهم وجميع الكتب المنزلة من عند الله تعالى والفطرة التي فطر الله الناس عليها.

قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ وقال تعالى: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٣٩].

وقال - عليه الصلاة والسلام -: «**إن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع**

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» في كتاب الجنائز، بَابُ مَوْعِظَةِ الْمُحَدِّثِ عِنْدَ الْقَبْرِ، وَقُعُودِ أَصْحَابِهِ حَوْلَهُ (١٣٦٢)، كتاب التفسير، بَابُ قَوْلِهِ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥﴾ (٤٩٤٥)، بَابُ ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ (٤٩٤٦)، بَابُ قَوْلِهِ: ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨﴾ (٤٩٤٧)، بَابُ قَوْلِهِ: ﴿وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩﴾ (٤٩٤٨)، بَابُ ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ (٤٩٤٩)، كتاب الأدب، بَابُ الرَّجُلِ يَنْكُتُ الشَّيْءَ بِيَدِهِ فِي الأَرْضِ (٦٢١٧)، كتاب القدر، بَابُ ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ (٦٦٠٥)، كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٧﴾ (٧٥٥٢)، ومسلم في صحيحه، في كتاب القدر، بَابُ كَيْفِيَّةِ خَلْقِ الْآدَمِيِّ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَكِتَابَةِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقَاوَتِهِ وَسَعَادَتِهِ (٢٦٤٧).

(٢) شرح الشيخ السعيدان للنونية مخطوط.

(٣) «مختصر معارج القبول» (ص: ٢٨١).

الرحمن كقلبٍ واحد يصرفه حيث يشاء»(١).

ومَشِيئَةُ اللَّهِ النَّافِذَةُ وَقُدْرَتُهُ الشَّامِلَةِ يَجْتَمِعَانِ فِيمَا كَانَ وَمَا سَيَكُونُ، وَيَفْتَرِقَانِ فِيمَا لَمْ يَكُنْ وَلَا هُوَ كَائِنٌ. فَمَا شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى كَوْنَهُ فَهُوَ كَائِنٌ بِقُدْرَتِهِ لَا مَحَالَةَ ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

وَمَا لَمْ يَشَأِ اللَّهُ تَعَالَى لَمْ يَكُنْ لِعَدَمِ مَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى إِيَّاهُ، لَيْسَ لِعَدَمِ قُدْرَتِهِ عَلَيْهِ ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [الأنعام: ٣٥]، ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [هود: ١١٨]، ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٩٩]، ﴿أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [الرعد: ٣١]، ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟﴾ [البقرة: ٢٥٣]، ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾ [السجدة: ١٣].

فَالسَّبَبُ فِي عَدَمِ وُجُودِ الشَّيْءِ هُوَ عَدَمُ مَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى إِيجَادَهُ، لَا أَنَّهُ عَجَزَ عَنْهُ، تَعَالَى اللَّهُ وَتَقَدَّسَ وَتَنَزَّهَ عَنْ ذَلِكَ ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤](٢).

المرتبة الرابعة: الخلق، وهذه المرتبة تقتضي الإيمان بالله تعالى وهو خالق كل شيء، فهو وحده جل وعلا خالق الكائنات بذواتها وصفاتها وحركاتها، فهو الخالق وما سواه مخلوق، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الرعد: ١٦] وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢] وقال تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [فاطر: ٣] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» في كتاب القدر، بَابُ تَصْرِيفِ اللهِ تَعَالَى الْقُلُوبَ كَيْفَ شَاءَ (٢٦٥٤).

(٢) «معارج القبول بشرح سلم الوصول» (٣/ ٩٤٠).

﴿مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء: ١] وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ [الحجرات: ١٣] وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات: ٩٦].



وروى الإمام البخاري في «خلق أفعال العباد» عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«إن الله يصنع كل صانع وصنعته»**(١).

فهذه المراتب الأربع هي مراتب القدر، ولا يتم الإيمان بالقدر إلا بالإيمان بها، والله أعلم(٢).

الفصل الثاني: مسألة خلق أفعال العباد

مسألة خلق أفعال العباد قد قررها أهل السنة رحمهم الله تعالى أتم تقرير، وبيانها أن يقال: إننا نؤمن إيمانًا جازمًا بأن الله تعالى هو المقدر لكل شيء، فلا يكون من شيء إلا بعلمه ومشيئته، وهو الخالق لكل شيء، ومع هذا فالله تعالى قد خلق للعبد قدرة ومشيئة، بها يعرف الصواب من الخطأ، والحق من الباطل، وبها يختار فعله(٣).

وفي هذا يقول الحكمي: أهل السنة يقولون: إن للعباد مشيئة وقدرة على

---

(١) **صحيح:** أخرجه البخاري في «خلق أفعال العباد» (١/ ٤٦)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٣٥٧)، والبزار في «مسنده» (٢٨٣٧)، وابن مندة في كتاب «التوحيد» (١١٣)، والحاكم في «المستدرك» (٨٥، ٨٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٨٧)، وفي «القضاء والقدر» له (١٣٣)، وفي «الأسماء والصفات» له (٣٧، ٥٧٠، ٨٢٥) من طريق أبي مالك الأشجعي، عن ربعي بن حراش، عن حذيفة، به.
وإسناده صحيح، ورجاله ثقات وهو على شرط مسلم.

(٢) «النونية» للشيخ السعيدان، مخطوط.

(٣) المصدر السابق.

أعمالهم بمقتضاها يثابون أو يعاقبون، ولكن هذه القدرة وتلك المشيئة تهيمن عليهما وتحيط بهما قدرة الله ﷻ ومشيئته[(١)]، فلا يقدر العبد على غير ما شاءه الله وأراده في كونه. وليس معنى مشيئة العبد وقدرته على عمله أنه خالق لعمله، بل الله ﷻ هو خالق العامل وعمله[(٢)].

---

(١) ومن الواضح البين أن العبارة لا تعني أن العبد مقهور مجبور على عمله وبخاصة أمر الهدى والضلال؛ لأن ذلك معناه تجريد العبد تمامًا عن قدرته ومشيئته، وهو خلاف ما ذكرنا من أن للعبد مشيئة وقدرة على عمله، وإنما المراد أن العبد لا يتم عمله ولا تنفذ مشيئته إلا بمشيئة الله، ومِن ثم فلا يهتدي أحد ولا يضل إلا بمشيئة الله. قال تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ [الأنفال: ٢٤]، وقال تَعَالَى: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٣٩].

ولكن إذا علمنا هذا فينبغي أن نعلم أيضًا أنه ﷻ أعلم بمواضع فضله ورحمته وهدايته وأعلم بمواقع سخطه وعقوبته، فلا يضل إلا من يستحق الضلال، قال تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿وما كان الله ليضل قومًا بعد إذ هداهم..﴾ [التوبة: ١١٥]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾﴾ [محمد: ١٧]، وفي الحديث القدسي: «**إذا تقرب العبد إليّ شبرًا تقربت إليه ذراعًا..**» انظر: «فتح الباري شرح صحيح البخاري» (ج١٣ ص٥٢١)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾﴾ [النساء: ١٣٧]، وقال ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [المنافقون: ٣].

فإذا أريت أيها العبد من نفسك لربك خيرًا بصدق وعزيمة وإخلاص، فأبشر بهداية الله لك وفضله، وأنت لا تعلم هل كتبك الله من الضالين حتى تسلك سبيل الضلال وتقول: إن كان كتبني ضالًّا فلن أستطيع سلوك سبيل الهداية.. فالأَوْلى للعبد الاشتغال بالعمل الصالح فذلك سبيل الهداية وسبب الفوز بالجنة والنجاة من النار ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]، والله تعالى أعلم.

(٢) «مختصر معارج القبول» (ص: ٢٨٦).

ولكن هذه القدرة والمشيئة التي خلقها الله تعالى في العبد ليست على وجه الاستقلال كما تقوله المعتزلة القدرية، ولكنها تابعة لمشيئة الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠] وكما قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وفعل العبد مخلوق لله تعالى وهو فعل للعبد، ففعل العبد يُنسب إلى الله تعالى خلقًا وإيجادًا، ويُنسب إلى العبد تحيلًا واكتسابًا واقترافًا؛ ولذلك فإن الله تعالى ينسب الأفعال إلى عباده كما قال تعالى: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ [الحج: ١٠] وقال: ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠] ونحوها من الآيات، وهي كثيرة.

ففعل العبد له نسبتان، فأما نسبته إلى الله تعالى فهي نسبة الخلق، فالله تعالى هو خالق العبد وخالق فعله، كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات: ٩٦] على أحد التفسيرين، وفعل العبد داخل في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الرعد: ١٦] ففعل العباد من جملة ما خلق الله تعالى، فليس العبد هو الذي خلقه، لا والله، هذا كذب قد اختلقته القدرية نفاة القدر، وأما نسبته - أي فعل العبد - إلى العباد فإنها نسبة تحصيل واكتساب واقتراف، فالعبد هو الذي فعل، وهو الذي اختار فعله، وهو قادر على فعله، ولكن كل هذا ليس بخارج عن قدرة الله تعالى وعن علمه ومشيئته جل وعلا.

وأهل السنة رحمهم الله تعالى بذلك بهذا الاعتقاد قد توسطوا بين طائفتين ضالتين: بين طائفة القدرية نفاة القدر، وبين طائفة الجبرية: فأما طائفة الجبرية فإنهم أثبتوا القدر، ولكنهم نفوا أن يكون العبد له مشيئة وقدرة واختيار لفعله، بل هو كالريشة في مهب الريح، وكالميت بين يدي غاسله، فليس له مطلق القدرة ولا مطلق المشيئة، ولا مطلق الاختيار. وأما القدرية فإنهم

يقولون: ـ إن العبد هو الذي يخلق فعله، وله القدرة والمشيئة المستقلة عن مشيئة الله تعالى. وكلتا الطائفتين قد جانبت الحق، فجاء أهل السنة رحمهم الله تعالى فقالوا: الله تعالى قَدّر كل شيء، وهو الخالق لكل شيء، وللعبد قدرة ومشيئة واختيار، ولكنها مرتبطة بقدرة الله تعالى ومشيئته. وعليه فما من شيء من أفعال العباد إلا والله تعالى هو الذي خلقه، ولكن العبد هو الذي اكتسبه، فالكفر خَلْق الله تعالى ولكنه كسب العبد واقترافه، والظلم خلق الله تعالى ولكن العبد هو الذي اقترفه وفعله وحصله، فالعبد هو الذي صلى وهو الذي زكى، وهو الذي حج واعتمر.

والله تعالى هو الذي خلق هذا كله. فالله تعالى هو الذي خلق فعل العبد، والعبد هو الذي حصله.

فانتبه لهذا وفقك الله تعالى للهدى، فالله تعالى هو خالقنا لأنه الخالق لكل شيء و كذلك خالق فعلنا وأفعالنا لا تخرج عن هذا العموم، فقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٍ﴾ [الرعد: ١٦] عام؛ لأن لفظة (كل) من أقوى صيغ العموم، وفعل العبد شيء من الأشياء فيكون الله تعالى هو الذي خلقه.

وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات: ٩٦] على أحد التفسيرين في الآية.

وأجمع على هذا التقرير أهل السنة والجماعة، رحم الله تعالى أمواتهم وثَبَّت أحياءهم.

فإن قيل لك: ما خلاصة هذا الكلام؟ فقل: خلاصته أن نقول: إن فعل العبد يُنسب إلى العبد نسبة تحصيل واكتساب، ويُنسب إلى الله تعالى نسبة خلق وإيجاد، فالعبد لم يخلق شيئًا؛ لأن الخالق هو الله تعالى وحده لا شريك، ولكنه اكتسب هذا الفعل وقام به، فأفعال العباد كلها من الطاعات والمعاصي داخلة في خلق الله تعالى وقضائه وقدره، فقد علم الله تعالى ما

سيخلقه في عباده وعلم ما هم فاعلون وكتب ذلك في اللوح المحفوظ، وخلقهم الله كما شاء، ومضى فيهم قدره، فهم يعملون على وَفق ما سبق به العلم والقدر والكتابة.

فأفعال العباد خلقًا وإيجادًا وتقديرًا من الله تعالى، وهي من العباد كسبًا وفعلًا، فالله تعالى هو الخالق لأفعالهم وهم الفاعلون لها حقيقة، وعلى ذلك اتفق أهل السنة والجماعة[(١)].

وهنا يقول صاحب «الانتصار»: أما خلق الأعمال فهو إثبات بأن الخالق واحد ولا شريك له في ذلك، وأن جميع ما في الوجود من متحرك وساكن هو خلق له سبحانه، فإثباته إثبات لعموم الخلق الذي هو من لوازم الربوبية، قال ﷻ: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٥-٩٦]. ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [فاطر: ٤٠]. فعاب على هؤلاء أن عبدوا ما لا خلق له، بل جعل الله من يخلق هو المستحق للعبادة فقال: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النحل: ١٧].

فمن أنكر خلق أفعال العباد فقد زعم أنه يوجد خالق آخر مع الله أو من دون الله، وهذا هو الكفر؛ لهذا ثبت عن كثير من السلف وصف القدرية المنكرين لخلق أفعال العباد بأنهم مجوس هذه الأمة حيث زعموا مع الله خالِقِين وهم العباد الذين يخلقون أفعالهم[(٢)].

❊ ❊ ❊

---

(١) «النونية» للشيخ السعيدان، مخطوط.

(٢) «الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار» [محقق] (١/ ١٧).

الفصل الثالث: ضلال (القدرية والجبرية) في هذا الباب

وكان قولهم كالآتي:

١- منهم من أَضَافَ الْفِعْلَ وَالِانْفِعَالَ كِلَيْهِمَا إِلَى الْمَخْلُوقِ كَفَرَ[١].

٢- وَمَنْهم من أَضَافَهُمَا كِلَيْهِمَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى كَفَرَ[٢].

فَالْأَوَّلُ قَوْلُ الْقَدَرِيَّةِ النُّفَاةُ، وَأَوَّلُ مَنْ أَحْدَثَهُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ مَعْبَدٌ الْجُهَنِيُّ فِي آخِرِ عَصْرِ الصَّحَابَةِ كَمَا قَدَّمْنَا عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ فِي سِيَاقِ حَدِيثِ جِبْرِيلَ السَّابِقِ فِي سُؤَالِهِ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الدِّينِ، وَأَنْكَرَ عَلَيْهِ ذَلِك بَقِيَّةُ الصَّحَابَةِ وَأَئِمَّةُ التَّابِعِينَ وَتَبَرَّءُوا مِنْ هَذَا الِاعْتِقَادِ وَكَفَّرُوا مُنْتَحِلِيهِ وَنَفَوْا عَنْهُ الْإِيمَانَ، وَأَوْصَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِمُجَانَبَتِهِ وَالْفِرَارِ مِنْ مُجَالَسَتِهِ.

ثُمَّ تَقَلَّدَ عَنْهُ ذَلِك الْمَذْهَبَ الْفَاسِدَ وَالسُّنَّةَ السَّيِّئَةَ الَّتِي انْتَحَلَهَا هُوَ رُءُوسُ الْمُعْتَزِلَةِ وَأَئِمَّتُهُمُ الْمُضِلُّونَ؛ كَوَاصِلِ بْنِ عَطَاءٍ الْغَزَّالِ، وَعَمْرِو بْنِ عَبِيدٍ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ وَعَلَى طَرِيقَتِهِمْ.

حَتَّى بَالَغَ بَعْضُهُمْ فَأَنْكَرَ عِلْمَ اللَّهِ تَعَالَى وَأَنْكَرَ كِتَابَةَ الْمَقَادِيرِ السَّابِقَةِ وَجَعَلَ الْعِبَادَ هُمُ الْخَالِقِينَ لِأَفْعَالِهِمْ. وَلِهَذَا كَانُوا هُمْ مَجُوسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، فَأَمَّا وَاصِلُ بْنُ عَطَاءٍ فَقَالَ فِيهِ أَبُو الْفَتْحِ الْأَزْدِيُّ: رَجُلُ سُوءٍ كَافِرٌ. قَالَ الذَّهَبِيُّ: كَانَ مِنْ أَجْلَادِ الْمُعْتَزِلَةِ، وُلِدَ سَنَةَ ثَمَانِينَ بِالْمَدِينَةِ.

وَالْقَوْلُ الثَّانِي وَهُوَ إِضَافَةُ الْفِعْلِ وَالِانْفِعَالِ كِلَيْهِمَا إِلَى اللَّهِ ﷻ هُوَ قَوْلُ الْجَبْرِيَّةِ الْغُلَاةِ الْجُفَاةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّ الْعَبْدَ مَجْبُورٌ عَلَى أَفْعَالِهِ مَقْسُورٌ عَلَيْهَا؛ كَالسَّعَفَةِ

---

(١) وهم القدرية القائلين بأن العبد يخلق أفعاله.

(٢) وهم الجبرية وإخوانهم القائلين بالكسب من الأشاعرة.

يُحَرِّكُهَا الرِّيحُ الْعَاصِفُ وَكَالْهَاوِي مِنْ أَعْلَى إِلَى أَسْفَلَ. وَأَنَّ تَكْلِيفَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عِبَادَهُ -مِنْ أَمْرِهِمْ بِالطَّاعَاتِ وَنَهْيِهِمْ عَنِ الْمَعَاصِي- كَتَكْلِيفِ الْحَيَوَانِ الْبَهِيمِ بِالطَّيَرَانِ وَتَكْلِيفِ الْمُقْعَدِ بِالْمَشْيِ وَتَكْلِيفِ الْأَعْمَى بِنَقْطِ الْكِتَابِ. وَأَنَّ تَعْذِيبَهُ إِيَّاهُمْ عَلَى مَعْصِيَتِهِمْ إِيَّاهُ هُوَ تَعْذِيبٌ لَهُمْ عَلَى فِعْلِهِ لَا عَلَى أَفْعَالِهِمْ، وَأَنَّ ذَلِكَ كَتَعْذِيبِ الطَّوِيلِ لِمَ لَمْ يَكُنْ قَصِيرًا وَالْقَصِيرِ لِمَ لَمْ يَكُنْ طَوِيلًا وَالْأَسْوَدِ لِمَ لَمْ يَكُنْ أَبْيَضَ وَالْأَبْيَضِ لِمَ لَمْ يَكُنْ أَسْوَدَ.

فَسَلَبُوا الْعَبْدَ قُدْرَتَهُ وَاخْتِيَارَهُ، وَأَخْرَجُوا عَنْ أَفْعَالِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَحْكَامِهِ حِكَمَهَا وَمَصَالِحَهَا، وَنَفَوْا عَنِ اللَّهِ تَعَالَى حِكْمَتَهُ الْبَالِغَةَ، وَجَحَدُوا حُجَّتَهُ الدَّامِغَةَ، وَأَثْبَتُوا عَلَيْهِ تَعَالَى الْحُجَّةَ لِعِبَادِهِ، وَنَسَبُوهُ تَعَالَى إِلَى الظُّلْمِ وَطَعَنُوا فِي عَدْلِهِ وَشَرْعِهِ.

فَلَا قِيَامَ عِنْدَهِمْ لِسَوْقِ الْجِهَادِ، وَلَا مَعْنَى لِإِقَامَةِ الْحُدُودِ وَلَا لِلثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، بَلْ وَلَا لِإِرْسَالِ الرُّسُلِ وَالْكُتُبِ إِلَّا التَّكْلِيفُ فِي غَيْرِ وُسْعٍ وَتَحْمِيلُ ما لا يُطَاقُ، وَالظُّلْمُ الَّذِي حَرَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى نَفْسِهِ وَجَعَلَهُ بَيْنَ عِبَادِهِ مُحَرَّمًا فَأَقَامُوا عُذْرَ إِبْلِيسَ اللَّعِينِ وَعُذْرَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ وَسَائِرَ الْأُمَمِ الْعُصَاةِ الْمَمْقُوتِينَ الْمَقْبُوحِينَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمُ الْمَخْسُوفِ بِهِمُ الْمُعَدَّةِ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا، وَأَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَلَعْنَهُ وَعِقَابَهُ إِيَّاهُمْ عَلَى فِعْلِهِ لَا عَلَى أَفْعَالِهِمْ، بَلْ قَالُوا: إِنَّهُ عَاقَبَهُمْ وَمَقَتَهُمْ عَلَى طَاعَتِهِمْ إِيَّاهُ؛ لِأَنَّهُمْ إِنْ كَانُوا خَالَفُوا شَرْعَهُ فَقَدْ أَطَاعُوا إِرَادَتَهُ وَمَشِيئَتَهُ.

هَذَا مَعْنَى إِثْبَاتِ الْقَدَرِ عِنْدَ هَذِهِ الْفِرْقَةِ الْإِبْلِيسِيَّةِ.

وَالحَقُّ مع مَنْ أَضَافَ الْفِعْلَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى حَقِيقَةً وَالِانْفِعَالَ إِلَى الْمَخْلُوقِ حقيقة كما أَضَافَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى فَهُوَ الْمُؤْمِنُ حَقِيقَةً[١].

---

(١) «معارج القبول بشرح سلم الوصول» بتصرف (٣/ ٩٤٨).

وهاتان الطائفتان أهل الضلال في هذا وقد صارا طرفين متناقضين تمامًا في هذا الأمر، وأهل السنة وسط بينهما:

فطرف منهم يغالي في إثبات مشيئة العبد وقدرته على عمله حتى جعلوه خالقًا لعمله، وقالوا: لا قدر. وهؤلاء هم القدرية النفاة الذين أطلقوا مشيئة الإنسان من مشيئة الله ﷻ وجعلوه مستقلًّا بأمره كله دون الله ﷻ.

وطرف آخر يسلب العبد مشيئته وقدرته على عمله حتى جعلوه كالريشة في مهب الريح فليس العبد عندهم هو الذي عمل كذا أو اكتسب كذا، وإنما الله -تعالى عن قولهم- هو الذي عمل الطاعة أو الحسنة واكتسب المعصية أو السيئة، فأضافوا لله الفعل والانفعال، أي أضافوا إليه الخلق والعمل للمخلوق.

أما أهل السنة فهداهم الله ﷻ فأضافوا الخلق الذي هو فعله تعالى القائم به له ﷻ حقيقة، وأضافوا الكفر والإيمان الذي هو عمل العباد القائم بهم وكسبهم إليهم حقيقة، فالله خالق والعبد مخلوق والله هادٍ أو مضل والعبد مهتدٍ أو ضال، فالفعل(١) يضاف لله والانفعال(٢) يضاف للعبد، فالهداية منه

(١) أي: الخلق.

(٢) أي: العمل والكسب كما قال تَعَالَى: ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٤]، وقال: ﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٣٩]، وقال أيضًا: ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِۚ﴾ [يونس: ٦١]، وقد يسمى ذلك فعلًا ويضاف للعبد بهذا المعنى لا بمعنى الخلق، كما قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [النحل: : ٩١]، وقال تعالى في جانب الشر: ﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ۝٧٩﴾ [المائدة: ٧٩]، وقال في جانب الخير: ﴿وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧]، أي: اعملوه. وليس المعنى: اخلقوه. =

تعالى والاهتداء من العبد. . . وهكذا[١].

والقدرية كان الأوائل منهم ينفون علم الله تعالى بالفعل قبل وقوعه، وينفون أن يكون هو الذي خلقه أو شاءه من العبد، فالقدرية الأوائل ينفون العلم السابق والكتابة السابقة والخلق والمشيئة، وهم القدرية الغلاة الذين كَفَّرهم المتأخرون من أصحاب النبي ﷺ، وهم المذكورون في أول سياق حديث جبريل الطويل عند مسلم رحمه الله تعالى، والذي رواه بسنده عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ قَالَ:

كَانَ أَوَّلَ مَنْ قَالَ فِي الْقَدَرِ بِالْبَصْرَةِ مَعْبَدٌ الْجُهَنِيُّ فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَحُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحِمْيَرِيُّ حَاجَّيْنِ أَوْ مُعْتَمِرَيْنِ فَقُلْنَا: لَوْ لَقِينَا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَسَأَلْنَاهُ عَمَّا يَقُولُ هَؤُلَاءِ فِي الْقَدَرِ!!

فَوُفِّقَ لَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ دَاخِلًا الْمَسْجِدَ، فَاكْتَنَفْتُهُ أَنَا وصاحبي، أَحَدُنَا عَنْ يَمِينِهِ وَالآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ، فَظَنَنْتُ أَنَّ صاحبي سَيَكِلُ الْكَلامَ إِلَيَّ فَقُلْتُ: أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قِبَلَنَا نَاسٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ - وَذَكَرَ مِنْ شَأْنِهِمْ - وَأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنْ لاَ قَدَرَ وَأَنَّ الأَمْرَ أُنُفٌ.

قَالَ: فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي، وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، لَوْ أَنَّ لأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللَّهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ. . .» الحديث[٢].

= وأما ما قصده الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ بإضافة الفعل إلى الله والانفعال إلى العبد، وأن مَن أضاف الفعل للعبد فقد كفر، فالمراد بذلك خلق الفعل لا أداؤه واكتسابه والله أعلم.

(١) «مختصر معارج القبول» (ص: ٢٨٦).

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» في كتاب الإيمان، بَابُ معرفة الْإِيمَانِ، وَالْإِسْلَامِ، والقَدَرِ وَعَلَامَةِ السَّاعَةِ (٨).

فالقدرية الذين اتفقت الكلمة على تكفيرهم هم القدرية الغلاة، وهم الذين ينكرون سبق العلم بأفعال العباد، وينكرون الكتابة في اللوح المحفوظ لأفعال العباد، وينكرون مشيئة الله تعالى لها، وينكرون أن يكون الله تعالى هو الذي خلقها، فهؤلاء كفار، وهم الملاحدة المذكورون.

وأما القدرية اليوم فهم في الأعم الأغلب يؤمنون بسبق العلم بأفعال العباد ولكنهم ينكرون أن يكون الله تعالى هو الذي خلقها، بل يزعمون أن العبد هو الذي يخلق فعله، وهم القدرية غير الغلاة.

فالقدرية الأوائل يسمون بالقدرية الغلاة، والقدرية المتأخرون يسمون بالقدرية غير الغلاة، وكلا قوليهم باطل كل البطلان، بل هو من أقوال الأبالسة من شياطين الإنس والجن(١).

الفصل الرابع: الرد على القدرية والجبرية

قد رد عليهم أهل السنة رحمهم الله تعالى بعدة ردود أُجملها فيما يلي:

الأول: أنه مخالف لما أجمع عليه السلف من الصحابة والتابعين ومَن بعدهم من أهل السنة. وما خالف إجماع السلف فهو باطل؛ لأن إجماعهم من سبيلهم، وقد قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥].

الثاني: أنه مخالف لدلالة الكتاب والسنة؛ لأن نصوص الوحيين قضت قضاءً جازمًا أن الله تعالى هو خالق الأشياء كلها وأنه لا خالق إلا هو، وهم

---

(١) «النونية» للشيخ السعيدان، مخطوط.

يقولون: (العبد هو الذي يخلق فعله) وهذا معارضة ومناقضة للكتاب والسنة، ومفضٍ إلى تعطيل عموم نصوص خلق الله تعالى لكل شيء، وما أفضى إلى تعطيل عموم نصوص خلق الله تعالى لكل شيء وما أفضى إلى ذلك فهو باطل، فدل ذلك على أنه مذهب باطل كل البطلان.

الثالث: أن فيه نوع إشراك في الربوبية؛ لأن من مقتضيات الإيمان بتوحيد الربوبية الإيمان بعموم خلق الله تعالى لكل شيء، لا يخرج عن ذلك أي شيء من المخلوقات، فإذا قالوا: (إن العبد هو الذي يخلق فعله) فقد أثبتوا مع الله تعالى خالقًا آخر، وهذا شرك في الربوبية، وهو تَشَبُّه بقول المجوس الذين يقولون: (إن للعالم صانعين: النور والظلمة، فالنور خَلَق الخير، والظلمة خلقت الشر)، ولذلك فقد ورد في بعض الأحاديث والآثار أن هؤلاء القدرية مجوس هذه الأمة لأنهم يضيفون خلق فعل العبد إليه ويزعمون أنه هو الذي خلقه، ومذهب يفضي إلى هذه النتيجة الباطلة بالاتفاق فإنه باطل بالاتفاق.

الرابع: أن القدرية متناقضون، فإنهم يزعمون أن القرآن مخلوق استدلالًا بقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الرعد: ١٦] ويقررون أن هذا العموم لا يمكن أن يخرج عنه شيء، ثم هم يخرجون مع عقولهم العفنة وأفهامهم المنكوسة، فأدخلوا في النص ما لم يدخل فيه بإجماع أهل السنة، وهذا دليل على أن مبنى قولهم هذا إنما هو التخرص والظنون الكاذبة والشهوات والهوى، ومذهب بُني على هذا فإن حقه الاطراح وعدم الالتفات إليه، والله أعلم[١].

---

(١) «النونية» للشيخ السعيدان، مخطوط.

المبحث الثاني: أقسام التقدير(١)

لقد ذكر أهل العلم رحمهم الله تعالى أن أنواع التقدير التي ثبتت بها الأدلة خمسة تقادير وهي كما يلي(٢):

الأول: التقدير العام الشامل لكل شيء:

وهو تقدير الرب لجميع الكائنات، بمعنى علمه بها وكتابته لها ومشيئته وخلقه لها.

ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ٧٠﴾ [الحج ٧٠] وهذا النوع يسميه بعض أهل العلم بالتقدير الأزلي.

ويدل عليه أيضًا قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢].

وفي «صحيح مسلم» عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ قال: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة**»، قال: «**وعرشه على الماء**»(٣).

وحديث محاجة موسى لآدم - عليهما الصلاة والسلام - وفيه أن آدم عليه السلام قال: فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن يخلقني؟ قال موسى: بأربعين

---

(١) انظر: «أعلام السنة المنشورة» (ص١٢٩- ١٣٣)، وتعليق سماحة الشيخ ابن باز على «الواسطية» (ص٧٨- ٨٠).

(٢) «معارج القبول بشرح سُلَّم الوصول» (٣/ ٩٢٨).

(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه» في كتاب القدر، بَابُ حِجَاجِ آدَمَ وَمُوسَى عليهما السلام (٢٦٥٣).

عامًا.

قال آدم: أتلومني على أن عملتُ عملًا كتب الله أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين عامًا؟! قال: «**فحج آدم موسى**»(١).

وكذلك يدل عليه حديث: «**إن أول ما خلق الله القلم قال له: اكتب. قال: وما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة**»(٢).

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» في كتاب القدر، بَابُ حِجَاجِ آدَمَ وَمُوسَى عليهما السلام (٢٦٥٢)، بهذا اللفظ، لكن رواه البخاري وغيره بغير هذا اللفظ.

(٢) **حسن بمجموع طرقه**: أخرجه الترمذي في أبواب القدر، باب (٢١٥٥)، وفي كتاب التفسير، بَاب وَمِنْ سُورَةِ «ن» (٣٣١٩)، وابن أبي الجعد في «مسنده» (٣٤٤٤)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٠٥)، والشاشي في «مسنده» (١١٩٢) من طريق عبد الواحد بن سليم، عن عطاء بن أبي رباح، قال: حدثني الوليد بن عبادة بن الصامت، به.

وإسناده ضعيف، ففيه عبد الواحد بن سليم، وهو ضعيف الحديث.

وأخرجه أبو داود في سننه، في كتاب السنة، باب في القدر (٤٧٠٠) من طريق الوليد ابن رباح، عن إبراهيم بن أبي عبلة، عن أبي حفصة، عن عبادة بن الصامت، به.

فإسناده ضعيف، ففيه أبو حفصة حبيش بن شريح الشامي ومجهول، ولم يروِ له إلا أبو داود هذا الحديث الفرد.

وأخرجه أحمد في «مسنده» (٢٢٧٠٥)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٥٩٢٢)، من طريق أيوب أبي زيد الحمصي، عن عبادة بن الوليد بن عبادة، عن أبيه، عن جده عبادة بن الصامت، به.

فإسناده ضعيف، ففيه أيوب الحمصي، وهو مجهول، لا سيما وقد قال فيه ابن القطان: لا يُعرف حاله.

وأخرجه أحمد في «مسنده» (٢٢٧٠٧)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٠٣) من طريق ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، أن الوليد بن عبادة بن الصامت، عن =

وحديث أبي هريرة عند البخاري مرفوعًا: «**جف القلم بما أنت لاقٍ فاختص على ذلك أو ذر**»[1][2].

الثاني: التقدير البشري[3]:

وهو التقدير الذي أخذ الله فيه الميثاق على جميع البشر بأنه ربهم، وأشهدهم على أنفسهم بذلك، والذي قدر الله فيه أهل السعادة وأهل الشقاوة.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف: ١٧٢].

وعن هشام بن حكيم أن رجلًا أتى النبي فقال: أَتُبْدَأُ الأعمال أم قد قُضِيَ القضاء؟ قال رسول الله: «**إن الله أخذ ذرية آدم من ظهورهم، ثم أشهدهم على أنفسهم، ثم أفاض بهم في كفيه فقال: هؤلاء في الجنة، وهؤلاء في النار؛ فأهل الجنة**

= أبيه عن جده، به.
فإسناده ضعيف لضعف ابن لهيعة.
هذا، وقد رُوي من طرقٍ أخر لا تخلو أسانيدها من مقال، ولكن بمجموع تلك الطرق كلها يدل على أن الحديث له أصلٌ، فتنجبر بمجموعها وترقى إلى الحسن، والله أعلم.

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» في كتاب النكاح، بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنَ التَّبَتُّلِ وَالخِصَاءِ (٥٠٧٦).

(٢) «النونية» للشيخ السعيدان، مخطوط.

(٣) يقول سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ عن هذا التقدير: «التقدير البشري داخل في التقدير العام؛ ولهذا أعرض عنه أبو العباس ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في العقيدة الواسطية، وأكثر أهل العلم فيما أعلم؟».

ميسرون لعمل أهل الجنة، وأهل النار ميسرون لعمل أهل النار»[١][٢].

الثالث: التقدير العمري:

وهو تقدير كل ما يجري على العبد في حياته إلى نهاية أجله من كتابة رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد.

ويدل عليه حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا الصادق المصدوق ﷺ قال: «**إن أحدكم يُجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وشقي أو سعيد**»[٣].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**وَكَّلَ الله تعالى بالرحم ملكًا فيقول: أي رب نطفة، أي رب علقة، أي رب مضغة. فإذا أراد الله تعالى أن يقضي خلقها قال: أي ربي أذكر أم أنثى؟ شقي أم سعيد؟ فما الرزق؟ فما الأجل؟ فيكتب**

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في كتاب «السنة» بتحقيق الشيخ الألباني (١/ ٧٣)، وقال الألباني: إسناده صحيح ورجاله كلهم ثقات. والسيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٦٠٤) وقال: أخرجه ابن جرير والبزار والطبراني والآجري في الشريعة، وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات.

(٢) «الإيمان بالقضاء والقدر» (ص: ٥٣).

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» في كتاب بدء الخلق، بَابُ ذِكْرِ المَلاَئِكَةِ (٣٢٠٨)، كتاب أحاديث الأنبياء، بَابُ خَلْقِ آدَمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَذُرِّيَّتِهِ (٣٣٣٢)، كتاب القدر، باب القدر (٦٥٩٤)، كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾﴾ (٧٤٥٤)، ومسلم في «صحيحه» في كتاب القدر، بَابُ كَيْفِيَّةِ خَلْقِ الْآدَمِيِّ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَكِتَابَةِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقَاوَتِهِ وَسَعَادَتِهِ (٢٦٤٣).

في بطن أمه»[(١)][(٢)].

الرابع: التقدير الحولي:

ومعناه كتابة ما سيكون في هذه السنة من الإيجاد والإعدام والإعزاز والإذلال والرفع والخفض والرزق والعمل... ونحو ذلك.

وهذا التقدير يكون في ليلة القدر من العشر الأواخر من رمضان، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [الدخان: ٣،٤] وقال تعالى فيها: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ [القدر: ٤، ٥][(٣)].

ومَن زعم أنها ليلة النصف من شعبان فقد غلط.

قال سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد: ليلة القدر ليلة الحكم. وقال سفيان عن محمد بن سوقة عن سعيد بن جبير: يؤذن للحُجاج في ليلة القدر فيُكتبون بأسمائهم وأسماء آبائهم فلا يغادر منهم أحد ولا يزاد فيهم ولا ينقص منهم. وقال ابن علية: ثنا ربيعة بن كلثوم قال: قال رجل للحسن وأنا أسمع: أرأيت ليلة القدر في كل رمضان هي؟ قال: نعم، والله الذي لا إله إلا هو[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» في كتاب الحيض، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ (٣١٨)، كتاب أحاديث الأنبياء، بَابُ خَلْقِ آدَمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَذُرِّيَّتِهِ (٣٣٣٣)، كتاب القدر، باب القدر (٦٥٩٥)، ومسلم في «صحيحه» في كتاب القدر، بَابُ كَيْفِيَّةِ خَلْقِ الْآدَمِيِّ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَكِتَابَةِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقَاوَتِهِ وَسَعَادَتِهِ (٢٦٤٦).

(٢) «شرح النونية» للشيخ السعيدان، مخطوط.

(٣) المصدر السابق.

(٤) «شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل» (٧/ ١).

وقد رُوي عن ابن عمر وابن عباس والحسن وسعيد بن جبير أنهم قالوا: «يُكتب فيها - أي: في هذه الليلة - ما يحدث في السنة من موت وحياة وعز وذل ورزق ومطر، حتى الحُجاج يقال: يحج فلان ويحج فلان»(١).

التقدير الخامس: التقدير اليومي:

وهو تقدير ما سيحصل في كل يوم بيومه، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩].

قال مجاهد والكلبي وعبيد بن عمير وأبو ميسرة وعطاء ومقاتل: من شأنه أنه يحيي ويميت ويرزق ويمنع وينصر ويعز ويذل ويفك عانيًا ويشفي مريضًا ويجيب داعيًا ويعطي سائلًا ويتوب على قوم ويكشف كُرَبًا ويغفر ذنبًا ويضع أقوامًا ويرفع آخرين(٢).

وقيل في تفسيرها: شأنه أن يُعز ويذل، ويخفض ويرفع، ويعطي ويمنع، ويغني ويفقر، ويضحك ويبكي، ويميت ويحيي... إلى غير ذلك.

فهذه هي أنواع التقديرات والله تعالى أعلى وأعلم(٣).

المبحث الثالث: الإرادة الربانية

اعلم رحمك الله تعالى أن مذهب أهل السنة والجماعة - رَفَع الله نُزُلهم في الفردوس الأعلى - هو أن إرادة الله تعالى تنقسم إلى قسمين:

الأول: الإرادة الكونية القدرية، وهي مرادفة للمشيئة، وهذه الإرادة لا يخرج عن مرادها شيء، فالكافر والمسلم تحت هذه الإرادة الكونية سواء،

(١) «شرح النونية» للشيخ السعيدان، مخطوط.

(٢) «شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل» (٨/ ١).

(٣) «شرح النونية» للشيخ السعيدان، مخطوط.

فالطاعات والمعاصي كلها داخلة تحت هذه الإرادة.

قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ﴾ [الرعد: ١١] وقال تعالى: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ هُوَ رَبُّكُمۡ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٣٤﴾ [هود: ٣٤] وقال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣] وغير ذلك.

الثاني من أقسام الإرادة: الإرادة الشرعية الأمرية الدينية، وهي مرادفة للمحبة، وهي تتضمن ما يحبه الله ويرضاه، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾ [البقرة: ١٨٥] وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ﴾ [النساء: ٢٧] وقال تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ﴾ [المائدة: ٦] وغير ذلك.

فهذا من ناحية التقسيم والتدليل، وأما من ناحية التفريق بين الإرادتين فاعلم أن أهل العلم قد فرقوا بينهما بثلاثة فروق:

الفرق الأول: أن الإرادة الكونية لا تستلزم المحبة، وأما الإرادة الشرعية فإنها تستلزم المحبة، أي أنها ليس كل شيء يخلقه الله كونًا يلزم أن يكون محبوبًا له، وهذا فيه رد لقاعدة الجبرية والقدرية، وهي قولهم: (كل شيء يشاؤه فهو يحبه)، وهذا الكلام ليس له مطلق الصحة، وأما الإرادة الشرعية فإن كل شيء أمر الله به شرعًا فإنه يحبه ويرضاه، فالكونية لا تستلزم المحبة، والشرعية تستلزم المحبة.

الفرق الثاني: الإرادة الكونية لابد أن تقع، أي أن كل شيء أراده الله كونًا فإنه لابد أن يقع، لا يدفعه شيء أبدًا، فالإرادة الكونية لازمة الوقوع. وأما

الإرادة الشرعية فإنها قد تقع وقد لا تقع، أي: قد يريد الله أشياء شرعًا لكنها لا تقع كونًا، فالله يريد شرعًا من الناس الإسلام والهداية، لكن هذا لم يقع لأن أكثر الناس في كفر وضلال.

الفرق الثالث: أن الإرادة الكونية مرادة لغيرها لا لذاتها، وأما الإرادة الشرعية فإنها مرادة لذاتها، فالكفر الواقع مراد لغيره لا لذاته، والمعاصي الواقعة مرادة لغيرها لا لذاتها، وأما الإيمان فإنه مراد لذاته وكذلك الصلاة والزكاة والصوم والحج وسائر الطاعات، فإنها مرادة لذاتها.

فمَن فهم هذه الفروق فإنه قد هُدي في هذا الباب فيما قد ضل به كثير من الناس، والله أعلم.

وهنا تنبيه هام: ومتى تجتمع الإرادتان ومتى تنفرد إحداهما عن الأخرى مع بيان ذلك بالأمثلة؟

تجتمع الإرادتان في إيمان أبي بكر وعمر وعثمان وعلي... وهكذا، أي في إيمان مَن قد آمن من الثقلين، فهو كوني لأنه وقع في الكون، وشرعي لأن الله يحبه ويرضاه، وإذا صَلَّيْتَ فإن صلاتك هذه قد اجتمعت فيها الإرادتان فيه إرادة كونية لأنها وقعت في الكون وشرعية لأن الله يحبها ويرضاها.

وبالجملة فكل شيء وقع في الكون وهو مما يحبه الله ويرضاه فإنه مما اجتمع فيه الإرادتان.

وتنفرد الإرادة الكونية في الأشياء التي وقعت في الكون وهي مما لا يحبه الله ويرضاه، ككفر أبي جهل وأبي لهب، بل وكفر مَن كفر من الثقلين. ويدخل في ذلك سائر الذنوب والمعاصي التي وقعت في الكون، فإنها من قبيل الإرادة الكونية فقط؛ لأنها مما لا يحبه الله ويرضاه.



وتنفرد الإرادة الشرعية في الأشياء التي يحبها الله ويرضاها لكنها لم تقع في الكون، فهي شرعية فقط، لكن ليست بكونية لأنها ما وقعت، والإرادة الكونية لازمة الوقوع وذلك كإيمان أبي لهب، وسجود إبليس لأبينا آدم ونحو ذلك، فكل ذلك مما يحبه الله فهو إرادة شرعية لكنه لم يقع، فأبو لهب لم يؤمن، وأبوه إبليس لم يسجد فتحققت الإرادة الشرعية وانفردت عن الإرادة الكونية، والله تعالى أعلم وأعلى[1].

المطلب الثالث: ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر

بَيّنّا من قبل أن عقيدة القدر التي جاء بها الإسلام مبرأة من التخاذل والكسل والخمول الذي أصاب قطاعًا كبيرًا من الأمة الإسلامية عبر العصور باسم الإيمان بالقدر، والمسؤول عن ذلك هو انحراف المسلمين في باب القدر حيث لم يفقهوه على وجهه.

ومن تأمل في عقيدة القدر التي جاء بها الإسلام وجد لها ثمارًا كبيرة طيبة، كانت وما زالت سببًا في صلاح الفرد والأمة.

وسنحاول أن نجلي بعض ثماره[2] التي ذكرها أهل العلم رحمهم الله تعالى جملًا من تلك الثمرات الطيبة العطرة، ومما ذكروه ما يلي:

١- حصول الهداية وزيادة الإيمان[3].

٢- خفة حدة المصائب النازلة والأقدار المؤلمة.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) «القضاء والقدر» للأشقر (ص: ١٠٩).

(٣) «الإيمان بالقضاء والقدر» (ص: ٦٠).

٣- أنه من تمام الإيمان بالربوبية لأن قدر الله من أفعاله.

٤- إضافة النعم إلى مسديها؛ لأنك إذا لم تؤمن بالقدر أضفت النعم إلى من باشر الإنعام، وهذا يوجد كثيرًا في الذين يتزلفون إلى الملوك والأمراء والوزراء، فإذا أصابوا منهم ما يريدون جعلوا الفضل إليهم ونَسُوا فضل الخالق سبحانه.

٥- راحة النفس وطُمأنينتها لأنها تعلم أن كلًّا بقضاء وقدر، وأن ما أصابها لم يكن ليخطئها وما أخطأها لم يكن ليصيبها.

٦- محاربة اليأس والقنوط والعجز والكسل.

٧- الشجاعة والإقدام واطراح الخور والجبن.

٨- تربية النفس على القناعة.

٩- سد باب الدجل والخرافة وتحرير العقول من ربقتها؛ لأن المؤمن بالقدر لا يعتمد على خبر دجال ولا عراف ولا كاهن ولا يستطلع إلى مستقبله إلا بالبناء الصحيح بالجد والعزيمة الصادقة والاجتهاد في العمل، والله تعالى أعلى وأعلم.

١٠- الهداية، كما في قوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [التغابن: ١١]، قال علقمة: هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من قِبل الله فيُسَلِّم ويرضى.

١١- التوكل واليقين والاستسلام لله والاعتماد عليه، كما في قوله تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [التوبة: ٥١].

١٢- الإيمان بالقدر طريق الخلاص من الشرك.

لقد زعم كثير من الفلاسفة أن الخير من الله، والشر من صنع آلهة من

دونه. وإنما قالوا هذا القول فرارًا من نسبة الشر إلى الله تعالى(١).

والمجوس زعموا أن النور خالق الخير، والظلمة خالقة الشر.

والذين زعموا من هذه الأمة أن الله لم يخلق أفعال العباد، أو لم يخلق الضال منها - أثبتوا خالقين من دون الله.

ولا يتم توحيد الله إلا لمن أقرَّ أن الله وحده الخالق لكل شيء.

١٤- الاستقامة على منهج سواء في السراء والضراء.

العباد بما فيهم من قصور وضعف لا يستقيمون على منهج سواء، قال تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾﴾ [المعارج: ١٩- ٢٢].

والإيمان بالقدر يجعل الإنسان يمضي في حياته على منهج سواء، لا تبطره النعمة، ولا تيئسه المصيبة، فهو يعلم أن كل ما أصابه من نعم وحسنات من الله، لا بذكائه وحسن تدبيره ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]. ولا يكون حاله حال قارون الذي بغى على قومه واستطال عليهم بما أعطاه الله من كنوز وأموال: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا

(١) «شفاء العليل» (ص١٤).

في الكون، وأن إرادته ماضية في خلقه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فكل المكذبين بالقدر لم يوحدوا ربهم، ولم يعرفوه حق معرفته، والإيمان بالقدر مفرق طريق بين التوحيد والشرك. فالمؤمن بالقدر يُقرُّ بأن هذا الكون وما فيه صادر عن إله واحد ومعبود واحد، ومن لم يؤمن هذا الإيمان فإنه يجعل من الله آلهة وأربابًا.

يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ﴾ [القصص: ٧٦ -٧٨].

فإذا أصاب العبد الضراء والبلاء علم أن هذا بتقدير الله ابتلاء منه، فلا يجزع ولا ييأس، بل يحتسب ويصبر، فيكسب هذا الإيمان في قلب العبد المؤمن الرضا والطُّمأنينة ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الحديد: ٢٢-٢٣].

وقد امتدح الله عباده: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٦ -١٥٧].

١٥- تيسير فهم القدر، وتقريبه إلى الأذهان.

١٦- الإجابة عما يثار حول هذا الباب من أسئلة تُطرح، وإشكالات تتكرر، وشبهات تُلقى

١٧- المؤمن بالقدر دائمًا على حذر.

المؤمنون بالقدر دائمًا على حذر ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩] فقلوب العباد دائمة التقلب والتغير، والقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، والفتن التي توجه سهامها إلى القلوب كثيرة، والمؤمن يحذر دائمًا أن يأتيه ما يُضله كما يخشى أن يُختم له بخاتمة سيئة، وهذا لا يدفعه إلى التكاسل والخمول، بل يدفعه إلى المجاهدة الدائبة للاستقامة، والإكثار من الصالحات، ومجانبة المعاصي والموبقات.

كما يبقى قلب العبد معلقًا بخالقه، يدعوه ويرجوه ويستعينه، ويسأله الثبات على الحق، كما يسأله الرشد والسداد.

١٨- مواجهة الصعاب والأخطار بقلب ثابت.

إذا آمن العبد بأنَّ كل ما يصيبه مكتوب، وآمن أن الأرزاق والآجال بيد الله، فإنه يقتحم الصعاب والأهوال بقلب ثابت وهامة مرفوعة.

وقد كان هذا الإيمان من أعظم ما دفع المجاهدين إلى الإقدام في ميدان النزال غير هيابين ولا وجلين، وكان الواحد منهم بطلب الموت في مظانه، ويرمي بنفسه في مضايق يظن فيها هلكته، ثم تراه يموت على فراشه، فيبكي أن لم يسقط في ميدان النزال شهيدًا وهو الذي كان يقتحم الأخطار والأهوال.

وكان هذا الإيمان من أعظم ما ثَبَّت قلوب الصالحين في مواجهة الظلمة والطغاة، ولا يخافون في الله لومة لائم؛ لأنهم يعلمون أن الأمر بيد الله، وما قُدِّر لهم سيأتيهم.

وكانوا لا يخافون من قول كلمة الحق خشية انقطاع الرزق، فالرزق بيد الله، وما كتبه الله من رزق لا يستطيع أحد منعه، وما منعه الله لعبد من عبيده لا يستطيع أحد إيصاله إليه.

١٩- ارتباط الإيمان بالقدر بالإيمان بالله: فالقدر قدرة الله[١] والمؤمن به مؤمن بقدرة الله، والمكذب به مكذب بقدرة الله ﷻ.

٢٠- ثم إنه مرتبط بحكمة الله ﷻ وعلمه، ومشيئته، وخلقه. وتجلية أمره، وإيجاب الإيمان به لكثرة وروده في أدلة الشرع: فنصوص الكتاب والسنة حافلة ببيان حقيقة القدر.

(١) هذه مقولة للإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، انظر: «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٨/ ٣٠٨)، و«طريق الهجرتين» لابن القيم (ص٧٠).

٢١- اتضاح أنه من الموضوعات الكبرى التي ينبغي على المؤمن الايمان بها وتصحيح اعتقاده فيه.

٢٢- الالتفات لارتباط القدر بحياة الناس وأحوالهم، فهو مرتبط بحياتهم اليومية وما فيها من أحداث وتقلبات ليس لهم في كثير منها إرادة أو تأثير.

ولو لم يكن هناك إلا مسألة الحياة والموت، وتفاوت الناس في الأعمال والمواهب، والغنى والفقر، والصحة والمرض، والهداية والإضلال - لكان ذلك كافيًا في أن يفكر الإنسان في القدر.

٢٣- الاطلاع على باب من أعوص أبواب العقيدة، فمع أن باب القدر معلوم بالفطرة كما مر وأن نصوص الشرع قد بينته غاية البيان، إلا أنه يظل أعوص أبواب العقيدة؛ فدقة تفاصيله، وتشعب مسائله، وكثرة الخوض فيه، وتنوع الشبهات المثارة حوله - كل ذلك يوجب صعوبة فهمه وتعسر استيعابه.

فلا غرو أن يحار الناس في شأنه في القديم والحديث؛ فلقد سلك العقلاء في هذا الباب كل وادٍ، وأخذوا في كل طريق، وتولجوا كل مضيق، وقصدوا إلى الوصول إلى معرفته، والوقوف على حقيقته؛ فلم يرجعوا بفائدة، ولم يعودوا بعائدة؛ لأنهم التمسوا الهدى من غير مظانه، فتعبوا وأتعبوا، وحاروا وتحيروا، وضلوا وأضلوا.

٢٤- ما يترتب على الإيمان به على الوجه الصحيح، فذلك يثمر السعادة في الدنيا والآخرة، ويورث اليقين، ويُكسب الأخلاق الفاضلة والهمم العالية والإرادات القوية.

٢٥- نفي ما يترتب على الجهل به، فالجهل به أو فهمه على غير الوجه الصحيح يورث الشقاء والعذاب في الدنيا والآخرة.

والواقع يشهد بذلك في أمم الكفر؛ إذ يشيع فيها قلة التحمل، والانتحار، والقلق.

وكذلك الحال في أمة الإسلام؛ فما تخلفت في عصورها المتأخرة إلا لأسبابٍ أبرزُها جهلُ كثير من المسلمين، وانحرافهم في باب العقيدة عمومًا وفي باب القدر خصوصًا.

وذلك عندما اتخذ كثير منهم من الإيمان بالقدر مسوغًا واهيًا لعجزهم، وانهيارهم، وإخلادهم إلى الأرض، تاركين الأخذ بالأسباب، ناسين أو متناسين أن أقدار الله إنما تجري وَفْقَ سنته الثابتة التي لا تتغير ولا تتبدل ولا تحابي أحدًا كائنًا من كان.

فلعل الأمة الإسلامية تُفيق من رقدتها، وتتولى قوامة البشرية، وتأخذ مكانها اللائق بها، وذلك بعودتها إلى عقيدتها الصافية النقية التي هي مصدر مجدها ومنبع عزها[١].



---

(١) «القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه، والإيمان بالقضاء والقدر» بتصرف (ص: ٨١).



الباب الثاني
مسائل وإشكالات حول القدر

وتحته ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مسائل في القدر.

وتحته أربعة فصول:

الفصل الأول: الإيمان بالقدر ومشيئة العبد واختياره.

الفصل الثاني: فعل الأسباب والإيمان بالقضاء والقدر.

الفصل الثالث: الاحتجاج بالقدر.

الفصل الرابع: الواجب على العبد عند حلول المصيبة والأمر المكروه.

المبحث الثاني: الحكمة والتعليل في أفعال الله.

وتحته تمهيد، وستة فصول:

الفصل الأول: نسبة الشر إلى الله – تعالى – وحكم ذلك، والحكمة من إرادة الله لما لا يحبه.

الفصل الثاني: الحكمة من خلق المعاصي وتقديرها.

الفصل الثالث: خلق إبليس والحكمة من ذلك.





الفصل الرابع: خلق المصائب وتقديرها والحكمة من ذلك.

الفصل الخامس: ضرورة معرفة السبب الذي أوقع الجبرية والقدرية فيما وقعوا فيه حتى نحذره.

الفصل السادس: الرضا بقدر الله، وحُكْم ذلك.

المبحث الثالث: إشكالات حول القدر.

وتحته ثلاثة فصول:

الفصل الأول: مسألة القدر المثبت، والقدر المعلق، أو المحو والإثبات في القدر، وزيادة العمر ونقصانه.

الفصل الثاني: الإنسان بين التسيير والتخيير.

الفصل الثالث: باب: يجوز الحديث في القدر أم لا؟







المبحث الأول: مسائل في القدر

وتحته أربعة فصول:

الفصل الأول: الإيمان بالقدر ومشيئة العبد واختياره.

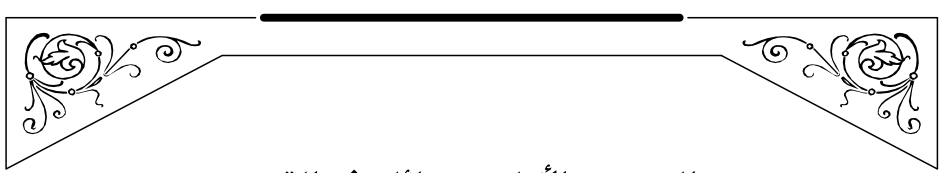
الفصل الثاني: فعل الأسباب والإيمان بالقضاء والقدر.

الفصل الثالث: الاحتجاج بالقدر.

الفصل الرابع: الواجب على العبد عند حلول المصيبة والأمر المكروه.







المبحث الأول: مسائل في القدر

وتحته أربعة فصول:

الفصل الأول: الإيمان بالقدر ومشيئة العبد واختياره

الإيمان بالقدر - على ما مرَّ - لا ينافي أن يكون للعبد مشيئة في أفعاله الاختيارية وأن يكون له قدرة عليها.

فقد دل على ذلك الشرع والواقع:

أما الشرع: فالأدلة على ذلك كثيرة جدًّا، منها قوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا﴾ [النبأ: ٣٩]، وقوله: ﴿فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣]، وقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وقوله: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقوله: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩].

أما الواقع: فكل إنسان يعلم أن له مشيئةً، وقدرةً يفعل بهما ويترك، ويفرق بين ما يقع بإرادته كالمشي وما يقع بغير إرادته كالارتعاش[(١)].

لكنَّ مشيئته وقدرته واقعتان بمشيئة الله وقدرته؛ لقوله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ

---

(١) انظر: «منهاج السنة» لابن تيمية (٣/ ١٠٩- ١١٢)، و«التبيان في أقسام القرآن» لابن القيم (ص٤٥ و١٦٦- ١٦٩)، وانظر: «رسائل في العقيدة» لابن عثيمين (٣٧، ٣٨)، و«القضاء والقدر» لابن عثيمين (١٥- ١٧).

مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾  [التكوير: ٢٨، ٢٩].

وتوضيح ذلك كما قال العلامة ابن سعدي[(١)] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أن العبد إذا صلى، وصام، وعمل الخير، أو عمل شيئًا من المعاصي - كان هو الفاعل لذلك العمل الصالح والعمل السيِّئ.

وفِعله المذكور - بلا ريب - واقع باختياره، وهو يحس - ضرورة - أنه غير مجبور على الفعل أو الترك، وأنه لو شاء لم يفعل.

وكما أن هذا هو الواقع، فهو الذي نص الله عليه في كتابه، ونص عليه رسوله» حيث أضاف الأعمال صالحها وسيِّئها إلى العباد، وأخبر أنهم هم الفاعلون لها، وأنهم محمودون عليها إذا كانت صالحة ومثابون عليها، ومذمومون إذا كانت سيئة ومعاقبون عليها.

فقد تبين بهذا واتضح أنها واقعة منهم وباختيارهم، وأنهم إن شاؤوا فعلوا، وإن شاؤوا تركوا، وأن هذا الأمر ثابت عقلًا وحسًّا وشرعًا ومشاهدة.

---

(١) هو الشيخ العلامة المحقق أبو عبد الله عبدالرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر آل سعدي التميمي، وُلد في عنيزة في القصيم سنة (١٣٠٧هـ)، وتوفي سنة (١٣٧٦هـ)، ترك جمعًا غفيرًا من التلاميذ، على رأسهم الشيخ محمد بن عثيمين والشيخ عبد الله ابن بسام والشيخ عبدالعزيز السلمان رحمهم الله، والشيخ عبد الله بن عقيل. . . وغيرهم كثير. وترك مصنفات نافعة، منها: تفسيره، وخلاصة التفسير، والقواعد الحسان، والفتاوى، وغيرها.

انظر: «الشيخ عبد الرحمن السعدي مفسرًا» للشيخ عبد الله بن سابح الطيار، و«علامة القصيم» للشيخ الدكتور عبد الله بن محمد الطيار، و«الشيخ عبد الرحمن السعدي وجهوده في العقيدة» للشيخ الدكتور عبد الرزاق العباد.

ومع ذلك إذا أردت أن تعرف أنها - وإن كانت كذلك - واقعة منهم، كيف تكون داخلة في القدر؟ وكيف تشملها المشيئة؟

فيقال: بأي شيء وقعت هذه الأعمال الصادرة من العباد خيرها وشرها؟ فيقال: بقدرتهم وإرادتهم.

والذي خلق ما تقوم به الأفعال هو الذي خلق الأفعال؛ فهذا الذي يحل الإشكال، ويتمكن العبد أن يعقل بقلبه اجتماع القدر والقضاء والاختيار.

ومع ذلك فهو - تعالى - أمد المؤمنين بأسباب، وألطاف، وإعانات متنوعة، وصرف عنهم الموانع، كما قال: «وأما من كان من أهل السعادة فسييسر لعمل أهل السعادة»[(١)].

وكذلك خَذَل الفاسقين، ووكَلَهم إلى أنفسهم؛ لأنهم لم يؤمنوا به ولم يتوكلوا عليه، فولاَّهم ما تولوه لأنفسهم»[(٢)(٣)].

الفصل الثاني: فعل الأسباب والإيمان بالقضاء والقدر

مذهب أهل السنة والجماعة أن الإيمان بالقدر لا يتنافى مع الأخذ بالأسباب، بل يقولون: إن الأخذ بالأسباب من الإيمان بالقدر، فمباشرة الأسباب من تمام الإيمان بالقدر؛ ولهذا فيجب على العبد مع الإيمان بالقدر الاجتهاد في العمل والأخذ بأسباب النجاة والالتجاء إلى الله تعالى بأن ييسر

---

(١) رواه مسلم (٢٦٤٧).

(٢) «التنبيهات اللطيفة» (ص٨٢، ٨٣)، وانظر: «لمعة الاعتقاد» لابن قدامة (ص٢٢)، وانظر: «شرح الواسطية» للهراس (ص٢٢٨)، وانظر: «صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان» للشيخ محمد بشير السهسواني الهندي (ص٢٣٩-٢٤٣).

(٣) «الإيمان بالقضاء والقدر» (ص: ٨١).

له أسباب السعادة، وأن يعينه عليها.

ونصوص الكتاب والسنة حافلة بالأمر باتخاذ الأسباب المشروعة في مختلف شؤون الحياة، فقد أمرت بالعمل وطلب الرزق واتخاذ العُدة لمواجهة العدو والتزود للأسفار... وغير ذلك، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة ١٠] وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥] وقال: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠] وقال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

وقال - عليه الصلاة والسلام - لما قيل له: أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ «**اعملوا فكلٌّ ميسر لما خُلق له، فأهل السعادة يسيرون لعمل السعادة وأهل الشقاوة يسيرون لعمل الشقاوة**» ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ [الليل: ٥- ٧][(١)] والحديث في الصحيح.

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» في كتاب الجنائز، بَابُ مَوْعِظَةِ الْمُحَدِّثِ عِنْدَ الْقَبْرِ، وَقُعُودِ أَصْحَابِهِ حَوْلَهُ (١٣٦٢)، كتاب التفسير، بَابُ قَوْلِهِ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥﴾ (٤٩٤٥)، بَابُ ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ (٤٩٤٦)، بَابُ قَوْلِهِ: ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨﴾ (٤٩٤٧)، بَابُ قَوْلِهِ: ﴿وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩﴾ (٤٩٤٨)، بَابُ ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ (٤٩٤٩)، كتاب الأدب، بَابُ الرَّجُلِ يَنْكُتُ الشَّيْءَ بِيَدِهِ فِي الأَرْضِ (٦٢١٧)، كتاب القدر، بَابُ ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ (٦٦٠٥)، كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٧﴾ (٧٥٥٢)، ومسلم في صحيحه، في كتاب القدر، بَابُ كَيْفِيَّةِ خَلْقِ الْآدَمِيِّ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَكِتَابَةِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقَاوَتِهِ وَسَعَادَتِهِ (٢٦٤٧).

وقال – عليه الصلاة والسلام –: «**احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز**»[(١)]، وقد كان سيد المتوكلين ﷺ يأخذ بالأسباب الشرعية المتاحة؛ من الأكل إن جاع، والشرب مع الظمأ، ولبس لباس الحرب وأخذ العدة والتزود في الحرب، والسيرة العطرة حافلة في أنه ﷺ كان إذا أراد الأمر سلك طريق تحصيله بسلوك الأسباب المتاحة.

بل إنّ ترك تعاطي الأسباب اتكالًا على الكتابة السابقة في حقيقته منافٍ للقدر أصلًا؛ لأن الله تعالى ربط هذا الكون بعضه ببعض ونظم بعضه ببعض وربط الأشياء بأسبابها، ودلنا على السبب إن كنا نريد حصول أثره، فعلمنا دفع قدر الجوع بالأكل، وقدر الظمأ بالشرب، وقدر منازلة العدو بحُسن الإعداد الباطني والظاهري، وقدر إحكام الشهوة بالزوج للقادر وبالصوم لمن لم يجد، وقدر الفقر بالسعي في طلب الرزق الحلال، وقدر دخول النار بالاجتهاد في العمل الصالح مع ترك الذنوب والمعاصي... وهكذا.

فهل بالله عليك يقول أحد مع ذلك: أنا أبقى مع القدر ولا أدافعه أو أحصله بالأسباب المشروعة؟ فهذا القول في الحقيقة إنكار للقدر وتكذيب به، وإلا فمن مقتضيات الإيمان بالقدر تعاطي الأسباب المشروعة في دفع المكروه وجلب المحبوب، والله أعلم.

وأضرب لك مثالين على أهمية تحصيل الأسباب وعدم الاتكال على ما كُتب وقُدر، وهما:

الأول: قوله تعالى عن مريم: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴿٢٥﴾﴾ [مريم ٢٥] فانظروا – رحمكم الله تعالى – امرأة نفاس خائفة مما

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» في كتاب القدر، بَابٌ فِي الْأَمْرِ بِالْقُوَّةِ وَتَرْكِ الْعَجْزِ وَالِاسْتِعَانَةِ بِاللهِ وَتَفْوِيضِ الْمَقَادِيرِ لِلَّهِ. (٢٦٦٤).

سيواجهها، تؤمر بهز جذع نخلة حتى يتساقط الرطب، وإنه لو اجتمع عدد من الرجال الأقوياء فإنهم قد يعجزون عن هزها، أَوَلا يقدر الله تعالى على إسقاط الرطب بلا هذا الهز؟ بلى هو قادر على كل شيء، لكن من باب ربط الأشياء بأسبابها والأخذ بزمام الجد والمبادرة وترك التواكل والعجز والكسل.

فهل يأتي بعد ذلك أحد يقول: سأدع العمل الصالح وأتكل على ما كُتب لي؟ هذا والله عين الغباء والخبل.

الثاني: قوله تعالى عن موسى: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾﴾ [الشعراء: ٦٣] فهذه الضربة بالعصا أمر بالأخذ بالأسباب وإلا فالله قادر القدرة التامة على فلق البحر بلا ضرب، ولكن أمر موسى أن يضرب في هذا الوقت العصيب مع أن هذا الضرب سيؤخرهم قليلًا والعدو قد اقترب منهم، ومع ذلك يؤمر بالضرب بالعصا.

والله إنها لتربية على تعاطي الأسباب والأخذ بالأسباب المشروعة، والله تعالى أعلى وأعلم(١).

الفصل الثالث: الاحتجاج بالقدر

- **وبه عدة مسائل:**

- **المسألة الأولى: تمهيد.**

ليس لأحد أن يحتج بالقدر على الذنب باتفاق المسلمين وسائر أهل الملل وسائر العقلاء؛ فإن هذا لو كان مقبولًا لأمكن كل أحد أن يفعل ما يخطر له

(١) «شرح نونية السعيدان» مخطوط.

من قتل النفوس وأخذ الأموال وسائر أنواع الفساد في الأرض، ويحتج بالقدر.

ونفس المحتجّ بالقدر إذا اعتُدي عليه، واحتج المعتدي بالقدر لم يقبل منه، بل يتناقض، وتناقُض القول يدل على فساده، فالاحتجاج بالقدر معلوم الفساد في بداهة العقول(١).

الإيمان بالقدر لا يمنح العاصي حجة على ما ترك من الواجبات، أو فَعَلَ من المعاصي.

ولما كان هذا الأمر مما يعمّ به البلاء فنقول المسألة هذه فيها تفصيل، فنقول وبالله تعالى التوفيق، ومنه نستمد الهون والفضل:

اعلم - رحمك الله تعالى - أن مذهب أهل السنة والجماعة - رحمهم الله تعالى - هو أن الاحتجاج بالقدر منه ما هو سائغ مشروع ومنه ما هو زائغ ممنوع(٢).

المسألة الثانية: الاحتجاج السائغ.

الاحتجاج السائغ بالقدر يكون في أمرين:

الأول: الاحتجاج بالقدر عند نزول المصائب.

فإذا نزلت المصائب فعلى العبد أن يتسلى بنسبتها للقدر فيقول: قَدَّر الله تعالى ذلك ولا دافع لقضائه ولا معقب لحكمه، قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٨/ ١٧٩)، وانظر: «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/ ٨٥٨، ٨٥٩).

(٢) «شرح نونية السعيدان» مخطوط.

ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الحديد: ٢٢] وقال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ﴾ [التغابن: ١١] قال علقمة: «هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من الله فيرضى ويُسَلِّم»(١).

وقال - عليه الصلاة والسلام -: «**وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا. ولكن قل: قَدَّر الله وما شاء فعل. فإن (لو) تفتح عمل الشيطان**»(٢).

الثاني: الاحتجاج بالقدر على المعصية التي قد تاب منها التوبة النصوح الصادقة.

فهذا أيضًا جائز لا بأس به؛ لأنه لا يريد بهذا الاحتجاج أن يُسوغ لنفسه الاستمرار عليها لأنه قد تاب منها، فإذا وقع الإنسان في شيء من المحرمات ثم تاب التوبة النصوح فعوتب في ذلك، فله أن يقول: هذا أمر قدره الله عليّ.

ويستدل على ذلك بحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الصحيحين في محاجة موسى وآدم - عليهما الصلاة والسلام - وفيه: «**فقال آدم: يا موسى أتلومني على أن عملت عملًا كتب الله عليّ أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين عامًا؟!**»(٣)، فآدم - عليه الصلاة والسلام - احتج على أكله من الشجرة بأنه أمر مكتوب ومقدر عليه، لكن هذا الاحتجاج إنما وقع بعد التوبة النصوح المقبولة، قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾.

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٢١)، بسند صحيح.

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» في كتاب القدر، بَابٌ فِي الْأَمْرِ بِالْقُوَّةِ وَتَرْكِ الْعَجْزِ وَالِاسْتِعَانَةِ بِاللهِ وَتَفْوِيضِ الْمَقَادِيرِ لِلَّهِ (٢٦٦٤).

(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه» في كتاب القدر، بَابُ حِجَاجِ آدَمَ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ (٢٦٥٢)، بهذا اللفظ، لكن رواه البخاري وغيره بغير هذا اللفظ.

فهذا الحديث فيه دلالة على جواز الاحتجاج بالقدر على فعل المعصية التي تاب منها التوبة النصوح، والله أعلم[١].

المسألة الثالثة: الاحتجاج الزائغ المردود.

وهو الاحتجاج بالقدر على المعصية التي لا يزال يقارفها، ويريد بهذا الاحتجاج تسويغ الاستمرار على مقارفتها.

ولكن أقول: قبل الإجابة عن هذا السؤال المهم أُحب أن أنبهك على أمرين مهمين غاية الأهمية، وهما:

الأول: اعلم أن القاعدة عند أهل السنة تقول: يجوز الاحتجاج بالقدر في المصائب لا المعائب. ونعني بالمعائب أي المعاصي التي لا يزال يقارفها.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (ومن الإيمان بالقدر أن يعلم العبد أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، فالمؤمن يصبر على المصائب، ويستغفر من الذنوب والمعائب. والجاهل الظالم يحتج بالقدر على ذنوبه وسيئاته، ولا يَعذر بالقدر من أساء إليه، ولا يذكر القدر عند ما ييسره الله له من الخير، فعكس القضية، بل كان الواجب عليه إذا عمل حسنة أن يعلم أنها نعمة من الله هو يَسَّرها وتفضل بها، فلا يُعجب بها ولا يضيفها إلى نفسه كأنه الخالق لها، وإذا عمل سيئة استغفر وتاب منها، وإذا أصابته مصيبة سماوية أو بفعل العباد يعلم أنها كانت مقدرة مقضية عليه. وهذا مبسوط في موضعه)[٢].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: (اعْلَمْ أَنَّ مَا أَصَابَك لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَك، وَمَا أَخْطَأَك لَمْ يَكُنْ

---

(١) «شرح نونية السعيدان» مخطوط.

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٧/ ٩٨).

لِيُصِيبَك، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [التغابن: ١١]، قَالُوا: هُوَ الرَّجُلُ تُصِيبُهُ الْمُصِيبَةُ فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَيَرْضَى وَيُسَلِّمُ)[١].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأما قوله: «**وتؤمن بالقدر خيره وشره**»[٢] فأن تؤمن بأن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ولا تقل: لو كان كذا لم يكن كذا، ولولا كذا وكذا لم يكن كذا وكذا. قال: فهذا هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر)[٣].

وأصل هذه القاعدة هو حديث عَنْ أَبِي حَفْصَةَ قَالَ: (قَالَ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ لابْنِهِ: يَا بُنَي إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ حَقِيقَةِ الإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ فَقَالَ لَهُ اكْتُبْ. قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ**». يَا بُنَي إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي**»[٤].

الثاني: اعلم أن أهل السنة - رحمهم الله تعالى - يقولون: إن الاحتجاج بالقدر حجة إبليسية التأصيل والتخطيط وآدمية التنفيذ، فأساسها من كيد الشيطان الرجيم، والمُنَفِّذ لها تطبيقًا عمليًّا هم كثير من بني آدم، والله أعلم.

---

(١) «اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم» (٢/ ٣٩٠).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) «مجموع الفتاوى» (٧/ ٣١٣).

(٤) رواه أبو داود رقم: (٤٧٠٠) في السنة، باب القدر. والترمذي رقم: (٢١٥٦) في القدر، باب رقم (١٧)، وأحمد في «المسند» (٥ / ٣١٧).

قال عبد القادر الأرنؤوط في تحقيقه لـ«جامع الأصول» (١٠/ ١٠٧): (حديث صحيح).

ثم نقول: الاحتجاج بالقدر على فعل المعصية وترك الواجب حجة داحضة باطلة كل البطلان نقلًا، وعقلًا، وحسًا، وفطرة، وبيان ذلك من وجوه عشرة:

الأول: أن القرآن أبطل هذه الحجة غاية الإبطال، ولم يعتبرها شيئًا وسماها جهلًا وتخرصًا وظنًّا كاذبًا، ونفى أن تكون من العلم في شيء، ووصفها بالزور والبهتان، قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾﴾ [الأنعام: ١٤٨] وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٣٥﴾﴾ [النحل: ٣٥] وقال تعالى: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: ٥٦ - ٥٩]، وقال تعالى عن الذين عبدوا الملائكة أنهم قالوا ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُم مَّا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الزخرف: ٢٠].

وأي إبطال بعد هذا الإبطال؟! وما كان باطلًا فإنه لا يسوغ للعاقل أن يتمسك به.

الثاني: اتفاق السلف الصالح من الصحابة وتابعيهم ومَن بعدهم من أهل السنة والجماعة - على عدم اعتبار ذلك حجة مقبولة، فإنهم ﷺ لم يُؤْثَر عن أحد منهم شيء من ذلك، بل كانوا ينكرون على المخالف ويعاقبون من وقع فيما يقتضي العقاب من فعل محظور أو ترك مأمور بلا نظر في أن ذلك مقدرًا عليه، ولا شك أن الإجماع ثابت ثبوتًا قطعيًّا في هذه المسألة.

فعلى مَن نصح لنفسه وأراد لها النجاة باتباع هذا الإجماع فإنه من سبيل المؤمنين التي من اتبع غيرها ولّاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرًا.

الثالث: أن الأدلة من الكتاب والسنة قد دلت الدلالة القاطعة الصريحة على أن حجة الله على عباده قد قامت بإرسال الرسل وإنزال الكتب، قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾ [النساء: ١٦٥] فلا حجة للعباد في ترك المأمور أو فعل المحظور، فإن الله تعالى قد بَيَّن لنا طريق الخير من الشر، فالحجة قد قامت والمحجة قد بانت، فلم يَبْقَ لأحد بعد إرسال الرسل وإنزال الكتب حجة لمحتج.

الرابع: أن الاحتجاج بالقدر لو كان حجة مقبولة لأدى ذلك إلى إبطال الشرائع؛ وذلك لأنه يسوغ لكل أحد ترك امتثال الأمر المشروع وارتكاب الشيء الممنوع - أن يقول: (الله قَدَّره عليّ، وكل الأشياء بقدر الله) فلا داعي إذًا إلى الشرائع ولا إرسال الرسل ولا إلى خلق النار ولا إلى حساب وعذاب، إذ كل أحد سيحتج بالقدر.

فبان بذلك أنه حجة داحضة باطلة لأنها موصلة إلى هذه النتيجة الباطلة، وما أدى إلى الباطل فهو باطل.

الخامس: أن الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي مع مخالفته للمنقول فهو أيضًا مناقض للمعقول.

وبيان ذلك أن الإنسان قبل فعل هذه المعصية هل كان يعلم أن الله قَدَّرها عليه؟ بالطبع لا، فيكون هو الذي أقدم على فعلها اختيارًا منه لا اضطرارًا، ولماذا لا يتركها ويقول: لم يقدرها الله عليّ، بل لماذا لا يُقبل على فعل الطاعة ويقول: الله قَدَّر عليّ في هذا الوقت أن أفعل هذه الطاعة. فإن هذا قليلٌ فاعله، أما أن يتقحم في المعاصي ويخالف أمر ربه ويتنكب عن

الصراط المستقيم ويرتكب المحرمات وموبقات الآثام، ويقول: (الله قَدَّرها عليّ)، فهذا خائب خاسر تائه ضائع لا حظ له في الآخرة ولا ينفعه ذلك يوم القيامة؛ لأنه لم يكن يعلم ما قُدِّر له حتى يقول: الله قدرها عليّ، والله أعلم.

السادس: أن الاحتجاج بالقدر فيه تعطيل للأسباب التي جاءت الشريعة بإثباتها والأمر بها، فإن الشريعة قد ربطت الآثار بأسبابها، فمن أراد هذا الشيء فعليه بتحصيل سببه، أما أن يريد آثار الأسباب من غير تحصيل للأسباب فإن هذا قدح في الشرع وعجز وكسل وخور، فإن من أراد الولد فلا بد أن يحصل الزواج؛ لأنه طريق الولد، لكن مَن ترك الزواج وقال: (إن كان الله قَدَّر لي الولد فسيأتيني ولو لم أتزوج) فهذا هو الحمق بعينه والجنون بعروقه. ولو قال قائل: (أنا لن أذهب للعمل وإذا كان الله قد قدر لي حصول الراتب آخر كل شهر فسيأتي الراتب ولو لم أسعَ لتحصيله) فبالله عليك هل هذا الكلام يمكن أن يصدر من عاقل يعرف ما يقول؟ ولو قال قائل: (أنا لن أذاكر ولن أجتهد في حفظ الدرس وفهمه ولو قدر الله لي النجاح فسأنجح ولو لم أبذل سببًا) فقل لي بالله عليك ما رأيك بهذا الكلام؟ فإني أدع الجواب لعقلك وقلبك.

وهذا يبين أن الأشياء قد رُبطت بأسبابها، والتفريق بين الآثار وأسبابها قدح في الشرع وخبل في العقل.

فنقول: وكذلك أيضًا الهداية ودخول الجنة فإنها قد ربطت بأسبابها، ففي الحديث: «**فاستهدوني أهدكم**»[1] وفي الحديث الآخر: «**اعقلها وتوكل**»[2].

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» في كتاب البر والصلة، بَابُ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ (٢٥٧٧).

(٢) **ضعيف:** أخرجه الترمذي في «سننه»، في أبواب صفة القيامة (٢٥١٧)، =

فمَن أراد الهداية فعليه بسلوك سبب تحصيلها، ومَن أراد الجنة فعليه بسلوك سبب تحصيلها من فعل المأمورات وترك المحظورات مع الإخلاص والمتابعة.

ويوضح ذلك أكثر أن نقول: اعلم يا من تحتج بالقدر أنك لا تحتج به إلا في ترك أمور الطاعة وفعل الحرام فقط، أما في أمور الدنيا فلا نراك تحتج بالقدر على ترك أسبابها، بل تُفني نفسك ووقتك في تحصيل أسبابها، ونقول: (لابد من الأخذ بالأسباب) وأما أمور الطاعة والأخذ بأسباب دخول الجنة من تحصيل الهداية والاستقامة فإنك تقول: (إذا شاء الله أن يهديني فستحصل الهداية، وإذا أراد الله أن يُدخلني الجنة فسيحصل ذلك) وهذا عين التناقض، فبالله عليك كيف تأخذ بتحصيل أسباب الرزق وقد تكفل الله به وتترك تحصيل أسباب الجنة التي ما خُلقتَ أصلًا إلا للعمل لتحصيلها؟! فهذا والله لا يسوغ عند العقلاء، وهذا دليل من الحس، والله أعلم.

السابع: أن العبد مأمور بالإيمان بالقدر واتباع الشريعة بفعل المأمور

= وابن أبي الدنيا في كتابه «التوكل على الله» (١١)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٣٩٠)، والبيهقي في «الآداب» (٧٧٨)، وفي «الشعب» (١١٦١)، من طريق يحيى ابن سعيد القطان عن المغيرة بن أبي قرة السدوسي، عن أنس بن مالك. وفيه: المغيرة بن أبي قرة السدوسي، وهو مجهول، لا يُعرف حاله.

وقال الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ: قال عمرو بن علي: قال يحيى: «وهذا عندي حديث منكر»: «وهذا حديث غريب من حديث أنس لا نعرفه إلا من هذا الوجه».

وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٩٧٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٣١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١١٥٩)، من طريق يعقوب بن عبد الله بن عمرو بن أمية، عن جعفر بن عمرو بن أمية قال: قال عمرو بن أمية.

ففيه: يعقوب بن عمرو بن عبد الله الضمري، وهو مجهول.

واجتناب المحظور، فلا تناقض بين القدر والشرع، فالمحتج بالقدر على ترك المأمور أو فعل المحظور هو في حقيقته مؤمن بوجود التناقض بين قدر الله وشرعه. وهذا فيه قدح كبير في علم الله وحكمته، بل يجب عليك أن تعلم أن من لم يؤمن بالشرع فإنه مكذب بالقدر لأن شرع الله من جملة قدره، ومن لم يؤمن بالقدر فإنه مكذب للشرع؛ ولذلك قال ابن عباس: القدر نظام التوحيد. فمَن اعتقد أن هناك تعارضًا بين القدر والشرع فهو زنديق، ولا يصل العبد إلى ذلك إلا بالاحتجاج بالقدر على ترك الشرع، فاحذر من ذلك يا رعاك الله.

الثامن: أن العباد مطالبون بالنظر فيما أُمروا به فيفعلونه وفيما نُهوا عنه فيتركونه، هذا هو الذي تَعَبَّدَنا الله تعالى به وهو الذي سنُسأل عنه يوم القيامة. ولسنا مأمورين بالنظر فيما قُدِّر لنا؛ لأن هذا أصلًا في علم الغيب ولا يستطاع العلم به، بل قد نُهينا عن الخوض في القدر بلا علم أو برهان، فنحن مطالبون بالاجتهاد في العمل لا في مطالعة الأقدار، فالمحتج بالقدر تَرَك ما هو مأمور به من العمل ونظر فيما لم يؤمر به من مطالعة القدر، فأشغل نفسه في مطالعة ما لا يعود عليه بالنفع لا العاجل ولا الآجل، بل أشغل نفسه فيما يعود عليه بالضرر؛ لأن الهدى والصلاح والبر والتقوى إنما هي في متابعة الرسول ﷺ لا في مجرد النظر فيما قُدِّر لنا، والله المستعان.

التاسع: أن العبد مأمور بالتوبة إذا وقع منه الزلل أمر إيجاب، قال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨].

والاحتجاج بالقدر على فعل المعصية قاتل لانبعاث التوبة في القلب، وبيان ذلك أنه قد سوغ لنفسه الاستمرار على هذه المعصية بأن الله قدرها عليه، فلا يفكر أن يتوب منها لأنه وإن رآها خطأ إلا أنه يرى أنه معذور في

فعلها لأنها مما قُدر وكُتب عليه، فتراه مستمرًّا عليها لا ينزجر عن فعلها ولا يرعوي عن مقارفتها. والتوبة أمر مقصود شرعًا، والاحتجاج بالقدر يدفع هذا المقصود الشرعي، وما دافَعَ المقصود الشرعي فإنه باطل.

العاشر: أن الاحتجاج بالقدر على فعل المعصية لو كان حجة مقبولة لبادر بها إبليس لمَّا تخلف عن السجود ولقال: (يا رب أنت قدرتها عليّ) لكن علم في قرارة نفسه أنها لا تنفعه لأنها في الحقيقة ليست عذرًا مقبولًا، فإبليس بهذا مثله كمثل من يروج المخدرات وهو لا يستعملها، فهو يروج لهذه البضاعة - أعني الاحتجاج بالقدر على فعل المعصية - وهو عالم كل العلم أنها ليست مما ينفع ولذلك عدل عنها.

فهذه بعض الأوجه في كشف زيف هذه الحجة، ولعلها تكون كافية إن شاء الله تعالى، والله أعلى وأعلم[١].

والخلاصة: إن القدر سر الله تعالى في خلقه -كما قال الطحاوي- لم يطلع على ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل، والتعمق في ذلك ذريعة الخِذلان وسُلَّم الحرمان[٢].

ولقد وقعت القدرية في مشاكل كثيرة في نقاشاتهم مع عوام الناس فضلًا عن علمائهم، وجعلوا لأهل الباطل عليهم سبيلًا، ومن أمثلة ذلك:

ذكر عمر بن الهيثم قال: خرجنا في سفينة، وصَحِبَنَا فيها قدري ومجوسي، فقال القدري للمجوسي: أَسْلِمْ. فقال المجوسي: حتى يريد الله. قال القدري: إن الله يريد، ولكن الشيطان لا يريد. قال المجوسي: أراد الله وأراد الشيطان فكان ما أراد الشيطان، هذا الشيطان قوي. وفي

---

(١) «شرح نونية السعيدان» مخطوط.

(٢) «القضاء والقدر» د. عمر الأشقر (ص: ١٠٠).

رواية أنه قال: فأنا مع أقواهما.

يذكر أهل العلم أن أعرابيًّا أتى عمرو بن عبيد - شيخ المعتزلة - فقال له: إن ناقتي سُرقت، فادعُ الله أن يردها عليّ. قال عمرو بن عبيد: اللهم إن ناقة هذا الفقير سُرقت، ولم ترد سرقتها، اللهم ارددها عليه. فقال الأعرابي: الآن ذهبت ناقتي وأيستُ منها. قال: وكيف؟ قال: لأنه إذا أراد أن لا تُسرق فسرقت، لم آمن أن يريد رجوعها فلا ترجع!! ونهض من عنده منصرفًا.

ونُذَكِّر مَن كان في قلبه شيء من القدر بالقواعد الآتية:

١- عِلْم الله الأزلي محيط بكل شيء مما كان ومما سيكون ومما لم يكن لو كان كيف يكون، والأمور تقع على مقتضى علمه الكامل، لا يخرج شيء عنه.

٢- غنى الله الكامل عن العباد؛ حيث لا تنفعه طاعة المطيع كما لا تضره معصية العاصي، وغناه تعالى شامل ومطلق؛ وهذا يفيد في طُمأنينة القلب عند المؤمن في هذا الباب، وأن الله ليس بحاجة إلى العباد حتى يجبرهم أو يعذبهم بغير ذنب يستحقون العقاب عليه.

٣- القاعدة الثالثة - وهي مبنية على القاعدة السابقة -: وهي أن الله تعالى لا يظلم، وقد حَرَّم على نفسه الظلم، ونفاه في كتابه فقال تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]، وفي معنى هذه الآية آيات كثيرة تنفي عن الله تعالى ظلم العباد لا في عقوباتهم في الدنيا ولا في جزائهم في الآخرة.

وهذه قاعدة مهمة في باب الاحتجاج بالقدر؛ فإذا توهم العبد أو وسوس له الشيطان؛ فليتذكر أن الله لا يظلمه مثقال ذرة حتى يطمئن قلبه. وهذا الذي أجاب به بعض السلف حين قال شخص محتجًّا بالقدر، قال: لأن الله لا يظلمك.

٤- قيام الحجة على العباد، وهذه مسألة يجب أن يدركها كل مسلم، ومقتضاها أن حجة الله قد قامت على عباده.

وقيام الحجة على العباد بأمور، منها:

أ- أن لا يكلف إلا البالغ العاقل؛ فالصغير والمجنون قد رُفع عنه القلم.

ب- وجود الإرادة للعبد؛ ففاقد الإرادة المكره لا يكلف، وحصول هذه الإرادة للعبد مما لا ينكره أي عاقل؛ وبهذه الإرادة يختار بين الطاعة والمعصية.

ج- القدرة؛ فالعاجز عن فعل الشيء المطلوب لا يكلف، ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، والله لم يكلف الناس ما لا يطيقون.

د- قيام الحجة الرسالية؛ بإرسال الرسل وإنزال الكتب.

وبهذه الأمور نعلم أن الحجة قد قامت على العباد، ولا تعارُض بينهما وبين القدر السابق(١).

الفصل الرابع: الواجب على العبد عند حلول المصيبة والأمر المكروه

وأما الواجب على العبد عند حلول المصيبة والأمر المكروه، فأقول: المشروع عند نزول المصائب من الموت والأمراض والعاهات والحوادث والكوارث ونحو ذلك - عدة أمور:

الأول: أن يعلم أنها مما سبق به القلم وطُويت عليه الصحف، قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ

(١) «القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه».

إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ [الحديد: ٢٢] وأنه لا دافع لقضائه ولا معقب لحكمه جل وعلا.

الثاني: أن يؤمن إيمانًا جازمًا أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه.

الثالث: وجوب الصبر وعدم فعل أو قول شيء فيه جزع وتسخط على ما نزل من القدر، قال - عليه الصلاة والسلام -: «**ليس منا مَن ضَرَب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية**»(١).

وقال أبو موسى: «إن رسول الله ﷺ بريء من الصالقة والحالقة والشاقة»(٢). الصالقة: هي التي ترفع صوتها عند المصيبة، والحالقة: هي التي تحلق شعرها أو تنتفه عند المصيبة. والشاقة: هي التي تشق جيبها عند المصائب.

وقال - عليه الصلاة والسلام -: «**النائحة إذا لم تتب قبل موتها فإنها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» في كتاب الجنائز، بَابٌ: لَيْسَ مِنَّا مَنْ شَقَّ الجُيُوبَ (١٢٩٤)، بَابٌ: لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الخُدُودَ (١٢٩٧)، بَابُ مَا يُنْهَى مِنَ الوَيْلِ وَدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ عِنْدَ المُصِيبَةِ (١٢٩٨)، ومسلم في كتاب الإيمان، بَابُ تَحْرِيمِ ضَرْبِ الْخُدُودِ وَشَقِّ الْجُيُوبِ وَالدُّعَاءِ بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ (١٠٣).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» في كتاب الجنائز، بَابُ مَا يُنْهَى مِنَ الحَلْقِ عِنْدَ المُصِيبَةِ (١٢٩٦)، ومسلم في «صحيحه» في كتاب الإيمان، بَابُ تَحْرِيمِ ضَرْبِ الْخُدُودِ وَشَقِّ الْجُيُوبِ وَالدُّعَاءِ بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ (١٠٤).

(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه» في كتاب صلاة الكسوف، بَابُ التَّشْدِيدِ فِي النِّيَاحَةِ (٩٣٤).

وكل هذه الأحاديث في الصحيح.

ومن ذلك قول (لو) كما قال - عليه الصلاة والسلام -: «**وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا. ولكن قل: قَدَّر الله وما شاء فعل**»(١).

فالصبر عند المصائب معناه حبس اللسان والجوارح عن قول وفعل ما لا يليق مما فيه منافاة لما يجب منه، نسأل الله تعالى أن يعيننا وإياك على الصبر عند حلول المصائب.

الرابع: أن يعلم العبد أن هذه الحوادث والكوارث إنما سببها ما كسبت يداه من الذنوب والآثام، قال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الروم: ٤١]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى: ٣٠] لأن العبد إذا استشعر ذلك أحدث له توبة واعترافًا وانكسارًا وخضوعًا لربه جل وعلا واستغفارًا على سابق هذا الذنب، وهذا أمر مقصود شرعًا، وقد يكون طريق تحصيله في بعض الأحيان نزول هذه المصائب.

الخامس: الرضا والتسليم لقضاء الله وقدره، قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن ١١] قال علقمة: «هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من الله فيرضى ويُسَلِّم»(٢).

وقد اختلف العلماء في حكم الرضا على قولين، والأرجح أنه مستحب، وهو اختيار الشيخ تقي الدين وتلميذه وكثير من المحققين.

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» في كتاب القدر، بَابٌ فِي الْأَمْرِ بِالْقُوَّةِ وَتَرْكِ الْعَجْزِ وَالِاسْتِعَانَةِ بِاللهِ وَتَفْوِيضِ الْمَقَادِيرِ لِلَّهِ (٢٦٦٤).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٢١)، بسند صحيح.

السادس: شكر الله وحمده على ما قضاه وقدره، وأن يُحْدِث العبد عند ذلك عبودية الشكر والحمد، وهذا مقام العارفين وهو سنة لكنه حالة كاملة عالية فاضلة صعبة المنال إلا على مَن يَسَّرها الله عليه، فإن العبد قد يشكر ويحمد بلسانه فقط وفي قلبه ما فيه، أما أن يكون الشكر والحمد مصدره القلب، واللسان معبرٌ عنه فهذا لا يستطيعه إلا أهل العبادات وصفاء النفوس، جعلنا الله وإياك منهم.

السابع: التسلي بقول الأوراد الشرعية الثابتة في ذلك:

كقول: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦]، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٦، ١٥٧].

وكقول: (قَدَّر الله وما شاء فعل)، كما ورد معنا في الحديث قبل قليل.

وكقول: (اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيرًا منها)، كما في حديث أم سلمة لما مات أبو سلمة أمرها النبي ﷺ أن تقول ذلك، فأبدلها الله برسول الله ﷺ[(١)].

وكقول الإنسان لأخيه عند نزول مصيبة الموت بأحد أهله: (اصبر واحتسب فإن لله ما أخذ وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى)، كما في الحديث الصحيح: «**مرها فلتصبر ولتحتسب...**» إلخ[(٢)].

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» في كتاب صلاة الكسوف، بَابُ مَا يُقَالُ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ (٩١٨).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» في كتاب الجنائز، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «يُعَذَّبُ المَيِّتُ بِبَعْضِ بُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ» إِذَا كَانَ النَّوْحُ مِنْ سُنَّتِهِ (١٢٨٤)، كتاب المرضى، بَابُ عِيَادَةِ الصِّبْيَانِ (٥٦٥٥)، كتاب القدر، بَابُ ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ (٦٦٠٢)، =

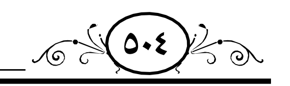
وكقول الإنسان عند زيارة المريض: «لا بأس عليك كفارة وطهور إن شاء الله تعالى» كما في الحديث[١]، ونحو ذلك، والله أعلم[٢].

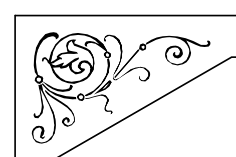
***

= كتاب الأيمان والنذور، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ﴾ (٦٦٥٥)، كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَـٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ (٧٣٧٧)، بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (٧٤٤٨)، ومسلم في «صحيحه» في كتاب الجنائز، بَابُ الْبُكَاءِ عَلَى الْمَيِّتِ (٩١٥).

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» في كتاب المناقب، بَابُ عَلاَمَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الإِسْلاَمِ (٣٦١٦)، كتاب المرضى، بَابُ عِيَادَةِ الأَعْرَابِ (٥٦٥٦)، بَابُ مَا يُقَالُ لِلْمَرِيضِ، وَمَا يُجِيبُ (٥٦٦٢)، كتاب التوحيد، بَابُ فِي المَشِيئَةِ وَالإِرَادَةِ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ (٧٤٧٠).

(٢) «شرح نونية السعيدان» مخطوط.





المبحث الثاني
الحكمة والتعليل في أفعال الله

- وتحته تمهيد وستة فصول:

تمهيد

الواجب على العبد تجاه ذلك أن يعتقد الاعتقاد الجازم أن لله جل وعلا في جميع أفعاله حِكَمًا جليلة وغايات ومصالح عظيمة سواءً علمناها أو لم نعلمها، فيجب على العبد أن يعلم ويعتقد أن أفعال الله جل وعلا وأوامره لا تخلو من الحِكم الباهرة العظيمة التي تحير العقول وأنه متنزه عن فعل ما لا حكمة فيه ولا مصلحة؛ فإن هذا عبث وقد نزه نفسه الكريمة عنه كما في قوله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾ [المؤمنون: ١١٥، ١١٦] وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ [القيامة: ٣٦].

فأفعاله كلها حِكم ومصالح، وإذا لم تدخل في حدود معلومنا فذلك لا يدل على انتفائها في نفس الأمر؛ لأن عدم العلم ليس علمًا بالعدم وعقولنا أحقر من أن تحيط بذلك على وجه التفصيل.

وهذا الإيمان الجملي فرض عين على كل أحد، بل هو من مقتضيات وصف الله جل وعلا بالكمال المطلق، فإن القدح في ذلك قدح في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، وهو منافٍ لكمال التوحيد الواجب، بل قد يكون

في بعض صوره منافيًا لأصل التوحيد والعياذ بالله، فعلى العبد أن يؤمن بلا ريب أن الله تعالى هو الكامل الكمال المطلق في علمه وحكمته وسائر أفعاله جل وعلا، ومقتضى هذا الإيمان أن يؤمن بأن أفعاله جل وعلا كلها بلا استثناء لها الحِكم العظيمة والغايات والمصالح المحمودة، والله أعلى وأعلم(١).

الفصل الأول: نسبة الشر إلى الله تعالى وحكم ذلك، والحكمة من إرادة الله لما لا يحبه

هل يُنسب الشر إلى الله تعالى؟ وهل يقع في أفعاله شر؟

فأقول: (الشر يضاف إلى المقدور لا القدر، وإلى المَقضي لا القضاء).

أقول: لقد أعطانا النبي ﷺ في هذا الأمر قاعدة طيبة عظيمة لا بد من الإيمان بها واعتقاد مدلولها، وهي ما ثبت في «صحيح مسلم» رحمه الله من حديث علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ في الحديث الطويل في استفتاح صلاة الليل، وفيه: «**لبيك وسعديك والخير في يديك والشر ليس إليك...**» الحديث(٢).

فقوله: «**والشر ليس إليك**»، هو ما تفيده قاعدتنا هذه، فقوله: «**والشر**» اسم جنس دخلت عليه الألف واللام الاستغراقية، وقد تقرر في القواعد عند

---

(١) المصدر السابق.

(٢) أخرجه مسلم رقم: (٧٧١) في صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، والترمذي رقم: (٣٤١٧)، و(٣٤١٨)، و(٣٤١٩) في الدعوات. وأبو داود رقم: (٧٦٠) في الصلاة، باب ما يستفتح به الصلاة من الدعاء.

الأئمة رحمهم الله تعالى أن الألف واللام الداخلة على المفرد والجمع واسم الجنس تفيد العموم، أي أن الشرك كله بجميع أنواعه ومختلف أشكاله لا يجوز إضافته إلى الله تعالى.

فالقدر فعل من أفعال الله تعالى، والله تعالى هو الحكيم اسمًا، وذو الحكمة صفة، وهو الخبير اسمًا، وذو الخبرة صفة، وهو الرحيم الرحمن اسمًا، وذو الرحمة العامة والخاصة صفة، فلا يمكن مع ذلك أن يكون في أفعاله شيء من الشر، نعم، هذا لا يمكن ولا يُتصور أبدًا، فإن مَن تأمل أسماءه التي تَسَمَّى بها وصفاته التي اتصف بها علم يقينًا أن هذا الرب العظيم والإله القادر الحكيم والمقتدر لا يفعل إلا الخير والمصلحة على مقتضى الحكمة والغايات الحميدة، فهو الكامل الكمال المطلق في أسمائه، وهو الكامل الكمال المطلق في صفاته، وهو الكامل الكمال المطلق في أفعاله جل وعلا، فكيف يكون مع ذلك يفعل الشر؟! أبدًا هذا لا يكون، فهو الطيب صفة، والجميل صفة، فكل ما يصدر منه فلا يكون إلا طيبًا وجميلًا، فنحن نعتقد الاعتقاد الجازم بأن الشر لا يجوز نسبته وإضافته إلى القدر؛ لأنه - أي: القدر - فعل الله تعالى، وأفعال الله تعالى كلها خير، وكلها حكمة، وكلها مصالح وغايات حميدة.

فإن قلت: أوليس هناك أقدار كثيرة هي شر؟ نحن نجد أن في هذا الكون من الشر ما لا يعلمه إلا الله تعالى، فالكفر شر، والمعاصي شر، والبدعة شر، وقتل النفوس والزنا وشرب الخمر والسرقة كلها من الشر، وغيرها كثير مما لا يحصى، وكلها كما تقرر من الأقدار، فكيف تقول: إنه لا يكون في القدر شيء من الشر؟!

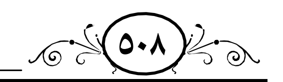
فأقول: لقد تقرر عندنا معاشر أهل السنة والجماعة أننا ننظر إلى فعل المخلوق باعتبارين: باعتبار كونه قدرًا لله تعالى، وباعتبار كونه فعلًا للعبد.

فباعتبار نسبته إلى الله تعالى يقال له: القدر، والقدر فعل لله تعالى، وباعتبار كونه يُنسب إلى العبد وإلى تحصيله واقترافه فيقال له: مقدور. فأفعال العباد باعتبارها قدرًا من الله تعالى وخلقًا لله تعالى فلا شر فيها، وباعتبار كونها صادرة منهم ففيها الخير وفيها الشر، فالكفر شر باعتبار فعل المخلوق له، فالشر يُنسب إلى فعل المخلوق، والمعصية شر باعتبار فعل المخلوق لها، والبدعة شر باعتبار فعل المخلوق لها، والزنا شر باعتبار فعل المخلوق له، والسرقة وشرب الخمر وغيرها من الآثام والقبائح إنما يقال فيها: (إنها شر) باعتبار فعل المخلوق لها لا باعتبارها قدرًا من الله تعالى.

فأفعال العباد باعتبار تقدير الله تعالى وخلقه لها لا يقال فيها خير وشر، بل كلها خير، وباعتبار صدورها من العباد تنقسم حينئذٍ إلى كونها خيرًا إن وافقت الشرع، وإلى شر إن خالفت الشرع، ففعل العبد يُنسب إلى الله تعالى خلقًا وإيجادًا وتقديرًا، وهو - أي: فعل العبد - من هذه الناحية خير، وفعل العبد يُنسب إلى العبد تحصيلًا وعملًا واكتسابًا واقترافًا، وهو من هذه الناحية قد يكون خيرًا، وقد يكون شرًّا.

فالقدر فعل الله تعالى، وأفعاله كلها خير، وأما المقدور فهو فعل العبد، وفعل العبد منه ما هو خير ومنه ما هو شر. فالكذب شر باعتبار فعل العبد له، والخيانة شر باعتبار فعل العبد لها، والغش شر باعتبار فعل العبد له، والحيلة الباطلة شر باعتبار فعل العبد لها... وهكذا، فالشر في هذه الأمور الممنوعة المحرمة شرعًا إنما هو باعتبار فعل العبد لها.

وفعل العبد نسميه نحن: المقدور، وفعل الله تعالى نسميه: القدر، فالشر في المقدور الذي هو فعل العبد، لا في القدر الذي هو فعل الله تعالى، وهذا واضح، فالنبي ﷺ نفى الشر عن فعل الله تعالى، والقدر من

أفعاله، فلا يكون في القدر مطلق الشر، ولكنه المخلوق هو الذي ينسب له الشر أحيانًا، كما قال تعالى:  ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ [الفلق: ١، ٢]، وفي الحديث: «**أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق وذرأ وبرأ، ومن شر ما نزل من السماء، ومن شر ما يعرج فيها، ومن شر ما ذرأ في الأرض، ومن شر ما يخرج منها**»[(١)].

فالمخلوق هو الذي يصدر منه الشر، فالشر يكون في فعله هو لا في فعل الله تعالى. وكذلك نقول في القضاء والمَقضي، فالقضاء هو فعل الله تعالى، والمَقضي هو فعل العبد، فالشر في المَقضي الذي هو فعل العبد، ولا يكون الشر في القضاء الذي هو فعل الله تعالى.

وبالجملة فكل شيء نسبته إلى الله تعالى فاعلم أنه لا يكون خيرًا لا شر فيه البتة، فأسماؤه كلها خير، وصفاته كلها خير، وأفعاله كلها خير، وتشريعه كله خير؛ ولذلك قال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ﴾ [الروم: ٤١]. فنسب الله تعالى السبب في هذا الفساد إلى ما يقترفه الناس من الذنوب والآثام، فالشر والفساد منسوب لهم ويكون بسببهم، مع أنه قدر من الله تعالى، ولكن قدر الله تعالى كله خير وحكمة ومصلحة، ولكن الناس وأفعال الناس هي التي تكون شرًّا وفسادًا، فصدق قولنا: الشر إنما يكون في المقدور والمَقضي وهما فعل للعبد، ولكن لا يكون الشر في القدر والقضاء اللذين هما فعل الله تعالى، وعلى ذلك اتفق أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى.

وهذه القاعدة فيها تحقيق كمال الأدب مع الله تعالى، ألا ترى أن الخضر

---

(١) رواه مالك في «الموطأ»، باب ما يؤمر به من التعوذ، رقم: (٣٥٠٢)، وهو موقوف على كعب الأحبار.

لما قتل الغلام وهو فعلَ ظاهره أنه شر، فإنه لم ينسب هذا الشر لربه، بل قال: ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۝٨٠ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ۝٨١﴾ [الكهف: ٨٠، ٨١]، فنسب القتل إلى نفسه؛ لأن القتل ظاهره الشر، والشر ليس إلى الله تعالى، ولكن لما جاء في مسألة بناء الجدار قال فيها: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾ [الكهف: ٨٢]، وانتبه لهذه النسبة: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [الكهف: ٨٢]. فنسب الفعل هذا إلى الله تعالى؛ لأن بناء الجدار لهذين اليتيمين لحفظ مالهما حتى يبلغا أشدهما. هذا فعلٌ ظاهره الخير، فنسب الخير إلى ربه، مع أنه هو الذي بناه، فلما كان الفعل ظاهره الشر نسبه الخضر إلى نفسه، ولما كان الفعل ظاهره الخير نسبه الخضر إلى ربه. فهذا من كمال الأدب مع الله تعالى؛ لأن الخير من لوازم أفعاله جل وعلا، فالشر ليس إليه.

وهذه مسألة دقيقة، قد زلت فيها أقدام، وضلت فيها أفهام، ولكن من أخذها على مقتضى ما قرره أهل السنة والجماعة فإن الأمر سيكون عنده سهلًا بأمر الله تعالى.

وطريق النجاة في هذه المسألة هو أن تفرق بين المقدور والقدر، وبين القضاء والمقضي، فتقول: الشر في المقدور لا في القدر، وفي المَقضي لا في القضاء. وهو ما تنص عليه قاعدتنا هذه.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (إن الحسنة مضافة إليه؛ لأنه أحسن بها من كل وجه كما تقدم، فما من وجه من وجوهها إلا وهو يقتضي الإضافة إليه، وأما السيئة فهو إنما يخلقها بحكمة، وهي باعتبار تلك الحكمة من إحسانه، فإن

الرب لا يفعل سيئة قط، بل فِعله كله حسن وحسنات، وفعله كله خير؛ ولهذا كان النبي ﷺ يقول في دعاء الاستفتاح: «**والخير بيديك، والشر ليس إليك**»(١)، فإنه لا يخلق شرًّا محضًا، بل كل ما يخلقه ففيه حكمة، هو باعتبارها خير، ولكن قد يكون فيه شر لبعض الناس وهو شر جزئي إضافي، فأما شر كلي، أو شر مطلق، فالرب منزه عنه، وهذا هو الشر الذي ليس إليه، وأما الشر الجزئي الإضافي، فهو خير باعتبار حكمته؛ ولهذا لا يضاف الشر إليه مفردًا قط، بل إما أن يدخل في عموم المخلوقات، كقوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٠١]، وإما أن يضاف إلى السبب كقوله تعالى: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ [الفلق: ٢]، وإما أن يحذف فاعله، كقول الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝١٠﴾ [الجن: ١٠](٢).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ومما يبين هذا أن الشر لم يرد في أسمائه، وإنما ورد في مفعولاته ولم يضف إليه إلا على سبيل العموم، وأضافه إلى السبب المخلوق أو بحذف فاعله؛ وذلك كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]، و﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ [الفلق: ٢]، وكأسمائه المقترنة مثل: المعطي المانع، الضار النافع، المعز المذل، الخافض الرافع.

وكقوله: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝٨٠﴾ [الشعراء: ٨٠]، وكقوله: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة: ٧]، وكقول الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝١٠﴾ [الجن: ١٠].

وقد ثبت في «صحيح مسلم» عن النبي ﷺ أنه كان يقول في دعاء

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) «الحسنة والسيئة» لابن تيمية (ص: ٤٥).

الاستفتاح: «**والخير بيديك والشر ليس إليك**»[١]، وسواء أريد به أنه لا يضاف إليك، ولا يُتقرب به إليك، أو قيل: إن الشر إما عدم وإما من لوازم العدم، وكلاهما ليس إلى الله، فهذا يبين أنه سبحانه إنما يضاف إليه الخير، وأسماؤه تدل على صفاته، وذلك كله خير حسن جميل ليس فيه شر، وإنما وقع الشر في المخلوقات)[٢].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **وهو يتكلم عن الله تعالى:** (فإن أقواله كلها صدق ورشد وهدى وعدل وحكمة: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥]، وأفعاله كلها مصالح وحِكم ورحمة وعدل وخير، فالشر لا يدخل في أفعاله ولا أقواله ألبتة لخروج الشر عن الصراط المستقيم، فكيف يدخل في أفعال مَن هو على الصراط المستقيم أو أقواله، وإنما يدخل في أفعال من خرج عنه وفي أقواله، وفي دعائه عليه الصلاة والسلام: «**لبيك وسعديك والخير كله بيديك والشر ليس إليك**»[٣]، ولا يُلتفت إلى تفسير من فسره بقوله: والشر لا يُتقرب به إليك، أو لا يصعد إليك. فإن المعنى أجلّ من ذلك وأكبر وأعظم قدرًا، فإن مَنْ أسماؤه كلها حسنى، وأوصافه كلها كمال، وأفعاله كلها حِكم، وأقواله كلها صدق وعدل - يستحيل دخول الشر في أسمائه، أو أوصافه، أو أفعاله، أو أقواله، فطابق بين هذا المعنى وبين قوله: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٦])[٤].

قلت: وقد فسر بعض أهل العلم رحمهم الله تعالى قوله: «**والشر ليس**

(١) تقدم تخريجه.
(٢) «مجموع الفتاوى» (١٧/ ٩٤).
(٣) تقدم تخريجه.
(٤) «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين» (١/ ٤٤).

إليك»[١]، بأنه لا يُتقرب به إليك، وقد تقدم في النقل عن ابن القيم أنه رد هذا القول، وبيَّن أن المعنى أجلّ وأسمى وأرفع من مجرد قولهم هذا.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: (إذا عرفت هذا عرف معنى قوله في الحديث الصحيح: «**لبيك وسعديك والخير في يديك والشر ليس إليك**»[٢]، صحيح وإن معناه أجلّ وأعظم من قول من قال: والشر لا يُتقرب به إليك، وقول من قال: والشر لا يصعد إليك. وأن هذا الذي قالوه وإن تضمن تنزيهه عن صعود الشر إليه والتقرب به إليه فلا يتضمن تنزيهه في ذاته وصفاته وأفعاله عن الشر، بخلاف لفظ المعصوم الصادق المصدق فإنه يتضمن تنزيهه في ذاته تبارك وتعالى عن نسبة الشر إليه بوجهٍ ما لا في صفاته ولا في أفعاله ولا في أسمائه وإن دخل في مخلوقاته، كقوله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق: ١، ٢].

وتأملْ طريقة القرآن في إضافة الشر:

تارة إلى سببه ومَن قام به، كقوله: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة: ١٠٨]، وقوله: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ [النساء: ١٦٠]، وقوله: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ﴾ [الأنعام: ١٤٦]، وقوله: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٧٦﴾ [الزخرف: ٧٦]، وهو في القرآن أكثر من أن يُذكر هاهنا عُشر معشاره، وإنما المقصود التمثيل.

وتارة بحذف فاعله كقوله تعالى حكاية عن مؤمني الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝١٠﴾ [الجن: ١٠]، فحذفوا فاعل الشر ومريده وصرحوا بمريد الرشد، ونظيره في الفاتحة: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة: ٧]، فذكر النعمة مضافة إليه سبحانه، والضلال منسوبًا إلى من قام به، والغضب محذوفًا فاعله. ومثله قول الخضر في السفينة: ﴿فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٧٩]. وفي الغلامين: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةً مِّن رَّبِّكَۚ﴾ [الكهف: ٨٢]، ومثله قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ﴾ [الحجرات: ٧]، فنسب هذا التزيين المحبوب إليه، وقال: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ﴾ [آل عمران: ١٤]، فحذف الفاعل المُزِّين. ومثله قول الخليل ﷺ: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ [الشعراء: ٧٨- ٨٢]، فنسب إلى ربه كل كمال من هذه الأفعال، ونسب إلى نفسه النقص منها وهو المرض والخطيئة.

وهذا كثير في القرآن الكريم ذكرنا منه أمثلة كثيرة في كتاب الفوائد المكية)[1].

قلت: وإن من ينسبون الشر إلى فعل الله تعالى قد أثر فيهم إبليس، فإنه قال كما حكاه الله تعالى عنه: ﴿فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي﴾ [الأعراف: ١٦]، فنسب الغواية إلى فعل ربه جل وعلا، وفي هذا من قلة الأدب مع الله تعالى ما لا يخفى، فالحذر الحذر من أن تنسب الشر إلى فعل الله تعالى.

فإن قلت: كيف تقول هذا الكلام وقد قال النبي ﷺ في حديث جبريل الطويل: «**وتؤمن بالقدر خيره وشره**»[2]، فنسب الشر إلى القدر، وقسمه إلى

---

(١) «بدائع الفوائد» لابن القيم (٢/ ٢١٥).

(٢) تقدم تخريجه.

خير وشر؟

فالجواب: الحق الحقيق بالقَبول والاعتماد أن لفظ (القدر) لا يراد به فعل الله تعالى، بل يراد به (المقدور)، الذي هو فعل العبد، ففعل العبد هو الذي ينقسم إلى خير وشر، وأما القدر الذي هو فعل الله تعالى فإنه خير كله.

فقول النبي ﷺ: «**أن تؤمن بالقدر خيره وشره**» فيه إثبات أن القدر فيه خير وشر، ولكن ما هو القدر الذي يضاف إليه الشر ويوصف بالشر؟ هل هو فعل الله جل وعلا وحكمه وقضاؤه؟ الجواب: لا، إنما الشر في المَقضي المقدر، أما فعل الرب ﷻ فإنه لا شر فيه بوجه من الوجوه، وهذا معنى قول النبي ﷺ في دعاء الاستفتاح: «**لبيك وسعديك، والخير في يديك، والشر ليس إليك**»[1]، فنفى النبي ﷺ إضافة الشر إلى الرب ﷻ، وبه نعلم أنه ليس في أفعال الله جل وعلا شر، ولا في ذاته شر، ولا في أسمائه شر، ولا في شيء من شؤونه ﷻ شر، بل لا يكون منه إلا الخير؛ ولذلك قال: «**والخير في يديك**»، فأثبت الخيرية كلها في يد الله ﷻ، ونفى عنه الشر كله.

فإن قلت: وماذا تقول في حديث القنوت الذي عَلَّمه النبي ﷺ للحسن رضي الله تعالى عنه وفيه: «**وقني شر ما قضيت**»[2]، فنسب الشر إلى القضاء؟

فالجواب: هنا ضابط لا بد من فهمه، وهو: أن كل دليل يقسم القدر والقضاء إلى خير وشر فالمراد به المقدور والمقضي الذي هو فعل العبد،

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه أبو داود، رقم: (١٤٢٥)، و(١٤٢٦) في الصلاة، باب القنوت في الوتر. والترمذي، رقم: (٤٦٤) في الصلاة، باب ما جاء في القنوت في الوتر، والنسائي في قيام الليل، باب الدعاء في الوتر، رقم: (١٧٤٥). قال الألباني: (صحيح).

فقوله: «**شر ما قضيت**» أي: باعتبار المَقضي الذي هو فعل العبد، لا باعتبار القضاء الذي هو فعل الله تعالى.

فإن قلت: وكيف أَنكرتَ على إبليس لما نسب إغواءه إلى الله تعالى في قوله: ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ مع أن الله تعالى قال عن نوح: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ [هود: ٣٤]، فنسب نوح عليه الصلاة والسلام إغواءهم إلى الله تعالى، فلماذا لم تنكر عليه؟

فالجواب: أن الغواية من مرادات الله تعالى الكونية، فقوله عن نوح: ﴿يُرِيدُ﴾، أي: كونًا، فهو كقوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥]، أي: بإرادته الكونية لا الشرعية، فهذه الآية الكريمة إنما هي من النوع الثاني من نوعي الإرادة، وهي الإرادة الكونية التي يعنى بها المشيئة النافذة الشاملة التامة التي تشمل جميع الموجودات، وهي التي يقال فيها ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فلا إشكال ولله الحمد.

ثم اعلم رحمك الله تعالى أن الله لا يُقَدِّر شرًّا محضًا لا خير فيه حتى وإن ظنه بعض الناس لقصر أفهامهم وضعف مدركاتهم أنه من الشر المحض.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: (أما الشر المحض الذي لا خير فيه فذاك ليس له حقيقة، بل هو العدم المحض.

فإن قيل: فإبليس شر محض، والكفر والشر كذلك، وقد دخلوا في الوجود، فأي خير في إبليس وفي وجود الكفر؟

قيل: في خلق إبليس من الحِكم والمصالح والخيرات التي ترتبت على وجوده ما لا يعلمه إلا الله، كما سننبه على بعضه، فالله سبحانه لم يخلقه عبثًا، ولا قصد بخلقه إضرار عباده وهلاكهم، فكم لله في خلقه من حكمة باهرة، وحجة قاهرة، وآية ظاهرة، ونعمة سابغة، وهو وإن كان للأديان

والإيمان كالسموم للأبدان، ففي إيجاد السموم من المصالح والحِكم ما هو خير من تفويتها)[(١)].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في موضع آخر عن خلق إبليس:** (في ذلك من الحِكم ما لا يحيط بتفصيله إلا الله، فمنها: أن يُكمل لأنبيائه وأوليائه مراتب العبودية بمجاهدة عدو الله وحزبه، ومخالفته ومراغمته في الله، وإغاظته وإغاظة أوليائه، والاستعاذة به منه، والالتجاء إليه أن يعيذهم من شره وكيده، فيترتب لهم على ذلك من المصالح الدنيوية والأخروية ما لم يحصل بدونه... ومنها: خوف الملائكة والمؤمنين من ذنبهم بعد ما شاهدوا من حال إبليس ما شاهدوه، وسقوطه من المرتبة الملكية إلى المنزلة الإبليسية يكون أقوى وأتم، ولا ريب أن الملائكة لما شاهدوا ذلك حصلت لهم عبودية أخرى للرب تعالى، وخضوع آخر، وخوف آخر... **إلى أن قال:** فاقتضت الحكمة الإلهية إخراجه وظهوره، فلا بد إذًا من سبب يُظهر ذلك، وكان إبليس محكًّا يُميز به الطيب من الخبيث)[(٢)(٣)].

الفصل الثاني: الحكمة من خلق المعاصي وتقديرها

وهنا يرد سؤال: وكيف يريد الله تعالى أمرًا وهو لا يحبه؟

فالجواب: هذا سؤال مشهور تردده ألسنة الذين لا يعقلون عن الله حكمة ومصلحة ويجعلونه وسيلة للقدح في أفعال الله تعالى وسلب الحِكم والمصالح عنها، وهو مزلق خطير إذا لم يؤخذ جوابه من أهل السنة، فلكم

(١) «شفاء العليل» (ص: ١٨٤).

(٢) «شفاء العليل» (ص: ٢٣٧).

(٣) «القواعد المزاعة» للشيخ وليد السعيدان.

حصل في جوابه من التخبط لما أُخذ عن غيرهم وضل به أقوام كثر، فنسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يهدي ضال المسلمين ويُثبت مطيعهم ويأخذ بنواصينا للبر والتقوى.

فأقول في جوابه وبالله التوفيق:

إنه لابد أولًا أن نفرق بين المرادات، فإن المرادات قسمان: مرادات لذاتها، ومرادات لغيرها.

فالمراد لذاته مطلوب محبوب لذاته، وأما المراد لغيره فإنه قد لا يكون محبوبًا ومطلوبًا لذاته، بل لِما يترتب على وجوده من الحِكم والمصالح.

فالمراد لغيره بالنظر إلى ذاته لا يكون محبوبًا ولا مطلوبًا، وبالنظر إلى ما يترتب عليه يكون مرادًا، فهو مراد لشيء آخر لا أنه مراد لنفسه.

وأضرب لك مثالين على المراد لغيره ليتضح لك الأمر:

الأول: قطع العضو المتآكل الذي يكون في بقائه تلف بقية الأعضاء، فإن الإنسان يذهب بنفسه إلى الطبيب ويمد هذا العضو إليه وهو يعرف أن الطبيب سيقطع هذا العضو من جسده، وهو يريد ذلك القطع. لكن بالله عليك هل هذا المريض يريد هذا القطع لذات القطع - أي لأنه يحب ذلك لنفسه -؟ بالطبع لا، ولكنه أراده لعلمه بآثاره الطيبة ومصالحه المترتبة عليه، فهو أراد القطع لا لذات القطع وإنما أراده لغيره، أي أراده لما يترتب عليه من سلامة بقية الأعضاء، فاجتمع في هذا القطع البغض والحب، فبالنظر إلى ذاته مبغوض مكروه، وبالنظر إلى آثاره محبوب مراد، فهو - أي: القطع - مراد لغيره لا مراد لذاته. ومن ذلك أيضًا تناول الدواء الكريه.

الثاني: قَطْع المسافات والصحارى والقفار وتَحَمُّل الأخطار ومفارقة الأهل والبلد؛ للوصول إلى محبوبه الذي ملك عليه قلبه واستحكم حبه في نفسه، فإن أحدًا لا يريد تعذيب نفسه بذلك لكنه علم أنه لا سبيل للوصال إلا

بهذا الشقاء، فأراد الدخول فيه لا لأنه يريده لذاته وإنما لأنه يعلم بآثاره المترتبة عليه، فقُطْع المسافات وتَحَمُّل المشاق ليس مرادًا لذاته، وإنما المراد لغيره، فهو محبوب من وجه ومبغوض من وجه.

ومن هنا يتبين لنا أن الشيء يجتمع فيه الأمران: بغض من وجه وحب من وجهٍ آخر.

ومن هنا يُعرف الجواب على هذا السؤال الذي طال حوله الجدل وهو أن يقال: إن الأشياء التي أراد الله تعالى وقوعها كونًا وهو لا يحبها ولا يرضاها - هي من قبيل المراد لغيره، لا من قبيل المراد لذاته حتى يرد الإشكال.

فإن الذي يرد هذا الإشكال في ذهنه إنما هو الذي يجعل الأشياء الواقعة كلها من قبيل المراد لذاته وهم الجبرية والقدرية كما ذكرت لك سابقًا أن القاعدة عندهم أن كل شيء يشاؤه فإنه يحبه. وهذا مخالف للنقل والعقل والحس والفطرة.

وأما على قول أهل السنة فإن لا إشكال أبدًا، فكل شيء وقع في الكون فإنه لم يقع إلا بإرادته جل وعلا إذ لا يكون في كونه إلا ما يريد، وهذه الإرادة لا تخلو إما أن تكون لذاتها وإما لغيرها، فالأشياء التي وقعت وهو لا يحبها هي من قبيل الإرادة الكونية، أي من قبيل ما يراد لغيره لا ما يراد لذاته.

فإذا فهمتَ ذلك وفَرَّقت بين المرادين فقد أوتيت خيرًا كثيرًا وكُفيت شرًّا كثيرًا، وهو من هداية الله لك صراطه المستقيم، فاحمد الله على ذلك وأكثِر من شكره ليزيدك توفيقًا وهداية، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ [محمد: ١٧] وقال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧][(١)].

(١) «النونية» للشيخ السعيدان، مخطوط.

الفصل الثالث: خلق إبليس والحكمة من ذلك

إبليس مادة كل فساد في هذه الدنيا في الأديان والاعتقادات والأعمال والشهوات والشبهات، وهو سبب لشقاوة العبد، فخَلْقه ليس مرادًا لذاته، بل مراد لغيره.

وقد تَلَمَّسَ العلماء الحِكم والمصالح من خلقه فذكروا منها ما يلي:

فمنها: أن يظهر للعباد قدرة الرب تبارك وتعالى على خلق المتضادات والمتقابلات، فالذي خلق هذه الذات الفاسدة من كل وجه والتي هي أخبث الذوات والتي هي سبب كل شر - هو الذي خلق ذات جبريل التي هي من أشرف الذوات وأزكاها والتي هي مادة كل خير. فتبارك من خلق هذا وهذا، وذلك كما ظهرت حكمته في خلق الليل والنهار، والحَر والبرد، والماء والنار، والداء والدواء، والموت والحياة، والجنة والنار. وهذا دليل على كمال قدرته وعزته ومُلكه وسلطانه، فإنه خلق هذه المتضادات وقابل بعضها ببعض وسَلَّط بعضها على بعضٍ وجعلها محل تصرفه وتدبيره وحكمته، فخلو الوجود عن بعضها بالكلية تعطيل لحكمته وكمال تصرفه وتدبير مملكته، وهذا يظهر ظهورًا جليًّا لمن له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

ومنها: أن يُكمل الله تعالى لأوليائه مراتب العبودية، وذلك بمجاهدة إبليس وحزبه وإغاظته بالطاعة لله جل وعلا والاستعاذة بالله منه واللجوء إلى الله أن يعيذهم من شره وكيده، فيترتب لهم على ذلك من المصالح الدنيوية والدينية والأخروية ما لا يحصل بدونه. ثم إن المحبة والإنابة والتوكل والصبر والرضا ونحوها أحب أنواع العبودية لله جل وعلا، وهذه إنما تتحقق بالجهاد وبذل النفس وتقديم محبته جل وعلا على كل ما سواه، فكان خلق إبليس سببًا لوجود هذه الأمور.

ومنها: حصول الابتلاء، ذلك أن إبليس خُلق ليكون محكًّا يُمتحن به الخلق ليميز الله الخبيث من الطيب.

ومنها: ظهور آثار أسمائه تعالى ومقتضياتها ومتعلقاتها. فمن أسمائه: الرافع والخافض، والمعز والمذل، والحكم، والتواب، وهذه الأسماء تستدعي متعلقات يظهر فيها أحكامها فكان خلق إبليس سببًا لظهور آثار هذه الأسماء، فلو كان الخلق كلهم مطيعين ومؤمنين لم تظهر آثار هذه الأسماء.

ومنها: خروج ما في طبائع البشر من الخير والشر، فالطبيعة البشرية مشتملة على الخير والشر والطيب والخبث، وذلك كامنٌ فيها كموت النار في الزناد، فخُلق الشيطان مستخرجًا لما في طبائع أهل الشر من القوة إلى الفعل وأُرسلت الرسل تستخرج ما في طبيعة أهل الخير من القوة إلى الفعل، فاستخرج أحكم الحاكمين ما في هؤلاء من الخير الكامن فيهم ليترتب عليه آثاره وما في أولئك من الشر ليترتب عليه آثاره، وتظهر حكمته في الفريقين وينفذ حكمه فيهما ويظهر ما كان معلومًا له مطابقًا لعلمه السابق.

ومنها: ظهور كثير من آياته جل وعلا وعجائب صنعه، فلقد حصل بسبب وقوع الكفر والشر من النفوس الكافرة الظالمة ظهور كثير من الآيات العجائب، كآية الطوفان، وآية الريح، وآية إهلاك ثمود وقوم لوط، وآية انقلاب النار على إبراهيم عليه السلام بردًا وسلامًا، والآيات التي أجراها الله تعالى على يد موسى وعيسى - عليهما الصلاة والسلام -، وغير ذلك من الآيات، فلولا تقدير كفر الكافرين وجحد الجاحدين لَمَا ظهرت هذه الآيات الباهرة. والله أعلم، فهذه بعض من الحِكم والمصالح من خلق إبليس، نعوذ بالله تعالى منه[١].

---

(١) المصدر السابق.

الفصل الرابع:
خلق المصائب وتقديرها والحكمة من ذلك

إنّ هذه الأشياء أيضًا ليست مرادة لذواتها وإنما مرادة لغيرها، فلما يترتب عليها من المصالح والحِكم والغايات المحمودة أرادها الله تعالى.

فمن ذلك: تذكير العباد الذين تنكبوا عن الصراط بقدرته جل وعلا ويملهم عسى أن يُحْدث ذلك في قلوبهم رجوعًا وتوبة، وكم حصل من الخير بسبب هذه الحوادث والآلام من توبة المذنبين وتيقظ الغافلين، وإقبال المعرضين ورجوع الكثير إلى الله تعالى.

قال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الروم: ٤١].

ومنها: استخراج عبودية الضراء وهي الصبر، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦] وهذا لا يتم إلا بأن يُقلب الله الأحوال على العبد حتى يتبين صدق عبوديته لله جل وعلا.

ومنها: تكفير السيئات، فإن العباد كسابون للذنوب كثيرًا وهم خطاءون، ولربما يغفل العبد عن التوبة عن كثير منها، فيُجري الله تعالى هذه المصائب والآلام على العبد، فيصبر فيكون ذلك سببًا لتكفير السيئات عنه.

وفي الحديث: «**لا بأس عليك، كفارة وطهور إن شاء الله**»[(١)]. وفي الحديث أيضًا: «**ما يصيب العبد من هم ولا غم ولا وجع ولا نصب إلا كفر الله عنه من خطاياه حتى الشوكة يشاكها**»[(٢)]، والأحاديث في ذلك كثيرة.

ومنها: حث النفوس وحفز أشواقها إلى الجنة، فإن العبد مع مرور هذه الآلام والمصائب التي تكدر عيشه وتنغص عليه حياته يعلم علم اليقين أن هذه الدار دار تعب ومكابدة ونصب، وأما الجنة فإنها دار الراحة المطلقة فلا تعب فيها ولا نصب، فيشمر العبد بالاجتهاد في العمل الصالح لنيل هذه الدار الكريمة الغالية، ولو أن الدنيا لم يكن فيها ذلك لما كان هناك كبير فرق، ولنسي العبد الجنة، فانظر إلى الحكمة العظيمة والغاية النبيلة.

ومنها: تقوية الرابطة بين العبد وربه جل وعلا وعلمه بضعفه، فإن هذه المصائب والآلام يعلم العبد أنه لا خلاص له منها ولا مخرج له عنها إلا بصدق الالتجاء إلى ربه جل وعلا، فيكون العبد دائم الذكر ودائم الدعاء والتضرع إلى الله، وهذا أمر يحبه الله من العبد، بل هو حقيقة العبادة، فالعبد مفتقر إلى الله تعالى الافتقار الذاتي، كما أنه جل وعلا هو الغني الغنى الذاتي، فلا يمكن في حال من الأحوال أن يزول وصف الافتقار إلى الله تعالى من العبد، كما أنه لا يمكن ولا يُتصور ويستحيل الاستحالة

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» في كتاب المناقب، بَابُ عَلاَمَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الإِسْلاَمِ (٣٦١٦)، كتاب المرضى، بَابُ عِيَادَةِ الأَعْرَابِ (٥٦٥٦)، بَابُ مَا يُقَالُ لِلْمَرِيضِ، وَمَا يُجِيبُ (٥٦٦٢)، كتاب التوحيد، بَابُ فِي المَشِيئَةِ وَالإِرَادَةِ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ (٧٤٧٠).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» في كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض (٥٦٤١).

المطلقة أن يزول وصف الغنى عن الله جل وعلا.

ومنها: الدخول في زمرة المحبوبين لله جل وعلا، فالمبتلَون يدخلون في زمرة المحبوبين المُشَرَّفين بمحبة الله جل وعلا، فإن الله تعالى إذا أحب قومًا ابتلاهم،

وقد جاء ذلك في السنة كما في قوله ﷺ: «**إن عِظم الجزاء مع عِظم البلاء، وإن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم، فمَن رضي فله الرضا ومَن سخط فله السخط**»[١].

وغير ذلك من الحِكم والمصالح التي لا يحيط بها على التفصيل إلا الله جل وعلا، والله أعلم[٢].



---

(١) **حسن**: أخرجه الترمذي في سننه في كتاب الزهد، بَابُ مَا جَاءَ فِي الصَّبْرِ عَلَى البَلَاءِ، (٢٣٩٦)، وابن ماجه في «سننه» في كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء (٤٠٣١)، وأبو يعلى في «مسنده» (٤٢٥٣)، والبيهقي في «الآداب» (٧٢١)، وفي «شعب الإيمان» له (٩٣٢٥)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١١٢١)، وابن بشران في «أماليه» (٢٤٣) من طريق: يزيد بن أبي حبيب، عن سعد بن سنان، عن أنس بن مالك، به.

فالإسناد حسن، ففيه سعد بن سنان، هو صدوقٌ له أفراد، ويحسن حديثه.

قال الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ».

(٢) «النونية» للشيخ السعيدان، مخطوط.

الفصل الخامس: ضرورة معرفة السبب الذي أوقع الجبرية والقدرية فيما وقعوا فيه حتى نحذره

هذا سؤال مهم جدًّا؛ لأننا إذا عرفنا سبب الضلال حذرناه وابتعدنا عنه فأقول: اعلم أن القدرية والجبرية كانوا أخوين يمشيان في طريق واحد، وعندهم قاعدة قد أصلوها واعتمدوها، وهي أن كل شيء يشاؤه الله فهو يحبه، فالمشيئة عندهم مرادفة للمحبة.

إلى هنا وهم متفقون، لكن لما نظروا إلى الأشياء الموجودة في الكون وجدوا فيها الكفر والشرك والبدعة والزنا وشرب الخمور وعقوق الوالدين والسرقة ونحو ذلك من الآثام.

فقالت الجبرية: بما أن هذه الأشياء قد شاءها الله وأوجدها فهو يحبها ونحن مجبورون على فعلها، فترى الواحد منهم يقارف الذنب ويرى أنه يفعل عين ما يحبه الله تعالى؛ لأن الله شاءه وكل شيء يشاؤه فهو يحبه.

وأما القدرية فإنهم لما نظروا إلى نتيجة هذه القاعدة وقفوا متحيرين وتعاظموا أن يقولوا: إن الله يحب الكفر والزنا واللواط والخمر ونحو ذلك؛ لأن وجودها في الكون دليل المشيئة لها والمشيئة عندهم مرادفة للمحبة فقالوا: لا حل عندنا إلا أن نقول: إن العبد هو الذي يخلق هذه الأفعال وإن الله تعالى لم يشأها منه ولا أرادها أن تقع في الكون، لكن العبد هو الذي أوجدها بنفسه استقلالًا. وهم بذلك قد وقعوا في شر مما فروا منه. فأنت ترى أن سبب ضلال هاتين الفرقتين هو أنهم جعلوا مشيئة الله وإرادته شيئًا واحدًا لا ينقسم وأنها مرادفة للمحبة ولهذا لزم عليهم هذه اللوازم الباطلة. فالجبرية والقدرية اتفقوا في الأصل والقاعدة، واختلفوا لما ظهرت نتائجها.

فالجبرية رضيت بها، وأما القدرية فرفضت هذه النتيجة، لكن القدرية لم يتجرءوا على تغيير هذه القاعدة واستطاعوا تحريف كلام الله وكلام رسوله ﷺ ليتوافق مع أهوائهم ومذاهبهم، فنعوذ بالله من أسباب الضلال ونسأله جل وعلا أن يهدينا رشدنا.

وأما أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى فإنهم يقسمون إرادة الله تعالى إلى قسمين: - إلى إرادة كونية، وهي المرادفة للمشيئة. وإلى إرادة شرعية دينية، وهي المرادفة للمحبة، فليست الإرادة عندهم شيئًا واحدًا؛ ولذلك لم يقعوا في الضلال الذي وقع فيه أهل البدع من الجبرية والقدرية، والحمد لله على هذه الهداية والتوفيق، والله أعلم[١].

الفصل السادس: الرضا بقدر الله، وحكم ذلك

لقد أجمع أهل السنة رحمهم الله تعالى على أن الحكيم من أسماء الله تعالى، وأجمعوا على أن الحكم من صفاته، وأجمعوا على أنها من صفاته الذاتية، وأجمعوا على أنه ما من فعل يفعله الله تعالى إلا وله فيه الحكمة البالغة، وأجمعوا على أنه ليس من أفعال الله تعالى ما يقال فيه: (إنه عبث لا حكمة فيه) وأجمعوا على أن الله تعالى لا يأمر إلا بما فيه مصلحة خالصة أو راجحة، ولا ينهى إلا عما فيه مفسدة خالصة أو راجحة، وأجمعوا على أن الشريعة جاءت لتقرير المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها. وأجمعوا على أن أفعاله جل وعلا كلها خير لا شر فيها، وأن الشر في المقدور لا في القدر، وفي المَقضي لا في القضاء.

---

(١) المصدر السابق.

وقد نزه الله تعالى نفسه عن العبث فقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾ [المؤمنون: ١١٥، ١١٦]، وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ [القيامة: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾﴾ [ص: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الأنبياء: ١٦- ١٨].

وهذا الأمر هو الذي تيقنه عباد الله تعالى الصالحون المتأملون والمتفكرون في خلق السماوات والأرض: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١].

والنصوص في هذا المعنى كثيرة، وكلها تدل على أن الله تعالى لم يخلق الخلق باطلًا وعبثًا وسُدى، وأنه تعالى عن فعل ما لا حكمة فيه ولا غاية ولا مصلحة، وأن أفعاله كلها نابعة عن الحِكم والغايات المحمودة والمصالح العظيمة.

وإن مِن أكذب الكذب وأبعد الأشياء عن الحق هو قول من قال من أهل البدع: (إن الله تعالى يفعل لا لحكمة، ولا لغاية، ولا لمصلحة، بل يجوز على الله تعالى أن يأمر بما نهى عنه، وأن ينهى بما أمر به...) إلى آخر هذيانهم الذي نستحيي من الله تعالى أن نحكيه، فلا تعليل ولا حكمة في أفعال الله تعالى عند هؤلاء.

وهو قول الأشاعرة الجبرية، فإنهم في باب القدر يقال لهم: الجبرية، ينفون

عن أفعال الله تعالى الحِكم والتعليل، ثم يَدّعون مع ذلك أنهم عرفوا الله تعالى حق معرفته، والله لقد كذبوا.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (وكيف يتوهم أنه عرفه من يقول: إنه لم يخلق لحكمة مطلوبة له، ولا أَمَرَ لحكمة، ولا نَهَى لحكمة، وإنما يَصدر الخلق والأمر عن مشيئة وقدرة محضة لا لحكمة ولا غاية مقصودة، وهل هذا إلا إنكار لحقيقة حمده؟

بل الخلق والأمر إنما قام بالحِكم والغايات، فهما مظهران لحمده وحكمته، فإنكار الحكمة إنكار لحقيقة خلقه وأمره، فإن الذي أثبته المنكرون من ذلك يُنَزَّه عنه الرب ويتعالى عن نسبته إليه.

فإنهم أثبتوا خلقًا وأمرًا لا رحمة فيه ولا مصلحة ولا حكمة، بل يجوز عندهم أو يقع أن يأمر بما لا مصلحة للمكلف فيه البتة، وينهى عما فيه مصلحته، والجميع بالنسبة إليه سواء، ويجوز عندهم أن يأمر بكل ما نهى عنه، وينهى عن جميع ما أمر به. ولا فرق بين هذا وهذا إلا لمجرد الأمر والنهي.

ويجوز عندهم أن يُعَذِّب من لم يعصه طرفة عين؛ بل أفنى عمره في طاعته وشكره وذكره، ويُنَعِّم من لم يطعه طرفة عين؛ بل أفنى عمره في الكفر به والشرك والظلم والفجور، ولا سبيل إلى أن يُعرف خلاف ذلك منه إلا بخبر الرسول، وإلا فهو جائز عليه.

وهذا من أقبح الظن وأسوئه بالرب تعالى، وتنزيهه عنه كتنزيهه عن الظلم والجور، بل هذا هو عين الظلم الذي يتعالى الله عنه.

والعجب العجاب أن كثيرًا من أرباب هذا المذهب ينزهونه عما وصف به نفسه من صفات الكمال ونعوت الجلال، ويزعمون أن إثباتها تجسيم وتشبيه، ولا ينزهونه عن هذا الظلم والجور، ويزعمون أنه عدل وحق، وأن

التوحيد عندهم لا يتم إلا به؛ كما لا يتم إلا بإنكار استوائه على عرشه وعلوه فوق سماواته؛ وتكلمه وتكليمه؛ وصفات كماله؛ فلا يتم التوحيد عند هذه الطائفة إلا بهذا النفي وذلك الإثبات)[١].

وحكى قول هذه الطائفة التالفة في موضع آخر فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: (الفرقة الثانية: الذين أثبتوا له الملك وعطلوا حقيقة الحمد، وهم الجبرية نفاة الحكمة والتعليل؛ القائلون بأنه يجوز عليه كل ممكن، ولا يُنزه عن فعل قبيح، بل كل ممكن فإنه لا يقبح منه، وإنما القبيح المستحيل لذاته، كالجمع بين النقيضين، فيجوز عليه تعذيب ملائكته وأنبيائه ورسله وأهل طاعته، وإكرام إبليس وجنوده وجعلهم فوق أوليائه في النعيم المقيم أبدًا، ولا سبيل لنا إلى العلم باستحالة ذلك إلا من نفي الخالق في خبره فقط.

فيجوز عندهم أن يأمر بمسبته ومسبة أنبيائه، والسجود للأصنام، والكذب والفجور، وسفك الدماء، ونهب الأموال، وينهى عن البر والصدق والإحسان والعفاف، ولا فرق في نفس الأمر بين ما أمر به ونهى عنه إلا التحكم بمحض المشيئة، وأنه أمر بهذا ونهى عن هذا، من غير أن يكون فيما أمر به صفة حسن تقتضي محبته والأمر به، ولا فيما نهى عنه صفة قبح تقتضي كراهته والنهي عنه)[٢].

فانظر كيف يقول هؤلاء، نعوذ بالله تعالى من الخِذلان، فعندهم أن الله تعالى أمر بالتوحيد لا لمصلحة ولا لحكمة في التوحيد، ونهى عن الشرك لا عن مفسدة ولا عن حكمة، فلو عكس الأمر فأمر بالشرك ونهى عن التوحيد لكان ذلك سائغًا، وهكذا لو عكس في كل الشرع فقلب الأمور إلى منهي،

---

(١) «شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل» (ص: ١٩٩).

(٢) «شفاء العليل» (ص: ٢٢٠).

والمنهي إلى مأمور لساغ ذلك عندهم، ألا فأخزاهم الله تعالى وأبعدهم وأقصاهم، تالله أي عقل يقبل هذا القول؟!

فإننا والله نحن البشر لا نقبله علينا، فكيف تُجَوزونه على الله تعالى، فهذا نقص في المخلوق لا كمال فيه، والمتقرر أن كل نقص في المخلوق لا كمال فيه فالله تعالى أحق بالتنزيه عنه، ولأنه مذهب مكذب للأدلة والنصوص الكثيرة التي تنفي عن الله تعالى أن يخلق أو يُقدر أو يُشرع الشيء عبثًا باطلًا لا حكمة ولا مصلحة فيه، وأي تكذيب للأدلة بعد هذا التكذيب؟! نعوذ بالله من هذا القول الخبيث.

ولذلك فالحق أن ما أمر الله تعالى به أمر وجوب أو أمر ندب فإنما أمر به لمصلحة عظيمة، وحكمة متناهية، وغاية حميدة. وما قَدَّر الله تعالى وقوعه في هذا الكون فإنما قَدّره لحكمة، وحتى وإن كان في ظاهره أنه شر باعتبار فعل المخلوق له، ولكنه في حقيقة الأمر باعتبار تقدير الله تعالى له فإنه لا يكون إلا خيرًا، كما قال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الروم: ٤١].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وهو سبحانه قَدَّر الأشياء لحكمة، فهي لاعتبار تلك الحكمة محبوبة مَرضية، وقد تكون في نفسها مكروهة ومسخوطة، إذ الشيء الواحد يجتمع فيه وصفان يُحَب من أحدهما ويُكْرَه من الآخر كما في الحديث الصحيح: «**ما ترددتُ عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه**»[١].

ويجب علينا معاشر المسلمين أن نستحضر دائمًا أن الله تعالى أرحم بنا من أمهاتنا، فما قَدَّره الله تعالى لنا وعلينا فإنه خير لنا.

---

(١) أخرجه البخاري في الرقاق، باب التواضع، رقم: (٦٥٠٢).

ففي الصحيحين من حديث عمر رضي الله تعالى عنه أنه قدم على النبي ﷺ سبي، فإذا امرأة من السبي قد تَحَلَّبَ ثديها تسعى، فإذا وجدت صبيًّا في السبي ألصقه ببطنها، فقال النبي ﷺ: «**أتظنون أن هذه طارحة ولدها في النار؟**» قالوا: لا يا رسول الله وهي تقدر على أن لا تفعل، فقال: «**لَله تعالى أرحم بعباده من هذه بولدها**»[١].

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لله تعالى مائة رحمة، أنزل منها في الأرض رحمة واحدة، فبها يتراحمون وبها يتعاطفون، وبها تعطف الوحش على ولدها، وأخر عنده تسعًا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة**»[٢].

ولمسلم من حديث سلمان: «**فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة**»[٣].

وفي الحديث في الصحيحين: «**لو يعلم الكافر ما عند الله تعالى من الرحمة لما قنط من رحمته أحد، ولو يعلم المؤمن ما عند الله تعالى من العقوبة لما أمن من مكره أحد**»[٤].

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، رقم: (٥٩٩٩)، ومسلم رقم: (٢٧٥٤) في الفضائل، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب، باب جعل الله الرحمة في مائة جزء، رقم: (٦٠٠٠)، وفي الرقاق، باب الرجاء مع الخوف، رقم: (٦٤٦٩)، ومسلم رقم: (٢٧٥٢) في التوبة، باب سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، والترمذي رقم (٣٥٣٥)، و(٣٥٣٦) في الدعوات، باب رقم (١٠٧)، و(١٠٨).

(٣) أخرجه مسلم رقم: (٢٧٥٢) في التوبة، باب سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه.

(٤) أخرجه مسلم، رقم (٢٧٥٥) في التوبة، باب في سعة الله رحمة الله تعالى، والترمذي رقم: (٣٥٣٦) في الدعوات، باب عِظم العقوبة وعِظم الرجاء.

فالله تعالى لا يريد بنا إلا الخير، وهذا لا يكون إلا إذا قمنا بواجب إحسان الظن بالله تعالى، فإن إحسان الظن بالله تعالى في كل تقدير له يُجريه في كونه من الواجبات.

وإن العلماء متفقون على وجوب إحسان الظن بالله تعالى، ومتفقون على تحريم سوء الظن به، قال تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۝٦﴾ [الفتح: ٦]، وقال النبي ﷺ: «**لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله تعالى**». أخرجه مسلم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما[١].

فأي تقدير قدره الله تعالى عليك فالواجب عليك فيه عدة أمور:

الأول: أن تعلم أنه من الله تعالى.

والثاني: إن كان هذا القدر من أقدار الخير لك فاحمد الله تعالى، وأكثِرْ من شكره والثناء عليه، واستعمله في الطاعة والقربة.

والثالث: إن كان هذا القدر من الأقدار المؤلمة، فعامله بالصبر والرضا واحتساب الأجر، ولا تجزع.

والرابع: أن تعلم أن لله تعالى في هذا التقدير الحكمة البالغة، والمصلحة المتناهية، والغاية الحميدة، وأن تعلم أنه ما أراد بك إلا خيرًا، حتى وإن كان ظاهره شرًّا بالنسبة لك.

والخامس: أن تحسن الظن بربك، وأن تحذر من الوقوع في سوء الظن

---

(١) رقم: (٢٨٧٧) في صفة الجنة، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت. ورواه أبو داود، رقم: (٣١١٣) في الجنائز، باب ما يستحب من الظن بالله تعالى عند الموت.

بالله تعالى.

هذا هو ما ندين الله تعالى به ونعتقده بقلوبنا، وننطقه بألسنتنا، ونُعَلِّمه لطلابنا، والله الموفق والهادي(١).

إذن الرضا بالقدر واجب لأنه من تمام الرضا بربوبية الله، فيجب على كل مؤمن أن يرضى بقضاء الله، ولكن المَقضي هو الذي فيه التفصيل فالمقضي غير القضاء؛ لأن القضاء فعل الله، والمَقضي مفعول الله.

فالقضاء الذي هو فعل الله يجب أن نرضى به، ولا يجوز أبدًا أن نسخطه بأي حال من الأحوال.

وأما المقضي فعلى أقسام:

القسم الأول: ما يجب الرضا به.

القسم الثاني: ما يحرم الرضا به.

القسم الثالث: ما يستحب الرضا به.

فمثلًا: المعاصي من مقضيات الله ويحرم الرضا بالمعاصي، وإن كانت واقعة بقضاء الله. فمَن نظر إلى المعاصي من حيث القضاء الذي هو فعل الله يجب أن يرضى، وأن يقول: (إن الله تعالى حكيم، ولولا أن حكمته اقتضت هذا ما وقع) وأما من حيث المقضي وهو معصية الله فيجب ألا ترضى به والواجب أن تسعى لإزالة هذه المعصية منك أو من غيرك.

وقسمٌ من المقضي يجب الرضا به: مثل الواجب شرعًا لأن الله حكم به كونًا وحكم به شرعًا، فيجب الرضا به من حيث القضاء ومن حيث المقضي.

وقسمٌ ثالث يستحب الرضا به ويجب الصبر عليه: وهو ما يقع من المصائب،

---

(١) «القواعد المزاعة» للسعيدان.

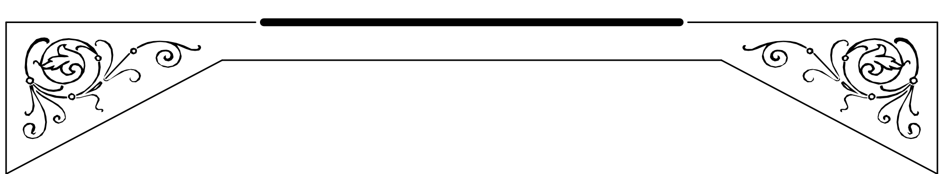
فما يقع من المصائب يُستحب الرضا به عند أكثر أهل العلم ولا يجب، لكن يجب الصبر عليه. والفرق بين الصبر والرضا أن الصبر يكون الإنسان فيه كارهًا للواقع، لكنه لا يأتي بما يخالف الشرع وينافي الصبر. والرضا لا يكون كارهًا للواقع فيكون ما وقع وما لم يقع عنده سواء. فهذا هو الفرق بين الرضا والصبر؛ ولهذا قال الجمهور: إن الصبر واجب، والرضا مستحب.

أما قول السائل: هل الدعاء يرد القضاء؟

فجوابه: أن الدعاء من الأسباب التي يحصل بها المدعو، وهو في الواقع يرد القضاء ولا يرد القضاء، يعني له جهتان: فمثلًا: هذا المريض قد يدعو الله تعالى بالشفاء فيشفى، فهنا لولا هذا الدعاء لبقي مريضًا، لكن بالدعاء شفي، إلا أننا نقول: إن الله ﷻ قد قضى بأن هذا المرض يشفى منه المريض بواسطة الدعاء فهذا هو المكتوب، فصار الدعاء يرد القدر ظاهريًّا، حيث إن الإنسان يظن أنه لولا الدعاء لبقي المرض، ولكنه في الحقيقة لا يرد القضاء؛ لأن الأصل أن الدعاء مكتوب وأن الشفاء سيكون بهذا الدعاء، هذا هو القدر الأصلي الذي كُتب في الأزل، وهكذا كل شيء مقرون بسبب فإن هذا السبب جعله الله تعالى سببًا يحصل به الشيء وقد كتب ذلك في الأزل من قبل أن يحدث[1].



(١) «مجموع فتاوى ورسائل العثيمين» (٢/ ٩٣).



المبحث الثالث: إشكالات حول القدر

وتحته ثلاثة فصول:

الفصل الأول: مسألة القدر المُثبَت والقدر المعلق أو المحو والإثبات في القدر، وزيادة العمر ونقصانه

اعلم - رحمك الله تعالى - أن القدر نوعان:

الأول: القدر المثبت أو المطلق أو المبرم.

القدر المثبت أو المطلق أو المبرم، ويراد به ما قد كُتب في أم الكتاب، أي اللوح المحفوظ فإن هذا التقدير ثابت لا يتبدل ولا يتغير ولا يزاد فيه ولا ينقص، وهذا هو المراد بقوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٣٩].

وبناءً عليه فالآجال والأرزاق والأعمال وغيرها التي كُتبت في أم الكتاب ثابتة لا يعتريها شيء من التغيير والتبديل.

الثاني: القدر المعلق أو المقيد.

القدر المعلق أو المقيد، وهو ما في صحف الملائكة، فهذا هو الذي يقع فيه المحو والإثبات، فإن الله تعالى قد أمر المَلَك أن يكتب له أجلًا، وقال: إن وصل رحمه زدته كذا وكذا. والملك لا يعلم أيزداد أم لا؟ لكن الله تعالى يعلم ما يستقر عليه الأمر، فإذا جاء الأجل لا يتقدم ولا يتأخر، وكذلك يقال في الأرزاق والمصائب ونحوها، فإنه قد يُثبت منها أشياء في

الكتب التي بأيدي الملائكة، وقد يمحى منها أشياء.

وذلك كله داخل تحت قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الرعد: ٣٩] فهذا المحو والإثبات إنما يكون في الصحف التي بأيدي الملائكة، وكل ذلك قد كُتب في أم الكتاب، أعني الأقدار وأسبابها، فلا تبديل ولا محو ولا إثبات فيما كُتب في اللوح المحفوظ، والله أعلم[١].

الفصل الثاني: الإنسان بين التسيير والتخيير

يَرِد كثيرًا في كتب الفلسفة، وعلم الكلام، وفي كتابات بعض المتأخرين: هل الإنسان مسير أو مخير؟

وهناك من يجيب عن هذا السؤال بأن الإنسان مسير لا مخير، كما أن هناك من يجيب بأنه مخيَّر لا مُسَيَّر.

والحقيقة أن الإجابة عن هذا السؤال بهذا الإطلاق خطأ؛ ذلك أن الإجابة تحتاج إلى بعض التفصيل نوضحها الآن[٢]:

هل العبد مسير أو مخير؟ فأقول: إن فهم الجواب هنا مبني على فهم مذاهب أهل القبلة في باب القدر:

فأما الجبرية فإنهم يقولون: (إن العبد لا قدرة له ولا طاقة ولا مشيئة له على اختيار فعله)، فعلى هذا فالعبد مسير مطلقا عند الجبرية.

وأما القدرية فإنهم يعطون العبد الإرادة الكاملة المستقلة عن أي شيء، فله الاختيار المستقل لأنه هو الذي يخلق فعله، فهو الذي يختار فعله بنفسه، وعلى هذا فالعبد عند القدرية مخير.

---

(١) «شرح النونية» مخطوط.

(٢) «الإيمان بالقضاء والقدر» (ص: ١٢٤).

وأما أهل السنة رحمهم الله تعالى فإنهم يجعلون للعبد قدرة واختيارًا ومشيئة، فهو مخير، ولكن هذه القدرة وهذا الاختيار وهذه المشيئة - مربوطة بما سبق به العلم وسبقت به الكتابة والمشيئة من الله تعالى، فهو على هذا مسير، فأهل السنة رحمهم الله تعالى يقولون: العبد مسير ومخير، فهو مسير باعتبار سبق العلم والكتابة فإنه لا يمكن أن يسير على خلاف ما سبق به العلم وخط به قلم اللوح المحفوظ، فهو بهذا الاعتبار مسير، ولكنه مخير أيضًا باعتبار أنه يختار فعله الاختياري بنفسه، ولا أحد يُلزمه بكثير من أفعاله.

وأضرب لك بعض الأمثلة الموضحة، ولعلها أن تكون من واقعنا، فأقول: لو أنك خُيرت في الزواج بين امرأتين، وكلتاهما تحملان الصفات المطلوبة شرعًا، فأنت مخير بينهما، فالزواج بإحداهما أنت مخير فيه، ولا أحد يلزمك بواحدة منهما، فنقول: أنت مخير في هذا الفعل باعتبار دخوله تحت اختيارك ومشيئتك، ولكن اعلم أنك لن تتزوج إلا المرأة التي سبق بها علم الله تعالى واختياره ومشيئته، فهذا الفعل وهو الزواج بإحدى المرأتين فيه متعلقان.

أنت مخير بالنظر في أحدهما ومسير بالنظر في الآخر:

فالنظر الأول نظر باعتبار ما كتبه الله تعالى لك، وما اختاره في اللوح المحفوظ لك، وما سبق به العلم وخط في الإمام المبين قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وما سبقت به الكتابة لك وأنت في بطن أمك، فأنت مسير بهذا الاعتبار.

وأما بالنظر الثاني فهو لأن هذا الفعل داخل تحت إرادتك أنت في الزواج بإحداهما، فهل بالله عليك ترى أنك مضطر ومقهور على فعلك هذا؟ بالطبع لا، بل أنت لك الاختيار بينهما، فإن اخترت هذه دون هذه فتكون قد رجحت جانبًا على جانب بمحض اختيارك أنت، فأنت بهذا النظر مخير،

فأنت مخير باعتبار دخول الفعل تحت اختيارك، ومسير باعتبار ما سبق به العلم وتقدمت به الكتابة.

ومثال آخر: لو أتيت إلى طريق يتفرع إلى يمين وشمال، ووقفت قليلًا، فأنت مخير باعتبار اختيار الجهة التي تريدها، ولا أحد يلزمك أن تذهب يمينًا أو شمالًا، فأنت بهذا الاعتبار مخير، أي: باعتبار دخول الفعل هذا تحت اختيارك، ولكن اعلم أنك لن تذهب إلا إلى الجهة التي قدرها الله تعالى لك وسبق العلم بها وتقدمت الكتابة فيها في اللوح المحفوظ.

ومثال ثالث: لو خُيرت بين وظيفتين، لك أن تتوظف في هذه أو تتوظف في الأخرى، فلأن اختيار واحدة منهما داخل تحت مشيئتك واختيارك نقول: أنت مخير، ولكن اعلم أنك لن تختار إلا الوظيفة التي سبق بها العلم والكتابة، فأنت باعتبار سبق العلم والكتابة مسير، وباعتبار دخول الفعل تحت اختيارك مخير.

فأهل السنة رحمهم الله تعالى لا يقولون: (إن العبد مخير مطلقًا) كما تقوله القدرية، ولا يقولون: (إن العبد مسير مطلقًا)، كما تقوله الجبرية. بل يقولون: (إن العبد مسير ومخير)، وهذا لضرورة الإيمان بسبق العلم والكتابة والمشيئة الصادرة من الله تعالى، ولضرورة الإيمان بأن العبد له قدرة واختيار على فعله، فهو مسير باعتبار سبق العلم والكتابة في اللوح المحفوظ، ومخير باعتبار دخول الفعل تحت قدرته واختياره.

وهذا هو جواب هذا السؤال الذي حارت فيه كثير من عقول الخلق، ومذهب أهل السنة في هذه المسألة متوسط بين مذاهب أهل القبلة؛ لأن أهل السنة وسط بين فِرق الأمة كوسطية الأمة بين الأمم، والله أعلم(١).

---

(١) «شرح النونية» مخطوط.



الفصل الثالث: باب: يجوز الحديث في القدر أم لا؟[١]

وصورة المسألة: أنه لا ينبغي الحديث في مسائل القدر مطلقًا، بحجة أن ذلك يبعث على الشك والحيرة، وأن هذا الباب زلّت به أقدام، وضلَّت به أفهام.

والكلام هكذا – على إطلاقه – غير صحيح، لأمور عديدة، منها:

١- أن الإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان: ولا يتم إيمان العبد إلا به، فكيف يُعرف إذا لم يُتحدث عنه، ويُبيَّن للناس أمره؟!

٢- أن القرآن الكريم مليءٌ بذكر القدر وتفاصيله: والله ﷻ أمرنا بتدبر القرآن وعَقْلِه، كما في قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص: ٢٩]، وقوله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٤].

فما الذي يُخرج الآيات التي تتحدث في القدر عن هذا العموم؟!

٣- أن الإيمان بالقدر ورد في أعظم حديث في الإسلام: وهو حديث جبريل عليه السلام وكان ذلك في آخر حياة النبي ﷺ وقد قال في آخر الحديث: «**فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**»[٢].

فمعرفته – إذًا – من الدين، وهي واجبة ولو على سبيل الإجمال.

٤- أن الصحابة سألوا النبي ﷺ عن أدق الأمور في القدر: كما جاء في حديث جابر في «صحيح مسلم» عندما جاء سراقة بن مالك بن جعشم إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله بيِّن لنا ديننا كأنا خلقنا الآن، فيم العمل اليوم؟ أفيم

---

(١) من «الإيمان بالقضاء والقدر» للشيخ محمد بن إبراهيم الحمد، بارك الله فيه.

(٢) رواه مسلم (٨).

جفت به الأقلام وجرت المقادير؟ أم فيما نستقبل؟ قال: «**لا، بل فيما جفت به الأقلام، وجرت المقادير**» قال: ففيم العمل؟ فقال: «**اعملوا فكل ميسر**». وفي رواية: «**كل عامل ميسر لعمله**»(١).

٥- أن الصحابة علَّموا تلاميذهم - من التابعين - ذلك: وسألوهم؛ ليختبروهم، وينظروا في فهمهم لهذا الباب، كما جاء في «صحيح مسلم» أن أبا الأسود الدؤلي قال: قال لي عمران بن الحصين: «أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه، أشيء قُضي عليهم ومضى عليهم من قَدَرِ ما سبق؟ أو فيما يُستقبلون به مما أتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم؟ فقلت: بل شيءٌ قُضي عليهم. قال: فقال: أفلا يكون ظلمًا؟ قال: ففزعت من ذلك فزعًا شديدًا، قلت: كل شيء خَلْق الله، ومِلْك يده، فلا يُسأل عما يفعل وهم يسألون. فقال لي: يرحمك الله، إني لم أُرِدْ بما سألتك إلا لأَحْزُر(٢) عقلك»(٣).

٦- أن أئمة السلف الصالح من العلماء كتبوا في هذا الباب: بل وأطنبوا فيه، فلو قلنا بمنع الحديث عن القدر لضَلَّلناهم وسَفَّهْنَا أحلامهم.

٧- لو تركنا الحديث عن القدر لجهل الناس به: ولربما انفتح الباب لأهل البدعة والضلالة؛ ليروجوا باطلهم، ويَلبسوا على المسلمين دينهم.

---

(١) مسلم (٢٦٤٨).

(٢) الحَزْر: التقدير، والحَدْسُ، وإعمال الرأي، والمراد هنا: أني أردت أن أمتحن عقلَك، وأقدِّرَ ما وصلت إليه وأُعمل رأيي في معرفة مدى فهمك.
انظر: «معجم مقاييس اللغة» لابن فارس (٢/ ٥٥)، و«لسان العرب» لابن منظور (٤/ ١٨٥، ١٨٦)، و«صحيح مسلم بشرح النووي» (١٦/ ١٩٩).

(٣) مسلم، باب القدر (٢٦٥٠).

٨- **فوات العلم والخير:** فلو تركنا الحديث عن القدر وعن ثمراته لفاتنا علم غزير وخير كثير.

فإن قيل: كيف نجمع بين هذا وبين ما ورد في ذم الخوض في القدر، كما في قوله كما في حديث ابن مسعود: «إذا ذُكر أصحابي فأمسكوا، وإذا ذُكر النجوم فأمسكوا، وإذا ذُكر القدر فأمسكوا»(١).

وكذلك ما ورد أن النبي ﷺ غضب غضبًا شديدًا عندما خرج على أصحابه يومًا وهم يتنازعون في القدر، حتى احمرَّ وجهه، حتى كأنما فُقئ في وجنتيه حَبُّ الرمان، فقال: «**أبهذا أُمرتم؟ أم بهذا أُرسلت إليكم؟ إنما أهلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر؛ عزمت عليكم ألا تنازعوا فيه**»(٢).

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٠/ ٢٤٣) (١٠٤٤٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ١٠٨).

وقال أبو نعيم: «غريب من حديث الأعمش تفرد به عنه مسهر».

وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٠٢): «وفيه مسهر بن عبد الملك، وثقه ابن حبان وغيره وفيه خلاف، وبقية رجاله رجال الصحيح».

وقال العراقي في «المغني عن حمل الأسفار» (١/ ٤١): «إسناده حسن».

وحَسَّنه ابن حجر في «الفتح» (١١/ ٤٨٦)، ورمز لحسنه السيوطي في «الجامع الصغير فيض القدير» (١/ ٣٤٨).

وقال الألباني في صحيح الجامع رقم (٥٤٥): «صحيح».

وانظر: «السلسلة الصحيحة» (١/ ٤٢) (٣٤).

وقال المباركفوري في «تحفة الأحوذي» (٦/ ٣٣٦): «إسناده حسن».

وهذا الحديث جاء من حديث ثوبان بلفظه عند الطبراني في «الكبير» (٢/ ٩٦) (١٤٢٧).

وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٠٢): «وفيه يزيد بن ربيعة، وهو ضعيف».

(٢) أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة من كتاب القدر، باب ما جاء في التشديد =

فالجواب عن ذلك: أن النهي الوارد مُنْصَبٌّ على الأمور الآتية:

١- الخوض في القدر بالباطل وبلا علم ولا دليل: قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦]، وقال عن المجرمين: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [المدثر: ٤٢- ٤٥].

٢- الاعتماد في معرفة القدر على العقل البشري القاصر: بعيدًا عن هدي الكتاب والسنة؛ ذلك أن العقل البشري لا يستقل بمعرفة ذلك على وجه التفصيل؛ لأن له حدودًا وطاقاتٍ يجب أن يقف عندها[(١)].

٣- ترك التسليم والإذعان لله - تعالى - في قدره: ذلك لأن القدر غيب، والغيب مبناه على التسليم.

٤- البحث عن الجانب الخفي في القدر: الذي هو سر الله في خلقه، والذي لم يطَّلع عليه مَلَك مقرب، ولا نبي مرسل، وذلك مما تتقاصر العقول عن فهمه ومعرفته[(٢)].

٥- الأسئلة الاعتراضية التي لا يجوز إيرادها: كمن يقول مُتَعَنِّتًا: لماذا هدى

= في الخوض في القدر، (٢١٣٣)، وقال: «وفي الباب عن عمر وعائشة وأنس، وهذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث صالح المُري، وصالح المري له غرائب ينفرد بها لا يتابع عليها».

وقال الألباني في صحيح سنن الترمذي (١٧٣٢- ٢٢٣١): «حسن».

وله شاهد من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه بلفظ: «لا تُجالسوا أهل القدر ولا تفاتحوهم» أخرجه أحمد (١/ ٣٠)، وأبو داود (٤٧١٠)، و(٤٧٢٠)، والحاكم (١/ ٨٥).

(١) انظر: «الإبانة» لابن بطة العكبري (١/ ٤٢١، ٤٢٢).

(٢) انظر: «الدين الخالص» لصديق حسن (٣/ ١٧١).

الله فلانًا، وأضل فلانًا؟ ولماذا كلَّف الله الإنسان من بين سائر المخلوقات؟ ولماذا أغنى الله فلانًا، وأفقر فلانًا؟ وهكذا...

أما من سأل مستفهمًا فلا بأس به؛ فشفاء العي السؤال، أما من سأل متعنتًا غير متفقه ولا متعلم فهو الذي لا يحل قليلُ سؤاله ولا كثيرُهُ[1].

٦- التنازع في القدر: الذي يؤدي إلى اختلاف الناس فيه، وافتراقهم في شأنه، فهذا مما نُهينا عنه.

ولا يدخل في التنازعِ المذمومِ منازعةُ الفِرق الضالة، وردُّ شُبههم، ودحض حججهم؛ لأن في ذلك إحقاقًا للحق وإبطالًا للباطل.

ومن هنا يتبين لنا أن النهي عن الحديث في القدر على إطلاقه غيرُ صحيح، وإنما النهي كان عن الأمور الآنفة الذكر.

أما البحث فيما يستطيع العقل البشري أن يجول فيه ويفهمه من منطلق النصوص - كالبحث في مراتب القدر، وأقسام التقدير، وخلق أفعال العباد... إلى غير ذلك من مباحث القدر - فهذا ميسَّر واضح لا يمنع من البحث فيه، على أنه لا يستطيع كل أحد أن يفهمها على وجه التفصيل، إلا أن هناك من يعلمها ويكشف ما فيها.

ومما يؤيد ذلك - من أن النهي ليس على إطلاقه - أنه ورد في الحديثِ السابقِ - حديثِ ابن مسعود - مع الأمر بالإمساك عن القدر - الإمساكُ عن الصحابة.

---

(١) «شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز الحنفي (ص٢٦٢)، وانظر: «الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة» لابن قتيبة (ص٣٥)، و«شرح السنة» للبربهاري (ص٣٦).

والإمساكُ عن الصحابة إنما المقصود به الإمساك عما شجر بينهم، والكف عن ذكر مساوئهم وتنقصهم، وثلبهم.

أما ذكر محاسنهم، والثناء عليهم فهذا أمر محمود بلا أي خلاف؛ فقد أثنى الله عليهم في القرآن الكريم، وزَكَّاهم، وكذلك الرسول.

ومما يؤيد ذلك – أيضًا – أن سبب غضب النبي ﷺ كما في الحديث السابق – حديث الترمذي – إنما هو بسبب تنازع الصحابة في القدر.

وهذا يعني أن الكلام في القدر أو البحث فيه بالمنهج العلمي الصحيح غير محرم أو منهي عنه، وإنما الذي نهى عنه الرسول ﷺ هو التنازع في القدر(١).

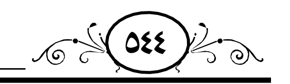
وخلاصة القول في هذه المسألة: أن الحديث عن القدر لا يُفتح بإطلاق، ولا يغلق بإطلاق؛ فإن كان الحديث بحق فلا يُمنع ولا يُنهى عنه، بل قد يجب، وإن كان بباطل فيمنع، ويُنهى عنه(٢).

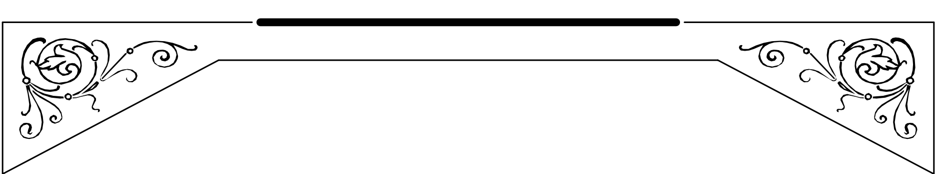


---

(١) «القضاء والقدر في الإسلام» د. فاروق الدسوقي (١/ ٣٦٨).

(٢) «الإيمان بالقضاء والقدر» (ص: ١٥).





الباب الثالث: الانحراف في القدر

وتحته ثلاثة فصول:

الفصل الأول: ظهور القول بالقدر

الإيمان بالقدر أحد أصول الإيمان، وقد بَيَّن الكتاب والسنة مفهوم القدر، وبَيَّن الرسول ﷺ أن العمل والأخذ بالأسباب هو من القدر ولا ينافيه ولا يناقضه، وحَذَّر أمته من الذين يُكذبون بالقدر أو يعارضون به الشرع. وغضب الرسول ﷺ غضبًا شديدًا عندما خرج على أصحابه يومًا وهم يتنازعون في القدر، حتى احمرَّ وجهه، حتى كأنما فُقِئ في وجنتيه الرمان، فقال: «**أبهذا أُمرتم، أم بهذا أُرسلت إليكم؟ إنما هلك مَن كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر، عزمت عليكم ألا تنازعوا فيه**»[1].

واستجاب الصحابة رضوان الله عليهم لعزيمة نبيهم وتوجيهه، فلم يُعرف عن أحد منهم أنه نازع في القدر في حياة الرسول ﷺ أو بعد وفاته.

ولم يَرِدْ إلينا أن واحدًا من المسلمين نازع في القدر في عهد الخلفاء الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان.

وكل ما ورد إلينا أن أبا عبيدة عامر بن الجراح اعترض على رجوع عمر

(١) «صحيح سنن الترمذي» (٢/ ٢٢٣).

بالناس عن دخول الشام عندما انتشر بها الطاعون، وقال لعمر بن الخطاب: «يا أمير المؤمنين أفرارًا من قدرة الله؟». فقال عمر: «لو غيرك قالها يا أبا عبيدة؟ نعم، نَفِرّ من قدر الله إلى قدر الله. أرأيت إن كان لك إبل هبطت واديًا له عدوتان: إحداهما خصيبة، والأخرى جدبة، أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدرة الله»[١].

وروى اللالكائي أن عمر بن الخطاب خطب الناس بالجابية (من أرض الشام) فقال في خطبته: «**من يضلل الله فلا هادي له**». وكان الجثاليق[٢] بين يديه، فقال: إن الله لا يضل أحدًا. وعندما كررها عمر بن الخطاب نفض الجثاليق ثوبه ينكر قول عمر.

فقال له عمر بعد أن تُرجم له كلامه: «كَذَبْتَ يا عدو الله! خلقك الله والله يضلك، ثم يميتك، فيدخلك النار إن شاء الله... إن الله خلق الخلق، وقال: حين خلق آدم نثر ذريته في يده، وكتب أهل الجنة وما هم عاملون، وكتب أهل النار وما هم عاملون، ثم قال: «هؤلاء لهذه، وهؤلاء لهذه» فتفرق الناس وما يختلف في القدر اثنان[٣].

وأول من تكلم بالقدر رجل من أهل البصرة كان يعمل بقالاً يقال له سَنْسَويه.

قال الأوزاعي: «أول من نطق في القدر رجل من العراق يقال له سوسن، كان نصرانيًّا فأسلم، ثم تنصَّر، فأخذ عنه معبد الجهني، وأخذ غيلان عن معبد»[٤].

---

(١) صحيح البخاري، انظر: «فتح الباري» (١٠/ ١٧٩)، ورقم الحديث: (٥٧٢٩).
(٢) جثاليق النصارى: رأسهم ومقدمتهم.
(٣) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» للالكائي (٣/ ٦٥٩).
(٤) «شرح أصول الاعتقاد» (٣/ ٧٥٠) وانظر: «الشريعة» للآجري (ص٢٤٢).

وقال يونس بن عبيد: «أدركت البصرة وما بها قدري إلا سَنْسَويه ومعبد الجهني، وآخر ملعون في بني عوافة»(١).

وروى مسلم في صحيحه عن بُرَيْدة بن يحيى بن يعمر قال: «كان أول من قال بالقدر بالبصرة معبد الجهني» وذكر بريدة في حديثه أن معبدًا ومن معه يزعمون «أن لا قدر، وأن الأمر أُنُف»(٢).

وقد أثار الصحابة الأحياء في ذلك الوقت كعبد الله بن عمر وابن عباس وواثلة بن الأصقع، وجابر بن عبد الله، وأبي هريرة، وأنس بن مالك - حربًا على أصحاب هذه المقالة(٣).

ثم أخذ هذا المذهب عن معبد رؤوس الاعتزال وأئمته كواصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد، وغيلان الدمشقي.

فأما واصل بن عطاء رأس الاعتزال، فقد زعم أن الشر لا يجوز إضافته إلى الله؛ لأن الله حكيم، ولا يجوز أن يريد من العباد خلاف ما يأمر، ويحتم عليهم شيئًا، ثم يجازيهم عليه، وقرر في مقالته أن العبد هو الفاعل للخير والشر، والإيمان والكفر، والطاعة والمعصية، وهو المجازى على فعله، والربُّ تعالى أقدره على ذلك كله(٤).

وذهب النَّظَّام من المعتزلة إلى أن الله لا يوصف بالقدرة على الشرور والمعاصي، وليست هي مقدورة لله(٥).

---

(١) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٣/ ٧٤٩).
(٢) «شرح النووي على مسلم» (١/ ١٥٠).
(٣) راجع: «الفرق بين الفرق» (ص١٩).
(٤) «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ٤٧).
(٥) «الملل والنحل» (١/ ٥٤).

وهذه الفرقة هي التي أطلق عليها علماؤنا: اسم القدرية. «وسُموا بذلك لأنهم أثبتوا للعبد قدرة توجد الفعل بانفرادها واستقلالها دون الله تعالى، ونفوا أن تكون الأشياء بقدر الله وقضائه، وهؤلاء مع ضلالتهم يضيفون هذا الاسم إلى مخالفيهم من أهل الهدى، فيقولون: أنتم القدرية حين تجعلون الأشياء جارية بقدر من الله، وإنكم أولى بهذا الاسم منا»[(١)].

وقد ذكر النووي في شرحه على صحيح مسلم: «أن بعض القدرية قال: لسنا بقدرية، بل أنتم القدرية؛ لاعتقادكم إثبات القدر.

قال ابن قتيبة والإمام (يريد الإمام الجويني): «هذا تمويه من هؤلاء الجهلة ومباهتة وتواقح، فإن أهل الحق يفوضون أمورهم إلى الله ﷻ، ويضيفون القدر والأفعال إلى الله ﷻ، وهؤلاء الجهلة يضيفونه إلى أنفسهم، ومُدَّعي الشيء لنفسه ومضيفه إليها أولى بأن يُنسب إليه ممن يعتقده لغيره وينفيه عن نفسه»[(٢)].

وقد صح أن الرسول ﷺ سمى القدرية مجوس هذه الأمة، والحديث أخرجه أبو داود في سننه والحاكم في مستدركه على الصحيحين، وقال: صحيح على شرط الشيخين إن صح سماع أبي حازم من ابن عمر[(٣)].

والسبب في تسمية هذه الفرقة بمجوس هذه الأمة «مضاهاة مذهبهم المجوس في قولهم بالأصلين: النور والظلمة، يزعمون أن الخير من فعل النور، والشر من فعل الظلمة، فصاروا ثَنَوِيَّة، وكذلك القدرية يضيفون

(١) «جامع الأصول» لابن الأثير (١٠/ ١٢٨).
(٢) «شرح النووي على مسلم» (١/ ١٥٤).
(٣) المصدر السابق.

الخير إلى الله تعالى، والشر إلى غيره والله ﷻ خالق الخير والشر جميعًا، لا يكون شيء منهما إلا بمشيئته، فهما مضافان إليه ﷻ خلقًا وإيجادًا، وإلى الفاعلين لهما من عباده فعلًا واكتسابًا»[(١)(٢)].

ونشأ في آخر عهد بني أمية أقوام يزعمون أن العبد مجبور على فعله، ليس له خيار فيما يأخذ أو يدع، وبعضهم يُثبت للعبد قدرة غير مؤثرة.

وأول من ظهر عنه هذا القول هو الجهم بن صفوان. وتفرع عن هذه البدعة أقوال شنيعة وضلال كبير[(٣)].

وقد انتشر هذا القول في الأمة الإسلامية وتقلده كثير من العُباد والزهاد والمتصوفة.

وإذا كان الفريق الأول أشبه المجوس فإن هذا الفريق أشبه المشركين الذين قالوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

وهذا الفريق شرٌّ من الفريق الأول؛ لأن الأولين عَظَّموا الأمر والنهي، وأخرجوا أفعال العباد عن أن تكون خلقًا لله. وهذا الفريق أثبت القدر، واحتج به على إبطال الأمر والنهي[(٤)(٥)].

---

(١) نقل هذا الكلام النووي في شرحه على مسلم (١/ ١٥٤) عن الخطابي. وانظر: «جامع الأصول» (١٠/ ١٢٨).

(٢) سيأتي مزيد بيان لهذه الفرقة ومعتقداتها وبيان ضلالتها عندما نتكلم على الذين ضلوا في باب القدر.

(٣) راجع «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» (٨/ ٤٦٠)، و«الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ٨٥).

(٤) «عقيدة السفاريني» (١/ ٣٠٦).

(٥) «القضاء والقدر» للأشقر.

الفصل الثاني: الطوائف المنحرفة في القضاء والقدر

إن الناس في القَدَر لهم فِرَق كثيرة، وهذه الفرق ترجع إلى فرقتين:

الأولى: القدرية: الذين أنكروا القدر، إما أنكروا كل المراتب، أو أنكروا بعض مراتب القَدَر.

الثانية: الجبرية: الذين يزعمون أنَّ الإنسان لا اختيار له وأنه مجبور.

أولًا: القدرية: وهم فِرَق:

١- الفرقة الأولى: هم الغلاة الذين كانوا يُنكرون عِلْمَ الله ﷻ السابق فيقولون: إنَّ الله ﷻ لا يعلم الشيء إلا بعد وقوعه والأمر أُنُف. يعني: مستأنف جديد غير معلوم، وغير مُقَدَّر له قبل ذلك.

وهؤلاء هم الذين كفَّرَهم السلف وكَفّرَهم الصحابة؛ كابن عمر، وابن عباس، وغير أولئك؛ وذلك لأنهم أنكروا مرتبة العلم، والله ﷻ ذكر عِلْمَه، فمعنى ذلك أنهم ردُّوا حكم الكتاب، ومَن ردَّ حكم الكتاب فهو من الكافرين.

وهؤلاء هم الذين قال فيهم السلف: (ناظِروا القدرية بالعلم، فإن أقروا به خُصِمُوا، وإن جحدوه كفروا).

وهذه الفرقة ذهبت ولا يُعْرَف أنها عقَّبَت وارثًا في الأعْصُر المتأخرة.

٢ - الفرقة الثانية: وهم القدرية المتوسطة: المعتزلة والشيعة الرافضة والزيدية ومن نحا نحو أولئك.

وهؤلاء لا يُنْكِرُون جميع المراتب، ولكن يُنْكِرُون بعض الأشياء في بعض المراتب. فيقولون: إنَّ المشيئة ثابتة لكن ليست عامة. ويقولون: إنَّ الخلق ثابت ولكن ليس عامًّا.

وسُمُّوا بالقدرية لأنهم ينفون بعض مراتب القدر.

وهذه الفرقة باقية إلى الآن في أمصار كثيرة من بلاد المسلمين.

ثانيًا: الجبرية: وهم أيضًا فِرَق:

١- الفرقة الأولى: هم الغلاة، وهم الذين يقولون: إنَّ الإنسان مجبور على كل شيء، وحركاته كحركة الريشة في مهب الهواء، وكحركة الخشبة في البحر، فإنَّ الأمواج تتقاذفها وليس لها اختيار، وكذلك الريشة يُقَلِّبُها الهواء وليس لها اختيار.

ويقولون: إن العبد ليس له اختيار، وإنما هو مفعول به في كل أحواله؛ سواء من ذلك الطاعات والمعاصي، فصَلَّى مجبورًا، وصام مجبورًا، وسرق مجبورًا، وغشَّ مجبورًا.

ويقولون: إنَّ أفعال الله ﷻ غير مُعَلَّلَة، فقد يُعذب المطيع الصالح، وقد يُعْطِي ويُنعِّم الكافر الطاغوت.

٢- الفرقة الثانية: وهم الأشاعرة والماتريدية ومن نحا نحوهم، ممن غَلَوا في إثبات مشيئة الله ﷻ وخلقه، وقالوا: إنَّ الإنسان ليس مجبورًا على كل حال، ولكن هو مجبور باطنًا لا ظاهرًا؛ يعني في الباطن مجبور ما يتحرك بإرادته، ولكن في الظاهر تصرفاته بإرادته، فَيُحَاسَبُ على تصرفاته الظاهرة، وأما الذي دَفَعَهُ في الحقيقة فهو أمر باطن مُجْبَر عليه من الله ﷻ[1].

---

(١) باختصار وتصرف من «شرح العقيدة الطحاوية»؛ للإمام أبي جعفر أحمد بن محمد ابن سلامة الأزدي الطحاوي، شرحها فضيلة الشيخ العلامة صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ.

وقال الشيخ عبد الرحيم السلمي: (يدخل في منكر القدر: القدرية الذين أنكروا القدر بالجملة، والذين أنكروا القدر وقالوا: إن الله يعلم ما يفعل العبد، ولكنه لم يكتب شيئًا ولم يشأ من العباد شيئًا، ولم يخلق أفعالهم، بل العباد يخلقون أفعال أنفسهم، وهؤلاء يسمون القدرية، وهم المعتزلة.

والنوع الثاني: الجبرية، وهم الذين أثبتوا القدر، ولكن أنكروا معناه الحقيقي الشرعي.

فالقدرية والجبرية مع أن كل واحد منهما على النقيض من الآخر، إلا أن كلاًّ منهما يعتبر منكرًا للقدر؛ لأن معنى إنكار القدر هنا هو إنكار القدر المشروع الذي بيَّنه الله ﷻ وبينه الرسول ﷺ.

فالقدرية أنكروا، والجبرية أثبتوا، إلا أن الإثبات ليس إثباتًا شرعيًّا؛ فهو يتضمن إنكار القدر بالمعنى الشرعي.

والجبرية قالوا: إن الله ﷻ جبر العباد على المعاصي والذنوب، وإنهم معذورون لذلك. وأما القدرية، فقد فقالوا: إن الله ﷻ لم يكتب مقادير العباد، ولم يخلق أفعالهم، بل العبد يخلق فعل نفسه. فنسبوا الخلق إلى العبد، ولهذا سماهم السلف: مُشبِّهة الأفعال، مأوِّلة الصفات، فهم معطِّلة ومشبِّهة في ذات الوقت، معطِّلة بالنسبة لبقية الصفات، ومشبِّهة بالنسبة لأفعال الله ﷻ حيث شبَّهوا العباد بالله في كونهم يخلقون ويقومون بهذه الأعمال دون أن تكون هناك قدرة وإرادة من الله ﷻ عليهم[1].

---

(١) «شرح كتاب التوحيد» للشيخ عبد الرحيم بن صمايل العلياني السلمي.

وانظر غير مأمور: «الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد» للشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، الناشر دار ابن الجوزي، الطبعة الرابعة (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)، (ص٢٠٩ - ٣٠١)، و«الدرة البهية شرح القصيدة التائية =

مذهب الجهمية والمعتزلة في إنكار القدر:

فَمَنْ أَضَافَ الْفِعْلَ وَالِانْفِعَالَ كِلَيهِمَا إِلَى الْمَخْلُوقِ كَفَرَ. وَمَنْ أَضَافَهُمَا كِلَيهِمَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى كَفَرَ.

وَمَنْ أَضَافَ الْفِعْلَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى حَقِيقَةً وَالِانْفِعَالَ إِلَى الْمَخْلُوقِ حَقِيقَةً كَمَا أَضَافَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى فَهُوَ الْمُؤْمِنُ حَقِيقَةً.

فَالْأَوَّلُ قَوْلُ الْقَدَرِيَّةِ النُّفَاةُ، وَأَوَّلُ مَنْ أَحْدَثَهُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ مَعْبَدٌ الْجُهَنِيُّ فِي آخِرِ عَصْرِ الصَّحَابَةِ كَمَا قَدَّمْنَا عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ فِي سِيَاقِ حَدِيثِ جِبْرِيلَ السَّابِقِ فِي سُؤَالِهِ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الدِّينِ، وَأَنْكَرَ عَلَيْهِ ذَلِك بَقِيَّةُ الصَّحَابَةِ وَأَئِمَّةُ التَّابِعِينَ وَتَبَرَّءُوا مِنْ هَذَا الِاعْتِقَادِ وَكَفَّرُوا مُنْتَحِلِيهِ وَنَفَوْا عَنْهُ الْإِيمَانَ، وَأَوْصَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِمُجَانَبَتِهِ وَالْفِرَارِ مِنْ مُجَالَسَتِهِ.

ثُمَّ تَقَلَّدَ عَنْهُ ذَلِكَ الْمَذْهَبَ الْفَاسِدَ وَالسُّنَّةَ السَّيِّئَةَ الَّتِي انْتَحَلَهَا هُوَ رُءُوسُ الْمُعْتَزِلَةِ وَأَئِمَّتُهُمُ الْمُضِلُّونَ كَوَاصِلِ بْنِ عَطَاءٍ الْغَزَّالِ، وَعَمْرِو بْنِ عبيد وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ وَعَلَى طَرِيقَتِهِمْ حَتَّى بَالَغَ بَعْضُهُمْ فَأَنْكَرَ عِلْمَ اللَّهِ تَعَالَى وَأَنْكَرَ كِتَابَةَ الْمَقَادِيرِ السَّابِقَةِ وَجَعَلَ الْعِبَادَ هُمُ الْخَالِقِينَ لِأَفْعَالِهِمْ؛ وَلِهَذَا كَانُوا هُمْ مَجُوسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ.

فَأَمَّا وَاصِلُ بْنُ عَطَاءٍ فَقَالَ فِيهِ أَبُو الْفَتْحِ الْأَزْدِيُّ: رَجُلُ سوءٍ كَافِرٌ.

قَالَ الذَّهَبِيُّ: كَانَ مِنْ أَجْلَادِ الْمُعْتَزِلَةِ، وُلِدَ سَنَةَ ثَمَانِينَ بِالْمَدِينَةِ، وَمِمَّا قِيلَ فِيهِ:

وَيَجْعَلُ الْبُرَّ قَمْحًا فِي تَصَرُّفِهِ وَخَالَفَ الرَّاءَ حَتَّى احْتَالَ لِلشِّعْرِ

= في حل المشكلة القدرية» للشيخ أبي عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (المتوفى١٣٧٦هـ)؛ تحقيق أبي محمد أشرف بن عبد المقصود، الناشر أضواء السلف، الطبعة الأولى، (١٤١٩هـ-١٩٩٨م) (٢٦- ٢٧).

وَلَمْ يُطِقْ مَطَرًا فِي الْقَوْلِ يَجْعَلُهُ فَعَاذَ بِالْغَيْثِ إِشْفَاقًا مِنَ الْمَطَرِ

وَكَانَ يَتَوَقَّفُ فِي عَدَالَةِ أَهْلِ الْجَمَلِ وَيَقُولُ: إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ فَسَقَتْ لَا بِعَيْنِهَا، فَلَوْ شَهِدَتْ عِنْدِي عَائِشَةُ وَعَلِيٌّ وَطِلْحَةُ عَلَى بَاقَةِ بَقْلٍ لَمْ أَحْكُمْ بِشَهَادَتِهِمْ. هَلَكَ سَنَةَ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَمِائَةٍ. وَأَمَّا عَمْرُو بْنُ عبيد فَهُوَ ابْنُ ثَوْبَانَ- وَيُقَالُ ابْنُ كَيْسَانَ- الْتَيْمِيُّ مَوْلَاهُمْ أَبُو عُثْمَانَ الْبَصْرِيُّ مِنْ أَبْنَاءِ فَارِسٍ، قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: هُوَ شَيْخُ الْقَدَرِيَّةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ، رَوَى الْحَدِيثَ عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَعُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَسٍ وَأَبِي الْعَالِيَةِ وَأَبِي قِلَابَةَ، وَعَنْهُ الْحَمَّادَانِ وَسُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ وَالْأَعْمَشُ وَكَانَ مِنْ أَقْرَانِهِ وَعَبْدُ الْوَارِثِ بْنُ سَعِيدٍ وَهَارُونُ بْنُ مُوسَى وَيَحْيَى الْقَطَّانُ وَيَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ.

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: لَيْسَ بِأَهْلٍ أَنْ يُحَدَّثَ عَنْهُ. وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ وَيَحْيَى بْنُ مَعِينٍ: لَيْسَ بِشَيْءٍ. وَزَادَ ابْنُ مَعِينٍ: وَكَانَ رَجُلَ سَوْءٍ وَكَانَ مِنَ الدَّهْرِيَّةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّمَا النَّاسُ مِثْلَ الزَّرْعِ. وَقَالَ الْفَلَّاسُ: مَتْرُوكٌ صَاحِبُ بِدْعَةٍ، كَانَ يَحْيَى الْقَطَّانُ يُحَدِّثُنَا عَنْهُ ثُمَّ تَرَكَهُ. وَكَانَ ابْنُ مَهْدِيٍّ لَا يُحَدِّثُ عَنْهُ، وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ: مَتْرُوكٌ. وَقَالَ النَّسَائِيُّ: لَيْسَ بِثِقَةٍ. وَقَالَ شُعْبَةُ عَنْ يُونُسَ بْنِ عُبَيْدٍ: كَانَ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ يَكْذِبُ فِي الْحَدِيثِ. وَقَالَ حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ: قَالَ لِي حُمَيْدٌ: لَا تَأْخُذْ عَنْهُ فَإِنَّهُ كَانَ يَكْذِبُ عَلَى الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ. وَكَذَا قَالَ أَيُّوبُ وَعَوْفُ بْنُ عَوْنٍ، وَقَالَ أَيُّوبُ: مَا كُنْتُ أَعُدُّ لَهُ عَقْلًا. وَقَالَ مَطَرٌ الْوَرَّاقُ: وَاللَّهِ لَا أُصَدِّقُهُ فِي شَيْءٍ. وَقَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ: إِنَّمَا تَرَكُوا حَدِيثَهُ لِأَنَّهُ كَانَ يَدْعُو إِلَى الْقَدَرِ.

وَقَدْ ضَعَّفَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَئِمَّةِ الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ آخَرُونَ فِي عِبَادَتِهِ وَزُهْدِهِ وَتَقَشُّفِهِ.

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: هَذَا سَيِّدُ شَبَابِ الْقُرَّاءِ مَا لَمْ يُحْدِثْ. قَالُوا: فَأَحْدَثَ وَاللَّهِ أَشَدَّ الْحَدَثِ. وَقَالَ ابْنُ حِبَّان: كَانَ مِنْ أَهْلِ الْوَرَعِ وَالْعِبَادَةِ

إِلَى أَنْ أَحْدَثَ مَا أَحْدَثَ. وَاعْتَزَلَ مَجْلِسَ الْحَسَنِ هُوَ وَجَمَاعَةٌ مَعَهُ فَسُمُّوَا الْمُعْتَزِلَةِ. وَكَانَ يَشْتِمُ الصَّحَابَةَ وَيَكْذِبُ فِي الْحَدِيثِ وَهْمًا لَا تَعَمُّدًا.

وَقَدْ رُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: إِنْ كَانَتْ ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ [المَسَد: ١]، فِي اللَّوْحِ فَمَا تُعَدُّ مِنْهُ عَلَى ابْنِ آدَمَ حُجَّةً. وَرُوِيَ لَهُ حَدِيثُ ابْنُ مَسْعُودٍ: حَدَّثَنَا الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ: «إِنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا - حَتَّى قَالَ -: فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ» إِلَى آخِرِهِ، فَقَالَ: لَوْ سَمِعْتُ الْأَعْمَشَ يَرْوِيهِ لَكَذَّبْتُهُ، وَلَوْ سَمِعْتُهُ مِنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ لَمَا أَحْبَبْتُهُ، وَلَوْ سَمِعْتُهُ مِنَ ابْنِ مَسْعُودٍ لَمَا قَبِلْتُهُ، وَلَوْ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَرَدَدْتُهُ، وَلَوْ سَمِعْتُ اللَّهَ يَقُولُ هَذَا لَقُلْتُ: مَا عَلَى هَذَا أَخَذْتَ عَلَيْنَا الْمِيثَاقَ.

وَهَذَا مِنْ أَقْبَحِ الْكُفْرِ، لَعَنَهُ اللَّهُ إِنْ كَانَ قَالَ هَذَا، وَإِذَا كَانَ مَكْذُوبًا عَلَيْهِ فَعَلَى مَنْ كَذَبَهُ عَلَيْهِ مَا يَسْتَحِقُّهُ.

وَقَدْ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

أَيُّهَا الطَّالِبُ عِلْمًا ... ائْتِ حَمَّادَ بْنَ زَيْدِ
فَخُذِ الْعِلْمَ بِحِلْمٍ ... ثُمَّ قَيِّدْهُ بِقَيْدِ
وَذَرِ الْبِدْعَةَ مِنْ ... آثَارِ عَمْرِو بْنِ عبيد

وَقَالَ ابْنُ عَدِيٍّ: كَانَ عَمْرُو يُغْرِي النَّاسَ بِتَقَشُّفِهِ، وَهُوَ مَذْمُومٌ ضَعِيفُ الْحَدِيثِ جِدًّا مُعْلِنٌ بِالْبِدَعِ. وَقَالَ الدَّارَقُطْنِيُّ: ضَعِيفُ الْحَدِيثِ. وَقَالَ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ: جَالَسَ الْحَسَنَ وَاشْتُهِرَ بِصُحْبَتِهِ، ثُمَّ أَزَالَهُ وَاصِلُ بْنُ عَطَاءٍ عَنْ مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَقَالَ بِالْقَدَرِ وَدَعَا إِلَيْهِ وَاعْتَزَلَ أَصْحَابَ الْحَدِيثِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى.

ثُمَّ تَوَارَثَ الْقَدَرِيَّةُ هَذَا الْمَذْهَبَ الْفَاسِدَ بَعْدَ هَؤُلَاءِ وَتَوَاصَوْا بِهِ، ثُمَّ مِنْهُمْ مَنْ نَفَى عِلْمَ اللَّهِ تَعَالَى كَأَوَّلِيهِمْ، فَفِيهِمْ مَنْ نَفَى عِلْمَهُ بِالْكُلِّيَّاتِ وَالْجُزْئِيَّاتِ

وَمِنْهُمْ مَنْ أَثْبَتَ الْعِلْمَ بِالْكُلِّيَّاتِ دُونَ الْجُزْئِيَّاتِ، ثُمَّ افْتَرَقُوا فِي أَفْعَالِ اللَّهِ كَمَا افْتَرَقُوا فِي عِلْمِهِ:

فَفِرْقَةٌ قَالَتْ: كُلُّ أَفْعَالِ الْعِبَادِ لَيْسَتْ مَقْدُورَةً لِلَّهِ وَلَا مَخْلُوقَةً لَهُ، لَا خَيْرُهَا وَلَا شَرُّهَا. وَالْأُخْرَى قَالَتْ: الْخَيْرُ مِنْ أَفْعَالِهِمْ مَخْلُوقٌ لَهُ تَعَالَى وَمَقْدُورٌ لَهُ، وَأَمَّا الشَّرُّ فَلَيْسَ عِنْدَهُمْ مَخْلُوقًا لِلَّهِ وَلَا مَقْدُورًا لَهُ. فَأَثْبَتُوا نِصْفَ الْقَدَرِ وَنَفَوْا نِصْفَهُ، وَأَثْبَتُوا خَالِقَيْنِ.

فَهُمْ فِي الْحَقِيقَةِ مَجُوسٌ ثَنَوِيَّةٌ، بَلْ أَعْظَمُ مِنْهُمْ؛ فَإِنَّ الثَّنَوِيَّةَ أَثْبَتُوا خَالِقَيْنِ لِلْكَوْنِ كُلِّهِ، وَهَؤُلَاءِ أَثْبَتُوا خَالِقَيْنِ لِكُلِّ فَرْدٍ مِنَ الْأَفْرَادِ وَلِكُلِّ فِعْلٍ مِنَ الْأَفْعَالِ بَلْ جَعَلُوا الْمَخْلُوقِينَ كُلَّهُمْ خَالِقِينَ، وَلَوْلَا تَنَاقُضُهُمْ لَكَانُوا أَكْفَرَ مِنَ الْمَجُوسِ، فَإِنَّ اطِّرَادَ قَوْلِهِمْ وَلَازَمَهُ وَحَاصِلَهُ هُوَ إِخْرَاجُ أَفْعَالِ الْعِبَادِ عَنْ خَلْقِ اللَّهِ ﷻ وَمُلْكِهِ وَأَنَّهَا لَيْسَتْ دَاخِلَةً فِي رُبُوبِيَّتِهِ ﷻ، وَأَنَّهُ يَكُونُ فِي مُلْكِهِ مَا لَا يُرِيدُ وَيُرِيدُ مَا لَا يَكُونُ، وَأَنَّهُمْ أَغْنِيَاءُ عَنِ اللَّهِ ﷻ فَلَا يَسْتَعِينُونَ عَلَى طَاعَتِهِ وَلَا تَرْكِ مَعْصِيَتِهِ وَلَا يَعُوذُونَ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِهِمْ وَلَا سَيِّئَاتِ أَعْمَالِهِمْ وَلَا يَسْتَهْدُونَهُ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، فَقَوْلُ: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) وَقَوْلُ: (لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ) لَا مَعْنَى لَهُ عِنْدَهُمْ وَرُبَّمَا اسْتَنْكَرُوهُ، كَمَا جَحَدُوا قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٣٩]، هَذَا مَعَ إِنْكَارِهِمْ عِلْمَ اللَّهِ ﷻ وَقُدْرَتَهُ وَمَشِيئَتَهُ وَإِرَادَتَهُ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ صِفَاتِهِ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ وَالْجَاحِدُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا[1].



(١) «معارج القبول بشرح سلم الوصول» (٣/ ٩٤٦).

الفصل الثالث: حدود نظر العقل في القدر

يقول أبو المُظَفَّر السمْعَاني فيما حكاه عنه ابن حجر العسقلاني: «سبيل المعرفة في هذا الباب التوقيف من الكتاب والسنة دون محض القياس والعقل، فمَن عَدَل عن التوقيف فيه ضلَّ وتاه في بحار الحيرة، ولم يبلغ شفاء العين، ولا ما يطمئن به القلب؛ لأن القدر سِرٌّ من أسرار الله تعالى، اختص العليم الخبير به، وضَرَب دونه الأستار، وحَجَبه عن عقول الخلق ومعارفهم لما علمه من الحكمة، فلم يعلمه نبي مرسل ولا مَلَك مقرب»[1].

ويقول الطحاوي رَحِمَهُ اللهُ: «وأصل القدر سرّ الله تعالى في خلقه، لم يطلع على ذلك ملك مقرب، ولا نبي مرسل، والتعمق في ذلك ذريعة الخِذلان، وسلم الحرمان، ودرجة الطغيان، فالحذرَ الحذرَ من ذلك نظرًا وفكرًا ووسوسة، فإن الله طوى علم القدر عن أنامه، ونهاهم عن مَرامه، كما قال تعالى: ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء: ٢٣]»[2].

وقال الآجُرِّيُّ: «لا يَحْسُن بالمسلمين التنقير والبحث في القدر؛ لأن القدر سر من أسرار الله ﷻ، بل الإيمان بما جرت به المقادير من خير أو شر واجب على العباد أن يؤمنوا به، ثم لا يأمن العبد أن يبحث عن القدر فيُكذب بمقادير الله الجارية على العباد، فيضل عن طريق الحق»[3].

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ: «من السنة اللازمة: الإيمان بالقدر خيره وشره،

---

(١) «فتح الباري» (١١/ ٤٧٧) وراجع «شرح النووي على مسلم» (١٦ / ١٩٦).
(٢) «شرح الطحاوية» (ص٢٧٦).
(٣) «الشريعة» للآجري (ص ١٤٩).

والتصديق بالأحاديث فيه، والإيمان بها، لا يقال: لِمَ؟ ولا كيف؟ إنما هو التصديق بها والإيمان بها.

ومَن لم يعرف تفسير الحديث ولم يبلغه عقله، فقد كُفي ذلك، وأُحكم له، فعليه الإيمان به والتسليم له، مثل حديث الصادق المصدوق، وما كان مثله في القدر»(١).

وقال علي بن المديني مثل قول الإمام أحمد في القدر(٢).

وهذا الذي قرره أهل العلم في القدر يضع لنا عدَّة قواعد في غاية الأهمية:

الأولى: وجوب الإيمان بالقدر.

الثانية: الاعتماد في معرفة القدر وحدوده وأبعاده على الكتاب والسنة، وتَرْك الاعتماد في ذلك على نظر العقول ومحض القياس. فالعقل الإنساني لا يستطيع بنفسه أن يضع المعالم والركائز التي تنقذه في هذا الباب من الانحراف والضلال.

والذين خاضوا في هذه المسألة بعقولهم ضلوا وتاهوا؛ فمنهم مَن كَذَّب بالقدر، ومنهم مَن ظن أن الإيمان بالقدر يُلزم القول بالجبر، ومنهم من ناقض الشرع بالقدر، وكل انحراف من هذه الانحرافات سبب مشكلات في واقع البشر وحياتهم ومجتمعاتهم، فالانحراف العقائدي يسبب انحرافًا في السلوك وواقع الحياة.

الثالثة: تَرْك التعمق في البحث في القدر، فبعض جوانبه لا يمكن للعقل الإنساني مهما كان نبوغه أن يستوعبها، وبعضها الآخر لا يستوعبها إلا بصعوبة كبيرة.

---

(١) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (ص١٥٧).

(٢) المرجع السابق (١٦٥).

قد يقال: أليس في هذا المنهج حَجْر عل العقل الإنساني؟

والجواب أن هذا ليس بحجر على الفكر الإنساني، بل هو صيانة لهذا العقل من أن تتبدد قواه في غير المجال الذي تُحْسِن التفكير فيه، إنه صيانة للعقل الإنساني من العمل في غير المجال الذي يُحْسنه ويبدع فيه.

إن الإسلام وضع بين يدي الإنسان معالم الإيمان بالقدر، فالإيمان بالقدر يقوم على أن الله علم كلَّ ما هو كائن وكتبه وشاءَه وخلقه، واستيعاب العقل الإنساني لهذه الحقائق سهل ميسور، ليس فيه صعوبة، ولا غموض وتعقيد. أما البحث في سر القدر والغوص في أعماقه فإنه يبدد الطاقة العقلية ويهدرها.

إنّ البحث في كيفية العلم والكتابة والمشيئة والخلق - بحث في كيفية صفات الله وكيف تعمل هذه الصفات، وهذا أمر محجوب علمه عن البشر، وهو غيب يجب الإيمان به، ولا يجوز السؤال عن كنهه، والباحث فيه كالباحث عن كيفية استواء الله على عرشه، يقال له: هذه الصفات التي يقوم عليها القدر معناها معلوم، وكيفيتها مجهولة، والإيمان بها واجب، والسؤال عن كيفيتها بدعة.

إن السؤال عن الكيفية هو الذي أتعب الباحثين في القدر، وجعل البحث فيه من أعقد الأمور وأصعبها، وأظهر أن الإيمان به صعب المنال، وهو سبب الحيرة التي وقع فيها كثير من الباحثين.

ولذا فقد نصَّ جمع من أهل العلم على المساحة المحذورة التي لا يجوز دخولها في باب القدر، وقد سقنا قريبًا مقالة الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ التي يقول فيها: «من السُّنة اللازمة الإيمان بالقدر خيره وشره والتصديق بالأحاديث فيه، والإيمان بها، لا يقال: لِمَ؟ ولا كيف؟»[1].

---

(١) «شرح اعتقاد أهل السنة» للالكائي (١/ ١٥٧).

لقد خاض الباحثون في القدر في كيفية خلق الله لأفعال العباد مع كون هذه الأفعال صادرة عن الإنسان حقيقة، وبحثوا عن كيفية علم الله بما العباد عاملون، وكيف يكلف عباده بالعمل مع أنه يعلم ما سيعملون، ويعلم مصيرهم إلى الجنة أو النار.

وضَرَب الباحثون في هذا كتاب الله بعضه ببعض، وتاهوا وحاروا ولم يصلوا إلى شاطئ السلامة.

وقد حَذّر الرسول ﷺ أمته من أن تسلك هذا المسار وتضرب في هذه البيداء، ففي «سنن الترمذي» بإسناد حسن عن أبي هريرة قال: «خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتنازع في القدر، فغضب حتى احمرَّ وجهه، حتى كأنما فقئ في وجنتيه الرمان، فقال: «**أبهذا أُمرتم، أم بهذا أُرسلت إليكم؟ إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر، عزمت عليكم ألا تنازعوا فيه**»[(١)].

مدى إدراك العقل للعلل والأوامر والأفعال وما فيها من حسن وقبح:

ذهب جمهور أهل العلم من السلف والخلف إلى أن لأوامر الله ومخلوقاته عللًا وحِكمًا، فإنه لا يأمر إلا لحكمة، ولا يخلق إلا لحكمة.

وبعض هذه الحِكم تعود إلى العباد، وبعضها يعود إلى الله تعالى:

فما يعود إلى العباد هو ما فيه خيرهم وصلاحهم في العاجل والآجل.

وما يعود إلى الله تعالى هو محبته أن يُعبد ويطاع ويتاب إليه ويُرجى ويُخاف منه ويُتوكل عليه ويُجاهد في سبيله، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقال: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ [القيامة: ٣٦] وقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧]،

(١) «صحيح سنن الترمذي» (٢/ ٢٢٣).

وقال: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون: ١١٥].

والنصوص الدالة على أن لله حِكمًا في خلقه وأمره كثيرة وافرة، يصعب حصرها، والعقول البشرية تستطيع أن تدرك شيئًا من هذه الحِكم.

وذهب جمهور أهل العلم أيضًا إلى أن العقل يستطيع أن يدرك ما في الأفعال من حسن وقبح، فالعقول تدرك أن الظلم والكذب والسرقة وقتل النفوس قبيح، وأن العدل والصدق وإصلاح ذات البين وإنقاذ الغرقى حسن وجميل.

والحكم الحاصلة من الشرائع ثلاثة أنواع:

الأول: أن يكون الفعل مشتملًا على مصلحة أو مفسدة، ولو لم يَرِدْ الشرع بذلك، كما يُعلم أن العدل مشتمل على مصلحة العالم، والظلم يشتمل على فسادهم. فهذا النوع حسن وقبيح، وقد يُعلم بالعقل والشرع حسن ذلك وقبحه، لكن لا يلزم في العقول أن الإنسان معاقب على فعل القبيح من هذا النوع في الآخرة إن لم يرد الشرع بذلك، ومَن ادعى أن الله يمكن أن يعاقب العباد على أفعالهم القبيحة من الشرك والكفر ونحو ذلك من غير إرسال رسول فقد أخطأ.

الثاني: إذا أمر الشارع بشيء صار حسنًا، وإذا نهى عن شيء صار قبيحًا، واكتسب الفعل صفة الحسن والقبح بخطاب الشرع.

الثالث: أن يأمر الشارع بشيء امتحانًا واختبارًا، كما أمر الله إبراهيم بأن يذبح ولده إسماعيل. فالشارع ليس له قصد في ذبح الابن ولكنه الابتلاء والاختبار.

والمعتزلة أقرت بالنوع الأول دون الثاني والثالث. والأشعرية ذهبت إلى أن جميع الأوامر والنواهي الشرعية هي من قسم الامتحان، والأفعال ليست

لها صفة لا قبل الشرع ولا بالشرع. وأما الحكماء وجمهور أهل العلم فأثبتوا الأقسام الثلاثة(١).

وهذا الذي عليه جمهور أهل السنة من أفعال الله معللة وأن العقل بإمكانه أن يدرك ما في الأفعال من حسن وقبح - يفتح الباب أمام العقول الإنسانية لتبحث في الحِكَم الباهرة التي خلق الله من أجلها المخلوقات وشرع من أجلها ما شرعه من أحكام، وهو باب كبير، يحصل العباد منه على علم عظيم، يُثَبّت الإيمان، ويزيد اليقين، ويُعَرِّف العباد بإبداع الخالق العظيم ﴿ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ﴾ [السجدة: ٧]، وكيف لا يكون الأمر كذلك وقد وعد الحق تبارك وتعالى أن يُرِى عباده من آياته العظيمة ما يُظهر صدق ما جاء به الرسول، وأنزله في الكتاب ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلۡأٓفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ﴾ [فصلت: ٥٣].

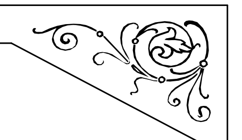
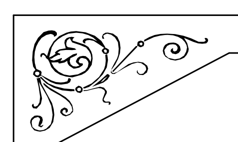
وقد جاءت النصوص آمرة بالتدبر والتأمل والنظر في آياته المنزلة، وآياته المخلوقة المبدعة ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ﴾ [محمد: ٢٤] ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [يونس: ١٠١] ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ﴾ [الغاشية: ١٧] ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقًّا﴾ [عبس: ٢٤ - ٢٦](٢).

❊ ❊ ❊

---

(١) راجع في تعليل أفعال الله ومسألة التحسين والتقبيح العقليين: «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» (٨/ ١٢٢، ٣٠٨، ٤٢٨).

(٢) «القضاء والقدر» للأشقر.

فهرس الموضوعات

